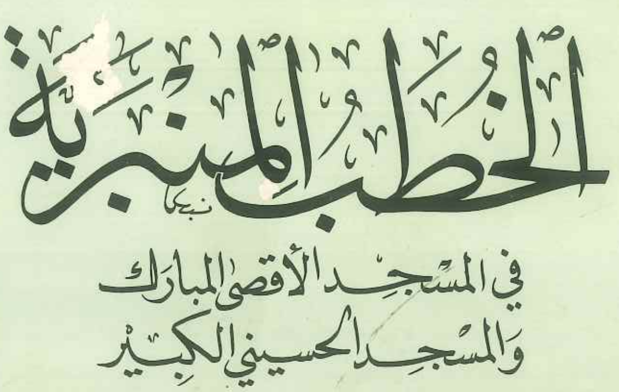
من منشورات دار الفقه والحديث



الخطب المنبرية

في المسجد الأقصى المبارك والمسجد الحسيني الكبير



الجزء الأول

خاص بخطب المسجد الأقصى المبارك

لفضيلة المرحوم الأستاذ الشيخ
محمد عادل الشريف الخليلي الحسيني

١٤١١هـ - ١٩٩١م

منبر صلاح الدين في المسجد الاقصى المبارك
الذي أحرقه الصهيونيون في عام ١٩٦٩.



من منشورات دار الفقه والحديث



لفضيلة المرحوم الأستاذ الشيخ
محمد عادل الشريف الخليلي الحسيني

الطبعة الاولى
١٤١١هـ ـ ١٩٩١م

٢١٦
محم **محمد عادل الشريف**
الخطب المنبرية في المسجد الأقصى/ محمد عادل الشريف . ــ عمان : دار الفقه والحديث ، ١٩٩٠
(٦٤٤) ص .
ر.أ. (١٩٩٠/٢/١٣٣) .
١ ــ الاسلام ــ فقه أ ــ العنوان
(تمت الفهرسة بمعرفة دائرة المكتبات والوثائق الوطنية)

موافقة دائرة المطبوعات والنشر
رقم الاجازة المتسلسل ١٩٩٠/٢/١٠٨

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
١٩٩٠/٢/١٣٣

الطابعــون
جمعية عمال المطابع التعاونية
هاتف ٦٣٧٧٧١-٣ ـ ص.ب ٨٥٧ ـ عمان ـ الأردن


بسم الله الرحمن الرحيم

الجـزء الأول

في المسجد الأقصى المبارك

في القدس الشريف

خلال الفترة الواقعة بين

٢٢/٩/١٩٦٠ م ٤/٦/١٩٦٧

.. ! ..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمّد عليه أفضل الصلاة والتسليم . وبعد ..

ماذا أكتب عن شيخي وأستاذي ، وشيخ طريقتي الروحي ، الشيخ الجليل (محمد عادل عبدالسلام الشريف) ؛ شيخ الطريقة الخلوتية الرحمانية[1] الجامعة .؟

إنني أشعر أن القلم عاجز عن الكتابة ، والعقل متوقف عن التفكير . لأنني مهما كتبتُ ، فلن أستطيع أن أفي جزءاً صغيراً مما كان عليه شخصه الكريم ، عطفاً ونُبلاً وأبوَّة روحيَّة .

لقد كان فضيلته أولاً وقبل كل شيء أباً مُرشِداً ، وإنساناً رحيما ، وكان علماً من أعلام الفكر والدين ، وشعلة تضيء بالإيمان ، بالإضافة إلى كونه مثالاً يحتذى في أداء رسالة السَّماء المباركة المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ودعوة الناس إلى طاعة الرحمٰن الرحيم ، ونبذ المعاصي ما ظهر منها وما بطن .

عندما التقيته في مكتبه لأول مرَّة ، وتعرَّفت عليه، كان يشغل منصب المفتي العام للمملكة بالوكالة ، وكان مكتبه في وزارة الأوقاف عام ١٩٦٨ ميلادية . إذ كنت ــ آنذاك ــ مُكلّفاً من قبل وزارة الداخلية بالإشتراك في بعثة الحج الأردنية كمندوب عن الوزارة . وقد

---

١ ــ طريقة صوفية توفي شيخها سنة ١٣٠٥هـ وهو (المرحوم الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ حسين الشريف الحسيني) ، وهو جد المؤلف المرحوم الشيخ محمد عادل الشريف صاحب الخطب ، وقد شرح الحفيد أوراد هذه الطريقة في كتابه (شرح مجموع الأوراد) المطبوع عام ١٣٩٩هـ ــ الموافق ١٩٧٩م . طباعة جمعية عمال المطابع التعاونية طبعة أولى ، على نفقة دار الفقه الحديث . وقد ورد في الهامش رقم (١) من الصفحة السادسة من الكتاب المذكور في شرح هذه الطريقة ما نصُّه : « الخلوتي نسبة للطريقة الخلوتية ، والرحمانية نسبة لمؤسس ومنشيء الطريق في بدءِ القرن الرابع عشر الهجري جدنا المرحوم الشيخ عبدالرحمن الشريف » . ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب (شرح مجموع الأوراد) ، الآنف الذكر ، المدقق .

عرَّفني عليه المرحوم عطوفة الأستاذ (عبدالوهاب الموصلي) قائلاً : « عندنا رجل صالح تقيٌّ نقيٌّ ، أحب أن تتعرف عليه ، وقد كان خطيب المسجد الأقصى المبارك ، نزح إلى البلاد عام ١٩٦٧ على إثر الإحتلال الصهيوني لبيت المقدس » . وحين جلستُ إليه ، كان حديثه مُنصبّاً حول الأراضي العربية المحتلة والقدس الشريف ، وكان يبدي مخاوفه من الحقد الصهيوني ، وسياسة المراوغة ، التي تتبعها إسرائيل والدول التي تقف وراءَها ، ويرسل تنهيدةً حَرَّى من قلبه الكبير ، وهو ينظر إلى أوضاعنا العربيَّة الراهنة ، ويقول : « لا يعرف عالمنا العربي مدى الخطر الذي يلحق بأهلنا في الضفة الغربيَّة ، وخاصة القدس . إنهم يتعرضون لأبشع أنواع الإضطهاد ، لكي يتركوا الأرض التي التصقوا بها ، وقد منعني اليهود الظالمون الغزاة من خطبة الجمعة في المسجد الأقصى ، وأسمعوني شريطاً مُسجَّلاً ، وأنا أدعو العرب والإسلام في خطبة الجمعة قبل الإحتلال بيومين ، وأنا أقول المسجد الأقصى يتهاوى . أنقذوا الأقصى . وقالوا لي : هذه خطبَك سجلت عليك ، ولن نسمح لك أن تخطبها ثانية » . مما دعاني إلى القول : إن شاء الله سيعود الأقصى ، وستعود القدس ، بفضل جهود العلماء العاملين أمثالكم . فقال لي إن شاء الله يا ولدي . فسألته عن الشيخ عبدالسلام عارف الشريف ، شيخ الطريقة الخلوتية الرحمانية ، لأني عثرت بين أوراق والدي وبخطه على ورقة تشير إلى أنه كان أحد مُريدي الشيخ المذكور ، وهو شيخ الطريقة الخلواتية الرحمانية مؤرخة في ١٦ شوّال سنة ١٣٦٧ للهجرة .

فقال لي الشيخ ــ رحمه الله ــ « هذا والدي ، وأنا أسيرُ على طريق والدي ، وعندما نزحت من القدس إلى عمّان ، أقوم بإعطاءِ دروس فقه في منزلي في جبل الحسين ، كل ليلة جمعة ، بعد صلاة المغرب إلى العشاء ، فإذا أردت أن تحضر دروسنا ، فنحن نسير على نهج والدنا » . وذهبت مساءَ أول ليلة جمعة صادفني في تلك السنة ١٩٦٨، إلى بيت الشيخ، فوجدت عدداً لا بأس به من الإخوة الكرام، يجلسون في صالون بيته. فرحب بي الشيخ، وابتسم، وقال: «أهلاً بابن مُريد والدي».

وجلست بينهم ، وأنا أنظر إلى وجه الشيخ الذي كان منيراً ، وقد شعرت في تلك اللحظة ، وكأني أعيش في الجنَّة كما وُصِفَتْ في كتاب الله .

وبدأت أتردد على الدروس التي تشمل الفقه واللغة العربيَّة ومُصطلح الحديث والبلاغة والتوحيد وأحكام التجويد ، منذ ذلك التاريخ ، ولم أنقطع لحظة عن الدروس حتى ليلة زفافي ، فقد حضرت الدرس ، ثم ذهبتُ إلى الزفاف .

ولما سألني الشيخ مستغرباً مني الحضور ـــ يومها ـــ أجبته بأن الزوجة ملكي ، أما دروس الفقه فلست أملكها . عندها ، تهلل وجه الشيخ ، ودعا لي بخير .

* * *

هكذا بدأت رحلتي مع الشيخ العالم الفقيه محمد عادل الشريف ، وهكذا أحببته حُبّاً كثيراً ، لما وجدت عنده من كريم الخلق ، وعمق العلم ، وصدق الحسّ الوطني ، الغيور على حرمات الله ومقدسات دينه ، وبما يتميز به من صدق العقيدة ، والتزام الحقيقة العلمية .

وبقيت بجانبه أدرس وأنهل من مناهل العلم الصافي النقي . كنت أشعر أن أسعد أوقاته ، هي تلك التي يقضيها في مكتبته العامرة القيِّمة ؛ التي كان يجمع فيها كتب الدين واللغة والأدب والتاريخ والسياسة والإجتماع ؛ قديمها وحديثها . فقد كان ـــ رحمه الله ـــ يجد متعته العقلية وسعادته الروحية في القراءة والكتابة والتأليف . وكثيراً ما شاركته في قراءاته ، وكم دارت بيننا مناقشات وأحاديث كنت أنا المستفيد الأول منها . لأن الشيخ كان بحر علم زاخر ، فقد ألَّف ما يقارب العشرين كتاباً في المسائل الفقهية والعلمية المختارة من الكتب المعتمدة . وعندما كان يجد

في بعض الكتب مسألة فقهية غريبة ، أو دعاءً جديداً علينا ، أو موضوعاً هاماً ، كان يصرُّ على إفادتنا به ، وكان يضع إشارة خاصة على الكتاب ، قائلاً : « انني أحبُّ أن أُعلم إخواني ومريديَّ أي شيء أجد فيه فائدة لهم في أي كتاب ، لأن هذه جواهر من الصعب الحصول عليها ، إلا بالمطالعة الدائبة .

وفي عام ١٩٧٠ الميلادي ، استأجرنا بيتاً في الأشرفية ليكون (داراً للفقه والحديث) ، لأن بيت الشيخ ــ رحمه الله ــ لم يعد فيه متسع ، لكثرة المريدين .

وفي عام ١٩٧٣ ، أي بعد ثلاثة أعوام فكر الشيخ ببناء (دار للفقه والحديث) ، مستعيناً بالله تعالى . وعرض الفكرة على المريدين ، فتبرع أحدهم وهو الحاج (عزمي عبدالجليل سلام) بقطعة أرض لبناء الدار ، أسوة بدور الفقه والحديث التي أسسها الشيخ في (القدس) و (الخليل) و (غزة) و (بيت حنينا) . وقد أكرمنا الله ــ سبحانه وتعالى ــ بإخوة مخلصين ، قيضهم لنا ، فقمنا وإياهم جميعاً ببناء الدّار ، وسميناها : (دار الفقه والحديث) في منطقة الشعيلية بـ (عمان) .

وتوخينا بناءَها على الطراز الإسلامي الرفيع، لذلك كانت (دار الفقه والحديث) من أجمل الأبنية الإسلامية في مدينة عمان الكبرى. والفضل في ذلك لله الذي هدانا إلى هذه الفكرة الجليلة، ومنحنا العزم على تنفيذها، حتى أصبحت صرحاً علمياً ودينياً شامخاً، يُشار له بالبنان.

وكم كانت فرحة الشيخ كبيرة عند افتتاح هذه الدار ، والدموع تطفر من عينيه ، وهو يقول : « الحمدُ لله الذي أكرمنا بإنشاء هذه الدّار » . وعرف الجميع في هذه الدار ما كان عليه الشيخ من رسوخ

العقيدة ، وقوة الإيمان ، ورجاحة العقل ، وحب الخير ، وسحر البيان . وقد وهبه الله تعالى ، بالإضافة إلى بهاءِ الطلعة وجلالها ، نفساً صافيةً ، وذهناً يقظاً ، وقلباً ذاكراً ، وقريحة خصبةً وقّادةً ، وذاكرةً قويَّةً ، إلى جانب فصاحة النطق ، وقوَّة العارضة ، والبيان الذي امتاز به . وكان إلى جانب هذا كله ، قويّاً في سلوكه ، واضحاً في اتجاهاته ، مُخلصاً في أداءِ واجباته ، صادقاً في توجهاته . وكان نِعمَ المعلم المخلص ، والمربي القدير ، والزوج الوفي ، والأب الحاني ، والصديق الطيّب ، والقاضي العادل .

لقد كان ــ رحمه الله ــ يرى أن أسعد الناس أحبهم للناس ، لذلك منحهم ودَّه وصفاءَه وثقته ، وبذل لهم ما يستطيع بذله ، من جاه ومال . وتلك سجاياه التي عرفها القاصي والداني ، والتي تستحق أن يبقى ذكره العطر في النفوس خالداً على الزمن .

لقد سافرت مع الشيخ في رحلات طويلة ، إلى المملكة العربية السعودية ، والجمهورية العربية السورية ، وجمهورية مصر العربية . والسفر ــ كما يقولون ــ يسفر عن أخلاق الرجال ، ويبيّن حقيقة معادنهم . فكان ــ رحمه الله ــ مثال الفضل ، ومعدن الكمال تُقىً وايماناً ، حلو الحديث ، لطيف المعشر ، أنيس في سفره وجلساته ، لا يذكر أحداً بسوءٍ مهما أساءَ إليه . ولم أسمع منه كلمة نابيةً في حق أَحدٍ . وكان من أبرز مافيه من تلك الشمائل ؛ البساطة . إنها بساطة العظماء ، مع التواضع والعفّة ، واحترام الذّات .

وقد رأيت ما رأيت من كراماته في تلك الرحلات . وكنت دائماً أراه في الليل لا ينام وهو يذكر الله كثيراً .

وفي أثناء زيارتنا سوريا ، كان من ضمن ما زرناه مقامات الصحابة والأولياء الصالحين ، مقام البطل والقائد المسلم (صلاح الدين الأيوبي)

بجانب المسجد الأموي بدمشق . فوقف أمام الضريح وهو يبكي ، حتى ابتلت لحيته من دموعه ، وهو يقول : « رحمك الله يا صلاح الدين ، وهيء اللهم لأمتنا صلاحاً آخر ، حتى نصل بإيماننا وديننا وعقيدتنا ، وتكاتفنا إلى ما نرجو .

يا صلاح الدين قم وانظرْ إلـــى حالةٍ في القدس تستبكي العيــون
بُـــدِّل العهدُ الـــذي أسستهُ ذِلّــــةً واستأسد المستعمـرون

القدسَ ، القدسَ ، يا صلاح الدين » .

وبعد انتهاء الزيارة إلى دمشق ، ذهبنا إلى حمص ، وزرنا الصحابة والقادة ، ومنهم الخليفة العادل (عمر بن عبدالعزيز) . وبعد السَّلام عليه ، كان يقول له : « قم وانظر إلى الظلم والفساد الذي انتشر في البلاد وبين العباد ، اللهم هَيِّئْ لهذه الأمة حاكماً عادلاً كعمر بن عبدالعزيز) . وبكى ، وعدنا ...

وعند زيارتنا للمدينة المنوَّرة ، وتشرفنا بزيارة قبر الرسول الكريم (ﷺ) ، وبعد السَّلام عليه ، وقف يُناجي سيّد الخلق ، محمداً عليه الصلاة والسَّلام ، ويقول : « يا سيدي يا رسول الله ، ضاعت فلسطين ، وسقط الأقصى ، وشُرِّدنا . فيا ربّ بجاه الحبيب المصطفى ، صاحب هذا المقام ، أن تعيد لنا مقدساتنا ، وأن توحِّدَ كلمة المسلمين ، وتنصرنا على اليهود » . وجاءَ أحدُ المشايخ مُعترضاً ، فقال له : يا شيخ تطلب من هذا المقام أن يعيد لكم فلسطين .. ! فقال له الشيخ محمد عادل الشريف ــ رحمه الله ــ لقد جاءَ في كتاب الله قوله تعالى ﴿ ... ، **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدو الله توَّاباً رحيماً** ﴾ . الآية (٦٤) من سورة النساء ، فسكت المعترض .

وبعد أن خرجنا من المقام ، قال لي الشيخ : « لقد بشَّرني رسول الله (ﷺ) بنصر المسلمين ، وعودة بيت المقدس ، إن شاء الله .

أمّا زيارتنا إلى البيت الحرام في مكة المكرمة ، فلا أستطيع أن أصف ما رأيته من الشيخ من كرامات وأشياء لا أستطيع ذكرها ، لأنها من الكرامات والأسرار .. !

★ ★ ★

وعندما كان ـــ رحمه الله ـــ يدرِّسُ في (دار الفقه والحديث) ، كان يقول لي : « قل لإخواني أن لا يحدثوني بشيءٍ عن المريدين ، لأني أحبُّ أن أدخل عليهم في الدرس وأنا منشرح الصَّدر » .

وفي عام (١٩٧٠) للميلاد ، فقد الشيخ ولديه الجامعيين ؛ (عبدالسَّلام) و (محمد أمين) ، وشقيقه (محمد عزّت) . وظل صابراً ، مؤمناً ، راضياً بقضاء الله وقدره . وما وجدت في حياتي من هو أصبر منه عند الشدائد ، والرضاء بقضاء الله وقدره .

★ ★ ★

وقد حاول بعض المتنفذين في الأوقاف منع الشيخ من الخطابة لأنه يقول الحق ، لكن الشيخ لم يأبه بهم . لا سيّما وان من ابرز ملامحه الوقار الأصيل ، الذي يتكون من كرم الأخلاق ، وسمة العلماء ، ونظافة اليد واللسان ، التي اشتهر بها الشيخ في هذا الزمان الرديء ، الذي اسودَّت به الأيدي ، وفسدت الألسن . وكان جريئاً في قول الحقِّ ، لا تأخذه في الله لومة لائم طوال حياته الوظيفيَّة الطويلة العريضة . حيث كان نموذجاً متميزاً مستوعباً لواجباته ، مدركاً لمسؤولياته ، مُلتزماً بأخلاق العلماء العاملين ، وهو يتمتع بذكرى تفوح عطراً في الزمن الذي زكمت فيه

الروائح الكريهة أنوفاً كثيرة ، وهو في مواقفه العامة واضح لم تؤثر الأيامُ فيه برغم تقلّبها ، بل ظل منسجماً مع موقفه ، لم يساير التيارات السياسية التي عصفت بالمنطقة ، ولم يُجامِلْ أحداً من أجل منفعة خاصة ، أو منصب ، أو جاه ، مع ما في هذا الزمن من رداءَة ورخص للرجال . فلم يحسب على تيار من التيارات التي عصفت بالمنطقة ، بل ظل يلتزم حدود الفكر الإسلامي الذي عاش ومات في رحابه ، عالم من علمائه ، وعلم من أعلامه .

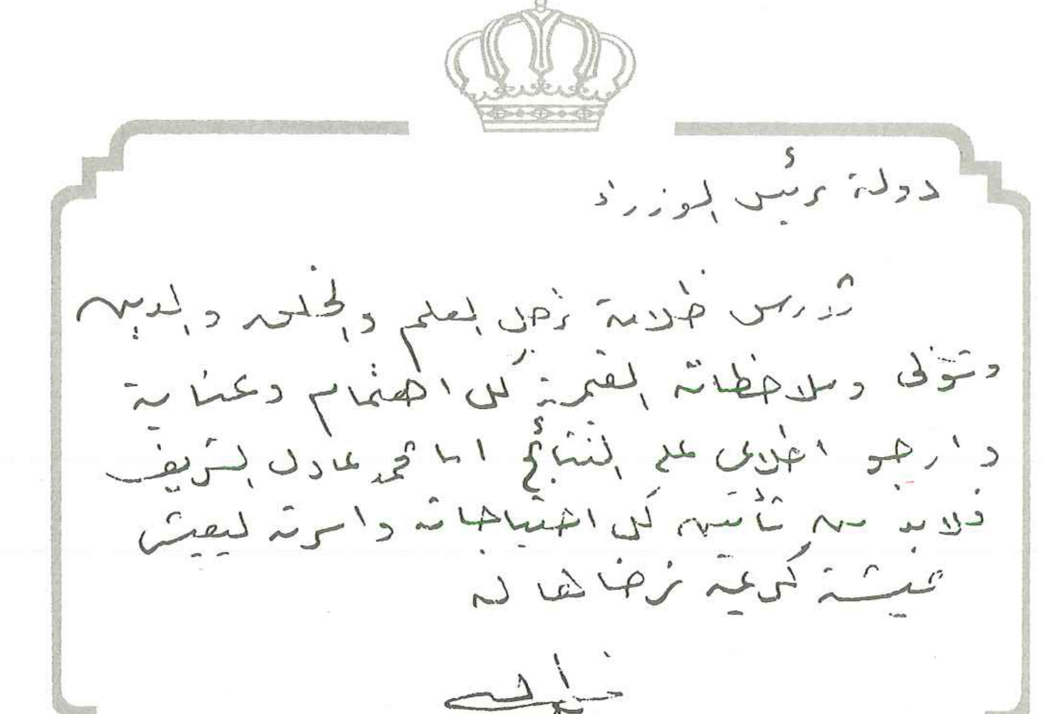
وربما كان أحد أسباب منعه من الخطابة أنه لم يكن حزبيّاً ، فلم يأبه بذلك ، وبقي يدرس ويخطب في دار الفقه والحديث ، دون أن تأخذه في الحق لومة لائم ، إلاّ أن بعض المسؤولين الحزبيين حقدوا عليه ، وحاولوا إحالته على التقاعد عام (١٩٧٣) الميلادي ، للتخلص منه ، ومن كلمة الحق ، لولا علم حضرة صاحب الجلالة الملك الحسين الذي نما إليه الخبر ببرقية الشيخ التي يعلمه فيها بذلك . وقد وقف جلالته ـــ أيده الله ـــ إلى جانب الشيخ محمد عادل الشريف الرجل الذي يقول الحق وليس حزبيّاً ، ووجّه جلالته رسالته السَّامية التالية (المرفق صورة عنها في الصفحة التي تلي هذه الكلمة) إلى دولة رئيس الوزراء ، ونصُّها :

« **دولة رئيس الوزراء**

تدرس ظلامة رجل العلم والخلق والدين ، وتولى ملاحظاته القيمة كل اهتمام وعناية ، وأرجو اطلاعي على النتائج . أما محمد عادل الشريف فلا بُدَّ من تأمين كل احتياجاته وأسرته ، ليعيش عيشة كريمة نرضاها له » .

توقيع الحسين بن طلال .

٢٠ جمادى الأولى ١٣٩٣ وفق ٢٠ حزيران ١٩٧٣ .



دولة رئيس الوزراء

شيخ جليل رجل العلم والخلق والدين
وتقوى وسلاطة الفقه كل الاهتمام وعناية
وارجو اطلاعي على الشيخ الاستاذ محمد عادل الشريف
فلا بد من تأمين كل احتياجاته واسرته ليعيش
عيشة كريمة يرضاها له

وقد ألغت هذه الإرادة الملكية السَّامية العادلة إحالة الشيخ على التقاعد ، وأنقذته من شر الحزبية البغيضة ، وتمَّ نقله من الأوقاف إلى دائرة قاضي القضاة .

فبارك الله الحسين القائد ، رمز الوطن النقي ، الذي أنصف الشيخ في حياته .

★ ★ ★

وكان الشيخ ــ رحمه الله ــ يبعث من راتبه الخاص ، للعائلات المستورة والفقيرة والأيتام في كل المناسبات ، ويقول لي : « يا ولدي لا تعلموا هذا لأحدٍ أبداً » . وكنت أنفذ ما يقول ، ولا زلنا ــ بحمد الله وتوفيقه ــ نسير على خطوات الشيخ ، رحمه الله ورَفَعَ منزلته بين عباده الصالحين .

لهذا ، أجدني مهما كتبت وأكتب عن الشيخ وأفعاله الطيبة ، عاجزاً عن بلوغ التعبير الذي يفيه حقه ، كما ذكرت في البداية .

وخلاصة القول أنه كان على خلق عظيم . ولم يكن يهتم بجمع المال ، أو يقيم للمادة وزناً . فقد فارق الدنيا وعليه بقيَّة من دَيْن في القدس ، وقد تم ــ والحمد لله ــ سدادُها (حسب وصيته) ، لأنه ــ رحمه الله ــ قبل أن يتوفاه الله بيومين ، أي في يوم الخميس الموافق ١٩٨٥/٥/١٣م ، كان مريضاً ، وخرج من المدينة الطبيَّة إلى بيته ، وعندما كنت أنقله من المدينة الطبيَّة بسيَّارتي الخاصَّة ، أخرج مفاتيح من جيبه ، وقال لي : « يا ولدي خذ هذه المفاتيح ودعها معك ، لأنني وضعت في إحدى الخزائن وصيتي ومبلغ (٤٠٠) دينار ، ادخرتها في حياتي ، ولا أملك غيرها . فإذا توفاني الله ، فأنت المسؤول عن تنفيذ

وصيتي ، وتجهيزي من هذا المبلغ ، وسداد ما في ذمتي من دين يقارب الـ (٤٠) ديناراً ، ويوجد مع وصيتي كشف بأسماء أصحابها في القدس الشريف .

ويوم الجمعة استقبل الشيخ في بيته جميع أسرته ، وأولاده ، وكان فرحاً مسروراً بأنْباءِ بنات ابنه الشهيد عبدالسلام (نوال ووصال) لأن الأولى حصلت على التوجيهي .

وفي صباح يوم السبت ، اتصل بي أخي الدكتور (فؤاد حسن جبر) ــ أطال الله عمره ــ وأعلمني بأن الشيخ في حالة تستدعي نقله إلى المستشفى ، وطلبنا أنا وأخي الدكتور فؤاد سيارة إسعاف من المستشفى الإسلامي بعمان . وبقيت في المستشفى بجانبه في غرفة المعالجة الحثيثة ، من الساعة الثامنة صباحاً ، وكان جهاز التنفس على فمه ، ولم يترك ذكر الله لحظة واحدة ، إلى أن قاربت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، حين نظر إليَّ وقال : « أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله » . وانتقل إلى الرفيق الأعلى مسلماً الروح إلى بارئها في الثاني من ذي الحجة الموافق ١٩٨٥/٨/١٥م .

ورأيت في تلك اللحظة مالا يخطر على بال أحد ، وشممت رائحة جميلة لم أشم رائحة مثلها من قبل .

* * *

وإذا كان فقد عزيز طاهر كالشيخ هو أقصى ما يصيب الإنسان من صدمةٍ عنيفة تهزُّ كيانه، وتفجعه في حياته. فكيف إذا كان هذا العزيز والداً روحيًّا..؟!

لقد كان الشيخ بالنسبة لي ليس مجرد عزيز فقط، بل كان أباً روحيّاً وأخاً وصديقاً وموجهاً ومربياً في آن واحد. وقد ترك شيخنا ــ رحمه الله ــ فراغاً كبيراً، لن يستطيع أحد أن يملأه مهما امتد بنا العمر وطال الطريق.

لذلك أسأل الله أن يجعل مأواه في أعلى عليين ، وأن يجزيه عنا وعن اخواننا في (دار الفقه والحديث) خير الجزاء ، وأن يبارك خليفته الحبيب المُحَبَّ الدكتور (فؤاد حسن جبر) لأداء رسالة الشيخ ـــ رحمه الله ـــ وهو أهل لها ، ومن خيرة المخلصين من أبناء دار الفقه والحديث .

والفاتحة لروح الشيخ الطاهرة ، ولجميع أموات المسلمين ، بعد المصطفى ﷺ وآله الطيبين وصحابته الكرام، والتابعين لهم بإحسان ، ومن دعا بدعوته الشريفة (عليه الصلاة والسلام) إلى يوم الدين .

اللهم اجمعنا بهم أجمعين في مستقر رحمتك ، في جنات النعيم ، يا سميع ، يا مجيب من دعاك ، يا الله ، يا ولي التوفيق ، ويا أرحم الراحمين .

العبد الفقير إليه تعالى
عبدالكريم صبحي شموط
أمين سر دار الفقه والحديث
أحد مريدي الشيخ ، وأبناء الدار

عمان في ١٤ صفر ١٤١١هـ .
وفق ١٩٩٠/٩/٤م .

★ ★ ★ ★ ★
★ ★ ★
★

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وبـه نستعيـــن

(القسم الأول)

(مقدمة : المقدمات في الناحية الخطابية)

الحمد لله موجد الانسان ، وواهب البيان ، يخلق من الضعف قوة ، ومن العجز قدرة ، ومن الظلام نوراً وضياءً ، قليله كثير ، وصغيره كبير . من اعتز بالله عز ، ومن استنصر به انتصر . جَنَّدَنَا سبحانه لطاعته ، واختارنا لدعوته ، وأورثنا كتابه ، وائتمننا على دينه ، وألقى إلينا أَزِمَّةَ خلقه . رزقنا من فضله ، ونفحنا من فيضه ، وشملنا بعظيم رعايته وعنايته ، فذلَّتْ لنا الصعاب ، ودانت لنا الرقاب ، واعترف بقوة البيان ومغزى البيان كل عامي واعٍ ، وكل عالم له رأي ثاقب . ومن هنا علم من لم يكن يعلم ، أن عطاءَه في بلائهِ وأن مِنَحَه في مِحَنِه . ومن أصدَق من الله قيلا : ﴿ **وَجعلْنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لمَّا صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ (٢٤) السجدة .

والصلاة والسلام على من آتاه الله جوامع الكلم ، وحُسْنَ الخطاب ، وجعل خير معجزاته كتاب الله ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد** ﴾[1] تبياناً لكل شيءٍ ، سيد الخطباء وزعيم البلغاء والفصحاء ، وامام الهداة والمرشدين ، ورسول الهداية الى الناس أجمعين ، بلسان عربي مبين ، من هزه حُسْنُ القول ، وأسلوب البيان ، وتملَّكَتْهُ روعةُ العبارة ، واستولى عليه جمال الاسلوب ، فقال : ﴿ **إنَّ من البيان لسحرا** ﴾[2] .

---

١ ــ سورة فصلت (٤٢) .

٢ ــ رواه البخاري في النكاح والطب وأحمد في مسنده وأبو داود والترمذي .

إن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **ومن أحسن قولاً ممَّنْ دعا الى الله وعمل صالحاً ، وقال إنني من المسلمين** ﴾ (٣٣) فصلت .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « ان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً » ، وفي رواية « ويرجع غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي » اخرجه الترمذي عن عمرو بن عوف المُزَني . وقال عليه الصلاة والسلام في رواية أخرى؛[1] « بدأ الاسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً ، فطوبى للغرباء » رواه الامام مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وقد علق أحد العلماء على هذا الحديث بقوله : « طوبى منزلة رفيعة في الجنة للآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر » .

وبعد فاني أحمَدُ اللهَ الذي يستحقُّ الحمدَ كُلّه ، وأصلي وأسلم على نبيه وحبيبه وصفيه أفضل من أظلته السماء ، وأقلَّتهُ الارض ، وعلى آله وأصحابه ، كملة الرجال الائمه الاعْلام ، وسار على نهجهم القويم إلى يوم المآل .

وبعد ، فان لكل انسان في هذه الحياة أُمنيةً ولُبانةً ، ولكل حاجة غاية ، أما حاجتي التي هي أمنيتي في هذه الحياة الدنيا ، فالدعوةُ الى الله ، وإسماع صوتي على الاثير للناس أجمعين . وإرْبي وغايتي نوال المثوبة في العقبى ، من العلي القدير وحده .

هذه أُمنيتي ، وتلك غايتي ، وهذا هو مطلبي ، أَسأله تعالى أن يحييني ويميتني مؤمناً موقناً بأداءِ هذه الرسالة . فكم قاسيت ولاقيت من أذىً وتحدٍ في سبيل هذه الدعوة ، وكم مُنعت من القول بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكم عوقبت من التصريح بخطأ المسؤولين والحاكمين حتى منعت أخيراً من الخطبة من على منبر المسجد الحسيني الكبير ومن الدرس أيضاً والله عليم بذات الصدور .

---

١ ــ صحيح مسلم بشرح النووي باب الايمان ص ١٧٥ ــ ١٧٦ .

ـــ هذه الخطبُ ومكانتها بين الأمم ـــ

هذه الخطب عانيت منها ما عانيت ، أثناءَ وجودي في بيت المقدس مدرساً ، وخطيباً وأميناً للفتوى ، ومديراً للمعهد العلمي الاسلامي الذين أبدلوا هذا الاسم بثانوية الاقصى ، مع أننا كنا كمسلمين في عهد الاحتلال الغاشم في أَمَسِّ الحاجة الى كلمة (معهد اسلامي) في داخل المسجد الاقصى المبارك . كنت أجهر بكلمة الحق أثناء عملي خطيباً ومدرساً في الخمسينات ، فألقي خطبي من فوق منبر المسجد الاقصى إرتجالياً[1] . وفي الستينات أي من مبدئها كُلِّفْتُ كتابة الخطبة ولو رؤس أقلام . وأخيراً طَلَبَ مني اهل العلم والخطباءُ في القدس وبغداد وسوريا أن اصدرَ كتاباً في الخطب ليسيروا على نهجه ، فصرت أكتُبُ الخطبَ كاملةً . وقد عَنَّ[2] لي أن اجمعها في كتاب لائق ، حائز على قبول الخُطب المنبريَّة ، وقد اقتبست من بعض الخطب المنبرية الموائمة[3] للموضوع . المناسبة والملائمة لواقعنا .

بيد أنني كنت أجد من بعض المسؤولين رحمهم الله ، معارضةً بسبب تصريحي واعلاني الأمور التي تتفق ومصلحة الامة العربية الاسلامية .

كنت من على منبر صلاح الدين ، في المسجد الاقصى ، وأجاهر بكلمة الحق ، وأدعوهم لجمع الكلمة ، ورأب الصَّدْع والتفكك ، ولكنهم لا يريدون ذلك ، حتى إن اثنين منهم رحمهما الله ، طلبا مني أن احضر لعّمان والخطبة معي ، فأرسلتها على حالها بخط سليم واضح ، ووضعت امضائي تحتها بخط كبير واضح ، ولكنهما لم يُرسلا لي أي لوم ولا عتاب ،

---

١ ـــ وارتجال الخطبة القاؤها من غير استعداد لها . وهناك قول ارتجال الخطبة والشِعر بكسر الشين ابتداؤهما من غير تهيئة قبل ذلك ، وارتجل الكلام ، ابتدعه بلا تدوين .

٢ ـــ اي وقع بخاطري .

٣ ـــ الموائمة : الموافقة ، وفي المثل لولا الوئام لهلك الأنام .

وأعادا إليَّ الخطبة . مع العلم بأنني مُنعت من التدريس أيضاً في المسجد الأقصى من القائم بأعمال قاضي القضاة في زمانه فقد وعدني وعوداً كثيرة مطمئنة لكنه منع وما سمع .

فهذه هي الصيحة الاولى من تلكم الصيحات المدوَّية ، التي ارسلتُها ولا أزال أرسلها ، ما دمت حيا[1] ، إن شاءَ الله تعالى ، وما دام للاسلام منبر وكتاب ، وما دام للمسلمين قلوبٌ واعيةٌ وآذانٌ صاغية ومنبري الآن في دار الفقه والحديث في عمان[2] .

والله أعلم بسريرتي وضميري ، وطويتي ، فما أرسلتها عفواً ، ولا قلتها عبثاً بلا رويَّةٍ ولا تفكير ، ولا القيتُها جُزافاً ، ولا رياءً ولا سمعةً ، بل سبق ذلك إعمال الفكر والرويَّة ، وإجادة البحث والتمحيص ، وطول النظر والاختبار ، والتعمق في دراسة ما هو شائع في المجتمع . تَئِنُّ وتشكو منه الأفراد والجماعات من عيوب وأخطاء ، وبغي وظلم وابتذال ، كما وأنني لم أغرب في كلماتها ، ولم أبتذل في معانيها ، ولم أجعل المنبر سُلَّماً للطعن والغمز في أشخاص معنيين ، أو غير معنيين ، بل أقول كما كان يقول صلوات الله وسلامه عليه : « ما بال أقوام فعلوا كذا وكذا » ، كما أعمل مقارنةً بين أمير وامير ، وحاكم وحاكم ، وعالم وعالم . اذكر أعمال الاول ولا اتعرض للثاني ، بل المستمع هو الذي يقارن بين الفريقين من نفسه . لم أتكلف في تركيب الكلمات في الخطبة التي تلقى على الأمة بأسرها من وراء الأثير ، ولم أُعقِّدْ اسلوبها ، ولم أطل على الناس في إلقائها ، فالرسول ﷺ كان يقول « إن من مئنَّة فقه الرجل قصر خطبته ، وطول صلاته »[3] .

---

١ ــ مضت على وفاة المؤلف ــ الآن ــ بضع سنوات ، فليرحمه الله ، ويسكنه جناته . المدقق .

٢ ــ تقع دار الفقه والحديث في الشعيلية بمنطقة الوحدات . المدقق .

٣ ــ رواه مسلم باب صلاة الجمعة وخطبتها ولفظه : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنةٌ من فقهه ، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة وان من البيان لسحرا » .

على أنه ﷺ كان يراعي الظروف والأحوال حسب الزمان والمكان ، فكان تارةً يطيل الخطبة ، وتارة يقصرها ، وتارة يُطيل في القراءَة ، وتارةً يأتي بأقصرها .

وفي زماننا هذا، يجب أن يراعي الخطيب الزمان والمكان، فخير الأمور أوسطها ، وقد أشرت الى ذلك بتوسع وتبسيط في كتابي (النبراس الوهاج للخطيب ، والواعظ ، والمرشد والداعية والمدرس والموجِّه) لسنة ١٣٩٤هـ وفق ١٩٧٤م .

أعود فأقول ؛ لم أكن مُعقِّداً للأسلوب بحيث لا يفهمه الغير ، بل جمعت إلى سهولة اللفظ ، جزالة المعنى ، والى جَرْس الكلمة فخامة المبنى ، وإلى رنينِ العبارة وتأثيرها في النفوس ، التي هوت في سُباتها العميق ضخامة الأسلوب . فجاءت بحمد الله جذابة خلاَّبَة وساحرة فاتنة ، رضيةً ، مبينة ، ونافعة رادعة ، مفيدةً جديدة على الأفهام والأسماع . فكم شنَّفتْ من آذان ، وكم أبكت من عيون ، وكم أخذتْ بمجامع القلوب والألباب حتى من أساقفة ورجالات الديانات الأخرى ، رَاقَ للناس وقعُها وإيقاعها في المساجد والبيوت ، وسُجِّلت في أكثر البيوت ، فأنا والله لا أبغي من إشاعتها وإذاعتها ، إلا وجه الله والدار الآخرة وراتبي من الأوقاف في بئر الخطابة ٤ دنانير ونصف وفي عمان وصل إلى تسعة دنانير تقريباً من ظلم أولى الحل والعقد في الأوقاف ، وهناك أمور لا حاجة إلى ذكرها ، وكم طَلَبَ مني من الاصدقاء والأحباب الأشرطة المحببة اليهم ليذيعوها على الناس ، بعد منعي من الخطبة في المسجد الحسيني الكبير . كما يتجر الغير بأشرطته خطباء ، ومدرسون آخرون خارج البلاد ، وما وراء ذلك اطمأنّ بها العالم والجاهل ، وأصغى اليها الكبير والصغير ، وأصغى اليها التلميذ واستاذُهُ ، وانتفع بها الخاصة والعامة من الناس . فلا هي بالسجع الذي تنبو عنه الطباع السليمة، وتمله الأسماع الكريمة، وتنفر منه الاذواق والقلوب. ولا

هي بالمرسل من الكلام ، الذي استولت عليه ميوعة التكرار وسآمةُ الإعادة ، وسماجة الابتذال ، وخشونة التعبير ، وسخافة التركيب وتفاهة المقصود ، فيه فصاحة مفرداته . فلا غرابة ولا مخالفة للقياس ، ولا تنافر في الحروف . ليس فيها شيء من ضعف التأليف ، وكثرة التكرار والتعقيد ، بل الكلام في هذه الخطب مطابق لمقتضى الحال والظروف ، والواقع . بل هي الموسيقية في الفاظها الشجيَّة . في الحانها الساحرة ، وليست من المتكلف البعيد عن السمع والأذواق . نعم هي الساحرة في ايقاعها . فلكل لفظ مع جاره نغم ، ولكل كلمة مع أختها طنين ، ولكل عبارة مع صاحبتها رنين . أجل سيجد فيها القاريُ البارع ، ما وجده المستمعون من لذة روحية ، ومُتْعة نفسيَّة ، وآداب عالية ، وحكم غالية ، وتوجيه رشيد ، إلى غير ذلك من العطاءِ الإلهي الإيجابي والفوائد التي لو أخذ بها القارئ نفسه ، لصقلت ذوقه ، وأرهفت حسَّهُ ، وهذبت وجدانه ، وكبحت شهوته ، وقوَّمت أخلاقه ، وأطلقت لسانه ، وسمت بمداركه الى مراتب الكمال البشري .

ولا عجب ولا غرو في ذلك فهي قبس من نور الله ، وومضة من مشكاة كتاب الله ، فنورها مستمد من نوره ، وروحها من روحه ؛ وإرشادها من وحيه وهداه .

هذا وإني إذ أقول ذلك وأتبسط به . لا أقول هذا جُزافاً ، ولا عُجباً ، ولا تفاخراً ، ولا رياءً ، ولا سمعةً ، ذلكم أنّي أبرأ إلى الله من مثل هذه الدعوى ، وإنما أقول ذلك تحدثاً بنعمة ربي عملاً بقوله جل وعلا : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾[1] وسرداً وتعداداً لآلاءِ الله ونعمه عليَّ لأن الخطبة هبة من الله ، ومع هذا فهي فن في التحضير والإلقاءِ ، فان وجدها القاريُ كما قلت ، فقد أصاب من ذلك نصيب الأسد ، وقد أصاب السّهمُ غرضه ، وان لم يُصبْ الهدف المطلوب ، فهذا هو اجتهادي إن أصبت فلي أجران ، وإن أخطأت فلي أجر واحد . وهذه هي حصيلتي في الخطب والوعظ والإرشاد ، والحمد لله ، وللباكورة حلاوتها بعد طول المدى ، وللعطية لذتها ، بعد شدة الحرمان وقسوة الخلان . وقد أخرجتها كِتاباً للناس

١ ــ سورة الضحى آية (١١) .

ليعمَّ النفعُ بها وليقرأها من لم يسمعها من على أعواد المنابر ، وليعيد النظر فيها ، من سمعها ، ولتكون ذكراً حسناً في الخالدين ، ولسان صدق في الآخرين . فلعلها أن توقظ من القوم غافلاً ، أو توقظ منهم نائماً ، أو تحل لهم مشكلاً ، أو توضح لهم غامضاً ، أو تظهر لهم أمراً خفيًّاً ما عرفوه وما درسوه ، أو تهديهم إلى صراط مُستقيم . هذا علماً بأنني القيت خطباً عديدة في كل من جميع مدن فلسطين قبل احتلالها ، والسطو عليها ، وفي كل من القاهرة وسوريا ولبنان وحيفا ويافا والأردن وكثير من البلاد في الخارج والداخل . ولا أنسى إخوتنا في الله الذين ساهموا في ترتيب وتحضير هذا الكتاب مثل أخينا الحاج عبدالله جبر[1] أحد خطباء دار الفقه والحديث أحياناً في بادىء الأمر ، والأخوين الكريمين السيد أحمد جبر[2] أحد موظفي دائرة المطبوعات فهو إنسان واعٍ عنده رحابة صدرٍ وسعة بال ، والأخ الحاج نادي محمود[3] ضابط في سلاح الجوّ . فقد ساعدني هؤلاء الثلاثة في الترتيب والتحضير . وأما جمعيـــة عُمَّال المطابع التعاونيـــة في عمَّان فقد عُنيت بطبع هذا الكتاب . أخص بالذكر الحاج أحمد خضر عطاالله (ابو عزمي) والاخ (ابو جعفر) فجزاهم الله عني خيراً كثيرا ، واكثر الله في المسلمين امثالهم جميعـاً وها نحن أولاً نسير في تحضير الكتاب وتأليفه بإذن الله[4][5] .

---

١ ــ وهذا منذ أربع عشرة سنة رتّب وحضر نحو اسبوع .

٢ ــ رتب وحضر ونظم نحو شهر واحد . وضع خلاله التصور الأول لما سيكون عليه الكتاب .

٣ ــ يساعد في الترتيب والتحضير جزاهم الله خيراً وباقي الترتيب ليكون بمعونة الله بيني وبين نادي محمود .

٤ ــ من الذين لهم فضل كبير في توثيق آيات وأحاديث الخطب ــ بعد وفاة الشيخ محمد عادل الشريف رحمه الله ، الشيخ حسن مصطفى الرزوق إمام وخطيب ومدرس جامع الحسين الغربي . والسيدة رغداء بكـور الياقتي خريجة كلية الشريعة بجامعة دمشق ، حيث بذلا جهداً مشكور في تخريج الآيات وتحقيق الأحاديث . جزاهما الله خيراً وباركهما .

٥ ــ قام بصف حروف هذا الكتاب وتصحيحه (٤) مرات على الكمبيوتر السيد محمود صالح ابو جعادة والسيد أحمد خليل اسماعيل فلهما الشكر والتقدير والمثوبة من رب العالمين ، إن شاء الله ــ المدقق .

(كلمة عن الخطابة وأثرها في المجتمع)

أجمعت الأمـة من بني الانسان بأسرها ، من لدن آدم حتى اليوم ، على أن أول صفـة تميز بها الإنسان عن الحيوان ، انما هي صفـة الكلام ، الذي يكشف به الإنسان عن أغراضه ومطالبـه وآماله وآلامه ، ويعبر به عن مشاعره وأحاسيسه ، ويصور به خلجاتِ نفسه وما يدور فيها ، فهـذا عنـوان إنسانيته ومعيار شخصيته ، يسمو بسموه وينحط بانحطاطه . ولذلك فرض علـى الإنسان تعميقه وتنسيقه واتقانه وتجويـده ، فما زال ينتقي ويختـار الكلمات ، ويتخير العبـارات ، ويتقن الأساليب حتـى تفاوت أبنـاء الجنس بعضهم علـى بعض ، فكان منهم الخاصة والعامـة ، والحكماءُ والحمقى ، والغبي الأبكم واللَّسِنُ المبين ، بـل قد نشأ عن ذلك السيد والمسود ، والرئيس والمرؤس ، والتابع والمتبـوع . وبقدر ما كان للرجـل من مقدرة في الإقناع والتأثير علـى المجتمع كانت مكانته ومنزلته بين مجتمعه ، بخـلاف اليوم . وقد ورد قيمة الإنسان مـا يحسنه الإنسان أكثر منه أو اقـل . أما اليوم فقيمة كل امرىءٍ بدجلـه وتهريجه ، أو قيمـة كل انسان ما يقتنيه من المـادة ، وما يكتنزه من المـال ، حتى إنهم كانوا يشترطون الخطابـة في كل منصبٍ كبيرٍ من المناصب الساميـة العاليـة ، أو أسند اليه امر من مهامٍّ الامور في الدولـة في ذلكم الزمن ، كما قيل :ـــ

لا يصلح الناس فَوْضى لا سَرَاةَ لهم

ولا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهـم سَادوا

وكما قيل :ـــ

وكيف تَرجىّ(١) العيشَ ضأنٌ بغابةٍ

قد اتحدت آسادها ونمورها

وأجدَرُ خلقِ الله بالذل أُمةٌ

تُدارُ بأيدي الجاهلين أُمورها

وأحْرى بلادٍ بالقلى ارضُ أمَّة

تخط بأيدي الظالمين أمورُها

ومن رام أبكار المعالي ولم يكن

لها كفؤاً تَغلُو عليه مهورُها

او كما قيل :ـــ

متى تصلُ العِطاشُ إلى ارتواءٍ

إذا استقتِ البحارُ من الركايا

ومن يُثني الأصاغرَ عن مُرَادٍ

وقد جلس الأكابرُ في الزوايا

اذا استوت الأسافلُ والأعالي

فقد طابت مُنَادمةُ المنايـــــا

---

١ ـــ بمعنى نترَجّى كما في قوله تعالى (تنزَّل الملائكة والروح فيها) قال ابن مالك رحمه الله (وما بتائين ابتُدي قد يُقتصرْ به على كاتبينَّ العِبرْ) .

وما زال شأن الخطابة يتقدَّمُ ويسمو ، ويعلو ويرتفع ، حتى انتقل الفخر بها من الافراد الى الجماعات ، فبعد أن كان يفخر بها الأخ على أخيه ، والصديق على صديقه ، أصبحت تفخر بها الأمة جمعاءَ ، على أختها ، والدولة على جارتها .

ولذلك لما افتخر كسرى أنو شروان عاهل الفرس وملك دولتهم على العرب ، وأخذ بدوره يحقِّرهم ، ويحط من شأنهم ، أمام ملكهم وسيدهم (النعمان بن المنذر) ، قائلاً في سُخريةٍ حارةٍ ، واستهزاءٍ مرير ، من هم العربُ ؟ انهم قوم حُفاةٌ عُراةٌ وغلاظٌ جُفاةٌ ، ولا يعرفون نظاماً ولا قانوناً ، ولا عقيدة ولا شريعة ، ولا دولة ولا سُلطانا .

حتى انبرى[1] له النعمانُ بن المنذر ملك العرب آنئذ ، كالأسد الهصور[2] غير هياب ولا وَجِلٍ[3] ، مُستهيناً ببأسه وبطشه ، ساخراً بدولته وملكه ، مُحقِّراً تاجه وإيوانه . وأخذ يدفع في حماسة الخطيب ، وعِزَّة المُلك ، وإباءِ العرب ، وما هم عليه من شمم وفخار وسُموٍّ وارتفاع ، كل ما وصفهم به كسرى [4] ، وطفق يعدد ما لقومه من مكارم ، ومناقب ومفاخر ومآثر ، بَذّوا بها الفرس ، أي فاقوهم ، وارتفع شأنهم بها ، وسبقوا بها الرومان ، حتى اقتنع كسرى بخطئه ، وغيَّر نظرته إلى العرب ، حتى لم يكتف النعمان بذلك ، بل انصرف من عنده وهو حانق حاقد ، متألم ، وغضوب مُغتاظ . وما أن وصل إلى عاصمة ملكه ، حتى أوفد على كسرى عشرة من خطباءِ قومه . وفصحائهم ليبسطوا له ما أوجزه النعمان في الرد عليه . من مزايا العرب ، وسجاياهم ، وحضر القومُ مَجلسَ كسرى ، وعلى

---

١ ــ انبرى له : تصدى له واعترض له .

٢ ــ الهصور : القوى الشجاع الذي يأخذ برأس فريسته ، فيميل عليها .

٣ ــ الوجل هو الخوف والرعب .

٤ ــ بكسر اولهما الصفة العظيمة ومنه ايوان كسرى .

رأسهم أخطبُهم ، وافصحهم ، أكثَمُ بنُ صيفي ، فتكلم وتكلموا ، وما زالوا يشيدون بمجد العرب ويعلون من شأنهم ، ويبالغون في ذكر ما لهم من طارف[1] وتليد حتى هان في عين كسرى ما كان يُكبِرُهُ من ملكه ودولته وعلمه وحضارته ، واقتنع منذ اليوم أن للعرب صَرحاً شامخاً لا يُبآرى ، وعزاً خالداً مجيداً لا يجارى ولا يدانيه عِزّ ، مجدٌ حتى صار هذا الفخر ، سلطاناً لا يطاوله سلطان ، فاحترم جوارهم ، وخطب ودَّهم ، ورغب في مصاهرتهم ، ولكنه لم يظفر بذلك . وهل كان للعرب عز إلا بلغتهم ، وما كانوا يجيدونه من أساليب عديدة في المنظوم والمنثور ؟ حتى ملكوا أزَّمة الفصاحة والبلاغة ، وأعنة الكلام والبيان ، أما كان العرب يتناشدون الشعر في أسواق (عكاظ وذي المجاز وذي المجنه) . ويتباهون بذلك ويفتخرون . ويكفيهم شرفاً وفخراً أنْ بُعث من بينهم رسول الهدى والهداية ، ونزل بلغتهم لا بلغة الفرس والرومان ، ولا غيرها من اللغات العالمية التي تزيد على ثمانمائة لغة . وقد نزل بلغة العرب القرآن ، وتحدَّى بفصاحته جميع الامم لدرجة الإعجاز ، وقد ظهر من بين هذه الامم (مُسيلمة الكذاب) ، وقد كانوا يعتقدون فيه أنه نبيٌّ آخر الزمان . وقد عجز ولحقه الخِزيُ والعار والشنَّار ، فلم يستطع أن يأتي بأقصر سورة فقال : « إنا اعطيناك العقعق ، فصل لربك وازعق ، إنكّ شانئك هو العفريت الازرق » . فأين هذا من قول الله جل جلاله : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحرْ * إن شانئك هو الابترُ** ﴾[2] . ولقد صدق القائل :

اذا انت فضلت امرءاً ذا نباهة

على ناقص كان المديح من النقص

---

١ ـــ الطارف والطريف من المال المستحدث ، وهو ضد التالد والتليد والاسم الطرفة والتالد هو المال القديم الأصل وهو ضد الطارف .

٢ ـــ سورة الكوثر .

ألم تــر أن السيف ينقص قدره
إذا قيل إن السيفَ خيرٌ من العِصِي

وصدق القائل المرحوم حافظ ابراهيم :

وكم عَز أقوام بعز لُغاتِ

(منزلة الخطابة والمحاضرة عند العرب)

لقد كان للبيان واللَّسن عند العرب المنزلة الرفيعة ، والصدارة العليا ، فلقد كانوا يُجِلّون الفصاحة أيما إجلال ، ويعرفون لصاحبها قدرته فيهم ، ومكانته بينهم ، وفضله عليهم ، وقد كان للشاعر أو الخطيب من ذلك الحظَّ الأوفر والأوفى ، والقدح المُعَلىّ ، لأنه تُرْجُمانُ نفوسهم ، ومصور ما في نفوسهم ، وما يدور في خَلَدِهم ، وما في أحاسيسهم ولسانهم عند المفاخرة والمناظرة ، والمحاضرة ، وبرهانهم عند الدفاع والحجاج ، يفخر بأحسابهم وأنسابهم ، ويشيد (١) بأصولهم وفروعهم ، ويتغنى بعددهم وعديدهم ، ومجد ماضيهم وحاضرهم ، ويتيهُ بهم على كل عظيم وعزيز . يدفع عن أعراضهم ، ويذود (٢) عن حياضهم ، يَنسِب اليهم المحامد والمكارم ، وينفي عنهم العيوب والمثالب (٣) ، ينتزع الحسن من قبحهم ، ويخلق الكرم من لؤمهم ، فأنف (٤) الناقة عنده ، يساوي ذيلها ، وشريك (٥) عنده يقابل من ليس له شريك . إن نزل بقومه نصر أذاقهم حلاوته ، وضاعف لهم لذته ، وعددَّ لهم مزاياه .

---

١ ــ يشيد : يفخر .

٢ ــ يذود : يُدافِعُ .

٣ ــ المثالب : العيوب .

٤ ــ اشارة الى قول الحطيئة :

قوم هم الانف والاذناب غيرهمو
ومن يسوي بأنف الناقة الذنبـــا

٥ ــ اشارة الى قول معاوية لشريك بن الاعور في بعض مناظرته :
انت شريك (والله لا شريك له)

وإن نزلت بهم هزيمة، خفف عنهم وقعها، وهوَّن عليهم مصابها، وأخذ يَحفز الهمم، ويستنهض العزائم، ويهز المشاعر، ويستثير الوجدانات. فلا يزال بهم حتى يأخذوا ثأرهم، ويستردوا كرامتهم، ويستعيدوا ما ضاع منهم من عزة وسلطان. أجل إن الخطيب أو الشاعر كان يؤدي في العصور الماضية وظيفة الصحافة في أيامنا هذه. وما كل كاتب في الصحافة بكاتب، ففرق بين زمان وزمان، ومكان ومكان، إن صحافتنا أكثر معالجاتها للنواحي المصلحية. ويا ليتها تكتب للفارهين المطلعين ما يكتبونه من معالجة أحداث الساعة، لكنهم يتركون الكلمة ذات الفائدة ولو من أمهر الكتاب ويعنون بكلمات يكتبون لنحو قرابة أو صداقة أو ناحية مادية، ولو كان كاتبها ممن لا يحسنون صُنعاً، ولا يحملون عقيدة، لكنهم يلهبون الافكار بين المحسن والمسيىء، ليظهروا مآربهم وغايتهم مع الغير تزلُّفا ونفاقاً. وهذا القول بالنسبة لبعض كتاب الصحف ولا أنكر على الصحفيين الآخرين جهدهم[1]. وهذه المعاملة لا ترفع رأساً، ولا تعلي شأناً، بل تزيد النار ضراماً. لا شك أن قيمة الشعوب بصحافتها المخلصة، لا بالمحابية، ولا بالمجافية، وهل الصحافة والاذاعة والتلفزة والتمثيل الا منابر عامة للخطابة؟. المشاهَدُ في زماننا هذا، بل المُحَسُّ فيه، أن الإذاعة والتلفزّه لا تشجع على نشر واذاعة الاحاديث الموضوعية، بل تأتي على المصلحة والسمعة والشهرة، من هنا وهناك، افاد او لم يفد، نفع أو لم ينفع. ما الإذاعة والتلفزة الا لنشر ما نزل بالشعوب، وما أحاط بها من الحث على الجهاد والدعوة إلى التقدم، لما يظهره المستقبل.

---

١ ــ أذيعت مواضيع هامة في كثير من الاذاعات في فلسطين خاصة أيام الانتداب البريطاني الزائل.
أذيعت في السعودية في حلقات علميَّة وفي ندوات دينية واجتماعية مع الاطباء والعلماء. أذيعت في الكويت عدة أحاديث ولا تزال تذاع بين الفينة والأخرى وقبل الاحتلال كنت أكثر المذيعين اذاعة وبعد الاحتلال أذيعت بعض الأحاديث ودخل الحاسدون في الأمر. فتوقفت عن الاذاعة حتى إنه بقي لي ستة أحاديث لم يذيعوها وحتى الآن معلّقة وقد مضى عَلَيّ نحو ٣ سنوات لم أكلف بشيء حتى تاريخ ١٩٨٥/٢/١١.

٢ ــ الهامش رقم (١) كتبه المؤلف رحمه الله ــ المدقق.

يا مطمحَ الآمـــــالِ	يا مَرجِع الاعمـــــالِ
لولاك لم نبـــــالِ	حوادثَ الأيَّـــــامِ
مُسْـتَقبَلي أهـــواهُ	في النفس ما أحـــلاه
حياتُنـــا لـــولاه	ضربٌ مـــن الأوهـــام
إليـك يا مســـتقبلُ	نرجـو جزا ما نعمـــلُ
ما خـــاب من قـد أمـلوا	مســـتقبلَ الأيـــام

فالخطيب المَفوهُ رائدُ قومِهِ ، بل هو قائدُهم ، وهادِيهم ، ومرشدُهم ، يوقظ نائمَهم ، ويذَكِرُ غافلَهم ، ويعلمُ جاهلَهم ويُنَبِه خاملَهم ، منارُ العقول الضالةِ ونارُ القلوب القاسِيةِ ، يُلْهِبُ العواطفَ والمشاعِرَ ، ويرقِقُ الاحساسَ ، ويذرف الدموعِ الجامدة ، ويَحفز من الهمم راكدها ، يَخلُق من الجبان الرعديد شجاعاً صنديداً ، ومن البخيل الضنين اللئيم جواداً كريماً ، قوله مسموعٌ ورأيهُ متبوعٌ ، ونداءُوه مجابٌ وأمره مطاع ، فالخطيب البارع رسول السلم والرحمة ، وزناد الحرب والفتنة ، فكم أوقد من فتن ، وكم أطفأ من حروب وقلاقل .

(أسبابُ نُهوض الخطابة)

لقد عرف العُلماءُ الخطابة بأنها فَنٌّ وهِبةٌ ، تَقْوَى بالمِران ، حتى تصيرَ مَلَكَةَ استحضارٍ راسخةً ، يتصرف بها صاحبها في كل فنون الخطابة وأغراضها . تصدر منه الخطابة فنياً ، حسب الإيقاعات الموسيقية صعوداً وهبوطاً .

من عواملها : أن يكون الخطيب ذكي العقل ، بَدَهيَّ الفطنةِ والبراعة ، دقيقَ الحس ، حارَّ العاطفة ، جهْوَريَّ الصوت صادقَ اللهجةِ ، مخلصاً في توجيهِهِ وإرشادِهِ ، واسعَ الفهم سليم اللسان ، لا تقتحِمُه العينُ من قِصَرَ ولا طُولٍ . فإذا ما أُضيف إلى هذه الصفات غَزارةُ علمِه وثقافته ، ونباهته ، وكثرة بحوثه ، وسعةُ الاطلاع ، وبُعدُ النظر ، وطولُ المِرانِ ، والإلمامُ بما هو شائع في مجتمعه .

أما تلفزيون عمان فلم أكلف شيئاً حتى بندوةٍ ، لماذا لأني نصحت لهم ألا يتعرضون لروايات دينية وتمثيليَّاتٍ لا حقيقة لها..! لا يتناول مستمعه بحنين ولا غضب، ولا بذكر اسمائهم بما وَقَعَ منهم وحَدَث، بل يقول: «ما بال اقوام فعلوا كذا وكذا»، دون أن يجرح الشعور ويكسر القلوب، فأعواد المنابر من عهد النبي ﷺ، الى نحو القرن الحادي عشر، لم تكن للفحش والتفحش، والطعن واللعن والسباب. فرسول الله ﷺ، ورد عنه في الاحاديث الصحيحة: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[1] ، « ما بُعثتُ فاحشاً ولا متفحشاً ولا طعَّاناً ولا سبَّاباً ولا صخّاباً في الاسواق» [2] ، « إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » [3] . أما خطباء الفتنة الذين أخبرنا النبي ﷺ عنهم، فيتناولون الناس بالسباب والشتم واللعن ، وهذا لم يرد عن رسول الله ﷺ .

إن خطباء الفتنة يلجؤون إلى السباب ، والطعن في الانساب ، والأحساب ، لعدم وجود مادة علمية يتحدثون بها . ومن هنا أصبح الناس لا يفرقون بين العالم والجاهل ، ولا بين الخطيب والمهرج ، الذي يستميل قلوب المستمعين بشتائم المسلمين والمسؤولين ، فما كان النبي ﷺ واصحابه ، ينهجون هذا المنهج ولا يسلكون ، بل كانوا يدعون للناس بالصلاح والفلاح . فلو فرضنا أن هناك حكاما غير صالحين للحكم ولا للرعية، دَعَوْنا لهم، بل قد ورد أنهم أحق بالدعاءِ من غيرهم.

ومن عوامل الخطبة أن يكون الخطيب بارعاً في التحول في الخطبة من موضوع واقعي ، أو وَقَعَ أثناءَ الخطبة ، لِيُلْهب قلوبَ السامعين ،

---

١ ــ رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود ورجاله رجال الصحيح .

٢ ــ جاء في البخاري باب كراهية الصخب في الأسواق : وفيه أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوارة قال أجل والله إنه لموصوف ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا ارسالناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخَّاب في الأسواق ... الحديث (٣٤٣/٣٤٢/٤) .

٣ ــ وفي رواية أبي هريرة إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق رواه البيهقي عن أبي هريرة .

ويأتي على ذكر الحكام الذين كانوا صالحين ، فيذكر للناس شيئاً من صلاحهم وعدالتهم واستقامتهم . والوارد في الأصول أن لكل كلمةٍ منطوقاً ومفهوماً ، وقد يكون المفهوم مُعَطَّلاً أحياناً . ومن عوامل الخطبة أن يكون الخطيب مُجيداً للغة العربية ، ويراقب أحوالَ الناس ، مراعياً مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، خبيراً بآيات التفسير ، مراعياً أنسبها وأصحها ، واعياً ودارساً للتوحيد ، على بصيرة من التاريخ الإسلامي وتواريخ الأمم ووقائعها .

نعم ، ينبغي أن يكون على بصيرة ودراية ، وحكمه للغة العربية ، عالماً بأسرارها وخفاياها ، متقنا لمجازها وكتاباتها ، جامعاً لملحها وطُرَفِها ، متقناً لأحاديث رسول الله ﷺ ، متجنباً الموضوعَ والساقطَ منها ، والمقطوعَ والمعضِل من الأحاديث .

نعم يأتي بالضعيف الذي بلغ درجة أعلى منه ، وذلك في فضائل الأعمال . وكلما تحرّى الحديث الصحيح والحسن ، وكان مرفوعاً الى النبي ﷺ كان مقبولا ، بل كان أقبل للسمع ، ولا سيما متصل الإسناد ، أحرى بالخطيب البارع النابهِ أن يكون رسولَ السِلْمِ والرحمة ، وإذا هاج وماج الشعب ولم يقبلوا دينا ولا اصلاحاً ، ولم يذعنوا لوعظه وارشاده ، وأحرى به أن يكون زناد الحرب والفتنة ، فكم للخطيب التقي النقي من أهداف عالية ، وآمالٍ عِذاب في تثقيف بني الانسان ، والنهوض بمداركهم إلى مستوى رفيع في ذلك الوجود . فالخطيب هو الخطيب ، فكم أوقد من فتن ، وكم أطفأ من حروب ، لأن المفروض فيه أن يكون شجاعاً صنديدا لا رعديداً ، وأن يكون ثبتاً على الشدائد لمن يتصدون له من المسؤولين ، غير هيّابٍ ولا وجل لأن رسول الله ﷺ قال : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »[1] وفي رواية « عند حاكم جائر »

---

١ — رواه الامام أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي والنسائي باسناد صحيح وعند ابن ماجة وأبي داود عند أمير جائر وساقه الزهري بلفظ أفضل الجهاد كلمة عدل عند امام جائر .

وفي رواية « عند أمير جائر » . روى أن معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين ، لما أراد أن يأخذ البيعة لولده يزيد ، جمع لذلك قادة القبائل والعشائر ، ووجهاء المسملين ، وعرض عليهم الأمر ، فأنكر ذلك عليه بعضهم ، وتوانى عن إعطاءِ البيعة ليزيد (ويزيد وما أدراك من هو يزيد) وكادت تشب الفتنة ، وتقوم الحرب لإرغام المعارضين في (يزيد) ، على القبول به ، إذاً فما الذي جرى :

قام يزيد آخرُ من المقنع اذْ أنه لما رأى الفتنة تطل برأسها من وجوه الحاضرين ، والبريق يلمع من أعينهم ، قام واخترط سيفه[1] من غمده ، وقال في حماسة الخطابة وقوة اليقين ، أمير المؤمنين هذا ، وأشار إلى معاوية فان هلك ، فهذا يعني (يزيد) وأشار إليه ، فمن أبى فهذا وأشار إلى سيفه ، فسكنت الفتنة ، وهدأت النفوس ، وبايع جميع الناس ، وهنا قال له معاوية : « إجلس فانك سيد الخطباء » .

يجدر بنا أن نقول كلمة موجزة عن العوامل والاسباب التي قد تنهض بالخطابة ، إن وجدت إذ قد عرَّف العلماء الخطابة بأنها هبة فطرية ، تُقوَّى بالمران حتى تصير ملكة راسخة ، يتصرف بها صاحبُها في كل فنون الخطابة وأغراضها ، ومن مقوِّمات الخطبة أن يكون الخطيبُ في موضوعه الديني حافظاً لكتاب الله تعالى ، أو بعض أجزائه ، والوقوف على اسراره واعجازه ، واستعاراته وتشبيهاته ، وعباراته واغراضه ومراميه ، محصلاً لسنة رسول الله ، ﷺ ، وما فيها من بلاغة وسمو وحلاوة وإرشاد ، جامعاً إلى ذلك كله رقائق الاخبار من قصص الصالحين وعظاتهم ، وشارد النوادر والفكاهات من حكايات الظرفاء ودعاباتهم ، دون أن يَمسَّ بكرامة أحد ، أو يتحدى شعور إنسان ، فإذا كان مع ذلك كله قوى الثقة بنفسه ، قوي الإيمان بربه ، كامل اليقين بدينه ، قوله كفعله ، وظاهره كباطنه ، وسره كعلانيته ، كُتِبَ له من التوفيق والتأييد ما تصبو إليه نفسه ، وما يطمح إليه في مستقبله ، لا سيما إذا كان شجاع القلب ، أبيَّ النفس ، كريمَ الطبع ، عفَّ اللسان ، جوادَ الكف ، سمْحَ البيان ، طليق البنان ، يعطي أكثر مما يأخذ ، ويفعل اكثر مما يقول .

---

١ ــ واخترط سيفه ــ جرده من غمده .

(القسم الثاني)

(فَذْلَكَةُ ونتيجة هذه المقدمة)

متى توفرت فيه مُعْظم هذه الشروط ، ملك القلوب ، وسلب العقول ، وسيطر على العواطف والوجدانات ، نفع الله به أمته ، وأفاد به وطنه ، ونصر به دينه ، ومنحه من الذكر الطيب والخلود ما ستردده الألسنة ، ويسجله التاريخ ، ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾ ٣٣ فصلت .

أما اليوم فقد تأخرت الخطابة ، وانحطت ، وذلك لأسباب ؟.

لا ريب إن جميع أنواع الخطابة في عصرنا هذا ، قد تقدمت نوعاً ما . أجل لقد تقدمت تقدماً ملحوظاً ، وتضاربت الآراء والأهواء . نعم ، تقدمت الخطابة السياسية والقومية ، لكن الخطابة الدينية التي تهم غالبية المجتمع والشباب ، قد أصابها الخمول والانحلال ، ولذلك التأخر أسبابه ودواعيه ومن الجدير بالذكر أن أسباب التخلف ويا للأسف كانت بسبب الاختلاط السياسي والاجتماعي ، وأهم هذه الأسباب : تأخر هذا الدين ، وهوانه على الناس ، وإعْراض عامة الشباب والشابات عنه ، إذ إنهم قد تمسكوا بأهداب المدنية المزيفة الخادعة .

ليس التمدن أن تزيغ وتكفرا

إن التمدن أن تُطيع وتشكرا

لقد ظلَّت الخطابة الدينية قوية مزدهرة ، حتى أواخر الدولة العباسية ، حيث كان الإسلام في ريعان الشباب ، وعنفوان صباه ، فلما ضعفت دولة الإسلام آنذاك وهزلت لغته . وغربت شمس علومه ومعارفه ، ضعفت الخطابة الدينية تبعاً لذلك ، وبقيت بعد ذلك أشكالاً ورموزاً لا حياة فيها ، ولا هدف لها ، اللهم إلا الاحتفاظ بالرسوم والطقوس . وظلت

تنحدر حتى صارت وظيفة صناعية ، وعملية آلية . فوضعت لها الكتب ، وألفت لها الدواوين ، وما كانت مغنية عن الخطب التي دوخت العالم باسره ، إذ أنها كانت خطباً بعيدة عن قولة الحق ، تمجها الطباع السليمة والأذواق والأسماع . وهي مع ذلك لم تتناول إلا الدنيا واطماعَها وتحقيرَها ، والشيبَ وخطورتَه ، والموتَ ومرارتَه ، والحسابَ وشدتَه ، والصراطَ ودقته ورقته ، والنارَ وعذابها ، والجنة ونعيمها ، سواء وافق ذلك مقتضى الحال أم لا وسواء راقَ القومَ ذلك أم لم يُرقْهم . أما تثقيفُ النفوس ، أما إحياءُ الضمائر ، أما السُّموُّ بالأذواق ، أما تطهيرُ المجتمع ، أما نشرُ الفضيلةِ ومحاربةُ الرذيلةِ ، أما غرسُ محبةِ الأستشهاد في نفوس العباد ليكونوا على استعداد . وجزى الله الحسين خير جزائه إذ يسارع إلى تكليف الشباب وتدريبهم ليكونوا عُدة المستقبل . أعود فأقول أما محاربة الدعارة والدعوة إلى المحبة والاستقامة ، فتلك كلها أمورٌ لا يعرفها الدّين ، لا تصريحاً ولا تلويحاً ، ولا يدعو إليها الإسلام ، ومن هنا كانت الخطابة الدينية في واد ، والمجتمع الإسلامي في واد آخر ، (إنَّا لله وإنا اليه راجعون) . ومن هنا أصبحت الخطابة الدينية وأهلها غرباء يحصى عليهم كل قول ويحاسبون على كل حرف ، غرباء في ديارهم حتى مع بني قومهم والشعوب التي من هذا النوع تهزأ وتسخر مع أن الخطباء الفارهين هو سلاح لهم ، يأمرون شعوبهم بالقناعة والشجاعة ، وهم جبناء جائعون يأمرونهم بترك الحرير ، وهم لا يجدون الخيش ، حكامهم يأكلون ما لذ وطاب من الككس ، والشعوب لا تمر ولا دبس ، يأمرونهم بترك الذهب وهم لا يجدون الخزف ، يأمرونهم بالتسامح ، وهم مستعمرون ، وبالتواضع وهم اذلاء مستكبرون ، ومن هؤلاءِ الخطباء الرجعيين من تمر به جريمة القتل داخل المسجد ، فيتكلم عن الخمرة وينهاهم عن شربها ، مع أنهم لا يجدون في ذلك الوقت البن والشاي ، وعذُره في ذلك ، أنه مقيّد

بديوان الخُطَب القديم ، الذي يعتمد عليه في إلقاء خطبه ، « وخيركم من جاء بما عنده إذا كان عنده شيء » .

فاللوم موجه إلى المسؤولين أنفسهم ، فإذا ما لمنا الخطيبَ مرةً فلنلم المسؤول الآفَ المرات .

أولئكم المسؤولون الذين أهملوا ديننا ، فأُهمِلَت الخطابةُ تبعاً له .

ولما جاء عهد قاهر الصليبيين ، السلطان الظاهر صلاح الدين ، وأباد الصليبيين بحملات ثلاث ، أبادت ظلام الكفر ممن كانوا على وجه البسيطة ، واستقر الحكم للإسلام خلال القرن السابع الهجري بعد الفاطميين ، قام بحركة دينية ، وجعل للمسجد الأقصى المبارك ما ينيف على عشرين خطيباً ، كلهم يدعون لحمل السلاح ، والجهاد في سبيل الله ، ورتب لمساجد فلسطين خطباءَ علماءَ فضلاءَ نابهين، يدعون الناس الى جمع الكلمة والاتحاد، والتزود بالتقوى. فكانت خطبهم تؤثر في نفوس الناس.

كيف كان دور الخطباء والأئمة
والوعاظ وشيوخ الحرم القدسي أيام الحركة الفكرية

قام الخطباء بدور فعال في الحركة الفكرية في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي ، فلم يقتصر دورهم على الخطابة في الصلاة في أيام الجمع والأعياد ، في المسجد الأقصى والصخرة ، أو في المناسبات الدينية ، بل شاركوا في الاشتغال بالتدريس والإفتاء والقضاء ، حدثوا الناس ولم يقتصر دورهم على ما قاموا به في بيت المقدس ، فقد كان لهم دور فكري في المجالات المذكورة في مصر والشام ايضاً .

وسأُوضحُ لكم دورهم الفكري في بيت المقدس .

ما هو دورهم الفكري في بيت المقدس ... ؟

كان يتولى الخطابه بالمسجد الأقصى عدد من العلماء ذوي المكانة العلمية المرموقة ، وكان الخطيب يعين بمرسوم خاص ، يصدقه السلطان ، ومن ذلك أن ابا الحزم محمد بن تقي الدين ابى بكر القلقشندي استقر في خطابة المسجد الاقصى سنة ٨٢٢هـ ، لِيُقْرأ توقيعه في الأقصى ، ثم توجه إلى منزله وأعلام المسجد حوله ومشى الناس في خدمته ، وكان يوماً مشهوداً كما يقول : مجير الدين الحنبلي في كتابه (الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل) ومن ذلك ايضاً أنه في يوم الخميس سابع جمادى الأولى ، وصل الخطيب محب الدين بن جماعة ، ودخل هو واخوه شيخ الاسلام النجمي (نجم الدين بن جماعة) وعلى كل منهما خلعة السلطان بولاية مشيخة الصلاحية ، والصلاحية هي التي كانت تسمى (بمدرسة الصلاحية) وقد تخرج منها علماءُ فضلاء ، يوجد منهم الان في عصرنا الحاضر عدد قليل ضئيل ، حتى سيطر عليها الاستعمار ، ومنع التدريس فيها خشية انتشار الدعوة الإسلامية ، فدخل شيخ الاسلام التيمِّي ، والذي ورد انه وصل في يوم الخميس الذي ذكرته . آنفاً ، الخطيب محب الدين ابن جماعة وعلى كل منهما خِلعَة السلطان بولاية مشيخة الصلاحية ، ونصف الخطابة وما معها ، ونصف مشيخة الخانقاه الصلاحية ، ودخلا إلى المسجد الاقصى الشريف والناس يحيطون بهما إحاطة الهالة بالقمر ، وجلسا في المحراب (أي محراب صلاح الدين منبره الأثري القديم)[1] الذي أحرقه اليهود بعد احتلالهم ارضنا وبلادنا ومقدساتنا ، تحت سمع وبصر الدول الاسلامية والعربية ، عرب هذا الزمان الذين نكثوا عهوداً ، وقطعوا وعوداً ، وهم عن عين الصواب لناكبون [2] .

---

١ ــ يستندان إلى منبر صلاح الدين الذي أحرقه اليهود بعد احتلالهم وهو بجانبه .

٢ ــ منحرفون عادلون عنه الى غيره .

ما هكذا كان العرب والمسلمون ، وهم اليوم في كثرة كاثرة ، تزيد على المائة المليون . يقفون أمام قضاياهم ومقدساتهم وبلادهم ، أمام عدوهم وعدو الخليقة بأسرها . موقف المتفرج ، فالعرب هم الذين حضنوا البلاد وما فرطوا في شبر منها ، وهم ما قبل القرن الحادي عشر الهجري ، اما عرب اليوم بعد ذلك القرن ، قد اصبحوا يفتخرون ويعتزّون بما لديهم من ثرواتٍ باهظةٍ واموال كثيرة بثيرة . تمسَّكوا بقشور الحياة الزائلة الذاهبة ، وبمراكزهم الذاهبة ، ولذا فقد ضعفوا عن الوصول إلى حقوقهم المغتصبة ، ولم يستطيعوا أن يستردوها من عدوٍ غاصبٍ غادر . وكُلُّ دولة من هؤلاء تولت واحداً من رؤس الشرك والبلاءِ . والله تعالى يقول : ﴿ ...، **ومن يتولّهم منكم فإنَّهُ منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ (٥١) المائدة .

نعود الى ذكر مكانة الخُطباءِ بالأمس ، وقرىء توقيع كل منهما ، وهما جالسان ، وربما كان هذا بعد صلاة الجمعة ، وهذا هو المعروف لا قبلها . وتبينا من هنا المكانة التي كان الخطباء يحظون بها ، وأنهم كانوا يقومون بالتدريس إلى جانب الخطابة . منهم شيخ الإسلام نجم الدين في خطبة دَرْسِهِ ، إلاَّ أن مشيخة الصلاحيَّة كانت بيده ، وخرجت عنه ، فمَنَّ اللهُ بعودها ، والعود أحمد . وبهذه المناسبة يجدر بنا أن نذكر دور الخُطباء في المجالات الفكريَّةِ الاخرى ، في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، ولكي يتضح لنا بجلاءٍ ما تقدَّمَ الحديثُ عنه ، يحسن بنا أنْ نستعرض العلماءَ الذين تولوا الخطابة في المسجد الأقصى ، الذي بارك الله حوله ، بعد تحريره من الاحتلال الصليبي ، فنتبيَّن الدَّورَ الذي أسهم فيه كل منهم على حِدَة ، والدور الذي أسهموا فيه : أي اشتركوا فيه بعامة ومن أجل ذلك خصصت بالمسجد الأقصى دار للخطابة .

وإن دلّ هذا على أمرٍ فإنما يدل على الأهمية الكبرى التي كانوا يُولُونَها للخطابة آنذاك، وكانت دار الخطابة تلك في المسجد الأقصى، الذي بارك الله حوله بجدار (الزاوية الختنية) التي كان يقيم فيها (نجم الدين بن جماعة) وأن بعض العلماء وُلِدَ في قاعة الخطابة من المسجد الأقصى سنة ٨٠٥ هـ

إرجع إلى الضوء اللامع ١٠/١٠٨ وهو (الشيخ جمال الدين يوسف بن أحمد الباعوني ثم الصالحي الدمشقي)[1]، وجمع عدد من الخطباء بين التدريس والخطابة في المسجد الأقصى ومنهم من اشتغل في التدريس مُعيداً. وقد كانت الخطابة وراثية ولو كان الوارث غير أهل للعلم وهذا ما تسير عليه وزارات الأوقاف في زمننا هذا والوراثة زمن الحكم العثماني وكذلك التدريس وقد تقلده من كان غير ذلك . كل هذا حرصاً على المادة الشهرية الفانية .

كان القاضي محيي الدين يحظى بمكانة كبيرة لدى السلطان صلاح الدين رحمهما الله . وتوفي القاضي محيي الدين بدمشق سنة ٥٩٨هـ ومحيي الدين هذا هو أول خطيب خطب في المسجد الأقصى بعد تحريره من الأحتلال الفرنجي الصليبي .

من مكانة الخطباء أن قاضي القضاة شيخ الإسلام نجم الدين أبا البقاء محمد بن ابراهيم بن جماعة الشافعي أفتتح درسَهُ يوم الخميس ٧ جمادى الأولى سنة ٨٧٨هـ عندما أُعيد تعيينه بالصلاحية السابق أتى بخطبة بليغة وتكلم على الآية الواردة في حق يوسف عليه الصلاة والسلام فقال ﴿ **ولمَّا فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم ، قالوا يا أبانا ما نبغى ، هذه بضاعتنا ردت إلينا ، ...** ﴾ (٦٥) يوسف .

---

١ ـ الذي نشأ في دمشق فقد انتقل اليها مع والده في الرابعة من عمره وتعلَّم هناك فقرأ القرآن على جماعة ، وقرأ العربية والفقه وأصوله وسمع الحديث بدمشق وبيت المقدس والخليل والرملة وفي سنة ٨٢٨هـ ، توجه للقاهرة طلباً للعلم ، وقد ولي جمال الدين هذا وظائف عديدة فعمل في القضاء ، وباشر كتابة السرِّ في صفد (فلسطين) وباشر القضاء ثم في طرابلس وغيرها واشتغل في التدريس توفي في سنة ٨٨٠هـ الضوء اللامع .

(من هم خطباء المسجد الاقصى آنذاك) . ؟

كان أول من ولي الخطابة في المسجد الاقصى المبارك ، بعد تحريره ، هو القاضي محي الدين ابو المعالي محمد بن علي القرشي ، ويتبين من تاريخ الاحتلال الذي مضى على القدس ، أنَّ ابن الزكيّ خطب أربع خُطَبٍ في اربع جُمَع كلها من انشائه ، ارجع الى كتاب الروضتين ٢/١١٠ . ولم يبق منها الا الخطبةُّ الأولى . وكان أبو الحسن علي بن محمد المالقي (المالكي) أولَ من عين للخطابة في المسجد الاقصى ، وولي الخطابة في المسجد الأقصى شهاب الدين ابو العباس أحمد بن نعمة . هكذا قال مجير الدين الحنبلي في الانس الجليل ، الحديث يطول عن هؤلاء الخطباء في هذه المقدمة التي لا تحتملُ أكثر من ذلك . ومن بطون التاريخ تبين العارف بالله أحد أجدادي القدماء المرحوم الشيخ يوسف الشريف الحسيني الخليلي ، وكان خطيباً للمسجد الأقصى منذ قرنين أو أكثر ، وهو مدفون الآن في زاوية الأشراف في أحد جدران الزاوية ، حتى لا يُرى ولا يشتهر رضي الله عنه .

تحدث بدر الدين عن خطابته في الاقصى وهو يبكي ، حتى ابتلت الارضُ من دموعه ، فتمنى أن تدوم خطابتُه فيه كما يبدو واضحاً في قوله .

يا لهفَ نفسي لو تدوم خطابتي
في الجامع الأقصى وجامع جِلَّقِ
ما كان أهنأً عيشَنا وألذَّه
فيها وذاك طراز عمرى لو بَقي
الدين فيه سالم من هفوة
والرزق فوق كفاية المسترزق
والناس كلهم صديقٌ صاحبٌ
داعٍ وطالبُ دعوةٍ بترفُّقِ

(جلق : موضع بالشام) .

قال حسان بن ثابت في معنى الطراز الوارد في هذه الابيات .

بيض الوجوه كريمة احسابهـــم

شُمُّ الانوف مـــن الطراز الأول

وولي الخطابة في الأقصى قاضي القضاة الشيخ الامام بدر الدين ابو اليُسر محمد بن عبد القادر الأنصاري الدمشقي الشافعي ، المعروف بابن الصائغ ، وخطب في المسجد حوالي ٧٢٧ سنة هـ .

ارجع في ذلك الى فوات الوفيات ١٩٣/٣ . ووليها بعد وفاته في سنة ٧٢٩ قاضي القضاة عماد الدين ابو حفص عمر بن عبد الرحيم النابلسي الشافعي . وباشر برهان الدين الخطابة والتدريس ، ومن اراد الوقوف على ذلك تماماً ، فليرجع الى مجير الدين الحنبلي في الانس الجليل وإلى سلك الدُّرر والخطط ومن أراد المزيد فليرجع للضوء اللامع لأهل القرن التاسع وغيرها من التاريخ والتقريظ يجد الغاية المطلوبة بإذن الله ، والى مذكرات المرحوم عارف العارف ، وهو صديقي ، وان كان فيها بعض التحيُّز والعنصرية . فلم يذكر احد الخُطباءِ للمسجد الاقصى ، والا فقد كان رحمه الله مؤرخاً ضليعاً ، قد أوفى على الغاية ، وجل من لا يسهو . وليرجع الى كتاب الحركة الفكرية للدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي ، فقد جاء بما فيه المطلب والمرام ، في ظل المسجد الاقصى في ظل العصرين الايوبي والمملوكي .

التي ذُكر عنها بعد هذين العصرين ، ففي عهدي العثماني والانتداب البريطاني ، فقد كانت حسب الظروف السياسية ، والعلاقة الائتلافية والرغبة السياسية وذلك عهد لم نعرفه . وأما في عهد الحكم الاردني فقد كانت الخطب أبوابها غير مرتجة ولا مؤصدة . وقد كنت أخطب وأدرس في مدن متفرقة في فلسطين ، قبل احتلالها ، أهمها الحرم الإبراهيمي الشريف ، ثم المسجد الاقصى . وفي الخمسينات عُيِّنْتُ بأمرٍ من المجلس الاسلامي الاعلى مُدرِّساً في المسجد الاقصى ، وكنت أميناً للفتوى ، ثم عضواً في هيئة كبار العلماء بإرادة سنَّية ، من المغفور له الملك عبدالله بن الحسين رحمه الله ، ثم عينت في نفس المسجد الأقصى مديراً للمعهد العلمي الإسلامي ، وكان يدرس معي فيه المرحومان الشيخ يوسف العلمي ، والمرحوم الشيخ جميل الخطيب ، والمرحوم السيد عبد القادر قدّور ، والأخوان الاستاذ الكريم الشيخ شحادة ، والدّكتور اليوم في الجامعة الأردنية ياسين أحمد إبراهيم ، جزاهم الله خيراً . سميناه بالمعهد العلمي الاسلامي ، منذ نشأته في الخمسينات وتخرجت منه أفواج ، معظمهم قد تخرج من جامعات أخرى ، واكثرهم مدرسون في جامعاتنا اليوم . ومنهم القضاة والمفتون الذين أبلوا بلاءً حسنا ، في حقل هذه الحياة . ثم عينت بإرادةٍ سنيّة لخطابة المسجد الأقصى في الخمسينات وأوائل الستينات ، وبقيت مستمراً على تلك الخطب التي أَخَذَتْ بمجامع قلوب الناس جميعاً ، وأحرزت تقدير كثير من الدول العربية والشعوب الإسلامية ، والحمد لله ، حتى إنني خطبت يوماً في المسجد الاقصى في موضوع هام ، وبعد نزولي عن المنبر أهداني سفيرُ المغرب وسام شرف له تقديره وثمنه ، تقديراً لما ورد في هذه الخطبة من أقوال حقَّة صريحة جريئة . وكان الناس ينظرون . إلى هذا الوسام الذي كان سبباً في إعجاب الناس جميعاً ، والحمد لله رب العالمين بقيت على التدريس والخطابة والإفتاء وغيرها إلى ان وقع احتلال العدو الغاشم سنة ١٩٦٧م ، وبقيت في القدس نحو أربعة أشهر تحت التهديد والإرهاب ، ومُنِعتُ من

الخطابة في عهد الإحتلال الغاشم الظالم وأخيراً نزحت مِن القدس . وبقيت ملتزم الصمت في عمان مدة ستة أشهر ، لا أدرس ولا أخطب لا هنا ولا هناك ، أسفاً على فراق المسجد الاقصى والمقدسات . وقد زارني في البيت سماحة الاخ الشيخ عبد الحميد السائح حينما عين وزيراً للأوقاف في عمان بعد صلاة الجمعة ، وشحذ هِمّتي ، ودعاني للعمل في ساحة حقل هذه الحياة ، وقال سنعود إلى المسجد الأقصى بإذن الله ، وشجعني إلى العودة للخطبة في المسجد الحسيني الكبير في عمان ، وقبلت نصيحة اخٍ كريم دعا الله لي وللأمة بالعودة إلى أرضنا ومقدساتنا ، فعدت على شرط أن اكون حُرّاً في توجيهاتي وكلماتي ، من على منبر المسجد الحسيني الكبير . وبدأت في خطبي مُستعيناً بالله ، وستطلعون عليها ان شاء الله تعالى في كتاب مُستقل[1] . وأقول متأوهاً متحسِّراً ، كما تألم غيري من الخطباء ، وتأوه غيري من الخطباء على الخُطبة في المسجد الاقصى .

ويلي على أوطاني
من فرقة الأخدان
قد آلمت فؤادي
حوادث الأيَّام

يا مسجد الجهاد	والسادة الأمجاد
أبكي على أيامي	في مهبط الأجداد
وخطبتي المجيدة	كانت هي الفريدة
قد أصبحت بعيدة	من خيبة الاضداد
والمسجد الأسير	في وضعه خطير[2]

وهنا نظم آخر على ما النافية ، والنحيب لا يفيد على ما صرنا اليه .

... ... فَلَمْ يُغْنِ البكاء ولا النحيبُ

---

١ ــ هي القسم الثاني من هذا الكتاب ، وهذه هي رغبة الشيخ محمد عادل الشريف في أواخر سني عمره ، رحمه الله . المدقق .

٢ ــ وهناك أبيات أخرى لا حاجة لذكرها .

يا لهف نفسي لو تدوم خطابتي
في المسجد الأقصى وحرم بلدتي
ما كان أهناً عيشَنا وألـذَّه
وذاك ما ترجوه دوماً إخوتي
الدين في البيت المقدَّس سالم من خيبةٍ
والرزق فوق كفاية المسترزق
والناس كلهم حبيب دائـــب
داعٍ وطالِبُ هِمَّةٍ بترفــــق
ان كنت تبغى ان تعود الى الحِمى
فاصبح لمسجدك الاقصى ولا تتملق
فالله حــق قادر متفضــــل
بالعود للحق المبين المُشــرق

في هذا الكتاب الخطابي الذي بين يدى القارىء ، الشامل لكل معنى من معاني الحُبُّ ، والتمسك بما كان عليه السلف الصالح . سرنا في طريق شائك وقبل سنتين ، فوجئنا بأمر من وزارة الاوقاف أيام وزيرها السابق ، حيث ان هذه الخطب التي كنت ألقيها في المسجد الحسيني الكبير لم توافق مزاجه ، ولا مزاج حفنة من الآخرين . لا يريدون الإفصاح عما في نفسي ، ولا يريدون بيان كلمة الحق بشكل واضح بارز ، والنبي ﷺ يقول : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سُلطان جائرٍ » رواه أحمد في مسنده ، وابن ماجه ، والطبراني في المعجم الكبير ، والبيهقي في الشعب ، والزهد عن أبي سعيد ، وعن أبي أُمامة ، ورواه أحمد في مسنده ، والنسائي والبيهقي عن طارق بن شهاب ، فحديث الجهر بكلمة الحق عند كل من لا يخشى إلاَّ الله بالغ القوة في الإسناد وقد وصلتني الرسائل والبرقيات من مختلف البلاد والشخصيات وزارني في بيتي خطيبان من العراق يطلبان مني تأليف كتاب . وليس عليه من مُعترض .

الخطابـــة

الخطابة ضرب من التعليم وهي (اذا تهيأت دُعاتُها ، ووفرت أَداتُها ، وقلت كفاية الكتابة ، أو ثقلت مؤنتها) بسبيل الإقناع ، وعدة التأثير ، لما فيها من حضور المتكلم بشخصه ، ودفاعه عن رأيه بنفسه ، وافاضته ، واندفاعه في كل ما يؤيد مذهبه . ممن تعمُّها الأميّة ، ولا يربطها قانون عام ، ولا تضبطها حكومة منظمة ، ولا تضمها راية سلطان واحدٍ ، كما كانت الأمة العربية في جاهليتها ، أن تكون لها الخطابة ضرورية ، وفيها فطرية .

فما عُنِيَ الرواة بنقل أخبار الخطباء وخطبهم ، إلاَّ عندما حلت الخطابة أبعد منزلة وأسمى بكثير من الشعر ، لابتذال الشعر آنذاك ، يتعاطاهُ السفهاءُ والعامةُ ، وتلوُّنهُم وتَلَطُّخُهُمْ بالتكسُّب والتعرُّض لِلحُرَم ؛ (أي لما لا يحل التعرُّضُ له) فنبُه بذلك شأن الخطابة ، واشتهر ، وشرُفَ ، وارتفع ذِكرُهُ ، واشتهر بها الأشراف : وكان لكل قبيلة خطيب . كما كان لكل قبيلة في الجاهلية خطيبٌ يؤدي رِسالتها ، كما كان لكل قبيلة شاعر . واذا كان جُلُّ القصد من الخطابة إثارة الشعور ، وإيقاظَ الهمم والوجدان ، كما هو الشأن في الشعر . كان جل الاعتماد في الخطبة الاعتماد فيها على الأدلة المؤثرة في النفوس ، المُهيِّجَة للعواطف ، ولقد كانوا يستحسنون من الخطيب أن يكون رابطَ الجأش ، أعني ثابتاً شجاعاً ، قليل اللحظ ، وهو النظر بمؤخر العين ، وهو اشد من الشزر والمراء ، والمراد قليل التلفت والنظرات هنا وهناك وهو على منبره ، جهير الصوت ، مُتخيِّرَ اللفظ ، قوي الحُجَّة ، نظيف البِزَّة ، أي الهيئِة والثياب ، كريم الاصل ، عاملاً بما يقول : (لا ينتمي الى أي حزب من الاحَزاب) إذ لا حزبيَّة في الاسلام . واذا كان حزبياً ، فلا تأثير لقوله ، لأنه يُعَبِّر عن رأي حزبه .

وخطباء العرب كثيرونَ (من أقدمهم كعب بن لؤي : هو الجد السابع للنبي ﷺ) ومن أشهر الخطباء : قيس بن خارجة بن سنان ، خطيب حرب داحس والغبراء . (فرَسان لقيس بن زهير سيد عبس وقصته مشهورة في المراهنة مع حذيفة بن بدر الفزاري ، وخطباؤهم كثيرون ــ كما قلت آنفاً ــ وقد صرح أحد قادتهم أن الخطابة والقيادة صنوان (يعني أخوين قرينين) بل ربما كان الخطيب يؤدي دوراً كبيراً في التعبير بما يكون أجراءَ من القيادة نفسها ، وما كان القائد العادل صلاح الدين رحمه الله في جهاده الا مُقيَّداً بما يجاهر به الخطيبُ ، ويدعو اليه . والخطيبُ في عهده ، هو الخطيب لا خطيب اليوم ، اذ ليس كل من رقي المنبر خطيب .

فمـــا كل من ذاق الهوى عرف الهوى

ولا كل من فتح الخطاب خبير

كان لصلاح الدين رحمه الله مرافقٌ امين صادق مخلص ، هو الرجل الصالح شدّادُ ، فكان القائد المحنك المجِّرب صلاح الدين ، لا يسير الى الجهاد ، الا بعد ان يقرأ عليه كتاب ، أي فصل جهاد يَحُثُّ الجندَ فيه على المضي إلى الشهادة ، والاستعجال بلقاء الله ، والقائد على ظهر حصانه ، والجند في ظهور الخيل ، كما قال البوصيري رحمه الله .

كأنهم في ظهور الخيل نبت رُباً

من شدة الحزم لا من شدّة الحُزُمِ

فالخطابة فن وعلم وذوق وايمان . فان كانت ذات أهمية ومُلقيها صدوق اللسان ، خرجت من القلب إلى القلب ، فعملت عملها في النفوس ، وإذا خرجت من اللسان لا تتجاوز الآذان ، والجهاد يحتاج الى صبر وخلق ودين وايمان ، يحتاج أولاً وقبل كل شيء ، إلى التمسك بفرائض الله لا يبغي من جهاده إلاّ اعلاءَ كلمة الله .

قالوا يا رسول الله : « الرجل يقاتل للمغنم وللصيت والسمعة فمن منهم في سبيل الله » فقال ﷺ ، « من قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله » [1] الذي يعرف معنى الجهاد ، ومغزى الشهادة في سبيل الله ، يتفانى في الجهاد ليقتل حتى يحيا ثم يقتل ثم يحيا الى عشر مرات . كما ورد عن رسول الله ﷺ ، لما يرى من الله من اللذة والكرامة . قال صلوات الله وسلامه عليه : « من لم تحدثه نفسه بالجهاد مات على شعبة من النفاق » [2] . كان القائد صلاح الدين مثخناً بالجراح ، وفي جسده قروحٌ وَصلت إلى ركبتيه ، وإذا جلس في فسطاطه (خيمته) ، لا ينام الا على عقبيه ، وإذا جاء وقت الجهاد ركب فرسه ، وسمع الحديث ، وسار في الجيش متوجهاً لقتال الكافرين المعاندين .

رحمك الله يا صلاح الدين وهيأ الله لامتنا (صلاحاً آخر) حتى نصل بإيماننا وديننا وعقيدتنا وتكاتفنا الى ما نرجو ونصبو إليه .

يا صلاح الدين قم وانظر الى
حالة في القدس تستبكي العيون
بُدِّلَ العهدُ الذي أَسَّسْتَهُ
ذلّةً واستأسد المستعمـــــرون

وفقنا الله سبحانه وتعالى الى ما يحبه ويرضاه من القول والعمل والنية والهدى ، إنه على ما يشاءُ قدير وحسبُنا الله ، ونعم الوكيل .

---

١ ـــ متفق عليه عن أبي موسى الأشعري .

٢ ـــ الحديث رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : « من مات ولم يغزُ ولم يحدث نفسه بغزوٍ مات على شعبة نفاق » رواه النسائي سنن النسائي (٨/٤) . ومسلم (٥٦/١٣) .

أَلخطبة الاولى :

١٩٦٠/٩/٢٢

مَا قَدَّمهُ الانسَانُ أمامه مِن عمل

الحمد لله نستعينُه ، ونستغفرهُ ، ونعوذ بالله من شرور أَنفسنا . مَن يهد اللَّهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَن يُضللْ فلا هاديَ له ، وأَشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحقّ بشيراً بين يدي السَّاعة . مَن يُطع الله ورسوله فقد رشد ، ومَن يعصِ الله ورسوله لا يضُرُّ إلاَّ نفسه ، ولا يضرُّ الله شيئاً ... وعلى آله وأصحابه الذين نهجوا على نهجه القويم ، معتصمين بحبل الله المتين ، عاملين من الصالحات ما يبوؤهم مكاناً سوّياً ، ومقعداً رضيّاً ، أمّا بعد .

فيا أيها المسلمون : يقول الله تعالى ، وهو أصدق القائلين ، ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحُسنى أولَئك عنها مُبعدون . لا يسمعون حسيسها ، وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ، لا يحزنهم الفزع الاكبرُ وتتلقاهم الملائكةُ هذا يومكم الذي كنتم توعدون** ﴾[١] .

أيها المسلم ، إن ربكَ الذي خلقَك يخاطبك يوم القيامة ، وليس له ترجمان . ألم أُربِّكَ . ؟ ألم أُغذّكَ . ؟ ألم أُنعم عليكَ . ؟ فينظر أمامه فلا يرى إلاَّ ما قدَّم ، وينظر خلفه فلا يرى إلاّ ما قدَّم ، وينظر عن يمينه ، فلا يرى إلاّ ما قدَّم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلاَّ ما قدَّم . وهناكَ الحيرة ، وهناك تعظم الحجة . هناكَ الحسرةُ والندامة .

إن خيراً فخيراً ، وإن شرّاً فشراً .

---

١ ــ سورة الأنبياء (١٠١ ــ ١٠٣) .

قال ﷺ : « ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء ، لا يحبُّه إلاَّ لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر ، كما يكره أن يلقىٰ في النار » [1] .

وهو الذي يقول سبحانه ﴿ **وما خلقت الجن والإنسن إلاَّ ليعبدونِ . ما أُريد منهم من رزقٍ ، وما أُريدُ أن يُطعمونِ** ﴾ [2]. أفلا نفيق من سكرنا . ؟ أفلا نتنبه من غفلتنا . ؟ أفلا ننزجرُ بالمحن والبلايا . ؟ ألم يقل الله سبحانه لنا ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها . ؟** ﴾[3] .

أيها الناسُ ، هذا هو كتاب الله بين أيديكم ؛ إنه حجة على الملحد ، وبيان للموحد ، قائم بالحلال المنزَّل ، والحرام المفصَّل ، وفاصل بين الحق والباطل ، وحاكم يرجع إليه العالم والجاهل ، وإمام تقام به النوافل ، وشهاب لا يُطفأُ نورُهُ ، وبحر لا يُدرَك غوره ، ومعقل يمنع من الهلكة والبوار ، ومرشد يدل على طريق الجنة والنار . ﴿ ... ، **ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم** ﴾ [4] .

أيها المسلم ، تذكر قوله ﷺ ، « البِرُّ لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والدّيان لا يموت » . تذكر قوله ﷺ : « إغتنم خمساً قبل خمس ؛ شبابَك قبل هرَمك ، وحياتَك قبل موتكَ ، وغناكَ قبل فقركَ ، وصحتكَ قبل سقمكَ ، وفراغكَ قبل شغلكَ » [5] .

---

١ ــ متفق عليه ورواه الامام أحمد واللفظ له عن أنس بن مالك .

٢ ــ سورة الذاريات (٥٦ ــ ٥٧) .

٣ ــ سورة محمد (٢٤) .

٤ ــ سورة آل عمران (١٠١) .

٥ ــ رواه الحاكم والبيهقي وأحمد باسناد حسن مع تقديم وتأخير للخمس .

هل ما نحن عليه اليوم من فساد أخلاق وتهتُّك ، وخروج عن معالم الدين ، يُرضي الله ورسوله . ؟! فهل من الدين تركُ الصلاة . ؟ وهل من الدين الإلحادُ في دين الله ، والإعتقاد أنه من الحضارة والمدنية . ؟!

لا .. لا ، المدنيةُ إيمان وعمل وخلق كريم ، ومروءَة ثابتة . الحضارةُ حُسْنُ معاملة وعمل بِرٍ واحسان . إن الدين الإسلامي كفل مصالح الناس في كل زمانٍ ومكان .

ليس التمدُّنُ أن تزيغَ وتكفُـــرا إنَّ التمـــدُّن أن تطيـــع وتشكرا

هل من الدين أن يكون المسلم قاسياً ، جافي الطبع ، لا يألُف ولا يؤلف .. ؟! أم أنّ النبيَّ ﷺ قال : « المؤمن هيِّنٌ ليِّنٌ ، يألُف ويؤلَفُ » [١] . ﴿ **تلكَ الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلُوّاً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين** ﴾ [٢] .

يا هذا ، إن كنت في الدنيا أعمى عن الهداية والحق ، فستكون في الآخرة أعمى وأضلُّ سبيلا . قال تعالى : ﴿ **ومَن كان في هذه أعمى ، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا** ﴾ [٣] .

إلى متى الرّكون إلى دار البوار . ؟ وحتّام العدول عن دار القرار . ؟ وعلامَ الغرور بزينة هذه الدّار وزخارفها . ؟ وإلامَ الإنهماكُ في الحصول على متالفها . ؟ فهل عدلتم عن الصراط السوّيِّ والساعةُ آتيةٌ

---

١ ـــ الحقيقة أن هذا الحديث من حديثين لرسول الله ﷺ المؤمن هين لين حتى تخاله من اللين أحمق ، رواه البيهقي عن أبي هريرة ، والثاني قوله : المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف رواه الامام أحمد في مسنده .

٢ ـــ سورة القصص (٨٣) .

٣ ـــ سورة الاسراء (٧٢) .

لا ريب فيها .. ؟! أين اخوان عاشرناهم وخلان وخلان . ؟ أين زيد وعمرو وفلان وفلان . ؟ ألا يردعُنا موتُ الآباءِ والامهات عن أباطيل التَّرهاتِ . ؟ ألا إن المرءَ غافلٌ مُطرقٌ ، والموتَ واعِظٌ مُقلق ، ينادي أقواماً تظنهم قياماً ، وهم قعود ، وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود .

قال ﷺ : « إن الله يبسط يده في الليل لمسيء النهار ، ويبسط يده في النهار لمسيء الليل ، ويقول : هل من تائب . ؟ هل من سائل . ؟ » وقال ﷺ : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » [1] . أو كما قال .

خطبـــة النعت

وبعد أن يؤدي الخطيب الشهادتين والصلاة على رسول الله (ﷺ) وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فيا عبادَ الله ، سلوا الله إصلاحاً وتنظيما ، واعلموا أن الله تعالى ، ولم يزل قائلاً عليماً ، إن الله وملائكته يصلوّن على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً . الصلاة الابراهيمية ، وما شابهها من الصلوات .

ألـــدُّعـاءُ

عبادَ الله ، هذا هو المسجد الأقصى المبارك ، الذي تشدُّ إليه الرِّحال ، يجب علينا أن نؤدي فيه الصلوات الخمسَ ، لأنها تعدلُ كما ورد عنه (ﷺ) خمسمائة صلاة [2] ، وفي رواية خمسين صلاة . وارضَ

---

١ ـــ رواه ابن ماجة عن ابن مسعود وباسناد حسن .

٢ ـــ قال ﷺ في المسجد الحرام مائة ألف صلاة ، وصلاة في مسجدي ألف صلاة ، وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة رواه البيهقي عن جابر باسناد حسن .

اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ، إبي بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وعلي ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، المسلمين والمسلمات ، الأحياءِ منهم والأموات . اللهم ألّف بين قلوب المسلمين ، واجمع بين كلمتهم ، وانصرهم على مَن عاداهم . ونسألكَ اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك وتوفيقك وإسعادك مليكنا المحبوب ، الحسين بن طلال . اللهم وفقه والمسلمين أجمعين لما تحبه وترضاه .

عباد الله ، (**إن الله يأمر بالعدل والإحسانِ ، وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون**) ، وأقم الصلاة، (... **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكرُ الله اكبر، والله يعلم ما تصنعون**) .

* * * * *

* * *

*

الخطبة الثانية :

١٦ ربيع الآخر ١٣٨٠هـ
١٩٦٠/١٠/٧

التحذيرُ من مكر الله وغرسُ الفضيلة في نفوس الأبناءِ

الحمد لله المنعم على عباده بنعمة الإيجاد والإسعاد .. الحمد لله الذي حذّرنا من التفريط والتهاون بتربية البنات والأولاد . أحمده سبحانه حقّ حمده ، وأسأله العناية والرعاية وقول الحقِّ والسَّداد ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، ذلل لنا الصعابَ ، ودعا إلى عمل الخير ، وفعل الصواب ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذي تولاه ربُّه بالعناية والرعاية ، فأدبه ربُّهُ وأحسنَ تأديبه ، وقال له مخاطباً : ﴿ **وانكَ لعلى خُلق عظيم** ﴾ [١] ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم ، الذين بذلوا نفوسهم في مرضاته ، وسمت أخلاقُهم ، ففازوا بالسعادة الأبدية .

أَمَّا بعد ، فيا أيها المؤمنون ، يقول الله جلَّ وعلا : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناسُ والحجارة عليها ملائكة غلاظ شدِاد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ [٢] .

آية من كتاب الله ، فيها البيانُ الشافي ، والعظةُ الحسنة ، والتحذير من اقتراب سخط الله وعذابه .

يأمرنا الله جلت عظمته ، أن نأخذ بالأسباب التي تحفظنا من عذابه ، وتباعدُنا من غضبه ، ذلكَ ذكرى للذاكرين . ﴿ **إنّ في ذلكَ لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾ [٣] .

---

١ — سورة القلم (٤) .
٢ — سورة التحريم (٦) .
٣ — سورة ق (٣٧) .

محبة الذريّة من المشتهيات العادية في الحياة . فتارة تكون ممدوحة مرغباً فيها ، وتارة تكون مذمومة ، والأمورُ بمقاصدها ومآلها وآثارها . فالممدوحة ما تؤول إلى الخير ، وتفضي إلى سعادة المجتمع وبناء العمران . ولهذا رغب ﷺ في نكاح الودود الولود ، وحذّر من زواج العقيم ، فقال : « تزوجوا الولود الودود ، فإني مكاثر بكم الأمم » [1] .

إذن، هناكَ مقصد أسمى من الزواج، وغاية مرجوَّة، إذا ترتب عليها وجود ذريّة طيبة، كما قال تعالى على لسان بعض أنبيائه: ﴿... ، **قال رَبِّ هب لي من لدنك ذريَّة طيبة، إنك سميعُ الدُّعاء**﴾ [2] . وقال على لسان بعض رسله : ﴿... **ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين**﴾ [3] . نعم إذا ترتب على هذه الذرية بناء مجتمع الوارثين، وتكوين أمَّة، وإصلاح أُسرة.

أما الذرّية المذمومة ، فهي ما يؤول أمرها إلى الشرِّ وفساد المجتمع ، وهي نوع من أنواع الزينة والشهوات ، وذلكَ معنى قوله تعالى : ﴿ **زُيِّن للناس حُبُّ الشهوات من النساءِ والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة** ... ﴾ [4] .

الذرية المذمومة ما يؤول أمرها إلى فساد المجتمع بارتكاب المعاصي والمظالم ، وتعدّي الحدود وإشاعةِ الفُرقةِ والفوضى ، والتمسكِ بالإلحاد ، والتزام التخنث والإغراءِ بشتى الأساليب ومختلف الألوان ، وذلكَ مالا يرغب الشرعُ فيه ، فوجود أمثال هذه الذرية وعدمها سواء .

---

١ ــ رواه أبو داود والنسائي في النكاح عن معقل بن يسار .

٢ ــ سورة آل عمران (٣٨) .

٣ ــ سورة الأنبياء (٨٩) .

٤ ــ سورة آل عمران (١٤) .

قد يخطر على بال أحد من الناس الذين لا يأتيهم الأولاد ، أن ذلكَ حرمان لهم من الله ، فقد يكون في الأولاد نعمة ، إذا كانوا على الهُدى سائرين ، وبالصراط المستقيم مستمسكين . ﴿ ... ، **يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاءُ الذكور ، أو يزوجهم ذُكراناً وإناثاً ، ويجعل من يشاءُ عقيماً** ، ... ﴾ [1] .

فإذا كان لكَ أيها المسلم أولاد يزيدون الأمة فساداً وضلالاً ، فبقاؤكَ وحيداً فريداً خيرٌ لكَ من ذريَّة لا تُنهضُ صرحاً ، ولا تبني أُمّة . واجعل أُنسكَ بالله ، والذكر أنيسك ، والفكر جلَيسكَ .

لَمَّا خرج موسى فارّاً من فرعون وقومه ، انتهى إلى مَدْيَنَ على الحال التي ذكر اللهّ تعالى ، وهو وحيد غريب خائف جائع فقال يا ربّ « وحيدٌ مريض غريب » . فناداه ربُّهُ ، وقال له : ﴿ **يا موسى الوحيد من ليس له مثلي أنيس ، والمريض من ليس له مثلي طبيب ، والغريب من ليس بيني وبينه مُعاملة** ﴾ . هذا فالسعيد من كان أُنسُهُ لله ، لا بالولد الذي يظل في حياته سادراً ، غير مكترث بدينه ودُنياه » .

قال عليٌّ رضي الله في معنى قوله تعالى : ﴿ **قوا أنفسكم : الآية** ﴾ . « علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم . وقيل مُروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب المناهي ، وذلكَ قوله تعالى : ﴿ **وأمر أهلكَ بالصلاة واصطبر عليها ، لانسألكَ رزقاً ، نحن نرزقكَ ، والعاقبةُ للتقوى** ﴾ [2] . وفي الحديث : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » [3] . وذلكَ وقاية لكم من النار . وفي الحديث : « إلزموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم » .

---

١ ــ سورة الشورى (٤٩ ــ ٥٠) .

٢ ــ سورة طه (١٣٢) .

٣ ــ رواه الامام أحمد وابو داود والحاكم من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده باسناد حسن .

أيها المسلمون :

الأبناءُ أمانة في أعناق آبائهم وأُمهاتهم ، والبناتُ شقائقُ الأبناء في الأحكام ، يسألون عنهم يوم القيامة .

ينشأ الإنسان في مبدأ أَمره وأيَّام طفولته على فطرة سليمة ونفس صافية تتأثر بالشرِّ كما تتأثر بالخير ، وتنطبع فيها الأخلاقُ الفاسدة كما تنطبع فيها الأخلاقُ الحسنة ، كما ورد عن رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسَّانه » [1] .

أيها المسلمون .

هذا النشءُ الجديد قد انحط من درجات الرفعة والكمال ، إلى سيِّءِ الخصالِ والأفعال . شبابٌ يهيم في حياة عارمة مملوءَة بألوان العبر ، خروج عن الآداب الحكيمة والأعمال المستقيمة ، انخراط في الحزبيّة والإلحاد .

ورد في الحديث : « علّموا أبناءَكم حب نبيكم وحب وطنكم » . فأين هم المحبون لهذا الدين . ؟ فهل يأتي حُبُّ الوطن إلاَّ بعد أن يمتزج حبُّ الله ورسوله بلحمه ودمه . ؟! نعم ، قال سيدنا عليّ كرَّم الله وجهه ، « علموا أولادكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم » . نعم علموهم كل ما يحتاجون إليه من العلوم ، لأن من جهل شيئاً عاداه ، ولكن بعد استكمال محبة الله ورسوله ، والعمل بالشريعة الإسلامية ، ولا بأس أن يتعلم ويضرب في الأرض . ولكن إذا تهذبت نفسه وسمت أخلاقه ، وطابت سريرته ، وتباعد عن إخوان السوءِ ، وجانب المهاترات ومُضلاَّت الفتن .

فعلى المربي أن يكون لأولاده كالطبيب الحاذق ، يعرف كيف يعالج ما وقع فيه بالحكمة والنصح والرشاد .

---

١ ــ متفق عليه .

وإذا كان الوالدان يصونان أولادهم من نار الدنيا فنارُ الآخرة أولى وأحق ، وقودها الناس والحجارة وهم عبدة الأوثان ، والملائكة غلاظ في أقوالهم وأفعالهم ، شدادٌ في أخذهم الوصاة .

رحم الله والداً أعان على برّ ولده ، واستخرج العقوق من نفسه . قال ﷺ : « إن الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيّع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » (١) . وقال ﷺ ، « كلكم راع ومسؤول عن رعيته ، الإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع ومسؤول عن رعيته » (٢) . أو كما قال :

الـــدُّعـــاءُ

اللهم ارض عن أصحاب رسول الله وتابعيهم إلى يوم الدين ، واغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، واللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً ، سخاءً رخاءً ، وسائر بلاد المسلمين . اللهم أيدّ الإسلام والمسلمين ، واعل كلمة الحق والدين ، ونسألكَ اللهم أن تشمل بعنايتكَ وتوفيقكَ وهدايتكَ مليكنا المحبوب الحسين بن طلال ، حفظه الله ورعاه ، وسدَّد خطاه . اللهم اجعله من العاملين بكتابكَ وسنة رسولكَ الأمين سيدنا محمد عليه الصلاةُ والسلام .

﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم ، لعلكم تذكرون** ﴾. أقم الصلاة ، ﴿... **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله اكبر ، والله يعلم ما تصنعون** ﴾ .

---

١ ـــ رواه النسائي وابن حبّان عن أنس .

٢ ـــ متفق عليه .

الخطبة الثالثة :

٣٠ ربيع الآخر ١٣٨٠هـ
١٩٦٠/١٠/٢١

حث الناس على طلب العلم الصحيح وفضله

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان . الحمد لله الذي علَّمَ بالقلم ، عَلَّمَ الإنسان مالم يعلم . الحمد لله الذي جعل العلم طهارةً للنفوس ونوراً للبصائر ، وطريقاً إلى الحق ، وهادياً إلى الجنَّة .

أشهد أن لا إله إلاّ الله ، العالم بالخفيَّات . يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . وأشهدُ أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، بيَّن معالم الدّين ، وهدانا الصراط المستقيم ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه العاملين بشريعته ، السائرين على هديه وطريقته إلى يوم الدين .

أما بعد ، فقد قال الله جلت حكمته ، وعلت عظمته : ﴿ **أفمن يمشي مُكبّاً على وجهه أهدى ، أمن يمشي سويّاً على صراط مستقيم** ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ ...، **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب** ﴾ (٢) .

أيها المسلمون ؛ إن أرضاً لا نتعهدها بالسقي والعناية ، لا تحصد منها إلا الحسرة والندامة ، وإن قلباً لا يسقى بحياة العلم ، لا يمكن أن يكون موطناً للطهارة والعبادة ، ولا مغرساً للأخلاق الفاضلة والسعادة ، فكما أن طب الأشباح شفاء للأجسام ، كذلك طب الأرواح ، وهو العلم النافع شفاء للنفوس ، وتهذيبٌ للأخلاق . فالعلم طب النفوس وحياتها ، وعزها وعلوها ، ومن لا علم عنده ، لا خير فيه .

---

١ ــ سورة المُلْك (٢٢) .
٢ ــ سورة الزمر (٩) .

أيها المسلمون . إن الله تعالى يقول : ﴿ ...، **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ،... ﴾[١] . بالعلم النافع كمال الإنسان . بالعلم ساد من ساد ، وارتفع من ارتفع . ﴿ ... **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ،... ﴾[٢].

وبالجهل دكت معالم أُمم وصروح ، وخربت بيوت .

أيها المسلم فما بالكَ لا تتعظ ولا تعتبر . لقد أعرض المسلمون عن تلقي العلم الشرعي الصحيح مخافة العيلة والفقر . ومتى كان المال كافياً لإسعاد جاهل بربه ، لا يعرف من الحياة شيئاً . ؟! ومتى كان العلم يضير صاحبه ، ولو كان فقيراً . ؟! فلله درُّ الزمخشري محمود رضي الله عنه ، إذ قال : « ما يخفض المرءُ عدمه ويتمه ، إذا رفعه دينه وعلمه ، ولا يرفعه ماله وأهله إذا خفضه فجوره وجهله » .

أيها الإنسان العاقل :

إن رسول الله ﷺ يقول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » [٣] ، ويقول : « لأن أغدوَ فأتعلم مسألة أو باباً من العلم خير من الدنيا وما فيها » [٤] . ولكن ليس المقصود من العلم أن ينطلق لسانك ، ويظهر بيانكَ ، أو تقوى حجتك . فقد قال ﷺ : « العلم علمان ؛ علم في القلب ، فذاكَ العلم النافع ، وعلم على اللسان ، فذاكَ حجة الله على ابن آدم » [٥] . رواه الحافظ . قال ﷺ « إنّ الله يبغض

---

١ ـــ سورة فاطر (٢٨) .

٢ ـــ سورة المجادلة (١١) .

٣ ـــ رواه أنس وابو سعيد وابن مسعود وعلي بسند رجاله ثقات قاله البخاري .

٤ ـــ لم أجده بهذا اللفظ ، ولفظه : لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة .

٥ ـــ رواه ابن ابي شيبة والخطيب والترمذي وابن عبد البر عن جابر باسناد صحيح .

كل عالم بالدنيا ، جاهل بالآخرة »[1] . مَرَّ أبو هريرة بسوق المدينة ، فوقف عليها ، فقال : « علموا أولادكم يا أهل السوق ، ما أعجزكم ؟ قالوا : وما ذاك يا أبا هريرة ؟ قال : ذاكَ ميراث رسول الله ﷺ ، يقسم وأنتم هاهنا ، ألا تذهبون فتأخذوا نصيبكم منه ؟ قالوا : وأين هو ؟ قال : في المسجد . فخرجوا سراعاً . ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا ، فقال لهم ، مالكم . ؟ فقالوا : يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئاً يقسم . فقال لهم أبو هريرة ، وما رأيتم في المسجد أحداً ؟ قالوا : بلى ، رأينا قوماً يصلون ، وقوماً يقرأون القرآن ، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام . فقال لهم أبو هريرة : « ويحكم فذاك ميراث محمد ﷺ »[2] .

وقال أبو هريرة : « لأن أجلس ساعة فأفقه أحبّ إليَّ من أن أُحيي ليلة القدر » . وقال ﷺ : « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد »[3] . وقال سيدنا علي كرَّم الله وجهه ، « ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا ، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا » . وقال عَليّ كرم الله وجهه : « عَلمِّوا أولادكم فإنهم خلقوا لزمانٍ غير زمانكم » . نعم علموهم العلوم الكونية والإجتماعية والطبيعية والرياضية . علموهم اللغات :

حفظ اللغاتِ علينـــا فرضٌ كفـــرض الصـــلاةِ
فليس يحفـــظ ديـــن إلاَّ بحفـــظ اللغـــاتِ

١ ــ رواه الحاكم في تاريخه عن أبي هريرة .

٢ ــ رواه الطبراني باسناد حسن .

٣ ــ رواه الترمذي وابن ماجة عن ابن عباس بسند ضعيف .

وفي الحديث ، « من تعلم لغة قوم ، أمِنَ مكرهم » . نعم علموهم ، ولكن ليس معنى ذلك أن ينصرفوا بالكلية إلى تعلم العلوم ، ويحصروا اهتمامهم فيها ، ويتركوا العلوم الشرعية جانباً . قال تعالى : ﴿ ...، **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ (١) .

إن الله طالب العلماءَ أن يعلموا الناس أن يتعلموا من العلماء . والرسول ﷺ يقول : « العالم والمتعلم شريكان في الخير ، ولا خير في سائر الناس » (٢) .

فهل عمل العلماء بقوله تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أُمَّةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون** ﴾ (٣).

إن الأمم المتحضرة اليوم قامت بشتى العلوم والمعارف ، فسادت غيرها من الأمم ، فقضت على مرضين فتاكين ؛ الجهل والفقر ، فأحيت آمال شعوبها ، وأغرقتها في موارد ومصادر ذات شأن وقدر وخطر .

هذا ، وإننا اليوم بين معسكرين عظيمين لهما خطرهما ، ويحسب لهما الحساب ، يتصارعان على البقاء ، وكل معسكر يعدُّ للآخر من وسائل الهدم والتدمير والتخريب ، ما يهزُّ العالم هَزّاً ويجعله يضطرب اضطراباً (٤).

فلو أن هذه العلوم بذلت في رقي الأمم وحضارتها وبقائها ، تعمل للحياة كأنها تعيش أبداً ، وتعمل للآخرة كأنها تموتُ غداً ، لكان ذلك أجدى وأنفع للأمم .

---

١ ـــ سورة التوبة (١٢٢) .

٢ ـــ رواه الطبراني باسناد حسن عن أبي الدرداء .

٣ ـــ سورة آل عمران (١٠٤) .

٤ ـــ كان هذا قبل انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين ، وتبعيَّة المعسكر الشرقي إلى الغرب ، وطلب الاتحاد السوفياتي المساعدة من أميركا والدول الصناعية الغربية . المدقق .

ورد أن الواعِظ إذا أراد أن يعظ قال له ملكَ : « عظ نفسك بما تعظ به أخاكَ ، وإلا فاستحيي من سيدك فإنه يراك » .

قال تعالى استدلالاً على فضل العلم : ﴿ **شهد اللهُ أنه لا إله إلا هو والملائكة وألو العلم قائماً بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم** ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ **...، والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾[2] . أولو العلم ، الذين صاحبوا العلم ولزموه ، واتجهوا إلى المعاني الروحية ، ولم يخلطوا بالمعاني العلمية الرغائب المادية ، ولم يجعلوا العلم مطيِّة للأهواء والمآرب الماديّة . فهاتان صفتان لازمتان للعلماء . أوهما خاصتان من خواص العلماء . وهما : الإخلاص ، والإنصراف التام لطلب الحقائق العلمية بألاّ يجعل العلم طريقاً للمنافع الذاتية الآثمة . ولذلك قال ﷺ : « العلماء أُمناءُ الله على خلقه » [3] . وقال فيهم : « العلماء ورثة الأنبياء » [4] . يحبهم أهلُ السماء ، ويستغفر لهم الطير في جو السماء ، وحيتان البحر . فإن لم يكن العالم من هذا النوع ، يخشى أن يكون ممن قال فيهم الرسول : « أخوف ما أخاف على أمتي ، رجل منافق عليم اللسان » [5] غير حكيم القلب ، يغيرُّهم بفصاحته .

فالعالم بعلم الكواكب يزداد إيمانه بالله ، وتستقيم عقيدته . والعالم بالفسيولوجيا ــ علم تشريح الأعضاء ــ يزداد إيمانه بالصانع الحكيم .

---

١ ــ سورة آل عمران (١٨) .

٢ ــ سورة آل عمران (٧) .

٣ ــ ابن عساكر في التاريخ عن أنس وقال العامري في شرح الشهاب حسن .

٤ ــ ابن النجار في تاريخه عن أنس وابو نعيم والديلمي .

٥ ــ لابن عدي والطبراني والامام أحمد .

والعالم بالجيولوجيا ــ علم طبقات الأرض ــ يزداد إيمانه بما فيها من معادن ومياه وكنوز ، وغازات وبترول ، وغير ذلك . والعالم بعلم النبات يزداد إيمانه بالزهرة وتطوُّرها وعجائب تكوينها ، وتمتلئُ نفسه رهبة وجلالاً لمَنْ أبدعها ، وهيبة وإكباراً لمن صنعها .

﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم ، أفلا تبصرون ﴾[1] . نعم . إن له في كل شيءٍ آية تدل على وحدانيته وعظمته .

أيا عجباً كيف يعصى الإله — أم كيف يجحده الجاحدُ .!
وفي كل شيءٍ له آيـــــةٌ — تدلُّ على أنه الواحـــــدُ
ولله فـــي كـــل تحريكـــةٍ — وتسكينـــة في الورى شاهدُ

﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ... ﴾[2] .

قال ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي »[3] .

إن طلب العلم أصبح بضاعة كاسدة ، ليس له راغب ، ولا خاطب ، بل صار عاراً على الولد ووالديه . فإذا رغب في العلم خوفاه من النتائج ، ووضعا له الأشواك والحواجز . والناس أيضاً ينفرونه من طلب العلم ، ويعتبرون أن طلب العلم ضياع وقت وذهاب فائدة . ويزعمون أنهم له ناصحون ، أما تعلم أيها الضار في ثوب الناصح أنك

---

١ ــ الذاريات (٢٠ ــ ٢١) .

٢ ــ سورة آل عمران (١٩٠ ــ ١٩١) .

٣ ــ رواه البخاري .

هادم لدينك ، غاشٌّ لأمتك وبني قومك . والرسول ﷺ يقول : « من غشنا فليس منّا »[1] . واعلم أيها الوالد أنك هادم لدين الإسلام ، صادٌّ لولدك عن طريق الرحمن . وما ذاك إلاَّ من ضعف إيمانك ، وعدم ثقتك بربك الذي خلقك ، وهداك ، وفي كل طرفه عين بِرُّهُ يغشاك .

ولقد قام جلالة الملك المفدّى في هذا البلد بمساعٍ محمودةٍ ، فقوىّ النواحي العلمية ، ودعا إلى محاربة الجهل والفقر . إن العلم لا يناله كل إنسان إلا من أُعطي العقل الوافر ، والذكاء الباهر ، وادركته العناية الإلهية والتوفيق ، وحفظ من وسوسة قطّاع الطريق . فهي مرتبة تلي مرتبة الأنبياءِ والرسل ، إذ هم عنهم نوّابٌ ورؤَساء . كيف تصف طلاب العلم بالخمول والكسل ، وأنت لا تعرف قدر العلم والعمل به . ؟! وقد قال بعض الحكماء لابنه : « يا بني إنتق من كل علم أحسنه ، فإن من جهل شيئاً عاداه » .

قال سيدنا عمر رضي الله عنه : « إن الرجل ليخرج من منزله ، وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة ، فإذا سمع العلم ، خاف واسترجع من ذنوبه ، فيرجع إلى منزله ، فلا تفارقه مجالسُ العلماء » . قال ﷺ : « أفضل الأعمال على ظهر الأرض ثلاثة ؛ طلب العلم ، والجهاد ، وكسب الحلال » . وعن عيسى بن مريم عليهما السَّلام : « ماذا يغني عن الأعمى حملُ السّراج ، ويستضيءُ به غيره . ؟! » . قال (ﷺ) : « إن العجب ليحبط عمل سبعين سنة »[2] ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » . قال تعالى لنبيِّه وحبيبه : ﴿ **وقل ربّ زدني علماً** ﴾[3] .

---

١ ــ رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود .

٢ ــ رواه الديلمي عن الحسين بن علي .

٣ ــ سورة طه .

وقال ﷺ : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهَّلَ الله له طريقاً إلى الجنة [1] . أو كما قال :

ألــــدُّعـــاءُ

اللهم ارفع مقتك وغضبكَ عنّا . اللهم لا تقبلنا بغضبك . اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً . اللهم ثبت أقدامنا يا مُقلِّبَ القلوب ، ثبت قلوبنا على دينك . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وألف بين قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، واجمع بين كلمتهم يا رب العالمين .

ونسألك اللهم يا ربنا أن تشمل بعنايتك ورعايتك مليكنا المحبوب الحسين بن طلال ملك المملكة . اللهم أره الحق حقّاً ، وارزقه اتباعه ، وأره الباطل باطلاً وارزقه اجتنابه ، وجنبه آفات الدنيا والآخرة ... عباد الله .

* * * * *
* * *
*

١ ــ رواه مسلم ولكن بلفظ من سلك طريقا يطلب فيه علماً . والحديث باللفظ المذكور من رواية الترمذي باسناد حسن .

أَلخطبة الرابعة :

١٥ جمادى الأولى ١٣٨٠ هـ

١٩٦٠/١١/٤

(اليأس والإيمان لا يجتمعان)

الحمد لله المنعم على عباده بنعم لا تحصى ، وأيادٍ لا تستقصى ، الحمد لله القائل في كتابه : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾[١] . أشهد أن لا إله إلا الله المتفضلُ على عباده بنعمه المتوالية ، القائل في كتابه ﴿ **إنه لا ييأس من روْح الله إلا القوم الكافرون** ﴾[٢] . وهو القائل في كتابه ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾[٣] ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي حذرنا من اليأس والقنوط ، ورغَّبَنَا في الخير ، والسعي فيه ، إذ يقول : « **وسارعوا الى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والأرض أُعدَّت للمتقين** »[٤] ، وعلى آله وصحبه الذين لجأوا إلى الله في شدائدهم ، ففازوا بالعزة والكرامة . اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه المقربين .

أما بعد .. فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ **قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوْرا ، فمن يأتيكم بماء معين** ﴾[٥] .

---

١ ــ سورة ابراهيم (٣٤) .

٢ ــ سورة يوسف (٨٧) .

٣ ــ سورة الزمر (٥٣) .

٤ ــ سورة آل عمران (١٣٣) .

٥ ــ سورة الملك (٣٠) .

أيها الناس إن ربكم يقول : ﴿ **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[1] .

فلم تعجبون من تأخير غيث الله ورحمته عنكم ؟! وقد نسيتم ربكم وخالقكم الذي أمدكم بمال وبنين ، ورزقكم من الخيرات والطيبات مالم تكونوا تعلمون ، ﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي انفسكم أفلا تبصرون** ﴾[2] .

نظر ذلك الأعرابي إلى جبال فيها أشجار ونبات ومياه إلى ظلم الليل ، وما فيها من أقمار وكواكب ونجوم ، فاهتاجت نفسه ، وقال :

هاج للقلب من هواهُ ادكـار
وليـالٍ خلالَهُـنَّ نهـار
ونجـوم تلوح في جُنْـح ليـلٍ
مشرقـات وفي الدجـى أقمار
وجبـالٌ شوامـخ راسيـات
وعيـون مياهـهـن غـزار
والذي قلـت دل على الله
ونفـوسٍ لهـا هدى واعتبـار

قال تعالى : ﴿ **فاذكروني أذكرْكم ، واشكروا لي ، ولا تكفرون** ﴾[3] . عندما أنكر المشركون نزول الماء من السماء ، ونسبوا ذلك إلى طبيعة عادية مضللة ومقاييس وهمية قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ **قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً ، فمن يأتيكم بماء معين** . ؟ ﴾ كان الله تعالى يقول لهم في سورة من قرآنه ، هي سورة (المُلْك) اخبروني ماذا

---

١ ـــ سورة غافر (٥٧) .
٢ ـــ سورة الذاريات (٢٠ ـــ ٢١) .
٣ ـــ سورة البقرة (١٥٢) .

تفعلون لو أصبح ماؤكم غائراً في الأرض ولم تجر العيون والانهار فماذا تفعلون ؟ نعم إن العلم الحديث اليوم يأتي كل يوم بجديد . ولقد ثبت أن علماء الجيولوجيا يبحثون في الأرض طبقة بعد طبقة ليصلوا إلى إخراج الماء ، ولكنهم قرروا أن الينابيع تتفجر من مياه الأمطار ، مياه السماء ، فبضعفها تضعُف الينابيع ، وبقوتها تقوى وتزداد . قال تعالى : ﴿ **أفرأيتم الماء الذي تشربون ، أأنتم انزلتموه من المُزْن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناهُ أُجاجاً فلولا تشكرون** ﴾[1] .

﴿ **مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾[2] . انظروا إلى اثار رحمة الله ، وبديع حِكَمِهِ ، كيف يُنزلُ الغيث من بعد قنوط ويأس على ماهم فيه من عصيان ومخالفة وارجعوا إلى ربكم ﴿ **فقلت استغفروا ربكم ، إنه كان غفَّارا . يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم انهاراً** ﴾[3] . قال تعالى ﴿ **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد** ﴾[4] . ﴿ **وإذ تأذَّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد** ﴾[5] .

أيها المسلمون :

لقد قام محمد ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله وتوحيده ، والقيام بشكره ، وأنه هو المنعم المتفضل . دعاهم إلى إفراد المعبود بالعبادة ذاتها (صفات وأفعالاً) . حذَّرَ الناس من زعزعة العقيدة . دعاهم إلى تثبيت العقيدة الحقة في نفوسهم . حذرهم من الفرقة والاختلاف ، وقد امتثل

---

١ ـــ سورة الواقعة (٦٨ و ٦٩ و ٧٠) .
٢ ـــ سورة الرحمن (١٩ ـــ ٢٠ ـــ ٢١) .
٣ ـــ سورة نوح (١٠ ـــ ١١ ـــ ١٢) .
٤ ـــ سورة الشورى (٢٨) .
٥ ـــ سورة ابراهيم (٧) .

أمر ربه عندما قال له ﴿ ...، **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ،... ﴾[1] . حذر الناس من اليأس والقنوط ، لأن اليأس والإيمان ضدان لا يجتمعان ، كما أن الرحمة والقسوة ضدان لا يجتمعان . فقد أمرنا ﷺ بالتراحم « إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »[2] وفي الحديث القدسي « إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي » .

إذا رجع الناس عن ضلالهم وعصيانهم وفسوقهم ، رقَّق قلوب حكامهم عليهم ، فأنزل رحمته عليهم . قال تعالى ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سُجَّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ... ﴾[3] .

إننا في زمن قلت فيه النصفة ، وضعفت فيه الألفة ، وانحلت عرى المحبة والوئام ، بسبب الفجور والعصيان والخصام . لقد دعانا الإسلام من أول نشأته وبروزه من جبال فاران إلى توحيد الكلمة ، وجمع الصفوف ، رُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى في يد ولده بطيخة ، أيام أصاب الناس قحط من قلة المطر فقال يا ابن أمير المؤمنين أتأكلها . بخ بخ أتأكلها وأمة محمد هزلى حتى صارت الأرض سوداء . ومن ذلك سمى عام الرَّمادة أمام أعدائنا الماكرين ﴿ ... **وَدَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** ... ﴾[4] .

---

١ ـــ سورة الانفال (٤٦) .

٢ ـــ الامام أحمد والترمذي والحاكم وابو داود عن ابن عمر وقال الترمذي حسن صحيح .

٣ ـــ سورة الفتح (٢٩) .

٤ ـــ سورة النساء (١٠٢) .

فما بالنا بالقرآن لا نتعظ ؟ وبالعبر الجارية لا نعتبر ؟ ﴿ **ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ...** ﴾[1] . نحن في الضفتين إخوة ، كما قال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة ...** ﴾[2] وفي كل بلد من البلاد الشقيقة إخوة ، ولا يجوز أن نكون مختلفين ولا متنافرين ، ولا متباغضين . ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون** ﴾[3] .

قال ﷺ : « التحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير ، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله ، والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب »[4] . وقال ﷺ : « يد الله على الجماعة » ، أو « مع الجماعة »[5] .

الدعاء للصحابة والتابعين والمؤمنين ونسألك اللهم ان تشمل برعايتك الصمدانية ملك المملكة الأردنية الهاشمية الحسين بن طلال أعزه الله وأدامه . اللهم انصره وانصر جيشه وجيوش العرب والمسلمين العاملين في برك وبحرك .

عباد الله « **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون . أقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون** » .

---

١ ــ سورة الحديد (١٦) .
٢ ــ سورة الحجرات (١٠) .
٣ ــ سورة النحل (١٢٨) .
٤ ــ رواه البيهقي عن النعمان بن بشير .
٥ ــ رواه الترمذي عن ابن عباس .

الخطبة الخامسة :

٣٠ جمادى الأولى ١٣٨٠هـ
١٩٦٠/١١/١٨

(صفات المؤمنين الصادقين)

الحمد لله الرؤوف الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة ، فقال : ﴿ ... **ورحمتي وسعت كل شيء** ... ﴾[١] . أشهد أن لا إله إلا الله شهادة مدخرة ليومٍ لا رَيْبَ فيه . الذي خلق كل شيء فقدَّره تقديرا ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذي نهانا عن احتكار أقوات المسلمين ، ومصالِحهم العامة النافعة ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين الذين امتلأت قلوبهم بعرفان ربهم ، رحمة ، ورأفة ، وإيمانا . اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن سار على نهجه القويم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد ، فيا أيها المسلمون ، قال الله تعالى وبقوله يهتدي المهتدون . ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم رُكَّعاً سُجَّداً ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً** ... ﴾ من سورة الفتح ، الآية (٢٩) .

هذه بعض صفات رسول الله ﷺ وأصحابه . كانوا غِلاظاً شِداداً على الكافرين ، يتراحمون فيما بينهم ، كبيرهم يرحم صغيرهم ، وصغيرهم يوقّر كبيرهم . كما قال ﷺ ، « ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ، ويأمرْ بالمعروف ، وينه عن المنكر »[٢] .

ومن بعض صفات محمد وأصحابه أنك كنت إذا ما أردت أن تعرف حالهم تراهم محافظين على الصلوات والعبادات ، لا يريدون من وراء ذلك إلاّ أجراً وثوابا .

---

١ ــ الأعراف : (١٥٦) .
٢ ــ رواه احمد والترمذي واسناده حسن صحيح عن ابن عباس .

أيها المسلم ..

من الرحمة بالناس تسهيل البيع والشراء على نفوسهم ، وتذليل الصعاب أمامهم ، وتيسير معايشهم ، كما قال ﷺ : « من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه بها كربة من كرب القيامة ، ومن يسرَّ على معسر ، يسرَّ الله أمره في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، ومن تتبع عورة أخيه تبع الله عورته »[1] وقال عليه السلام : « من نظر إلى أخيه على شوق ، فكأنما اعتكف في مسجدي هذا »[2] . ويقول ﷺ : « لا يدخل الجنة إلا رحيم »[3] قالوا يا رسول الله : « كلنا رحيم » . قال : « ليس رحمة أحدكم أن يرحم نفسه وأهل بيته ، إنما الرحمة أن يرحم الناس » .

فينبغي أن تكون الرحمة للناس جميعاً ، الا لمن قاتلنا من عدو ماكر يتربص بالمسلمين الدوائر . ﴿ ... **ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم ، فيميلون عليكم ميلة واحدة ...** ﴾[4] .

ينبغي أن تكون الرحمة لبني الإنسان والحيوان ، فالإسلام جاء بالرفق بالحيوان قبل أربعة عشر قرنا . فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال : « دخلت امرأة النار في هرَّة (أي بسبب هرة) لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض »[5] .

وقد شكر الله رجلا كان يشرب من بئر فجاءه كلب يلهث ، فنزع خفه وملأه ماءً فسقاه منه . وهكذا ..

---

١ ــ متفق عليه .

٢ ــ لم اجده هكذا ، وإنما من نظر إلى أخيه نظرة ود غفر الله له رواه الترمذي والطبراني بزيادة من نظر إلى أخيه نظر مودة لم يكن في قلبه إحنة لم يطرف حتى يغفر له ما تقدم من ذنبه .

٣ ــ البيهقي عن أنس بدون الزيادة المذكورة .

٤ ــ سورة النساء (١٠٢) .

٥ ــ متفق عليه .

نعم لا رحمة في الحدود والعقوبات لمن ارتكبها ، أو سعى في إخلال الأمن والإستقرار ، ولمن سعى في الأرض فسادا . لأن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴿ **تلك الدار الأخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلُوّاً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين** ﴾[1] قال تعالى لنبيه ﴿ **... واغلظ عليهم ...** ﴾[2] .

فقد ورد عن رسول الله ﷺ ، « لا شفاعة في حد من حدود الله ، والله لو أن فاطمة بنت محمدسرقت لقطعت يدها »[3] . وقال تعالى ﴿ **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة (أي رحمة) في دين الله ...** ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله ...** ﴾[5] وقال : ﴿ **ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب ...** ﴾[6] .

وكذلك الوالدون والوالدات يطلب منهم تربية أبنائهم ، ولو احتاج الأمر إلى معاقبتهم بالضرب البسيط . وكذلك التلميذ الذي لا يستفيد من الموعظة الحسنة ولا من الإرشاد ، فإنه يعاقب بما يستحقه ويناسبه لئلا يستخف بأستاذه ، وتضيع فائدته .

---

١ ـــ سورة القصص (٨٣) .

٢ ـــ سورة التحريم (٩) .

٣ ـــ الحديث في الصحيحين ولكنه في غير لفظه : أتشفع في حد من حدود الله ، والذي نفس بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

٤ ـــ سورة النور (٢) .

٥ ـــ سورة المائدة (٣٨) .

٦ ـــ سورة البقرة (١٧٩) .

أيها التجار المحتكرون أقوات الناس ، يقول ﷺ : (من احتكر طعاماً أربعين يوماً ، فقد برىء من الله ، وبرىء الله منه)[1] . ويقول عليه السلام « الجالب (أي البائع) مرزوق ، والمحتكر ملعون »[2] . ويقول عليه الصلاة والسلام : « من احتكر طعاماً أربعين يوماً ضربه الله بالجذام والإفلاس »[3] ويقول « التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة »[4].

أيها الناس :

الاحتكار في السلع والبضائع جمعها في أيام الرخاء ، وبيعها في أيام الشدة واللأواء . والرسول ﷺ يقول : « تعرف إلى الله في الرخاء ، يعرفك في الشدة »[5] . ومن الناس من يحتكر مصالح الناس ، فيستغل بساطتهم ، وذلك من أناس هم أدعياء الوطنية ، والوطنية إيمان . وحب الوطن من الإيمان .

أيها الناس : إن ربكم لا تخفى عليه خافية . وإن عدونا الماكر يستعد للجولة القادمة ﴿ ... **وضربت عليهم الذلة والمسكنة** ... ﴾[6] وجيشُنا واقف على خطوط النار رمية حجر ، على خط طوله نحو (٦٥٠) كيلو متراً ، والعدو محيط بنا من كل جانب . أما آنَ لِلَّذين يشغلون أنفسهم بترويج الإشاعات أن يرجعوا ويفكروا في مستقبل العرب والمسلمين ؟!. أما آن لنا أن ننبذ كل خلاف ، ونتماسك ونكون على قلب رجل واحد ؟! .

---

١ ــ رواه احمد وابو يعلى والبزار والطبراني بسند ضعيف ولكنه يتقوى بتعدد طرقه .
٢ ــ رواه الحاكم وصححه .
٣ ــ رواه احمد وابن ماجة عن عمر .
٤ ــ رواه الأصبهاني في ترغيبه عن انس بن مالك .
٥ ــ رواه أبو القاسم ابن بشران في أماليه حسن غريب .
٦ ــ سورة البقرة (٦١) .

اتقوا الله ، فقد ورد في الحديث القدسي « إن كنتم تريدون رحمتي ، فارحموا خلقي » ويقول ﷺ « الدنيا حلوة خضرة ، والله مستخلفكم فيها ، فناظر كيف تعملون بها »[1] .

مالكم تحتكرون أيها التجار طعام الناس ، لتستغلوا فرص الغلاء أيام الشدة والبلاء .؟!. فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يرى ولده عبدالله يأكل بطيخة والناس في قحط وشدة ، ويقول له يا ابن أمير المؤمنين « بخٍ بخٍ ، أما تستحي أن تأكلها وأمة محمد هزلى » . أين أنتم من ماضي عزكم وسالف مجدكم .؟. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وهذا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من آل بيت رسول الله ، وقد قال الله في حقهم ﴿ ... **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ... ﴾[2] فآل البيت هم الذين قال فيهم سيِّدهم رسول الله ﷺ « آل بيتي أمان لأهل الأرض ، كما أن النجوم أمان لأهل السماء »[3] .

وهم كما قيل فيهم :

آل بيت الرحمن لولا جدكـم   في الكـون لم يظهر عليه جمـال

من أين يوجد في الأنام كجدكم   ونظيره في العالميـن محـال

---

١ ـــ رواه مسلم بزيادة : فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء ١ . هـ .

٢ ـــ سورة الشورىٰ (٢٣) .

٣ ـــ لم أجده هكذا وانما يوجد طرق كثيرة أخرى منها : أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي وقوله : ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله لا ينفع قومه يوم القيامة ، بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة وإني أيها الناس فرط لكم على الحوض رواهما البيهقي في كتاب الاعتقاد .

هذا علي بن أبي طالب افتدى رسول الله بنفسه يوم الهجرة ، فنزل في حقه قرآن فقال في حقه : ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ...** ﴾[1] . لقد كان ﷺ ، يمشي مع الأرملة والمسكين ويعينهما .

غياث اليتامى عصمة للأرامل

أيها المسلمون : ينبغي للمسلم أن يكون رحيماً بالمسلمين . متفقداً أحوالهم ، مُشفقاً عليهم ، وعلى هذا كان المسلمون الأولون .

مولاي الرسول الكريم سيدي رسولَ الله . هذه أمتك تركتها أمة واحدة فتفرقت ، تركتها على كلمة واحدة ، فتمزقت ، يكيد بعضها لبعض . تالله لو كنت فينا لأنكرتنا من سوءِ أفعالنا .

أما الخيام فإنهـــا كخيامهـــا وأرى نساء الحـــي غير نسائها

هكذا كان المسلمون الأولون كما قال تعالى : ﴿ ... **أشداء على الكفار رحماء بينهم ...** ﴾[2] وذلك من أعظم الأسباب التي دعت لانتشار الإسلام بتلك السرعة الغريبة ودخل الناس في دين الله أفواجاً لأن السالفين أحسنوا تمثيل الدين على حقيقة ، وتصويره للمخالفين بأجمل صورة ، قولاً وعملاً فانقاد الناس إلى دين الله طوعا واختياراً حتى عم الإسلام سائر أرجاء المسكونة .

أيها المسلمون :

انظروا كيف ذكر الله الرحمة في فاتحة كتابه أربع مرات ، ﴿ **بسم الله الرحمٰن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمٰن الرحيم** ﴾ ليتذكر الإنسان الرحمن عند مناجاته لربه .

---

١ ــ سورة البقرة (٢٠٧) .

٢ ــ سورة الفتح (٢٩) .

وجاء في الحديث القدسي فيما روى عن الحق سبحانه وتعالى أنه قال : ﴿ **يا عبادي إني حرَّمْتُ الظُّلْمَ على نفسي ، وجعلته بينكم مُحَرّماً فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديتُهُ ، فاستهدوني أهدِكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عارٍ إلاّ منْ كسوتُه ، فاستكسوني أكسُكم** ﴾ . إلى أن قال : ﴿ **يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيّكم إياها ، فمن وُهِبَ خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه** ﴾[1] أو كما قال :

أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

الدعـــاء

الدعاء للمؤمنين والمؤمنات وأصحاب رسول الله والتابعين .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك الخاضع لعزتك وهدايتك ، مليكنا المحبوب الحسين بن طلال ، ملك المملكة الأردنية الهاشمية ، اللهم انصره ، وانصر جيشه ، وأَيِّدْ ملكه ، وسَدِّدْ خُطاه .

عباد الله « **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ وينهى عن الفحشاء والمنكر**) (وأقم الصلاة . يعظكم لعلكم تذكرون) (**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**) .

والحمد لله

---

١ — رواه مسلم .

الخطبة السادسة :

١٤ جمادى الآخرة ١٣٨٠هـ

١٩٦٠/١٢/٢

(الاعتصام بالكتاب والسنة)

الحمد لله المعزِّ لَمَنْ أطاعه ، ألمُذِلِّ لمن خالفه وعصاه . يبيِّنُ للناس سبيل الهداية ، وأزال عن بصائر من شاء من أحبابه حجاب الغشاوة ، أشهد أن لا إله إلا اللهُ ، أمرنا بالدفاع عن أنفسنا كما أمرنا بالمحافظة عليها ، فقال عز شأنه ﴿ ... **ولا تقتلوا أنفسكم ، إنَّ الله كان بكم رحيماً** ﴾[1] ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الآمر بالعدل والإنصاف ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين . اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

أما بعد فيا أيها المسلمون . يقول الله تعالى : ﴿ ... **ومن يعتصمْ بالله فقد هُديَ إلى صراط مستقيم** ﴾[2] . ويقول : ﴿ ... **ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدرا** ﴾[3] .

أيها الناس إن الحياة نعمة من الله على الإنسان ، ولذا قال ﷺ مُرغِّباً في الاستزادة من الحياة ، « خيركم من طال عمرُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ ، وشركم من طال عمرُهُ وساءَ عَمَلُه »[4] .

---

١ ـ سورة النساء (٢٩) .

٢ ـ سورة آل عمران (١٠١) .

٣ ـ سورة الطلاق (٣) .

٤ ـ رواه اصحاب السنن باسناد حسن صحيح وعند الترمذي بلفظ خير الناس .

وقال ﷺ « إذا بلغ المرء من العمر أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فليجهز إلى النار » . فالحياة ميدان عمل وتنافس وحَلَبة جدّ واجتهاد والسيرة الطيبة وفيها يكون بناء السمعة الحسنة والله تعالى يقول : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾[1] ، فما أجمل الحياة إذا عرف الانسان كيف يستعملها وكيف يغتنم فرص الطاعة فيها والحياة كما قيل « قليل » صفاؤها ، عزيز دفاؤها مشوبة « بالأكدار » . ولكنَّ الله سبحانه وتعالى وعد الصابرين على مصاعبها أجراً كبيراً . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾[2] وقال : ﴿ **واصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ، ولاتك في ضِيقْ مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقْوا والذين هم مُحسنون** ﴾[3] .

إننا في هذا الزمن المر الفاسدِ بأعمال أهله ، نرى أناساً سئموا تكاليف الحياة ، فعمدوا إلى وسائل الانتحار ، إما بالقتل بآلة حادة ، أو بتناول الحبوب والسموم ، أو بأية وسيلة من الوسائل ، ظناً منهم أنهم يستريحون من شدائد الدنيا وكرُباتها . وما علموا أنهم بفعلهم هذا عصَوْا ربهم ، وقتلوا نفساً ، وهدموا كياناً قائماً ، وأزالوا بنية سليمة ، وبتروا عضواً عاملاً في هذا المجتمع .

قال ﷺ : « من تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مُخلَّداً أبداً ، ومن تحسَّى سُمَّاً فقتل نفسه فسُمُّه في يده

---

١ ــ سورة التوبة (١٠٥) .

٢ ــ سورة آل عمران (٢٠٠) .

٣ ــ سورة النحل (١٢٧ ــ ١٢٨) .

يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً »[1] . وقال عليه الصلاة والسلام : « كان فيمن كان قبلكم رجلٌ به جُرحٌ فجزِع فأخذ سكيناً فحزَّ بها يده فما رقأ الدمُ حتى مات » . قال الله تعالى ﴿ **بادرني عبدي بنفسه فحرَّمت عليه الجنة** ﴾[2] .

أين هو الصبر فيكم أيها الشباب ؟ والصبر نصف الإيمان .. كان الواحد من شباب محمد ﷺ ، يعدل عشرة شباب ، ويساوي عشرين رجلا ، أين هو الصبر ؟ والصبر نصف الإيمان . لا تضيقوا بالحياة ذرعاً يا معشر الشباب، فالله معِ الصابرين، ﴿ ... **كم من فئة قليلة غَلَبَتْ فئة كثيرةً بإذن الله ، والله مع الصابرين** ﴾[3] .

إنّك أيها الشاب تنتحر لتتخلّص من الحياة ، وتفرَّ من شدائدها ، والقبر أول منزل من منازل الآخرة ، وما بعده أهون منه . إنك تفر من تكاليف الحياة ، من المرض ، من الضيق ، من العسر ، وعسر القبر وشدائدهُ أدهى وأعظم . تفر من سطوة المخلوق وجبروته ، وسطوة الخالق أعظم وأشد ، فأين المهرب وأين المفر . ؟

يقول ﷺ لابن عباس « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . رُفعت الأقلامُ وجفَّت الصحف »[4] . وفي رواية : « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا »[5] .

---

١ ــ متفق عليه .

٢ ــ البخاري .

٣ ــ سورة البقرة (٢٤٩) .

٤و٥ ــ رواه البيهقي عن ابن عباس في باب الايمان بالقدر .

أيها الناس : إنما كان الانتحار جريمةً وتعدِّياً ، لأنه هدم كيان قائمٍ وعضو عامل ، وبنيةٍ مكوَّنة . وجسم العقيدة عضو من جسم الأمة ، والقتل لا يكون إلا للدفاع عن النفس وحماية الأوطان ، أو لسبب معقول كقصاصٍ ونحوه ، وإلا كان ظُلماً فاضحاً ﴿ ... **ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه** ... ﴾[1] .

أيها المسلم

الإنتحار دليل على ضعف نفس المنتحر وجُبنهِ ، وخَوَرٍ في عزيمته ، وقلَّةِ صبره على مقارعة الخطوب ، ومقاومة صعاب الحياة التي يجب أن تُقابل بالحزم ، والعزم ، ورباطة الجأش ، والثبات ، وقوةِ الإرادة ، حتى يذللها لأمره ، ويُخضِعَها لإرادته .

لأستسهلنَّ الصعب أو أدرك المنى
فما انقادت الأمال إلا لصابـر

أيها المسلمون :

إن الأطباء في الحياة يدأبون ويتعبون ، ليكونوا أعضاءً عاملين في المجتمع ، وليحافظوا على كل عضو من الإنسان ، ليكون سليماً قوياً ، راضياً مرضيّاً ، وما ذلك إلا لأنهم عرفوا قدر الإنسان وقيمة الحياة التي يقوم بعض الجبناء بهدمها لأتفه الأسباب ، وأوهنها . ولقد صارت الأمم المتمدنة تشكو من هذا الداء وتنقم على الفاعلين .

من قال :

« قاتــلُ النفس وإن كانت لــه
أسخطَ اللهَ ولم يُرضِ البشر »

---

١ ــ سورة الطلاق (١) .

قال ﷺ :

« ثلاث يدرك بهن العبد رغائب الدنيا »[1] اللهم كن لنا ولا تكن علينا وانصرنا ولا تنصر علينا وأثرنا ولا تؤثر علينا .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك وتوفيقك ذا الفضل والنوال عبدَك وابنَ عبدك الحسينَ بن طلال . اللهم اكتب له النصر والتوفيق والهداية لأقوم طريق ، وقوِّ بأسه وجيشه ، إنك على ما تشاء قدير . واجبر قلوبنا يا جابر بنصر إخواننا في الجزائر ، والمجاهدين لإعلاء كلمة الله في كل مكان .

عباد الله « **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاءِ ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** » .

أقم الصلاة ، « إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون » .

* * * * *

* * *

*

١ ــ الحديث كاملاً ثلاث يدرك بهن العبد رغائب الدنيا والآخرة الصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والدعاء في الرخاء رواه أبو الشيخ عن عمران بن حصين .

الخطبة السابعة :

٢٧ جمادى الآخرة ١٣٨٠هـ

١٩٦٠/١٢/١٦

(حرب على الدين لا حرب على الوطن)

الحمد لله نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئآت أعمالنا ، « من يهدِ اللهُ فلا مُضلَّ لَهُ ، ومن يُضلل فلا هاديَ له . بيَّنَ لنا طريقه القويم الرشيد ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمعَ وهو شهيد** ﴾[١] .

أشهد أن لا إله إلا الله ، بيده الهداية والتوفيق ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، تركنا على المحجة البيضاء ، والشريعة الواضحة ، وحذَّرنا من الإلحاد والضلال . اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمّي ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، الذين اهتدوا بهديه ، ففازوا بسعادة الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة .

أما بعد ، فقد قال الله تعالى ، وبقوله يهتدي المهتدون ، ﴿ **يا أيُّها الناس اتقوا ربكم . إنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مُرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حَمْلَها ، وترى الناس سُكارى ، وما هم بِسُكارى ، ولكنّ عذاب الله شديد** ﴾[٢] .

وبقوله سبحانه ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين**﴾[٣] .

---

١ ــ سورة ق (٣٧) .

٢ ــ سورة الحج (١ ــ ٢) .

٣ ــ سورة الأنبياء (١٦) .

أيها المسلمون :

أي وضوح ، وأي صراحة ، أوضحُ وأصرح من آيات الله وبيناته ؟ وأي صراحة أقوى وأبلغ من القرآن ﴿ **فبأي حديث بعده يؤمنون** ﴾[1] وبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟!

﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم الحق ، أَو لَمْ يكفِ بربِّكَ أنه على كلِّ شيءٍ شهيد** ﴾ ؟؟[2]

هذا بيان للناس ، بيان لمُنكري البعث ، للملاحدة ذوي المباديء الهدَّامة ، الذين يعرفون نعمة الله ثم يُنكرونَها . يعرفون أن الله خالقهم ورازقهم ، منحهم عقولاً يفكرون بها . إنه يخاطب المُثَّقفين بخطابه ، ويقول ﴿ ... **فذكر بالقرآن من يخافُ وعيد** ﴾[3] . ﴿ **فذكر إن نفعت الذكرى** ﴾[4] .

يقول سبحانه ، يا أيها الناس : وفي ذلك نداء عامٌ شامل لكل من يتأتى الفهم : « إتقوا ربكم ، وخافوا عقابه ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه » ، ﴿ **واتقوا يوماً تُرجعونَ فيه إلى الله** ... ﴾[5] ﴿ **فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً** ﴾[6] .

اتقوا الله يوم تدق ساعة الخطر، وتؤذنُ بنهاية العالم، ﴿**ويوم يَعضُّ الظالم على يديه** ...﴾[7] إن من علامات الساعة وأشراطها زلزلة الساعة، وتحريك العالم واضطرابه ، ﴿**يوم يُنفخ في الصور فتأتون أفواجا**﴾[8].

---

١ ــ سورة المرسلات (٥٠) .
٢ ــ سورة فصلت (٥٣) .
٣ ــ سورة ق (٤٥) .
٤ ــ سورة الاعلى (٩) .
٥ ــ سورة البقرة (٢٨١) .
٦ ــ سورة المزمل (١٧) .
٧ ــ سورة الفرقان (٢٧) .
٨ ــ سورة النبأ (١٨) .

﴿ **يوم ترونها** ﴾ ، أي تلك الزلزلة ﴿ **تذهلُ كُلُّ مُرضعة** ﴾ تنسى كل مرضعة ولدها ، وتضع كل صاحبة حمل حملها . ولا فرق بين ذلك قبل قيام الساعة ، أو بعدها ﴿ **فإذا نُقر في الناقور ، فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين غير يسير** ﴾[1] إنه يوم عسير على ديغول وأعوانه من المستعمرين الذين يُمضون في الجزائر قتلاً وتدميراً وتخريباً .

الله أكبر . ألف قتيل أو يزيد في ساعات قليلة . !

كفاكِ يا فرنسا ست سنوات خلت على الجزائر ، وهي في حرب ضروس مع أعداء الإسلام والمسلمين ، أعداء العرب آجمعين . « دمُ الشُّهداءِ تعرفه فرنسا .. » .

يا لله للمسلمين . يقول ﷺ ، « لو بغى جبل على جبل لَدُكَّ الباغي منهما » فمتى تُدَكُّ فرنسا ، وتزول من عالم الوجود ، ؟ إي وربي لقد تألَّبَ الاستعمار في كل مكان على الإسلام والمسلمين والعرب آجمعين .

حرب على الدين لا حرب على الوطن

ديغول السفاح لا يريد أن تتحرر الجزائر ، لأنها مكان استراتيجي في القارة الافريقية . وكذلك فلسطين مكان استراتيجي في آسيا .

ويل للعرب من شر قد اقترب .

---

١ ــ سورة المدثر (٨ ، ٩ ، ١٠) .

في ذلك اليوم العصيب في يوم الزلزلة تتهاوى القلوبُ ، وتضطرب الأفئدة ، وترى الناس كأنهم سُكارى ، وليسوا بسكارى ، من خمر يغطي عقولهم . إنما هي مقدمات لعذاب الله العظيم الشديد . ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرَّةٍ شراً يره** ﴾[1] .

وهنا نعود فنقول من هم الملحدون والهدامون ؟؟

١ ــ أليسوا منكري البعث والحساب .. ؟

٢ ــ أليسوا تاركي الصلاة وهادميها .. ؟

ألم يقل ﷺ « من أقامها ، فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين » ؟

إذا كنتم تريدون البحث في الشيوعية العالمية ، فقد قال (كارل ماركس) اليهودي ، وتبعه (لينين) صانع الشيوعية اليهودي : « إن الديانة الإسلامية عَلَقة تمتص دم الإنسان » . وقال (كارل ماركس) نفسه (وما الله إلاَّ خرافةٌ انبثقت من الوهم ، وما يسجد الإنسانُ إلا لصفات إنسانية) .

أيها المسلمون :

قولوا بربكم ، أفلا يوجد عندنا بينكم اليوم من ينكرون الصانع العظيم ، وهم يتقلبون في نعمه آناء الليل وأطراف النهار .. ؟؟

٣ ــ أوليست الحفلات الماجنة ، وتعاطي الخمور أم الخبائث قائمة بين شبابكم وشاباتكم .؟ « يقول عليٌّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، « لو أن قطرة من خمر وقعت في بحر لنجَّسته » وقد صرح ماركس بأن الشيوعية إباحية الحادية .

---

١ ــ سورة الزلزلة (٧ ــ ٨) .

٤ ــ إذاً أوليس اختلاط الجنسين في كل مكان من الإباحية .. ؟!

٥ ــ أوليس هذا التبرج الفاضح ، والمبتذل من الإباحية والإلحاد .. ؟!

٦ ــ أوليس البحث في القلوب الحائرة والضائعة ، من الإباحية .. ؟!

٧ ــ ألم يكن ترك الشعائر الدينية في مدارس الذكور والإناث ، من الإباحية مع أن قاضي القضاة ووزير التربية والتعليم عمم ذلك على المدارس كلها ؟!.

كفى يا قوم كفى .

أمور تضحك السفهاء منها
ويبكي من عواقبها اللبيب

متى يبلغ البنيان يوما تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

مولاي الرسول الكريم :

هذه أمتك تدَّعي الإسلام بالقول ، ولا ترضاها إلاَّ عاملة به . تركتها وحدة كاملة ، فتمزقت . تركتها متماسكة فتفرَّقت .

أما الخيام فإنها كخيامها ... وأرى نساء الحي غير نسائها

ولقد صدق علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه ، إذ يقول : « يأتي زمان على الناس لا يبقى فيه من الإسلام الا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه » .

لقد غزا الإستعمار بلاد العرب والمسلمين بخيله ورجاله في كل مكان ، سواء أكان غربياً أم شرقيا . باسم التمدن والتطور والمدنية والترقي ، فأثَّرتْ أخلاقه في أخلاقنا ، وعاداته في عاداتنا ، حتى تركنا ديننا وراء ظهورنا .

معشر العلماء . إنَّ ديننا صريح لا التواء فيه ، ولا مواربة ولا محاباة . فإن كنتم تريدون مقاومة ذوي المبادىء الهدامة ، فلتكن دعوتكم على هذه الأسس الثابتة . ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير مُحضراً وما عملت من سوء ، تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا ...** ﴾(١) قال ﷺ : « كل أمتي مُعافىً إلا المجاهرين بالفسق »(٢) .

أو كما قال :

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

الدعـــاء

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، اللهم لا تقتلنا بغضبك ، اللهم انصرنا فانك خير الناصرين ، وثبت أقدام عبادك المجاهدين وأضرب بسيوفهم رقاب المشركين الباغين . ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك مليك المملكة الأردنية الهاشمية ، الحسين بن طلال ، اللهم انصره نصراً مؤزَّراً ، وانصر جيشه وجيوش المسلمين والعرب ، واجمع بين قلوب المسلمين وكلمتهم .

عبـــاد الله ، « **إن الله يأمـــر بالعـــدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهـــى عـــن الفحشـــاء والمنكـــر والبغـــي ، يعظكـــم لعلـــكم تذكـــرون** » .

وأقم الصلاة « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون » .

---

١ ــ آل عمران (٣٠) .

٢ ــ متفق عليه بغير كلمة الفسق .

الخطبة الثامنة :

١٢ رجب ١٣٨٠هـ

١٩٦٠/١٢/٣٠

(نعم الله على عباده)

الحمد لله المنعم على عباده المخلصين بمحاسن عديدةٍ من محاسن الإسلام . أشهد أن لا إله إلا الله ، أرشدنا إلى كثيرٍ من النعم والفضائل ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله ، قدوة العالمين ، وقائد ركب الأنبياء والمرسلين ، سيد الخلق أجمعين ، أبان لنا من معالم الخيرات ، ونُظُم الحياة ما يكفلُ لنا سعادتي الدُّنيا والآخرة ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، والهداة المصلحين الآخذين بسنته ، السائرين على نهجه القويم ، وهديه المستقيم ، ومن سلك سبيلَهم واقتدى بهم ، إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد قال جلت حكمته : ﴿ **يا أيُّها النَّاسُ ، اذكروا نعمة الله عليكم ، هل من خالقٍ غيرُ الله يرزقكم من السماء والأرض . لا إله إلاَّ هو فأنّى تُؤفكون** ﴾[1] .

أيها الناس :

نداء من السماء لمن في الأرض بأنه لا خالق ولا موجدَ ولا نافع ولا ضار سواه ، فإلى أين تذهبون ؟. ﴿ **وما قَدرُوا الله حقَّ قدره والأرضُ جميعاً قبضتُه يوم القيامة ، والسموات مطويَّاتٌ بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾[2] .

---

١ ــ سورة فاطر (٣) .

٢ ــ الزمر (٦٧) .

لقد بلغت الإنسانية في هذا العصر من التقدم والرقي في الحضارة والمدنية مبلغاً كبيراً ، بيد أنها لم تقابل هذا التقدم المادي ، بتقدُّمٍ ديني روحي يريها حقائق الوجود ، ويفتح أمامها أسرار الحياة ، إننا لا نزال نسمع كلمات الكفر والإلحاد في دين الله ، ممن يَّدعون التقدم والمدنية ، ولا يعلمون أن الكفر بالله أحطُّ درجات الجهل ، وأشد أنواع العمى والضلال . وها هو ذا النداء من خالق السماء ﴿ **ومن الناس من يُجادلُ في الله بغير علمٍ ويتبَّعُ كل شيطان مَريد . كُتِبَ عليه أنه من تولاَّه فأنَّهُ يُضلُّه ...** ﴾[1] .

أيها المنكرون لربهم ، الجاحدون لخالقهم ، ليس إثباتُ وجود الله أمراً صعباً على العقول الكاملة ، ولا بعيداً عن فطرة الإنسان . فالإنسان بطبعه يهتدي إلى ربه ، ما دام سليمَ الفطرة غير متأثر بالأهواء والأغراض . وقد ناقش القرآنُ هؤلاء المُلحدين ، فقال : ﴿ **... أفي الله شَكٌّ . فاطرِ السماوات والأرض ...** ﴾[2] ؟

وكان من محاسن الإسلام أن تحداهم بالدليل القاطع ، والبرهان الساطع الناصع ، فقال أيضاً : ﴿ **أم خُلِقوا من غير شيءٍ ، أمْ هُم الخالقون** ﴾[3]؟ ﴿ **أم خلقوا السموات والأرض...** ﴾[4] حتى أبان لهم في آية غيرها ﴿ **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس...** ﴾[5].

---

١ ــ الحج (٣ ــ ٤) .

٢ ــ ابراهيم (١٠) .

٣و٤ ــ سورة الطور (٣٥ ــ ٣٦) .

٥ ــ سورة غافر (٥٧) .

ولكن الملحدين والجاحدين لا يوقنون ، ولذلك تراهم يصمون الدين الإسلامي بالرجعية والخمول ، زاعمين أن الإسلام حرمهم من حقوقٍ كثيرة ؛ حرمهم من التقدم والارتقاء . زاعمين أيضاً أن الإسلام سلب المرأة حقوقها ، مع أنه رفع من شأنها ، وأعلى مكانتها بين الأمم ، فأجاز لها أن تتلقى العلوم والمعارف النافعة التي فيها صيانة شرفِها وعرضِها وكرامتِها ، جعلها ربّة بيت ، أي سيدة بيت تدير الأمور المنزلية ، وتربي النشء المرتقب ، واجيال المستقبل ، الذين هم دعائم الأمم وأركانها .

ولقد كان مِنْ محاسن الإسلام ، أن قال سبحانه وتعالى : ﴿ **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا** ... ﴾[1] . لتطمئن فيها قلوب الأزواج ، وتقرَّ الأعين ، ﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلاَّ أن يُتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾[2] ، ولو كره الجاحدون والحاقدون .

★ لقد كانت المرأة قبل الإسلام أسيرة الرجل، مُهدَرة الدَّم والكرامة ، تُباعُ وتشترى عند الغربيين ، مثل فرنسا وغيرها . وكان الناس قبل الإسلام في العصور الجاهلية ، كما قال تعالى : ﴿ **وإذا بُشرِّ أحدهم بالأُنثى ظل وجهه مُسوَدّاً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سُوء ما بُشرِّ به** ... ﴾[3] . حتى جاء الإسلام . وأخذ بيدها ، ونشر حمايته عليها فقال ﷺ يوم ولدت له أنثى : « رَيْحانة أشمها ورزقها على الله »[4] وقال : « من كان له ثلاث بنات فأدَّبهُنَّ وأحسن تأديبهن ، وربَّاهُنَّ ، وأحسن تربيتهن ، وأوسع عليهن من نعم الله التي أوسع عليه ، كُنّ له حجاباً وستراً من النار »[5] .

---

١ ــ سورة النحل (٨٠) .

٢ ــ سورة التوبة (٣٢) .

٣ ــ سورة النحل (٥٨ ــ ٥٩) .

٤ ــ ورد ولكن خطاباً بالشخص وليس عن نفسه (ص) قال ريحانه تشمها .

٥ ــ الحديث عند اصحاب السنن ولكن بغير لفظ من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة وعند مسلم من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو هكذا وضمَّ أصبعيه .

ثم قال مذكراً بالنساء وحرمتهن، والعناية بهن، « استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوانٍ عندكم »[1] .

★ ولقد كان من محاسن الإسلام أن حظر على المرأة التبرج للأجنبي ، والسفرَ بغير مَحرم ، ونادى القرآن في وجه الطامعين والملحدين ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَقَرْنَ في بيوتكُنَّ ولا تبرجنَ تبرجَ الجاهلية الأولى ، وأقِمنَ الصلاة ، وآتين الزكاة ، وأطِعنَ الله ورسوله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجسَ أهل البيت، ويطهرَكم تطهيرا** ﴾[2] .

★ والخطابُ عام شامل لكل من يتأتى من العلم والادراك. من أجل هذا قامت قيامة الملاحدة ذوي الجحود ، وسَراة الزَّيغ والبطلان ، وراحوا يكيلون للدين الإسلامي ألواناً من التُّهم ، زاعمين أن الإسلام بهذا البلاغ الإلهي قيدَّ حرية المرأةِ ومنعها من مزاولة أعمالها المشروعةِ في الحياة .

★ أيُّ عدالةٍ تلك أقوى من العدالة الإلهية حين قال جلّ وعلا ﴿ **... ولهُنَّ مثلُ الذي عليهن بالمعروف، وللرجال عليهن درجة ...** ﴾[3] ، والدرجة هي رياسة الرجال على النساءِ، لأن الحياة الزوجية حياة اجتماعية تتطلب قيادة حكيمة لا عاطفية .

---

١ ـــ متفق عليه .

٢ ـــ سورة الأحزاب (٣٣) .

٣ ـــ سورة البقرة (٢٢٨) .

★ أيها الحريصون على دينكم وشرفكم . أيها الآباء . أيتها الأمهات : تداركوا المجتمع قبل انهياره الخلقي ، قبل أن تزِلَّ قدم بعد ثبوتها . تتوالى النُذُر أمام أنظاركم ، وأنتم لا تعلمون ، تظنون أن هذه المظاهر البراقة الخلابة من الحضارة والتمدُّن .

ولقد أنكر هذا الاختلاط المُشين كثير من أساطين البحث وكتاب الغرب ، فهذا (برنارد شو) يقول ، وهو كاتب معروف : « إن أخطر شيء على المجتمع هذه التمثيليات التي أفقدت الشباب والشابات ألبابهم » . وهذا فيلسوف ألماني (شُوبنهور) يقول في رسالته : « ضحايا شرف الأعراض أصبحت أكثر من ضحايا شرف الأوطان » .

شهد الأنام بفضله حتى العدا
والفضل ما شهدت به الأعداء

★ مولاي الرسول الكريم :

★ هذه أمتك تدّعي الإسلام ولا ترضاها إلا عاملةً به، تركتها أمة واحدة فتفرقت ، يكيد بعضها للبعض الأخر ، تركتها وحدة واحدة متماسكة فتجزأت .

★ مولاي الرسول العظيم :

★ إلى متى نبقى سادرين في غِيِّنا وضلالنا ؟ ها هو ذا عدو الإسلام والعرب أجمعين ، هؤلاءِ اليهود الذين قال فيهم الحق سبحانه : ﴿ **... وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ...** ﴾[1] ، هاهم أولاءِ يُهيِّئون الطاقات الذرية ليصبوها حُمماً على رؤوس العرب والمسلمين ، وقد ترك العرب والمسلمون لإسرائيل في خلافاتهم وخصوماتهم فرصة الإعداد والاستعداد ، مع أن الله تعالى يقول : ﴿ **وأعدُّوا لهم ما آستطعتم من قوة ...** ﴾[2].

---

١ ــ سورة البقرة (٦١) .
٢ ــ سورة الأنفال (٦٠) .

وهناك معسكران غربيٌّ وشرقي يتزاحمان ويتسابقان على فناء العالم بأسره ، حرصاً على البقاء الذاتي . أما آن لنا أن نترك الخلافات جانباً ، ونجابه الاعداء ، ونوحِّدَ الجهودَ ، ونبنيَ للمستقبل المجهول المظلم .

كفى واعظاً للمرء أيامُ دهره
تروح له بالواعظات وتفتدي

★ ومن محاسن الإسلام التي امتاز بها عن غيره معالجة الحاكمين وولاة الأمور ، أمور شعوبهم بالحكمة والتوجيه ، والاستماع إلى شكاواهم ، وما يحيط بهم بأنفسهم . ولذا قال ﷺ : « أبلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته ، فمن أبلغ سلطاناً حاجةَ منَ لا يستطيع ابلاغها، ثبتَّ الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة»(١).

ولقد ابتهجت نفوس الشعب الأردني بما نطق به الحسينُ ابن طلال في خُطَبِهِ وتوجيهاته إلى الحكام والقواد . فقد دعا الشعب إلى مقابلته شخصياً في أمورهم ومصالحهم الهامة .

وهذا ولا شك فيه أسوة حسنة وقدوة صالحة بسيد المعلمين رسول الله ﷺ ، فلقد كان الرسول يصغى إلى شكاوى أمته بنفسه ، وذلك دليل على تواضعه . والتواضع أحد مصائد الشرف ، وقال ﷺ « من تواضع لله رفعه »(٢). وقال ﷺ « إذا رأيتم المتواضعين فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين ، فتكبروا عليهم ، فإن ذلك لهم ذِلة وصَغار » .

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعةً
فإن رفيع القوم من يتواضـــــع

---

١ ــ رواه الطبراني عن ابي الدرداء باسناد حسن .

٢ ــ رواه ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة باسناد حسن .

★ وقد ترك الحسين هذه المظاهر والمراسم حرصاً على الأوقات الثمينة الغالية ، ليعمل بجد ونشاط في بناء كيان وطنه وأمته ، وتقوية أواصر الألفة والمحبة بينهم .

★ أيها الحسين : نقولها لك بلسان المحبة والمودة ، لا بلسان النفاق والخداع . لقد عملت ما فيه رضاء الله ورسوله ، فقال تعالى : ﴿ **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** ﴾[1] . فثق بالله ربك وتوكل عليه ففي الحديث « من أراد أن يكون أقوى الناس فليتق الله ، ومن أراد أن يكون أغنى الناس فليتق الله ، ومن أراد أن يكون أعز الناس فليتق الله . وقد قال ﷺ : « من أَحيا سُنَّتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة » أو كما قال .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة الشعراء (٢١٥) .

٢ ــ رواه السَّجْدي عن انس بسند ضعيف .

الخطبة التاسعة :

١٠ شعبان ١٣٨٠هـ

١٩٦١/١/٢٧

(في التأني السلامة)

الحمد لله الذي أمرنا بالتأني في الأمور ونهانا عن العجلة في أقوالنا وأفعالنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله الحليم الكريم ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله الرؤوف الرحيم . اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه السائرين على هديه القويم العاملين بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أيها المسلمون . قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيَّنوا أن تُصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . واعلموا أن فيكم رسولَ الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكنَّ الله حبِّب إليكم الإيمان وزيَّنه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون . فضلاً من الله ونعمةً ، والله عليم حكيم ﴾**[1] .

أيها المسلمون :

نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبةَ بنِ أبي مُعيط . وسبب ذلك ما رواه سعيدٌ عن قتاده أن النبي ﷺ بعث الوليد هذا إلى بني المصطَلق فلما أبصروه وأقبلوا نحوه ، هَابهم وخاف منهم لعداوة كانت بينه وبينهم ، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره أنهم قد ارتدُّوا عن الإسلام ، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بطل اليرموك وبطل مؤتة وسيف الله المسلول كما قيل :

---

١ ـــ سورة الحجرات (٦ ، ٧ ، ٨) .

لئن كان سيف الله خلّى مكانه

لما كان سيفاً في الكريهة نابيا

وإن تكن الأيام أفنينَ خالداً

فإن له ذكرا سيُفني اللياليـــا

على اليرموك قف واقرأ السلاما

نعم أرسله الرسول وأمره أن يتثبت ولا يعجل، حتى أتاهم ليلاً فتأكد خالد بن الوليد بأنهم مستمسكون بالإسلام، وقد سمع أذانهم وصلاتهم، وعاد في الصباح إلى النبي ﷺ فأخبره صحة ما رأى فنزلت هذه الآية ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنباءٍ فتبينوا...** ﴾ ، أي تحققوا وتأكدوا وفي قراءة (فتثبتوا) لئلا تصيبوا قوماً أي جماعة أو أفراداً بخطاءٍ وجهالة، فتصبحوا على ما فعلتم نتيجة عدم التأكد والتثبت نادمين على العجلة وتركِ التأني. وفي رواية أنه لما بعث النبي عليه الصلاة والسلام الوليد إلى بني المصطلِق بعد إسلامهم، ركبوا إليه، فلما رآهم خافهم وأخبر النبي أن القوم قد همّوا بقتله، فهمَّ رسول الله بغزوهم. وقد جاء وفد منهم إلى رسول الله فقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا إليه لنكرمه والله ما خرجنا لقتاله، فأنزل الله هذه الآية وكان النبي ﷺ يردد هذه الحكمة التاريخية (التأني من الله والعجلة من الشيطان)[1] .

أيها المسلم :

أجل في التأني السلامة وفي العجلة الندامة. فيجب على الإنسان العاقل أن يتأنى في أموره ولا يعجل، وعليه أن ينظر في عواقب الأمور. قال ﷺ «السَّمتُ الحسن والتؤدة والاقتصاد جزءٌ من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة»[2]. والمراد من السمت الحسن الطريق الحسنة الواضحة.

---

١ ـــ رواه البيهقي عن أنس قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح .

٢ ـــ رواه الترمذي بإسناد حسن .

وأعلموا أيها الناس أن فيكم رسولَ الله فلا تكذبوه أي بعث فيكم فإن الله يُعلمه أعمالكم (**لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم**) فلو تسارع النبي إلى ما أردتم قبل وضوح الأمر والتثبت منه لنالكم مشقة وإثم .

أيها المؤمنون المخلصون :

يخاطبكم الله بقوله ﴿ **ولكن الله حبّب إليكم الإيمان** ﴾ فجعله أحب شيء إليكم (**وزيَّنه**) بتوفيقه (**في قلوبكم**) أي حسنه إليكم حتى قدمتموه على غيره ﴿ **وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان** ﴾ أي كرَّه إليكم الكذب والنفاق ، اولئك هم الذين حببَّ إليهم الإيمان والصدق وكره إلى نفوسهم الكذب هم الراشدون المستقيمون، وقد فعل الله ذلك بكم تفضلاً منه وإحساناً لا إلزاما (والله عليم حكيم) عليم بما يصلحكم، (حكيم) في تدبيركم .

أيها المؤمنون :

إتقوا الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة. وإن الله تعالى أودع في الإنسان عقلاً يميز الخبيث من الطيب، ويفرقَ بين الحق والباطل. فالمؤمن لا يكون إلا مصدر خير وفضل وعنوان كمال ورحمة. وعلى الإنسان أن يقف عند حدود الله فلا يتعداها. وعليه أن يتحلَّى بمحاسن الصفات ومكارم الأخلاق، وأن يتباعد عن مظاهر الجبروت والكبرياء والاعتداء . قال تعالى : ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بُهتاناً وإثماً مبينا** ﴾[1].

إن الناس اليوم لا يتثبتون من الأمور، وإنهم لا يرضون عن إنسان، وإرضاء الناس غاية لن تدرك . فما دام الإنسان المؤمن قلبه مع الله فلا يبالي بهم كثروا أم قلُّوا . وإن الناس لا يرضوْن لأن الحياة ميدان عمل وتنافس، وحلبة جد واجتهاد، فإذا ما رأوا انساناً يريد العمل يريد الحياة الحرة الكريمة سَلقوهُ بألسنة حِداد كما قيل :

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٨) .

وما أَحدٌ من ألسن الناس سالماً
ولو أنه ذاك النبيُّ مُحمَّــدُ

أجـــل :

إن الناس من قبل ومن بعد زعموا أن لله شريكاً، وأن له ولداً، وأن له صاحبة. كما قالوا إن محمداً ساحر وكاهن وكاذب. وقالوا فيه كل شيء. وهكذا قالوا ويقولون ولكن ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون والمشركون والجاحدون.

قال ﷺ :

«أمرني ربي بتسع : الإخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وأن أعفو عمن ظلمني، وأصلَ من قطعني ، وأعطيَ من حرمني ، وأن يكون نطقي ذكراً ، وصمتي فكراً ، ونظري عبرة »[1] .

كان ﷺ يقول « اللهم إني أعوذ بك من خليل ماكر عيناه ترياني وقلبه يرعاني، إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أذاعها »[2] .

أو كما قال ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع شريعته وهداه .

عباد الله اتقوا الله في نفوسكم. اتقوا الله في أعمالكم. اتقوا الله في ذراريكم. ولا تكونوا كالذين نسُوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون. واتقوا الله حق تقواه وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه. واعلموا أن الله تعالى صلى على نبيه قديما قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما **(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)** الصلاة الإبراهيمية:

---

١ ـــ رواه رزين بزيادة وآمر بالعرف. مشكاة المصابيح (٥٣٥٨) .

٢ ـــ رواه ابن النجار مرسلاً بسند لا بأس به .

وارضَ الله عن ساداتنا ذوي القدر الجلي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم أيد الإسلام والمسلمين ، وأعلِ كلمة الحق والدين ، وألف بين قلوب المسلمين والعرب أجمعين ، والطف بنا بخفيٍّ لطفك يا رب العالمين) .

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءَ وسائر بلاد المسلمين ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك ملك المملكة الأردنية الهاشمية الحسين بن طلال وارث النهضة العربية حفظه الله ورعاه وأعزه ونصره آمين .

اللهم ألف بين قلوب المسلمين والعرب وحكامهم وقادتهم ، واجمع بين كلمتهم يا رب العالمين .

عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

★ ★ ★ ★ ★
★ ★ ★
★

أَلخطبة العاشرة :

١٣ شعبان ١٣٨١هـ

١٩٦٢/١/١٩

(ليلة النصف من شعبان)

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، اللهم أصلح سريرتي واجعل علانيتي صالحة ، اللهم اجعل باطننا خيراً من ظاهرنا، واجعل ظاهرنا صالحاً ، ياذا الجلال والإكرام ، يا ارحم الراحمين ، يا غياث المستغيثين أغثنا .

الحمد لله الذي أفاض سحائب رحمته على من أقبل عليه ، وأمدَّ بوافر القبول والرضوان من أناب إليه، (أحمده) سبحانه وتعالى وأتوب إليه وأشكره وقد فاز بشكره الشاكرون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. العالِمُ بما كان قبل أن يكون، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الذين تمسكوا بهديه وشريعته إلى يوم الدين .

أما بعد ، فيا أيها الناس إنكم في شهر شعبان المكرم، شهر سير ولد عدنان محمد عليه الصلاة والسلام ، شهر قد عظم فضله وهو المبشر بمجيء شهر رمضان فيه ليلة النصف البهية التي يتجلى فيها على العباد ربُ البرية . وينشر رحمته ويتفضل بمزيد الإحسان . فيها تضاعف الحسنات إلا لمشرك أو قاتلٍ ، أو زانٍ ، أو غاش ، أو مخادع ، أو عاقٍ لوالديه ، أو سارق ، أو شاهد زور أو خوان أثيم أو منافق أو مغتاب ، أو مشَّاءٍ بنميم

وساع بالفساد بين العباد ، أو حاسد أو سكران . فيا ويلَ من لم يتب قبلها، ويافوز من تاب ورجع وانتهى، وشمَّر عن ساعد الجد وسعى فيما يرضى الخالق المنّان ، ويا بُشرى لمن كفَّ عن الإساءات ، وغضَّ بصره عن جميع المحرمات ولم يؤذ أحداً بيدٍ أو لسان .

فيا أيها العاكفون على العربدة والسكر والمعاصي. ويا أيها العاكفون على حفلات الرقص والمآسي. ثوبوا إلى رشدكم، وتوبوا إلى بارئكم من الذنوب ، وكونوا على وجل، وبادروا بالتوبة قبل حلول الأجل وخيبة الأمل، وتناصحوا فيما بينكم وتداركوا أمركم قبل فوات فرص الزمان . تالله إن الله لقريب وإنه لهو الشهيد الحسيب ، لا يخفي عليه المفسد من المصلح. يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . غداً ستنقطع الحسرة والندامة ، وتنكشف لكم حقيقة الأمر بالعيان. يوم يتجلى الملك الديان على القاصِ والدانِ ، فاستعدوا لفرص الطاعة ، وحافظوا على الصلوات في الجماعة وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد واعملوا بما في القرآن من الحكم والأحكام والنصح والإرشاد .

أيها المؤمنون :

اسمعوا وعوا وأَصيخوا بسمعكم إلى ما جاء بخصوص ليلة النصف من شعبان لتكونوا على بصيرة من أمركم ومن أهل الصدق والسداد . جاء عن رسول الله ﷺ جملة أخبار صحيحة في صوم شهر شعبان، وأنه كان يصوم أكثر أيامه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت (لم يكن النبي ﷺ يصوم أكثر من شعبان فإنه كان يصومه كلَّه)[1] .

وأما بالنسبة لأمته فقد ورد عنه ﷺ (إذا انتصف شعبان فلا تصوموه)[2] وهذا بالنسبة لمن ليست له عادة بصيام الشهر كلِّه ، أما من كانت له عادة فلا بأس بصيام النصف الثاني .

١ ــ الحديث رواه النسائي بلفظ : لم يكن النبي يصوم من السنة شهراً تاماً الا شعبان كان يصله برمضان .

٢ ــ رواه اصحاب السنن والامام احمد باسناد حسن عن ابي هريرة .

وأما بالنسبة لليلة النصف من شعبان فإنه ورد في فضلها أحاديث كثيرة غير ثابتة. بيد أن الناس خلطوا عملاً صالحاً وأخر سيئاً، خلطوا الحق بالباطل حتى خرجوا من السُّنَّةِ إلى البدعة المكروهة . وجاء في كتاب المدخل لابن الحاج تحت عنوان الموسم الثاني من المواسم التي ينسبونها للشرع وليست من ليلة النصف من شعبان .

والصحيح أن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم هي ليلة القدر بدليل قوله تعالى ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة مباركة ...** ﴾[1] .

أيها المؤمنون :

نعم كان السلف يجتهدون في هذه الليلة ويقرؤون القرآن ويستغفرون ويدعون الله تعالى، ولكن الناسَ اليوم أحدثوا شيئاً في هذه الليلة ليس من الدين في شيء. فليس فيها ركعتان بنية طول العمر، وركعتان بنية الاستغناء عن الناس، وركعتان بنية دفع البلاء، ولم يرد في الشرع عن رسول الله ﷺ مثل هذا، ولكن ورد في هذه الليلة صلاة وذكر ودعاء وقرآن دون قيد من هذه القيود. قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله كثيرا. وسبحوه بُكرة وأصيلا. هو الذي يُصلي عليكم وملائكتُه ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما**﴾[2] وروى البيهقي في حديث مرسل ذكره المنذري في الترغيب والترهيب عن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل فصلّى فأطال السجود، إلى أن قالت فسمعتُه ﷺ يقول في سجوده (أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك) ولما سألته عائشة عن ذلك قال: أتدري يا عائشة أي ليلة هذه ؟ قالت: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ (هذه ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم)[3].

---

١ — سورة الدخان (٢) .

٢ — سورة الاحزاب (٤١ ، ٤٢ ، ٤٣) .

٣ — رواه البيهقي باسناد جيد .

فاتقوا الله معشر المسلمين وخذوا بطريق من كان قبلكم، وقوموها في بيوتكم كما كان يفعل ﷺ بعد الصلاة جماعة في المساجد، فاجتماع الناس لمثل هذه الليلة في المساجد بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

قال ﷺ (ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه أي ذات اليمين فلا يرى إلا ما قدم، وينظر اشأم منه أي ذات الشمال، فلا يرى إلا ما قدم فينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمره)[1] أو كما قال وجاء في صحيح مسلم ان النبي ﷺ قال : ينزل الله سبحانه إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فاستجبت له. من ذا الذي يسألني فأعطيه. من ذا الذي يستغفرني فأغفر له. فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر . أو كما قال .

ادعوا الله

الحمد لله السميع العليم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرؤوف الرحيم. أشهد أن لا إله إلا الله علمنا طريق الخير والسعادة ونهى عن البدع والفواحش المستزادة. اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين .

عباد الله اتقوا الله. واستقبلوا ليالي الخير بالسمع والطاعة، وارفعوا إليه أكف الضراعة، وصلوا على نبيه تعظيماً وتكريما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) . (الصلاة الإبراهيمية) .

وارض اللهم عن أصحاب رسول الله أجمعين وآل بيته الطيبين الطاهرين، وتابعيهم باحسان إلى يوم الدين. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، اللهم ألف بين

---

١ ــ الحديث صحيح رواه مسلم .

قلوبنا، واجمع بين كلمتنا، وانصرنا على أعدائنا، اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزم الأحزاب وزلزلهم وانصرنا عليهم إنك على كل شيء قدير يا رب العالمين، اللهم من كاد المسلمين فكده، وما عاداهم فعاده، ومن آذاهم فآذه، اللهم كن لنا ولا تكن علينا وانصرنا ولا تنصر علينا، وثبت أقدام إخواننا الجزائريين المجاهدين، وانصرهم على عدونا وعدوهم أجمعين فرنسا الباغية وسائر المجرمين . اللهم هذا حالنا لا يخفى عليك. وهذا عجزنا ظاهر بين يديك. نسألك اللهم أن تجعل لنا من كل ضيق فرجا، ومن كل هم مخرجا .

اللهم واهب المنن والإفضال أنصر مليكنا الحسين بن طلال، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الحادية عشرة :

٢٦ شعبان ١٣٨١هـ

١٩٦٢/٢/٣

(شهر رمضان المبارك وفضله)

اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أسرفت، وما أعلنت وما أنت أعلم به مني. أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير . اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً. وأنت تجعل الحَزْنَ إذا شئت سهلا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

﴿ **رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي** ﴾ . اللهم أعنا على صيام هذا الشهر وقيامه والبر والخير والتقوى. إنك على كل شيء قدير .

الحمد لله الذي أنزل القرآن في شهر رمضان فعظَّم قدره بذلك، وأجزل ما فيه من الإحسان. فيه تفتح الجنان وتغلق النيران ، أكمل فيه الامتنان، ووسَّع فيه على خلقه، وأنعم عليهم بالغفران، وأيده على سائر الشهور بأن قيَّد فيه كلَّ مارد وشيطان، وكشف عن قلوب عباده الحجب والأستار. فنصبوا في خدمته سبحانه الأقدام، وأنصبوا، أي أتعبوا الأبدان علموا أن الدنيا فانية فقنعوا منها بأقلِّ ميسور وتاجروا للآخرة يرجون تجارة لن تبور، وحكم على أخرين بالفشل والإبعاد فهذا مقبول وهذا مردود، وهذا مجبور، وهذا مكسور، وربك يخلق ما يشاء ويختار. ألا إلى الله تصير الأمور .

أحمده سبحانه وهو أحق محمود وأشكره على نعم تتجدد بالروَّاح والبكور، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أَدخِرها لهول يوم النشور، وأرجو بها النجاة من دار الهوان والثبور، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضلُ داعٍ إلى الخيرات ومحذرٍ من الشرور، وأتقى من صلّى وصام وتهجد، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والصادقين الصائمين العابدين .

أما بعد فقد قال الله تعالى وبقوله يهتدي المهتدون ﴿ **يا أيها الذين أمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾[1] .

أيها المؤمنون إن شهر رمضان المبارك قد نزل بساحتكم. جاءكم داعياً مبشراً محذراً ومرشدا مخلصاً. وفي أول ليلة منه ينزل ملك إلى سماء الدنيا فيقول (يا باغي الخير أقبِلْ ويا باغي الشر أقصِرْ)[2] .

إنه لشهر كريم وموسم عظيم خصَّه الله تعالى على سائر الشهور بالتشريف والتكريم، وقد كتبه الله على الأمة المحمدية، وفرضه عليها لما في ذلك من العناية بها، لأنها خير أمة أخرجت للناس. كما قال ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله...** ﴾[3].

إنه سبحانه أنزل فيه القرآن العظيم، وفرض صيامه شكراً على هذا الإنعام والفضلِ العميم، وجعل صيامه أحد مباني الإسلام ودعائِمه التي لا يقوم على غيرها ولا يستقيم، وسنَّ لكم ﷺ قيامه . لعلكم تتقون . إنه لشهر البركات والخيرات شهر المواساة شهر الصدق والصبر، شهر إجابة الدعوات، شهر إقالة العثرات شهر مضاعفة الحسنات، شهر الإفاضات والنفحات، شهر إعتاق الرقاب الموبقات، الحسنةُ فيه بألف حسنة فيما سواه، والفريضة فيه تعدل سبعين فريضة لمن تقبَّل منه مولاه. فيا ذوي الهمم

١ ـــ سورة البقرة (١٨٣) .
٢ ـــ رواه البيهقي بسند حسن .
٣ ـــ سورة آل عمران (١١٠) .

العالية، ويا ذوي المطالب الرفيعة السامية، الغنائم الغنائم قبل الفوات، والعزائم العزائم على الجد وهجر البطالات قبل أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله. وهل تنفعها يومئذ الحسرات والندامات ؟.

﴿ ... فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدةٌ من أيام أُخر، وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين، فمن تطوع خيراً فهو خير له، وأن تصوموا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون. شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ... ﴾[1] .

أيها المؤمنون :

الصبر الصبر يا بني وطني الكرام فإنه ثروة لا تقدر يا أمة محمد عليه السلام . إن للصبر لأثره الكريم في حفظ دين المرء الذي هو أعز ما يُعتز به في الحياة . إن جميع العبادات التي كلفنا بها الشارع الحكيم ملكات ومختبرات تتطلب صبراً ورجولية وقوة إرادة .

يقول ﷺ (الصيام نصف الصبر والصبر نصف الإيمان والصبر ثوابه الجنة)[2] الصبر فيه الحياة المطمئنة الطيبة. فيه احتقار كل مافي أيدي الناس من عرض هذه الحياة. فهو طريق إلى الزهد في الدنيا، ومن زهد في الدنيا أحبه الله، ومن زهد فيما في أيدي الناس أحبه الناس، ومن رغب عن الشهوات والملذات نهار رمضان أحبه الله ورسوله، وأي ثروة في الدنيا أعز من حب الله وحب رسوله وحب خلقه . حقاً لو تعلمون ثواب أعمالكم وصيامكم ، لو ترونه بأعينكم لضحكتم قليلاً أي لفرحتم وسررتم ولبكيتم كثيرا على تفريطكم وخداعكم وتظاهركم بالدين تزلفا للدنيا وسمعة ورياء .

اليوم اليوم يوم العزة والفخار، يوم الأجر والمثوبة والمكرمة. إلامَ التسويف وعلامَ الاعتماد.؟ أجل إنكم تعتمدون على أموالكم وعصبياتكم

---

١ ــ البقرة (١٨٤ ــ ١٨٥) .
٢ ــ رواه ابن ماجة .

وما حولكم (ويومَ خروجكم من الدنيا يتبعكم المال والصاحب والولد والعمل. وعند النزول في تلك الحفرة العميقة لا يصحبكم فيها الا العمل وهناك يعرف كل إنسان منزلته ومقامه ومكانته، فلا ينجو منها إلا كل هِزَبْرٍ بطل. هناك تظهر النيات وخفاياها ودسائسها ونواياها. هناك يتجلى قوله تعالى ﴿ **قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دَسَّاها** ﴾[1] .

أيها المؤمنون :

شمروا عن سواعدكم واستعدوا للطاعة والصلوات في الجماعة، فعسى أن تنالنا نظرة من نظراته، أو نفحة من نفحاته، فيمد لنا فيها رسول الله ﷺ يده فيمنحنا بتفضله تلك الشفاعة .

أيها المؤمنون :

ان صيام شهر رمضان عزيمة (أي فريضة) لاهوادة فيها. إذ لا يجوز لأحد أن يتساهل فيها يقول ﷺ (من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله)[2] .

لا تظنوا أن المقصود من الصيام هو الإمساكُ عن المفطرات والتمتع الجنسي فحسب. إنما الصيام هو كف الجوارح عن الموبقات والمهلكات كف اللسان عن الكذب الغيبة عن إثارة القلاقل والبلبلة. كف اليد عن أذى الناس في أنفسهم وأموالهم. كف السمع عما يغضب الله، وكف الرجل عن السعي إلى ما حرم الله .

أيها الناس، أيها المنغمسون في بحر التيه، في شهواتكم وملذاتكم فأنتم والله غارقون في أودية الظلم والضلالة أنقذكم الله مما أنتم فيه توبوا إلى الله وبربكم لا تقولوا إلا خيرا ولا تسمعوا إلا خيرا ولا تمشوا إلا في خير فالمسلم الحقيقي هو من سلم المسلمون من لسانه ويده . وإليكم هذه الأحكام الشرعية :

---

١ ــ الشمس (٩ ــ ١٠) .

٢ ــ رواه اصحاب السنن وفي بعض الزوايات زيادة وإن صاله بسند صحيح .

إذا لم يكن في الصوم منا تصاميم

فلا خير في صومي ولا خير في فعلي

من ادرك رمضان وكان صحيح الجسم فعليه أن يصومه .

ومن كان مريضاً أو مسافراً فقد رخص الله له الفطر ضمن حدود الشريعة. أما الحيلة التي يتذرع بها موظفو الدولة وغيرهم فيتركون الصيام بالتمارض وغيره، فالله تعالى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء نعم تفطر الحامل والمرضع إذا خافت كل منهما على نفسها أو على ولدها وعلى كل من هذه الأصناف القضاء. أما من تعمد الجماع نهار رمضان فعليه القضاء والكفارة المنصوص عليها وهذا يعتبر رحمة من الله بخلقه لئلا يجعل عليهم في الدين من حرج . ولأنه يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر، ولأنه سبحانه يعلم ضعفنا وقوتنا إذ يقول ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ... ﴾[1] .

أيها المؤمنون :

إن كل ما سمعتموه مستمد من كلام رب العالمين خالق السموات والأرض وما بينهما ، وخالق الخلق أجمعين . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم واستغفر الله ولي ولكم أجمعين .

قال ﷺ :

(من لم يدع قولَ الزور والعملَ به ، فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه)[2].

---

١ ــ سورة البقرة (٢٨٦) .

٢ ــ رواه البخاري .

ويقول عليه الصلاة والسلام :

(والذي نفسي بيده لخُلوف فم الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل إنما يذَرُ شهوتَه وطعامه وشرابه لأجلي فالصوم لي وأنا أجزي به)[١] أو كما قال .

أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

الحمد لله المنعم علينا بنعم لا تحصى ، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى ذى الشرف الأعظم الأقصى . أشهد أن لا إله إلا الله الآمر بالصيام الذي عليه مدار الأنام ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ذو المجد والشرف والمقام . اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

عباد الله :

صوموا شهر رمضان وقوموا ليله ، لقوله ﷺ (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)[٢] .

اللهم أعنا على صيام هذا الشهر وقيامه . اللهم أَعِنّا على ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علما وارض اللهم عن ساداتنا ذوي المجد والعزة والعمل الرضي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين .

اللهم ألف بين قلوبنا واجمع بين كلمتنا . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة . إنك أنت الوهاب .

---

١ ــ رواه الترمذي وصححه .

٢ ــ متفق عليه .

اللهم منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، إهزم الأحزاب وزلزلهم . إنك على كل شيء قدير . اللهم إنا نسألك أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال . اللهم أره سواء السبيل والصراط المستقيم . عباد الله **(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاءِ ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون) .**

(وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

* * * * *

* * *

*

أَلخطبة الثانية عشرة :

١٧ شوال ١٣٨١ هـ
١٩٦٢/٣/٢٣

(نصر الله للعاملين الجزائريين)

اللهم هيء لنا من أمرنا رشدا ، وثبتنا على كلمة الهدى ، واجعلنا سبباً لمن اهتدى ، وقنا واصرف عنا شر الردى في هذه الدار ، وغدا يا أكرم الأكرمين . اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا . سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . ﴿ قال رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي ﴾[1] ، اللهم أطلق لساني وقوِّ حجتي وبياني .

الحمد لله يكافىء العاملين المجدين والصابرين على ما أصابهم فينيلُهم ما أمَّلوا ، وينصرهم وقد استيأسوا ، الحمد لله يعلم المخلصين الصادقين والمنافقين المخادعين ، ويجازي كلاً بما عمل . وما تجزون إلا ما كنتم تعملون أشهد أن لا إله إلا الله يسخر للمستضعفين المتقين من يأخذ بناصرهم ويعمل معهم لنيل غايتهم وبلوغ مأربهم ، حتى تصبحَ كلمة الحق هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى ، وحتى تصبح أعلام الحرية عالية ظاهرة ورايات الذل والاستعباد منكسَّةً خاسئة ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، علَّمنا بسيرته كيف يكون الصبر في الشدائد ، وبين أنه خير سلاح إذا مادهمتنا النوائب ، ونصبت لنا المصائد والمكائد ، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا وصبروا ، حتى جعل لهم من الضيق فرجا ، ومن الشدة مخرجا .

---

١ — سورة طه (٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨) .

أما بعد ، فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا** ﴾[1] .

لقد كشفت هذه الآية الكريمة عن سنة من سنن الله وهي أن النجاح للحق وإن قلَّت حماته وأنصاره وكثر مناوؤه وأعداؤه ، والغشَ للباطل وإن تضافرت أتباعه ومؤيدوه . نعم قد يكون للباطل صولة في غفلة الحق وأهلِه ، ولكن لا يلبث إلا قليلا حتى يُقذف بالحق على الباطل فَيَدْمَغُهُ ، فإذا هو زاهق أي باطل .

هاهو ذا نبي الإسلام محمد ﷺ لما قام بدعوة قومه إلى دين الله ، كانت جنود الباطل وأعوانه محشودةً لمصارعة الحق وأهلِه ، حتى انتهى هذا الصِّراع بفتح مكة حِصنِ الأصنام ومعقل الوثنية والأحزاب ذوي المبادىء الهدامة الضارة ، فقضى على الوثنية والحزبية في جزيرة العرب جمعاء وتم النصر للمسلمين ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وصار للإسلام الكلمة العليا .

أيها المسلمون :

إن في أحكام الإسلام الحلَّ الوحيد لكل مشكلة من مشكلاتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، الم يعمل الإسلام على دعم التآخي ونشر الحرية والمساواة ، ورفع منار العقل ، وتأسيس قواعد الشُّورى حتى لا يستبد القوي بالضعيف .؟ ألم يدعُ إلى الفضيلة ، والمحافظة على العهود وينهى عن نقض المواثيق .؟ أهاب بالأمم القوية أن تتبادل مع الأمم الضعيفة وسائل المحبة والتعاون على قدم الإخلاص والوَلاء ، ولكنْ أين هذا مما عليه أمم الأرض اليوم من ظلم واستعباد وأنانية واستكبار ومباراة بآلات الفتك والفناء والدمار.؟! حتى أصبح العالم في جحيم مستمر .

---

١ ـــ سورة الاسراء (٨١) .

أيها المسلمون :

كل تضحية يضحي بها المؤمن في سبيل دينه ووطنه فحقٌ وسعادة ، والتمسك بالحق والبقاءُ على المبدأ القويم حق وسعادة .

أيها المسلمون :

يكفيكم من عظيم آيات الله قوله جل وعلا ﴿ **إنَّا لننصرُ رسُلَنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا** ... ﴾[1] يا أمة محمد عليه الصلاة والسلام يا شباب الإسلام أريد من شباب الإسلام الذين يعملون بتعاليمه ، لا أريد شباباً يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، فالإسلام يدعو إلى نبذ كل خلاف شخصي وإلى جمع الكلمة والاعتصام بحبل الله المتين .

يا إخواننا في الجزائر ، أيها المجاهدون الأبطال :

ها هي ذى بشائر النصر قد أزفت ورسُلُ الحرية والعزةِ قد بدت بفضل ما أظهرتم من الثبات على الحق وما اعتصمتم به من الاتحاد والصدق فهنيئاً لكم بنتائج النصر والفوز ، لقد ابليتم في جهادكم بلاء حسنا . وقارعتم الظلم والاستبداد . أمضيتم سبع سنوات فأكثر وهي مئات السنين في عمر الزمن وأنتم في كفاحٍ وجهاد دائبين فحقق الله لكم نصره كما جاء في كتابه ﴿...، **وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين** ﴾[2] . إن ما وصلتم إليه من توقيف إطلاق النار وبعض الشروط الأخرى التي تمت بين الجانبين إنما هي طليعة الخير والبشائر . طليعة العزة والمفاخر . أما ما يقوم به سالان وعصابته السرية من تخريب وتدمير وتقتيل . فذلك باطل وسيرد الله كيده إلى نحره .

يا إخواننا في الجزائر :

إن كل مسلم وكل عربي وكل مضطهد ومشرد ومحروم مدعوٌ في هذا اليوم المشرقِ الزاهر إلى الهتاف بحياة ابطال الجزائر ، مردداً

---

١ ــ سورة غافر (٥١) .

٢ ــ سورة الروم (٤٧) .

عاشت الجزائر حرة كريمة مستقلة ، وكل واحد من هؤلاء مدعوٌّ لأن يقول اليوم مرحى وألفَ مرحى للجزائر وشهدائها الأكرمين . وكل واحد من هؤلاء مدعو أن يقول كقول أبي القاسم :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلـــي

ولا بد للقيد أن ينكسر

ذلك بأن شعب الجزائر الثائر العربي أراد الحياة بالجهاد والفداء والعمل ، فنال ما أراده من حرية واستقلال ، واستجاب له القدر وذلك بأن ليل الظلم والاستبداد والاستعمار قد غمر الجزائر بالظلام والقتام ، ولكنه ما لبث أن انجلى عن صبح الحرية المبين ، إن ابنَ بِلاَّ ورفاقَه قادةَ الجزائر الأحرار قد أفرج عنهم بعد أن أوذوا في سبيل الله والوطن بالحديد والنار ولكنهم لا بالاستجداء والتذلل خرجوا ، بل بالعزة والشهامة والإباء ومواكب الفرح والسرور رجعوا . إن الجندي والفلاح والعامل والطبيب والمهندس والمعلم والطالب العائدين اليوم في الجزائر إلى الأرض والمزرعة والمصنع والمدرسة والبيت للبناء والإنشاء من جديد والافاً مؤلفةً من الأحرار الأخرين يمشون اليوم في مواكب عُرس الجزائر وفرحتها الكبرى بالسلام المعقود لها على ألوية النصر والفوز ، وفي غمرة هذا الجلال كلِّه وفي ظلال هذا الرُّواء كلّه تقف على باب إحدى الزنزانات السوداء (الجميلتان السجينتان) بو حريد وبو باشا لتذرفا دموع الاعتزاز والفخار السخينه مع الأحرار الذين حطموا قيود الذل والاستعباد .

أما أنت يا فلسطين الحبيب . فلقد مضى عليك ردح من الزمن وأنت تعانين مرَّ العيش وأسوأ الفرقة وتشتيت الشمل ، من الاستعمار

البغيض الذي جزأك ، ومكن شراذم الصهيونية الغادره من ابتلاع أوسع أراضيك وأخصبها . ولا تزال إسرائيل نفسها تُمعن في اعتداءَاتها ولكنها تصرُخ وتولول حينما تتلقى ضرباتٍ قاسيةً من البلاد العربية المتاخمة لحدودها ، فلا تعتبر ولا تتعظ .

أيها اللاجئون الفلسطينيون :

عما قريب ستأتيكم بشائر النصر ، وتعم البلاد بأسرها إن شاء الله تعالى ويستجيب القدر وينجلي الليل ، أليس الصبح بقريب .؟ قال ﷺ (لا تقدس أمة لا يُقضى فيها بالحق ولا يأخذ الضعيف حقه من القوي)[1] أو كما قال : أدعو الله وأنتم موقنون بالإجابة .

الحمد لله الذي يقف بجانب المحقين ، وعدالته تأبى أن تنصر المبطلين ، واعلموا أن العزة والاستقلال والسيادة لا تنال بالنوم والكسل واتباعِ الهوى ، وترك كتاب الله ظهريا ، وجعل سنة الرسول نسياً مَنسياً . واعلموا أن الشدائد تربي رجال المستقبل ، وتضع للأمم أسُساً متينة تبنى عليها مجدها وعزها وحريتها واستقلالها . قال تعالى : ﴿ **ولا تهِنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلوْن إن كنتم مؤمنين** ﴾ [2].

واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) (الصلاة الإبراهيمية) وارض اللهم عن جميع أصحاب الرسول وآل بيته الطيبين الطاهرين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب إهزم

---

١ ـــ ورد هذا الحديث بالاستنكار والاستفهام عند ابن ماجة والبيهقي : قوله ﷺ : كيف يقدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها لقويها وهو غير منتفع .

٢ ـــ سورة آل عمران (١٣٩) .

الأحـزاب وسائر الأعداء وزلزلهم وانصرنا عليهم . إنك على كـل شيء قدير .

اللهم رب العالمين كما كتبت وحققت النصر لإخواننا في الجزائر بعد سبع سنين ، نسألك اللهم أن تكتب النصر العاجل لفلسطين الحبيب الجريح ، وأن تردها لأهلها رداً جميلاً يا أكرم الأكرمين .

واكتب اللهم النصر والعون والتوفيق والإفضال لمليكنا المحبوب الحسين بن طلال . اللهم انصره وانصر جيشه وسائر الجيوش الإسلامية والعربية العاملة على إعلاء كلمة الحق والدين . اللهم كن لنا ولا تكن علينا ، وزدنا ولا تنقصنا وانصرنا ولا تنصر علينا ، وآمنا في أوطاننا واجعل هذا البلد وسائر البلاد الإسلامية والعربية آمنة مطمئنة سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) (وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

* * * * *
* * *
*

الخطبة الثالثة عشرة :

١٥ ذو القعدة ١٣٨١ هـ

١٩٦٢/٤/٢٠

(التمسك بالدين وأثره في الفرد والجماعة)

اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . اللهم لا تجعلني من الغافلين ، اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني يا كريم ، اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله . رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي .

الحمد لله الذي من توكل عليه بصدق نيته كفاه ، ومن توسل إليه باتباع شريعته قربه وأدناه ، ومن توسل إليه بخالص أدعيته أجابه ولباه ، ومن استنصر به على اعدائه نصره وتولاه ، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده . (أحمدهُ) سبحانه وتعالى على ما أنعم به وأعطاه ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، إلهٌ ليس لنا رب نعتمد عليه سواه ، أمرنا بجمع الكلمة وتوحيد القلوب ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذي من اعتز بشرعه وقاه شر الأعداء والظالمين وأداه ، اللهم صَلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد رسول الله السيد السند العظيم ، وعلى آله وصحبه ذوي الفضل والمجد والتكريم .

أما بعد أيها الناس . فقد قال ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضا)[1] يرشدنا النبي ﷺ في هذا الحديث إلى التعاون الأكيد

١ ــ متفق عليه .

والتماسك القوي الشديد فيما بين الأفراد والجماعات من المؤمنين ، وقد ضرب لنا مثلاً بتماسك البنيان بعضه مع بعض ، فالجدار القائم وحده تهزه العواصف الشديدة وتطويه الرياح العتيده ، أما إذا كان متصلاً بجدار آخر رسخ في مكانه وصَلُب في مقامه ، فلا تؤثر فيه الحوادث الا بقدر ذلك مثل المؤمن للمؤمنين ، فهو مع أخيه المؤمن كالبنيان يشد بعضُه بعضا ، فالمؤمنون شأنهم التعاون والتناصر والتآخي والتكاتف على المصالح الخاصة والعامة ، منفذين قول الله تعالى ﴿ ...، **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ،... ﴾[1] أما التفرق والتخاذل فلا يعرفه الإسلام ولا الإيمان وليس من الدين في شيء . فإن كان التعاون كانت القوة للمسلمين والشوكة للموحدين ، يستخدمونها في التنكيل بعدوهم ، حتى يستردوا حقوقاً مغصوبة أو أرضاً مسلوبة ، أو يُرهبوا بها من تحدثه نفسُه باستلاب أوطانهم واستعمار بلادهم .

نعم أيها المسلمون : متى كانوا كالبنيان الواحد المشدود تفرغوا للأعمال الحيوية بعمل الجمعيات النافعة ، وإنشاء الشركات المفيدة ، وبناء المستشفيات التي تحتاج إليها الأمة ، فآوى إليها المرضى من كل مكان .

متى كانوا جسداً واحداً فتحوا قلوبهم للضعفاء والبؤساء ، وانصرفوا إلى أعمال خالدة تعود على المجتمع بالخير العميم .

أيها المسلمون :

بقدر ما يكون بين المسلمين في أنحاء الأرض من حسن الصلات ووثيق العلاقات ، تكون قوتهم وعزتهم ومجدهم وثبات أوطانهم وقيامها خالدةً خلود الجبال ، وإن كثرت حولها الزلازل وتوالت عليها العواصف ، وأجمع الأعداء من أمرهم ، وإن كان التخاذل والتقاطع

---

١ ــ سورة المائدة (٢) .

وتبديد عُرى الإخاء وانصراف كلٍ إلى نفسه وهواه ، كان الضعف والانحطاط والفشل . فصَيْحةٌ من عدونا وإبراق وإرعاد يزلزل أرضنا ويذهب بسالف مجدنا ويجعلنا أذلاء في ديارنا لا سمح الله بل ضعفاء في ديننا فلا ديناً حصَّلنا ولا دنيا أقمنا ولا ثواباً آجلاً ضمِنَّا فخسرنا الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين .

أيها المسلم الكريم . أيها العربي المكافح :

لقد مثَّل الرسول ﷺ اتحاد المسلمين ومعونة بعضهم لبعض بالتشبيك بين اصابعه وإدخال بعضها من خلال بعض ، ولا شك أن ذلك يزيد في متانة كل إصبع ويعطي كل يد قوة إلى قوتها ، كذلك المسلمون إذا تضامنت أيديهم وتظاهرت قواهم ، وتحابت نفوسهم ، وأخلص العربي المجاهد إلى أخيه العربي ، نعم متى تساندت اممهم في كل مكان كانوا كحلْقة مُفرغة إذا اهتز طرف منها اهتزت سائر أطرافها ، وازدادوا قوة وكوَّنوا لهم عزة وفخارا ، فدانت الأمم الطامعة المستعمرة لسلطانهم ، وخضعت لأمرهم ، وانصاعت الدول الكبرى لمطالبهم ، كما وقع في قطر الجزائر العربي (...، **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ،...)[1] .

أيها المسلمون يا أتباع محمد عليه السلام :

ذلكم رسولكم وأسوتكم وإمامكم يبشركم بأن أية أمة مستعمرة رامت إذلالكم كان مصيرها الخذلان والدمار . فسالان وزمرته وما يدبره ويمكره للجزائريين فاشل لا محاله .

نحـــن بالله عزنـــا عصمـــة الله كنزنا
كل مـــن رام ذلنـــا خصمـــه الله والنبي

وفي هذا المعنى يقول الله تعالى : ﴿ ...،**ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله** ،... ﴾[2] ويقول ﴿**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**﴾[3] ويقول ﴿**وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حَسْبَكَ الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين**﴾[4].

---

١ ــ سورة المنافقون (٨) .
٢ ــ سورة فاطر (٤٣) .
٣ ــ سورة آل عمران (٥٤) .
٤ ــ سورة الانفال (٦٢) .

أجل، هذا رسولكم يرشدكم إلى سلاح ماضٍ رهيب ، وجيش غلاَّب وعُدةٍ عتيده تنفعكم في البأساء والضراء ، وتدفع عنكم عوادي الأعداء، وتزيل عنكم الضيم والاستعباد ، وترد إليكم العزة الماضية والكرامة المسلوبة ، وتُبوئكم المكانة اللائقة العالية. ذلكم هو سلاح الائتلاف وجمع الشمل والاتحاد والوفاق، سلاحُ ضم اليد إلى اليد ، ومعونة الأخ لأخيه ، وترك النزاع والخصومة جانباً والعداءِ ظهريا، فتمسكوا بإرشاده واعملوا بتوجيهه ونصحه وإسعاده، فإنه من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن يَعصه عصاه ، واذكروا قول الله تعالى ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا...**﴾(1) واذكروا إرشاده تعالى ﴿**...، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحكم واصبروا ، إن الله مع الصابرين**﴾(2).

أوحى الله إلى داود عليه السلام (يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات بمن فيها إلا جعلت له من بين ذلك مخرجا ، وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قعطت أسباب السماء بين يديه وأرسخت الهوى من تحت قدميه، وما من عبد يطيعني إلا وأنا معطيه قبل أن يسألني وغافرٌ له من قبل أن يستغفرني) وقال ﷺ (أول زُمرة تدخلِ الجنة على صورةِ القمر ليلة البدر والذين على أثرعهم كأشدِ كوكب دريٍّ في السماء إضاءةً قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض ولا تحاسد)(3). أو كما قال ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الحمد لله المؤلف بين القلوب ، غافر الذنوب ، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الحبيب المحبوب . اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين . أما بعد . فإن الله تعالى يقول ﴿ **ومن يعتصم**

---

١ ــ سورة آل عمران (١٠٣) .

٢ ــ سورة الانفال (٤٦) .

٣ ــ مختصراً مع تغيير ببعض اللفظ انظر الترغيب والترهيب (٤/٤٩٩) .

بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ﴾[1] عباد الله اتقوا الله حق تقواه وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه واعلموا أنه تعالى قال في حق نبيه تكريماً وتفضيلا (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صَلّوا عليه وسلموا تسليما**) (الصلاة الإبراهيمية) .

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي الهمم العالية ، والقلوب المتحابة المتصافية ، ذوي القدر الجلي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم ألف بين قلوب المسلمين ، واجمع بين كلمتهم ، اللهم اجعل كلمة المسلمين والعرب نافذة مقدرة تؤيدها عنايتك ، وتقويها هدايتك ورعايتك اللهم هيء لإخواننا في الجزائر أسباب النصر والتوفيق الدائم حتى يصلوا إلى ما يصبون إليه من حرية واستقلال ، وباعد بينهم وبين باعثي الشر والفتنة امثالِ سلان وعصابته وجماعته وأحزابه .

ونسألك اللهم يا مؤيد العاملين وواهب المخلصين وناصر المحقين أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك مليكنا الحسين بن طلال . حفظه الله اللهم انصره وجيشه وسائر العاملين المخلصين إنك على ما تشاء قدير .

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وَإيتاءِ ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

---

١ ــ سورة آل عمران .

الخطبة الرابعة عشرة :

٢٣ ذو القعدة ١٣٨١هـ

١٩٦٢/٤/٢٧

(من حكم الحج وآثاره)

أسأله تعالى أن يمدني بتوفيقه وعنايته ويجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع مجيب ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وعلمني ما ينفعني وانفعني بما علمتني وزدني علما ، **رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي** .

الحمد لله الذي أعجز وصفُه أَلسنةَ الواصفين وحجب عن معرفة إدراك كنه ذاته أَفهام العارفين. وأوحى إلى إبراهيم خَليلِه (**وطهرِّ بيتيَ للطائفين والقائمين والرُّكَّع السّجود**)[1]، وجَعل حُرمةَ حرمه ملاذاً وملجأ للخائفين (أحمده) سبحانه وأشكره وأتوب إليه واستغفره، وأسأله الهداية والتوفيق والعزة للمؤمنين. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ الذي حثنا على أداء فريضة الحج لتَطمئنَ بها قلوبُ المخلصين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون، فقد قال الله جل وعلا ﴿ **أولم يروا أنَّا جعلنا حرَمًا آمنا ويُتَخطف الناس من حولهم، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون** ﴾ ؟ سورة العنكبوت آية (٦٧) .

أيها المسلمون :

إن أول بيت أُقيم في الأرض هو البيتُ الحرام تهوى إليه أفئدة العالمين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات.

---

١ ــ سورة الحج (٢٦) .

ولِما في الحج من منافع الدنيا والدين، جعله سبحانه ركناً من أركان الإسلام ، ودعامة من أقوى دعائم الدين ، تتجلى فيه الوحدة الدينية بأكمل معانيها وأجلى مظاهرها ، فيه يجتمع المسلمون من جميع بقاع الأرض ، يتبادلون الآراء ، ويبحثون الوسائل النافعة المفيدة والطرق الناجحة لرقي شأنهم وعلو مكانتهم ماديّاً وأدبياً . فهو ولا ريب مؤتمر إسلامي يجتمعون فيه لِيُحسُّوا أنهم هيئة واحدة وكتلة واحدة ، على قلب واحد ، يولُّون وجوههم شَطْر قبلة واحدة. يهابُهم المستعمر ويخشى بأسهم فلا يقتربُ من ساحتهم ، وما أحوجنا إلى ذلك في مثل هذه الأوقات العصيبة، التي ينفُث العدوُّ سمومه في المسلمين والعرب ليجعلهم شِيعاً وأحزابا يضرب بعضُهم رقاب بعض ، وهذا ما كان يخشاه النبي ﷺ على أمته إذ قال (لا تختلفوا فتختلفَ قلوبكم)[1] ومع الأسف الشديد ترى المسلمين اليوم قد عطَّلوا هذا الركن العظيم وذاك المقصَد النبيل فتراهم يحجون ولا يفكرون فيما يرمي إليه الإسلام من حكمة الحج. إنهم يخرجون لينالوا لقب الحاج، ولم يُطلقْ هذا اللقب على نبي ولا رسول من الرسل .

أيها المسلمون :

الحج فرض على المسلم المكلف المستطيع مرة واحدة في العمر ﴿ ... **ولله على الناس حِج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ،...**﴾[2] والمستطيع هو الذي يملك من المال ما يكفيه ذهاباً وإياباً والراحلة تكون على حسب ما يقتضيه الزمان والمكان وظروفُه. كل إنسانٍ بحسبه إذاً، فلا يجوز للمسلم أن يستدين مالاً للحج إذا كان لا يقدر على وفائه، ولا يجوز له أن يترك أولاده عالة يتكففون الناس ولا مال عندهُم، ولا يجوز للمرأة المسلمة لا سيما الشابة أن تخرج وحدها بلا محرم إلا إذا كانت تأمن على نفسها مع جماعة النساء إن قاصد الحج بعد الطهارة الكاملة يلبس إزاراً غير مخيط، ويقول :

---

١ ـــ رواه ابن خزيمة في صحيحه عن عمرو بن العاص .
٢ ـــ سورة آل عمران (٩٧) .

(اللهم إني نويت الحج فيسره لي وتقبله مني، لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) ففي هذه الحالة يكون ناوياً الإفراد وإذا نوى الحج والعمرة سمى قارناً ، وفي الحالين لا يجوز له ارتكاب شيء من محظورات الإحرام إلا بعد الوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة ، ورمي جمرة العقبة بمنىً. أما من نوى بالعمرة بالتلبية عند الحدود المعلومة فيسمى متمتعاً يتمتع بتسهيلات أكثر من المفرد والقارن ولكن عليه الفدية . فإذا دخل مكة تطهَّر واستقبل الكعبة المشرفة مقبِّلاً الحجر الأسود لأنه يمين الله في الأرض يصافح بها عباده، بادئاً بالطواف وجعل الحجر الأسود عن يساره، ذاكراً ربه إلى أن يعود إلى الحجر الأسود. بهذا يتم الشوط الأول ، ثم يصلي ركعتين في مقام إبراهيم أو في أي مكان من البيت ويتمم المناسك ملبياً مكبراً مهللاً فيقوم على الصفا ويمشي إلى المروة مشياً معتدلاً وهكذا حتى تنتهي الأشواط السبعة وبهذا تنتهي أعمال العمرة التي أحرم بها. عندها يتحلل من إحرامه بالحلق أو التقصير ، فإذا كان اليوم الثامن من ذي الحجة أحرم للحج فاعلاً مثل ما فعل حينما أحرم للعمرة قبل دخوله حُدود الحرم . ثم يقصد عرفاتٍ فيمكث فيها من زوال اليوم التاسع إلى غروب شمسه وهكذا .

أيها المسلم الكريم :

لقد جاء الإسلام وربط هذا البيت بحقيقته التاريخية . فالحج رحلة روحية وعبادة فريدة تؤثر في نفس المسلم وتطبعه بطابع التجرد لله والتزام حُكمه والخضوع لِشرعه ولهذا كان الحج بهذا المعنى طهارةً شاملة تمحو الخطايا والذنوب، كما قال ﷺ (مَن حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) نعم الحج يشتمل على مشقات يتحملها المسلم راضياً مرضياً مسروراً لأنه يُنفِّذ أوامر ربه. وفي ذلك تدريبٌ على تحمل الأعباء ومدافعةِ الأخطار لذلك كان في الحج عناصرُ الجهاد، وقد اعتبر الإسلام الحج جهاداً

---

١ ـــ متفق عليه .

حقيقياً للنساء والضعاف من الرجال كما قال عليه الصلاة والسلام (جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأةِ الحجُّ والعمرةُ)[١] قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله نرى الجهاد أفضلَ العمل أفلا نجاهدُ ؟ (قال (لا) لكنَّ أفضلَ الجهاد حجٌّ مبرور[٢] .

وسئل رسول الله ﷺ (هل على النساء من جهاد ؟؟ قال نعم عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة)[٣] فما أحوجنا إلى الحج لما فيه من تدريب على الجهاد ومشاق الحياة، ولقد ورد أن الحج كما يمحو الخطايا كذلك ينفي الفقر قال تعالى : ﴿ **ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم** ، ... ﴾[٤] فقد أباح للحاج بعد أداء المناسك أن يتاجر في موسم الحج ويقول ﷺ (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبَث الحديد والذهبِ والفضه)[٥] .

أيها المسلم الذي يريد الحج :

إياك والركونَ إلى محو ذنوبك كلها ما دمت مصراً على معاصي الله واقتراف الكبائر والموبقات، وإياك والاسترسال في شهواتك وملذاتك اتكالاً على غفران ذنوبك وآثامك .

تعاونوا أيها الحجاج على البر والتقوى ، فالحج فيه التعاون في ميادين الحياة على استرداد الحقوق المسلوبة وحماية أوطان مغصوبة فإذا ما اجتمع المسلمون هناك ووحدوا آراءهم وحددوا اتجاههم واجتمعت كلمتهم وصلوا إلى ما يريدون بصدق نواياهم. يؤيد هذا قوله تعالى ﴿ **ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله** ... ﴾[٦] .

---

١ ــ أخرجه النسائي عن ابي هريرة وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح .

٢ ــ رواه البخاري وغيره .

٣ ــ رواه اصحاب السنن .

٤ ــ سورة البقرة (١٩٨) .

٥ ــ أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وله زيادة : والحج المبرور ليس له جزاءاً الا الجنة .

٦ ــ سورة الحج (٢٨) .

في الحج يتعلم الناس حقيقة المساواة وينزلون جميعاً على حكم الله ويلبسون لباساً ما كانوا يألفونه ولا يعرفونه ، فلا مكانَ للمباهاة وهناك وهم جميعاً في حرم الله قد لبَّوْا دعوته ، فأقبلوا على كعبته وأتوه جميعاً خاشعين قائلين (لبّيْك اللهم لبّيك) يتجاوبُ معهم ملايين المسلمين ممن حولهم حتى الجماد والشجر قال ﷺ (ما من مسلم يُلبي إلا لبىَّ مَن عَن يمينه وعن شماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطعَ الأرض من ههنا وهنا)[١] أما الطواف الذي تفعلونه فليس مجردَ دوران حول بناء بل هو مناجاة لله في أشرف مكان والتجاءٌ لصاحب الفضل وواهبِ الإحسان . أما الوقوف بعرفة فذلك يوم مشهود والدعاء فيه غير مردود قال ﷺ (خير الدعاء دعاء يوم عرفة)[٢] .

أيها المؤمنون :

هذا هو الحج الذي شرعه الله لكم بابٌ من أبواب الدنيا وسبيلٌ من سُبُل الآخرة ، رحلةٌ لله مصحوبة برعايته وفضِلةٌ مشمولة بتوفيقه وإحسانه إذاً فالمُعرض عن الحج إذا كان مستطيعاً معرضٌ عن ربه غير راغب في ذكره ولا مهتدٍ بهداه . يقول عليه الصلاة والسلام (من ملك زاداً وراحلة تبلِّغه إلى بيت الله فلم يحجَّ فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً)[٣] وفي الحديث القدسي عن الحق سبحانه (إن عبداً صححت له جسمه وأوسعت عليه في النفقة لا يفد إلى بيتي لمحروم)[٤] أو كما قال ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة .

---

١ ـــ رواه الترمذي وابن ماجة والبيهقي مع تقديم وتأخير في بعض الكلمات وأخرجه ابن الجوزي مع تغيير في الألفاظ ما أهل مهل ولا كبر مكبر على شرف من الاشراف الا هلل ما بين يديه وكبر بتكبيره حتى ينقطع مبلغ التراب .

٢ ـــ رواه الترمذي عن ابن عمر وبن العاص بسند صحيح .

٣ ـــ هكذا روي بالمعنى ، أما لفظه : من مات ولم يحج حجة الاسلام ولم يمنعه من ذلك مرض حابس أو سلطان جائر ، أو حاجة قاهرة فليمت على أي حال إن شاء يهودياً وان شاء نصرانياً خرجه سعيد بن منصور .

٤ ـــ رواه ابن حبان باختلاف في بعض الألفاظ : إن عبداً أصححت له جسمه وأوسعت عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد الي لمحروم .

الحمد لله المنعمِ على عباده بنعمه الوافرة التي لا تُحصى أشهد أن لا إله إلا الله ذو الفضل العظيم الذي لا يُستقصى وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الرؤوف الرحيم . اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين .

عباد الله اتقوا الله واعملوا بما أمر ، واجتنبوا ما نهى عنه وزجر ، اتقوا الله وحُجوا قبل ألاَّ تحُجوا ولا تُسرِّفوا أبدا فإنكم لا تدرون ما يُفعل بكم غَدا ، بادروا الأعمال الصالحة قبل عجزكم ، أنفقوا في سبيل الله يَغْفِر لكم ، وأعلموا أنه جل وعلا صلَّى على نبيه تعظيماً وتكريما قال تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليما**) (الصلاة الإبراهيمية) .

وارضَ اللهم عن ساداتنا ذوي الفضل والقدر الجلي خلفاء رسول الله الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين . اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأكمل كلمة الحق والدين واجمع بين كلمة القادة والحاكمين من العرب والمسلمين، ووحد صفوفهم واجعلهم يداً واحدة على من عاداهم، ووفقهم للعمل بكتابك وسنة رسولك ، اللهم مَن أراد بوحدة العرب والمسلمين وجمع شملهم خيراً فوفقه لكل خير، ومن أراد بهم سوءاً فاجعل كيده في نحره، إنك على كل شيء قدير، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك مليك البلاد الحسين بن طلال حفظه الله ورعاه ، اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين . عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر**) .

الخطبة الخامسة عشرة :

٢١ ذو الحجة ١٣٨١هـ
١٩٦٢/٥/٢٥

(عزة الإسلام والمسلمين)

اللهم اجعل لنا من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجا، اللهم هيء لنا من أمرنا رشدا وثبتنا على كلمة الهدى، واجعلنا سبباً لمن اهتدى، (**رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**).

الحمد لله الذي جعل التفاضل بين الناس بالتقوى والعمل الصالح، أشهد ألاّ إله إلا الله، الذي أمرنا باتباع شريعته والسيرِ على طريقته، وأشهد أن محمداً رسول الله خيرَ العرب والعجم، وعلى آله وصحبه والتابعين، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين. أما بعد. فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير**﴾[1] .

أيها المسلمون :

هذه الآية نزلت في ثابت بن قيس عندما عيَّر رجلاً من الصحابة أراد الجلوس مع أصحاب رسول الله ﷺ فقال له يا ابن فلانة. ولما علم رسول الله ﷺ بذلك قال (من الذي يعترض على جلوس الرجل ؟ فقال ثابت أنا يا رسول الله فقال ﷺ (أنظر في وجوه القوم ، قال ثابت نظرتُ يا رسول الله قال: وما رأيت يا ثابت ؟ قال رأيت أبيض وأسود وأحمر قال ﷺ (فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى)[2] .

---

١ ــ سورة الحجرات (١٣) .
٢ ــ الجامع لأحكام القرآن (٣٤١/١٦) .

وفي تفسير القرطبي أن المراد بالشعوب في الآية بطونُ العجم وبالقبائل بطون العرب. وعلى هذا فالمعنى الإجمالي لهذه الآية أن الله تعالى خلق الناس من ذكر وأنثى وجعل منهم عرباً وعجماً ليتعارفوا وليتحابوا وليعملوا في هذه الحياة. وأكرمهُم عند الله تعالى أتقاهم وأخشاهم لله .

أيها المسلمون الكرام :

لقد سمعتم مافي الآية الكريمة من بيان واضح لا تفاضل فيه بين كبير وصغير وعظيم وحقير ولا بين سيد ومسود ولا بين عربي وعجمي إلا بالتقوى والأعمال الصالحة ومراعاةِ حدود الله ، واعلموا أن هذا الخطاب مُوجه للعرب وغيرهم من شعوب العالم لأنه جاء بلفظ يا أيها الناس ، وبما أن العرب هم الذين حملوا رسالة القرآن منذ فجر الإسلام وقد انبثق منهم الإيمان فهم أولى الناس بالخطاب ، وأقدرهم على فهمه وتطبيقه على أنفسهم وعلى من يدخل في هذا الدين السمحِ الحنيف من الأمم والشعوب الأخرى .

أيها المسلمون :

إن العروبة والإسلام توأمان لا ينفصلان. فالعرب مادة الإسلام الأولى. من أرضهم انطلق مشعل النور، وعلى أكتافهم حُملت دعوةُ الحق ورسالة الدين الخيِّرة ، وبلسانهم العربي تنزَّل وحي الله إلى الناس جميعاً ، ونبيِّهم الأميِّ العربي استكملَ الله رسالات السماء ﴿ ...، **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**،... ﴾[1] . إن بزوغ فجر الإسلام في أمة العرب كان له ما يبرره من الوجهتين الأخلاقية والاجتماعية ، فالمجتمع العربي قبل البعثة كان يمتاز بصفات كانت مفقودة عند الأمم الأخرى، كالكرم والشجاعة، كما جاء في حِلف الفضول . كل هذه كانت صفاتٍ صالحةً لأنْ تُمدَّ الدعوة السماوية بإكسير الحياة

---

١ ــ سورة المائدة (٣) .

والاندفاع المتصل بغض النظر عن بعض الأخلاق التي سادت في ذلك المجتمع ، ثم جاء الإسلام ناقضاً لها مُحَولاً إياها تدريجياً حسبما تقتضيه الحكمة الإلهية. إن رسالات السماء السابقة ، جاءت لخير بعض البشر ولكنَّ رسالة الإسلام ، جاءت لخير العرب خاصة ولخير العالم عامة . ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيكم**،... ﴾[1] . وهذا الخطاب موجه إلى العرب، لأنهم هم الذين يفهمون معنى الاستجابة إلى الله ورسوله .

أيها المسلمون :

حقاً إن حياة العرب ومستقبلهم مرتبطان ارتباطاً وثيقاً في هذه الرسالة السماوية. ونحن العربَ الذين تفرعنا عن الشجرة العربية المحمدية الأصيلة، لا نستطيع أن نعزل أنفسنا عن الإسلام ، كما أن دعوة الإسلام لا تنمو ولا تقوى ولا تعيش بدوننا، لأن الرباط بين العروبة والإسلام قوي بحيث لا تنفصم عُراه ، فالعروبة متأصلة في دمنا ولحمنا، والإسلام متأصل في تاريخنا وروحنا ففكروا أيها المسلمون أين نزل القرآن الكريم.؟ وعلى من أنزل.؟ وبأي لغة نزل.؟ فلو نزل القرآن على غير أمة العرب لما انتشرت تعاليم الإسلام في أرجاء الدنيا بهذه السرعة العجيبة .

إذاً فكل دعوة إلى الفصل بين الإسلام والعروبة تعني يأس هذه الشبيبة ، وتنصُّلَها من أمجد تراث ورثناه عن أمتنا العظيمة الخالدة المجيدة ، فليتق الله المرجفون في أنفسهم وأمتهم وعروبتهم .

إذاً أفلا يجدر بنا أن نجعل من الرسالة التي حملها نبينُّا محمد ﷺ، أن نجعل من ديننا محركاً يحفز أمة العرب مُنطلق الإسلام لتوحيد صفها وجمع شملها، ورابطاً متيناً ينبثق منه الإسلام على حقيقته بحيث نقوى على الصمود أمام جموع الصهيونية الباغية وتقويم ما انحرف من قيم الأمم

---

١ ــ سورة الأنفال (٢٤) .

الأخرى ، فعسى ان يعيد الله تعالى لهذه الأمة مجدها بهذا الدين الإسلامي الحنيف ، وإن الشيء المهم في هذا الموضوع ألاَّ تكون عروبتنا عنصرية عصبيةً حاقدة، بل متسامحة خيِّرة متحلية بأروعِ ما في الإسلام من فضائل وأجملِ ما فيه من قِيم إنسانية ومناقبَ، بحيث نجعل التفاضل بين الناس بالتقوى والعمل الصالح .

أيها المسلم الكريم :

سأزوِّدك اليوم بأحاديث أخرى في فضل العرب والمسلمين وهذه الأحاديث استقيتُها من كتاب (الشرف المؤيد لآل النبي محمد) للعلامة المرحوم الشيخ يوسف النبهاني صاحب كتاب (حجةُ الله على العالمين) المعروف بمواقفه الكريمة في الدفاع عن الإسلام . قال ﷺ (مَن يُرد هوان قريش أهانه الله)[1] وقال أيضاً (أحِبُّوا العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي)[2] وقال ﷺ (من أحبَّ العرب فهو حبيبي حقاً)[3] والعرب الذين حبهم واجب أدبي هم المسلمون. قال العلامة العزيزيُّ في شرحه لأنهم هم الذين باعوا أنفسهم لله ورسوله حتى أظهروا الإسلام وأزاحوا ظُلمة الجاهلية والكفران ، ولنفرض أن أبا جهل كان عربياً، لكنه بقي على كفره فلم يُشرِّفه الله بالإسلام. وقد كان عمر رضي الله عنه عربياً فتشرف بالإسلام وبقي وصفه عربياً ملازماً له إلى يوم الدين . والمعروف أن الإسلامَ يَجبُّ ما قبله .

واسمعوا أيها المسلمون والعرب : ما قاله العلامة الأعجميُّ الهندي أبو الحسن النَّدَويُّ في كتابه المعروف (ماذا خسر العالم) قال العلامة الشهير ما نصه (إن المسلم ينظر إلى العالم العربي كمهد للإسلام ومشرقِ نوره

---

١ ــ رواه احمد والترمذي والحكم عن سعد بن ابي وقاص بسند صحيح .

٢ ــ الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس بسند حسن .

٣ ــ لم أجده هكذا وإنما بلفظ : من أحب العرب فقد احبني ومن ابغض العرب فقد أبغضني رواه الحاكم وقال حسن صحيح .

وموضع للقيادة العالمية وينظر إلى العالم العربي كزعيمه وإمامه ومرشده) هذا ما صرَّح به العالم الأعجمي في فضل العرب المسلمين وزعامتهم ، لأنهم أصل الإسلام ومبعثُ نوره .

وقال الأستاذ السيد محمد المبارك عميد كلية الشريعة في جامعة دمشق في رسالته التي أذاعها على العالم كله من محطات الإذاعة ما نصهُّ (إن العرب هم المخاطبون الأولون والنوَّاة الأولى للإسلام فقد أوحى إلى الرسول الكريم ﷺ ﴿ **وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها** ، ... ﴾[1] تمهيداً لتعميم الرسالة الواردة في قوله تعالى ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا** ... ﴾[2] .

ثم قال السيد المبارك نفسه في رسالته (إن النبي العربي ﷺ قد اصطفاه الله من هذه الأمة الكريمة وجعل هذه الأمة العربية مسؤولةً عن هذه الرسالة الإنسانية لما آتاها من مزايا تؤهلها لذلك . فقال تعالى في قرآنه العظيم ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون** ﴾[3] .

أي سوف تسألون عن إهمالكم وتفريطكم في هذه الأمانة الغالية التي حُمِّلتموها وقد ذكر الله العرب حين خاطبهم في قرآنه ﴿ **لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكرُكم أفلا تعقلون** ﴾[4] وما ذلك إلا ليرغبهم في فهم القرآن واعتناق الإسلام . ثم قال السيد المبارك نفسه (إن فصل العرب عن رسالة القرآن ومفاهيمه هو فصلٌ لهم عن تاريخهم وحَضارتهم وروحِهم المتأصلةِ في نفوسهم، وهبوطٌ بهم عن مرتبة القيادة العالمية. وهذا قليل من كثير في بيان فضل العرب الذين أشرق من بينهم الإسلام. فمن أراد التحقق والتثبت من

---

١ ــ سورة الشورى (٧) .

٢ ــ سورة الأعراف (١٥٨) .

٣ ــ سورة الزخرف (٤٤) .

٤ ــ سورة الأنبياء (١٠) .

صحة هذه الأحاديث والأقوال فليرجع إلى الكتب والمصادر التي ذكرتها آنفاً قال ﷺ (إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فأنا خيار من خيار من خيار)[1] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه وعلى آله وصحبه خيرة العرب والمسلمين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأشهد ألاَّ إله إلا الله الآمرُ باتباع الحق واجتناب الباطل، واشهد ان سيدنا محمداً رسول الله الذي دعا العرب والمسلمين إلى توحيد رب العالمين، واتباع شرعه المتين وعلى آله وصحبه العاملين .

عباد الله : اتقوا الله في أنفسكم واتبعوا شرع نبيكم وحققوا رسالته واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسَلِّموا تسليما**) (الصلاة الإبراهيمية) .

وارضَ اللهم عن الخلفاء الراشدين وعن سائر أصحاب رسول الله اجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، اللهم ألف بين قلوبنا واجمع بين كلمتنا اللهم انصر الإسلام والمسلمين وأيد عبادك المجاهدين وانصر الأمة الإسلامية العربية السائرة على هدي الله المبين وألف بين قلوب أفرادهم وجماعاتهم في مشارق الأرض ومغاربها اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين . واكتب الفوز والتوفيق والنصر لإخواننا في الجزائر حتى يصلوا إلى الحق الصحيح الباهر . اللهم اهدنا إلى الحق وإلى صراطك المستقيم .

ونسألك اللهم أن تؤيد بنصرك وتوفيقك وإعزازك مليك البلاد الحسين بن طلال وفقه الله ورعاه وسدد خطاه إنك على ما تشاء قدير) .

---

١ ـــ رواه مسلم عن واثلة .

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين عباد الله ، **(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاءِ ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)** .

(... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

* * * * *

* * *

*

الخطبة السادسة عشرة :

٢٨ ذو الحجة ١٣٨١ هـ
١٩٦٢/٦/١

(في ذكرى الهجرة النبوية)

اللهم يا من بيده تيسير كل عسير، يسر لنا كل أمر عسير، فإن تيسير كل عسير عليك يسير، إنك على كل شيء قدير. رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي . اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. اللهم علمني ما ينفعني وانفعني بما علمتني وزدني علما .

الحمد لله مجدد الأعوام عاماً بعد عام، الذي افتتح بأفضل الأشهر بشهر المحرم هذا العام وأجزل فيه الفضل والعطاء هذا العام ، أحمده سبحانه وتعالى حمد عبد معترف بصدق اليقين وأشكره شكر عبد بلسان عربي مبين فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ عبدُه ورسوله. اللهم فصلِ وسلم على هذا النبي العربي الكريم والرسول السيد السند العظيم، سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

أما بعد فقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ **إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل اللهُ سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمةُ الله هي العليا والله عزيز حكيم** ﴾ من سورة التوبة .

أيها المسلمون :

إن من حكمة الله تعالى أن يرسل رسله ممن قويت عزائمهم وكُمل إيمانهم وصدقت محبتهم ، فإذا أوذوا صبروا ، أو استُهزيء بهم لم يبالوا واحتملوا في سبيل إرضاء ربهم وإعلاء كلمته ونصر دينه ، وهكذا يبتلي الله المؤمنين ويختبرهم ، ليعلم المجاهدين منهم والصابرين .

أيها المسلمون :

إن محمداً ﷺ أرسله الله خاتم النبيين فأخذ يدعو قومه لعبادة الله وحده ، فعاداه قومه كبراؤهم وأشرافهم وأغنياؤهم ، واستجاب له فقراؤهم وضعفاؤهم فآذى الأغنياءُ من المشركين الفقراء من المؤمنين واستخفف الأقوياء بالضعفاء ، فلم يتركوا باباً من أبواب الأذى إلا دخلوه ، كل ذلك ورسول الله ﷺ والمؤمنون صابرون محتسبون، لا يشكون ولا يتألمون، حرصاً على عقيدتهم حتى اجمع المشركون على قتل أشرف خلق الله وأطهرهم. فأذن الله له بالهجرة إلى المدينة فخرج صلوات الله وسلامه عليه ومعه أبو بكر لا هرباً من أذى ولا خوفاً من ضرر، ولكنْ طاعةً لأمر الله وجهاداً في سبيل الحق ، فإن المؤمن إذا استضعف أبى وجاهد، وإذا أوذي في دينه كافح وصبر وقاتل وانتصر .

ولو أدَّى ذلك إلى هجر وطنه والبعدِ عن أهله ، فإن الحرص على العقيدة أفضلُ من الحرص على الأهل والولد ، وإن التضحية في حب الله وإرضائه ، أشرفُ من التضحية في حب ماله وولده قال تعالى ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجُكم وعشيرتُكم وأموالٌ إقترفتموها وتجارةٌ تخشوْن كسادها ومساكنُ ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتيَ الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾[1] .

---

١ ـــ سورة التوبة (٢٤) .

أيها المسلمون :

إذا كانت الأهلةُ مواقيتَ للناس فإن في هلال المحرم الذي سيشرق علينا في مطلع العام الجديد المقبل صَقلاً وجلاءً للقلوب ، وان في تعاقب الأعوام والسنينَ والشهور تذكيراً للمؤمنين بما يلاقي الدعاة والمصلحون في سبيل الدعوة الإسلامية .

يذكرنا هلالُ المحرم بآثار المسلمين والعرب الخالدة في الجزيرة العربية وبفتوحاتهم العظيمة ، وتاريخُ الأنبياء والرسل والمصلحين شاهد على ذلك فما من رسول أتى قومه برسالة سماوية إلاَّ قاوموه وناصبوه العَداءَ ، وفي المقاومة حياة الرسالة وعزتُها وقوتُها ، وفي الكفاح غذاؤها وثورتها إن الله سبحانه يطهر بالشدائد قلوب أهل الإخلاص ويزكي دعوتهم ، وفي هذه الشدائد نجاح الدعاة والمصلحين .

في فترة من الزمن خرج من بين العرب مصلح عظيم هجر ناديَهم في صبوته ، ولما بلغ أشُدَّه واستوى ، فاجأهم منه صوت هادىء ﴿ ...، **إن هو الا نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد** ﴾[1] نهاهم عن عبادة الأوثان والأصنام ذلكم الصوت العظيم هو صوت محمد بن عبدالله النبي العربي الهاشمي لقد أفزع ذلك الصوتُ أفئدة العرب ، وهالهم أن يقوم رجل منهم داعياً للإصلاح ، فأجمعت قريش أمرها وأمضت عزمها ، وقالوا إنه والله الهولُ فإن لم نغلب محمداً غلبنا ، والله لنأخذن عليه الطريق ، ولنُسدَّن عليه المسالك ولنحمينَّ منه قريشاً وسلطانَها ثم تفننوا في صنوف الأذى التي أوقعوها برسول الله ﷺ .

أيها المسلمون :

في هزيع ليلة من الليالي قال صاحب الرسالة محمد عليه الصلاة والسلام لصاحبه أبي بكر ، لقد أذن لي ربي بالهجرة هذه الليلة فقال

---

١ ـــ سورة سبأ (٤٦) .

أبو بكر كفاني فضلاً شرفُ صحبتك يا رسول الله، ولما علمت قريش بذلك ضَربت حول بيته سوراً من السيوف والرماح، وما أضعف حيلة الإنسان وما أعجزه أمام بأس الرحمن وقوتِه والله أشدُّ بأساً وأشد تنكيلا. ولقد استطاع محمد أن يخترق في حماية الله ورعايته هذا السورَ المنيع وأن يصل إلى بيت صاحبه أبي بكر بأمان وسلام، ثم يسيرا معاً إلى غار ثور.

وقاية الله أغنت عن مضاعفة

من الدروع وعن عال من الأطُمِ

ولقد قَيَّضَ الله رجالاً أعانوا الرسول وأيدوه ، فهذا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ينام مكان النبي بائعاً نفسه في سبيل الله وينزلُ في حقه قرآن من عند الله ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله** ﴾[1] . وهذا أبو بكر ينكر نفسه ويضرب في التضحية أروع الأمثال على مسمع الأجيال كيف تكون الحياة في سبيل دين الله القويم وصراطه المستقيم ، ففي الطريق إلى الغار كان أبو بكر يقدم نفسه حارساً للرسول ﷺ ويمشي خلفه حيناً وأمامه حيناً آخر ، ولقد اقتفى المشركون الأثر وأبو بكر يقول لصاحبه لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا ويقول الرسول لصاحبه ﴿ ...، **لا تحزن إن الله مَعَنا** ،... ﴾[2] . فأمثال هؤلاء طهَّروا الإنسانية من أوضارها ، وأطلقوها من عقالها وقضوْا على الوثنية التي أذلت البشرية وأبطلوا امتيازات الأنساب والأجناس التي كان يستعلى بها الناسُ بعضُهم على بعض بغير علم نافع ولا عمل رافع . واضعين نُصب أعينهم ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[3] . لقد كان الناس قبلهم في شقاق بعيد وخصام شديد فنزلت آيات الاتحاد والوئام والسلام عليهم جميعاً برداً وسلاما وأصبحوا بنعمة الله إخوانا . لقد كانت تلك النفوس تُنْشيء جروحاً عالية ،

---

١ ــ سورة البقرة (٢٠٧) .

٢ ــ سورة التوبة (٤٠) .

٣ ــ سورة الحجرات سبق تخريجها .

وترفع منارات باسقةً ، ينشرون مدينتهم الفاضلة لا تَستغِلُّ ولا تذِل ، ولكنها تثمر وتُعز ، لم يبق فج من فجاج الأرض إلاَّ سرى فيه ذلك الروح فأصاب حظاً من نور وبذلك خفقت راية الإسلام والعروبة على الدنيا كلها ودخلت هدايته جميع أقطارها ، وأصبحت كلمة الله هي العليا وكلمُة الذين كفروا السفلى . عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال (قد رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابَتيْنِ)[١] وفيه أيضاً أنه قال لأبي بكر رضي الله عنه (قد أُذِن لي في الخروج)[٢] أو كما قال أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد لله الحي القيوم الباقي على الدوام الذي لا تفنيه الشهور والأعوام ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المنزهُ عن المشابهة والمشاكلة، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين .

وبعد، فيا أيها المسلمون. إن الله تعالى قد رمز إليكم في تعاقب السنوات وذكركم ببدايتها ونهايتها لتخرجوا من أوْدية الغرور وسِنة الغفلات، فهل منكم في الأعوام السابقة من وقف موقف الشاكرين.؟ فكم من سنين مَضت، وكم من دهور انقضت حتى صرنا إلى زمانٍ القابضُ فيه على دينه كالقابض على الجمر لقد مضى عامنا الماضي بأيامه وشهوره ونحن على الذنوب والآثام. فاستقبل أيها المسلم الكريم عامك الجديد بصدق النية والإخلاص السديد ولا تُضيِعْ وقتك بلهوك ولعبك، ويحك كيف بك إذا وقفت ورأيت ذنوبك مستورة مسطرةً في سجل الكرام الكاتبين فرأيتها سوداءَ من ذنوبك فحثيت التراب على رأسك وقلت ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فعلمت أنك من الهالكين.

---

١ ــ رواه البخاري بزيادة قد أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لا بَتَيْنِ .

٢ ــ رواه ابو نعيم .

الخطبة السابعة عشرة :

١٢ محرّم ١٣٨٢هـ
١٩٦٢/٦/١٥

(أجر المجاهدين في سبيل الله)

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم يا من بيده مقادير الخيرات كلها يامن إليه يرجع الأمر كله يا فتاح يا عليم افتح لنا فتحاً قريبا ، (**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) :

الحمد لله الآمرِ بالجهاد في سبيله الناهي عن الخوف والجبن والتقاعس عن أعمال البر والتقوى ، أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أرسل الرسل فأعذر ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسولُ الله ، خيرُ من بلغّ وبشرَّ وأنذر ، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والطف بنا فيما جرت به المقادير .

أما بعد فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكِم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون** ﴾[١] .

أيها المسلمون :

هذه الآية فيها التجارة الكبرى والربح العظيم. ففيها التضحية بالأموال والأنفس، وذلكم خير لكم من الدنيا وما فيها إن كنتم تؤمنون وتعلمون .

فالجهاد ثلاثة أنواع وقد تزيد على ذلك ولكِن الأهم منها ثلاثة : جهاد باللسان، وجهاد بالقلم، وجهاد بالأموال والأنفس .

---

١ ـــ سورة الصف (١٠ ـــ ١١) .

فالجهاد باللسان هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا واجب العلماء ومن قَدر عليه من عامة الناس، ولكنه في حق العلماء أوجب ، أما الجهاد بالقلم فهو تسخير الكتَّاب أقلامهم فيما يرفع من شأن المسلمين ويُعزِّزُ أركانهم ويثبت أقدامهم في الأرض ، ويجعلُهم الوارثين قال تعالى : ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً**، ...﴾(١)، ومن الجهاد بالأقلام الإشادة فيما يُصلح شأن الأمة ويعلي قدرها، وبما تحسنه الأمة من أعمال في واقعنا الحاضر، وتوجيه اللائمة إلى مرتكبي المنكرات وفساد الأخلاق وهتك الأعراض وانتهاك الحرمات، فواجب الكتاب في مجلاتهم ورسائلهم وصحافتهم أن يوقظوا شعور الأمة بالتمسك بالفضيلة وتحذيرها من الرذيلة. وعلى كتّابنا في كل مكان ألا ينصرفوا نحو الغرائز والغراميات حرصاً على أخلاق الشباب والشابات من ارتكاب الجرائم والموبقات. وأما الجهاد بالأموال والأنفس فهو أعلاها منزلة عند الله تعالى لقوله ﷺ (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)(٢) وقد ورد أن مراتب الجهاد ثلاث وهي مقتبسة من قوله ﷺ (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)(٣) فإزالة المنكرات باليد هي للحكام وولاة الأمور بالضرب على أيدي مرتكبي الجرائم والمنكرات بيد من حديد حتى تخفَّ الموبقات المنتشرة ويستتب الأمن والاستقرار في طول البلاد وعرضها.

أيها المسلمون :

إن الأيدي العاملة على رفع مستوى الأمة ووضعِها في المكان اللائق بها بين الأمم تعتبر مجاهدة عاملةً على إصلاح المجتمع ورفع شأنه والسير به

١ ــ سورة النور (٥٥) .
٢ ــ متفق عليه .
٣ ــ متفق عليه .

وركب الحضارة والمدنية الحقيقية جنباً إلى جنب ، وإن من الجهاد والنشاط تشجيع الصناعة والزراعة والشؤونِ التربوية والمنزلية وإن من الجهاد أيضاً تشجيع الأعمال اليدوية في المدرسة والحقل والمتجر والمصنع ، ولقد كانت الأسابيع الماضية حافلةً بالمعارض المدرسية ، الابتدائية والإعدادية والثانوية ذكوراً وإناثاً فكان النشاط الصناعي في مدارس الحكومة الذي أقرته وزارة التربية والتعليم يشرف عليه فريق من المعلمين والمعلمات، وكانت معارض هذه المدارس زاخرة بالمعروضات في شتى مدن المملكة. ففي مدينة القدس أقيم معرض باسم التربية الفنية وكان له أثر حيوي يبشر بالمستقبل الخيِّر. ولقد أحسنت وزارة التربية في إرسال بعثاتها إلى الخارج. ولا ريب أن معروضات مدارسنا في الأزرق بشتى أنواعها ومجموعها موضع إعجاب وتقدير .

إذاً فتشجيع الأشغال اليدوية والتدابير المنزلية التي يقوم على رعايتها مربون ومربيات مما يجعلنا أمة يحسب لها حسابها ومركزها بين الأمم الأخرى فأيُّها أمةٍ من الأمم عُنِيت بمصانعها ومعارضها وركَّزت دعائم العلوم والفنون فيها كانت جديرةً بالتقدير والإجلال .

أيها المسلم الكريم :

حقاً إن نجاح مبادىء الأمور دليل على الفوز والرفعة في النهاية فقد أصبح التنافس في مثل هذه الأعمال الحيوية بعيداً إلى حدٍ كبير. وفي ذلك تعويد على الاعتماد على النفس لا على الغير. وما أجمل ما قيل :

وإنما رجلُ الدنيا وواحدها

من لا يعول في الدنيا على رجل

لو كرَّسنا أيها الناس جهودنا في ذلك لاستغنينا بمجهوداتنا عن الغير ولكُنَّا في مصافِ أَرقى الأمم. فمن واجبنا نحن أن ندرب أبناءنا على العمل المنتج في المصانع والمتاجر والحقول، حتى ننتج ما نستغني به عن غيرنا ،

والعقل الإنساني الكبير قابل للإبداع والإنتاج والإختراع قال تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾(١) لقد أرشدنا الله سبحانه إلى الجهاد في سبيله وجعله من أحب الأعمال إليه والاستشهاد في سبيله. قال تعالى: ﴿**ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون**﴾(٢).

أيها المسلمون يا أتباع محمد عليه السلام . يا شباب هذا الزمان كيف نجاهد .؟ بل كيف يحلو لنا الجهاد في سبيل الله وقد آثرنا الحياة الفانية على الحياة الدائمة الباقية ..؟!

قال أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه (لا يدعْ أحدكم الجهاد فإنه لا يدعه (أي لا يتركه) قوم إلاَّ ضرب الله عليهم الذلة)(٣) أجل لقد مضى على المسلمين ردح من الزمن عطلوا فيه الجهاد ، وبخلوا بالمال فجَنْوا من بخلهم الذل والخنوع والفقر والجوع ، وعزَّت عليهم الحياة وتمسكوا بها ففقدوها ، قال عليه الصلاة والسلام (يوشِكُ أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأَكَلةُ إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال ﷺ بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غُثاءٌ (أي زبد) كغثاء السيل ، وسينزعَّن اللهُ من صدور عدوكم المهابة منكم وليقْذِفَنَّ في قلوبكم الوهْنَ قال قائل يا رسول الله وما الوهْنُ قال حُب الدنيا وكراهية الموت)(٤) .

أيها المسلمون :

إن الجهاد واجب على الرجال دون النساء . فعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ؟ أعلى النساء جهاد ؟ قال نعم جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة(٥) نعم يجب عليهن الدفاع وإغاثة المجاهدين وتضميد جراحهم ويكون فرضَ عين عند اقتحام العدو ديار الإسلام وهجومه علينا . فقد ورد أن أم سُلَيْم رضي الله عنها اتخذت خِنجراً يوم حُنينٍ وقالت

١ ــ سورة الانفال (سبق تخريجها) .
٢ ــ سورة آل عمران (١٦٩) .
٣ ــ وهو مستمد من قوله ﷺ ما ترك قوم الجهاد الا عمهم الله بالعذاب .
٤ ــ ابو داود بسند صحيح والبيهقي في دلائل النبوة .
٥ ــ سبق تخريجه .

للنبي ﷺ اتخذت هذا الخِنجرَ إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه[١] . وفي ذلك دلالة واضحة على أن الدفاع واجب وأنه، فرض عين وكذلك إذا استنفر الأمة وليُّ الأمر، أو إذا كان العدو المحارب أكثر منا عددا . لقد كان المسلمون الأولون يحفظون الذمم والعهود لا كما تفعله اليهود اليوم ، لقد نهى النبي ﷺ عن قتل النفوس المؤمنة الآمنة فقال (من أعان على قتل نفس مؤمنة ولو بشطرٍ (أي نصف كلمة كقوله (أقْ) ولم يكملها) لقي الله يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيسٌ من رحمة الله)[٢] .

أيها المسلمون :

من الجهاد في سبيل الله الدفاع عن الحق والصبرُ على المكاره وتعلمُ العلم ونشرُه ومجاهدةُ النفس، فلقد قال ﷺ (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)[٣] وهو جهاد النفس والهوى. ومن الجهاد في سبيل الله السعي على رزق العيال والأطفال، ومن الجهاد في سبيل الله المرابطة على ثغور العدو، قال ﷺ (غدوةٌ أو روحة في سبيل الله خير من الأرض وما فيها)[٤]. إننا في بلادنا هذه مرابطون في سبيل الله. وقد ورد عن سلمان الفارسي رضي الله عنه (رباط ليلة على ساحل البحر خير من صيام رجلٍ وقيامه في أهله شهراً ومَن مات في سبيل الله مرابطاً أجاره الله من فتنة القبر، وأمَّنه من الفزع الأكبر، وورد أن من طُعِن طعنة في سبيل الله جعلها الله نوراً بين يديه، وجاء يوم القيامة ولها ريح كريح المسك يجدها الخلائق وقال ﷺ (مقام الرجل في الصف (أي صف القتال) أفضل من عبادة ستين سنة على جهل)[٥]

---

١ ــ راجع الاصابة في اسماء الصحابة لفظ ام سليم .

٢ ــ رواه ابن ماجة بسند ضعيف .

٣ ــ رواه اصحاب السنن .

٤ ــ رواه احمد والطبراني بسند حسن .

٥ ــ رواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري .

قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون. كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون. إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص**﴾[1] قال ﷺ (الجهاد ماضٍ في أمتي إلى يوم القيامة لا يبطله عدل عادل ولا جور جائر)[2] أو كما قال ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة.

★ ★ ★

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه، وأشهد ألاّ إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله. اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين.

عباد الله:

تيقظوا من نومتكم، وانتبهوا من غفلاتكم، وراقبوا ربكم قبل أن يأتي يوم لا بيعٌ فيه ولا خِلال، قبل أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله. واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه ورسوله تعظيماً وتكريما قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليما**) (الصلاة الإبراهيمية).

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم ألف بين قلوبنا واجمع بين كلمتنا، وانصرنا على من عادانا، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، واجمع شمل الأمة العربية وسائر العرب المسلمين. اللهم من عادانا فعاده، ومن آذانا فآذه. اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزم اليهود وأعداء المسلمين في كل مكان. اللهم أحصهم عدداً وفرقهم

---

١ ــ سورة الصف (٢ ــ ٣ ــ ٤).

٢ ــ انظر الفتح المبين.

بدداً ولا تغادر منهم أحدا . اللهم إنا نسألك أن تُعلي بفضلك كلمة الحق والدين وأن تشمل بعنايتك وتوفيقك وهدايتك الحسينَ بن طلال اللهم سدد خطاه وخذ بناصيته إلى الخير والسداد يا رب العالمين اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) (**وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

أَلخطبة الثامنة عشرة :

٤ صفر ١٣٨٢هـ
١٩٦٢/٧/٦

(النصر للمستحقين)

في هذا اليوم لم اتمكن من إلقائها بسبب طلب عبد الباقي جموّ قاضي القضاة وقد خطب مكاني ..

الخطبة الثامنة والأربعون التي ستلقى من على منبر المسجد الأقصى المبارك إن شاء الله تعالى يوم الجمعة الموافق ٤ صفر سنة ١٣٨٤ هـ و ١٩٦٢/٧/٦ أسأله سبحانه وتعالى أن يمدني بامداداته وينفحني بنفحاته ، ويؤيدني بروح من عنده ، اللهم الهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي وأجرني من مضلات الفتن. اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله. لا إله إلا أنت ، (**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

الحمد لله يحق الحق ويزهق الباطل ولو كره الكافرون والمجرمون، الحمد لله يعيد العز والمجد للعاملين، وينصر المجاهدين المجدين. الحمد لله يقلب الليل والنهار ويغير العالم في الزمن اليسير من حال الى حال (**...ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**)[1] أشهد أن لا إله إلا هو بيده ملكوت كل شيء، وهو على كل شيء قدير، واشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله جاهد الباطل بسيف الحق، معتصماً بالثبات والصبر ففاز بالنصر الجميل بعد الجهاد الطويل، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الذين ذادوا عن حمى الحق والعروبة والاسلام وحاربوا أهل البغي

---

١ ـــ سورة الحج (٤٠) .

والفساد، فأبدلهم الله من ضعفهم قوة ، ومن قلتهم كثرة ومن ذلتهم عزه **(ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلَهُمُ الوارثين، ونمكن لهم في الأرض...)**[1].

أما بعد فقد قال الله سبحانه وتعالى **(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدينا ويوم يقوم الاشهاد)** المؤمن آية (٥١) .

أيها المسلمون :

لقد وصف الله المؤمنين في كتابه ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونَهوْا عن المنكر...** ﴾[2] .

أجل : إن الله تعالى يقف دائماً بجانب المحقين، وعدالته تأبى أن تنصر المتخاذلين والمبطلين . ولذلك قال ﷺ (لا تقدس امة لا يُقضى فيها بالحق ولا يأخذ الضعيف حقه من القوي)[3] .

إن الله جلت حكمته وعلَتْ قدرته أقام الكون على دعائم الحق لا يمازجه باطل ولا يخالطه دَجَل ولا رياء. فمن سار على طريقه انتهى أمره الى ظفر ونجاح ، ومن سار على الباطل عاداه الوجود ومجتّه النفوس ﴿ **سنَّة الله في الذين خَلَوْا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** ﴾[4] .

أيها المسلم الكريم :

نعم إن للحق قوة لا تقهر وللباطل صولة لا تظهر ، تزول وتنهار ، ومهما طال الزمن ولا بد بينهما من نزاع وبذلك يعتز الحق ويكبر شأنه ويعظم برهانه وتعلو كلمته ، ويخسأ الباطل وينهار بنيانه ويخذله أنصاره وأعوانه ، فلا تجد له من قوة ولا ناصر .

أجل : عندما تعلو كلمة الحق يرتجف الظالمون، ويرتعد الجبارون، فتخور منهم القوى وتنحلُّ منهم العزائم، ويستولى على نفوسهم الضعف

---

١ ـ سورة القصص (٥ ، ٦) .
٢ ـ سورة الحج (٤١) .
٣ ـ سبق تخريجه .
٤ ـ سورة الأحزاب (٦٢) .

والوهن، وإذ ذاك يعلمون أن قوة الحق من عند الله، وهناك يفرح أهل الحق بالنصر والفوز والظفر، ويقولون ﴿...، **هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيماناً وتسليما**﴾[1]. وإن الله العلي الحكيم على نصرهم لقدير.

إن الظافرين بالحرية والاستقلال يهللون ويكبرون ويهتفون قائلين:

وللحرية الحمراء باب

بكل يد مضرَّجة يدق

الله أكبر إذا ارتفعت أعلام الحق وخفقت على الدور والقصور والمتاجر وتنكست أعلام الباطل واستولى عليها الذهول والضعف والفتور. الله أكبر إذا متلأت القلوب فرحاً وسروراً، وصفقت الأيدي جذلا وحبوراً، وتلألأت الوجوه بالبشر من الكبار والصغار والنساء والرجال. الله أكبر اذا طهرت الأرض من الكفرة الفجرة، وخلص امرها للأتقياء البررة، الله أكبر فإذا علم الحق يرفرف فوق البلاد وانتشر الفخار بين العباد وتحررت النفوس من قيود الذلة والاستعباد، واستنارت بنور العلم والعرفان هنالك حدِّث عن السرور والابتهاج ولا حرج أيها الجزائري العربي المجاهد ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدَّلوا تبديلا**﴾[2].

مائة سنة، قرن واثنان وثلاثون عاما كانت الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي، حتى أذن الله للجزائريين بالنصر والحرية والاستقلال.

اليوم يومُ العزة والفخار، يوم النصر والاستبشار، يوم الانطلاق من القيود للمسلمين والأمة العربية جمعاء.

فنصر الجزائر نصر لكل مسلم عربي، وانطلاق كل جزائري وجزائرية انطلاق لكل مسلم ومسلمة وعربي وعربية.

---

١ ــ سورة الأحزاب (٢٢).

٢ ــ سورة الأحزاب (٢٣).

يا أحبتنا وإخواننا في الجزائر

لقد صبرتم على كفاحكم فظفرتم ، وجاهدتم فنصرتم ، واتحدتم وتعاونتم على البر والتقوى، فكتب الله لكم نصره وتأييده ، فلكم ولنا النصر والبشريات الغاليات ، ولكم الذكر والذكريات العاليات .

فاشكروا الله على ما منحكم، بعد التضحية بدماء عزيزة غالية بعد التضحية بمليون من الشهداء الأبرار الذين هم أحياء عند ربهم يرزقون. اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون .

أيها الاخوة الجزائريون :

إن الله تعالى جعل الحرية حقا لبني الانسان، وحثَّ على تحرير الرقاب من الذل والاستعباد وبيَّن أن في ذلك اقتحام العقبات وهذه هي العدالة الحقة.

لقد جاهدتم سبع سنين طويلة اخلصتم لله فيها النية، ورجوتم من وراء ذلك الاستقلال والحرية ﴿...، **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا** ... ﴾[1] .

أيها الجزائريون. أيها المسلمون. أيها الفلسطينيون. إنا بلونا المستعمرين وعجمنا عودهم، فالقيناهم لا يُطأْطِئون الرؤوس إلا لعظمة الأساطيل ولا يعمي أبصارهم الا اتحاد الكلمة، وجمعُ الصفوف، ولا يصافحون إلا يداً حديدية، ولا يضعون أكعاب أرجلهم إلا على أفواه الملايين من الناس ليسدوها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبتها، فإلى العمل وإلى الأمام هذه أعيادنا أعيادنا تحريرنا . وعزنا في كفاحنا .

لقد شيدتم جروح العزة والفخار، ورفعتم بنود الشرف والكرامة. إذ لا حياة لأمة لا شرف لها ولا كرامة . نفذتم اتفاقية إيفيان حرفاً بحرف وصبرتم على تخريب وتدمير المنظمات السرية، حتى وصلتم إلى ما يريده كل مسلم

---

١ ـــ سورة آل عمران (١٠٣) .

وكل عربي وكل متحرر ومتوثب. وإننا معشر المسلمين الأمة العربية بأسرها نستحلف القادة والزعماء والرؤساء أن يصمدوا أمام المفاجآت والدسائس وعلى كل منكم أن ينسى أي خلاف لأن الاستعمار لا يعرف لجمع الكلمة سبيلاً، ولا يحب إلا أن يرى تشريداً وتقتيلاً، والحق الصُّراح وقول الله الحكيم أقومُ قيلا .

عاشت الجزائر عربية حرة مستقلة ومرحى مرحى لإخواننا أبطال الجزائر المكافحين .

يا فلسطيننا : يا حبيبتنا ، يا عزيزتنا يا مثوى آبائنا وأجدادنا . لقد ثار أهلك على الاستعمار البغيض وعلى الباطل الشديد نحو أربعين عاماً وكانت الحرب فيها ضراماً سيق بعض مجاهديها إلى أعواد المشانق والسجون طالبوا بحرياتهم فقوتلوا وأخيراً حوربوا وشردوا لقد وقف أبطال فلسطين حياتهم على النضال لتحرير وطنهم ولكن المستعمرين أبى عليهم ظلمهم وجبروتهم إلا أن يشردوا أهلها من حميمها ويمكنوا الدخلاء الأذلاء من استيطانها.

وما ذلك والله إلا لِتفرُّق الكلمة ومتابعة الأهواء .

يا فلسطين يا قلب العروبة النابض . أيها الجزء الغالي العزيز من أرض العروبة والإسلام . أبشري فإن وراءك رجالاً وأبطالاً وأمة عاملة تنتظر النداء ليوم التضحية والفداء إنه وأيم الحق لا كرامة لأمة لم تسترد كرامتها وهيبتها ولا كرامة لأمة لم يتصل ماضيها بحاضرها .

أيها المسلمون . أيتها الأمة العربية . سيروا على بركة الله واعملوا لأوطانكم وأمتكم متحدين متماسكين متحابين لا متخاذلين ولا متخاصمين .

وحاشا لله أن تتفرق أمة كالجزائر عقدت عزمها على الثبات والتضحيات أمام الكوارث والعاديات ، فسجلت لها في تاريخ البشرية أروع الصفحات والبطولات وحققت قول القائل :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلـــي

ولا بد للقيـــد أن ينكسر

قال ﷺ (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**)[1] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * * *

* * *

*

---

١ ــ سبق تخريجه .

أَلخطبة التاسعة عشرة :

١٧ صفر ١٣٨٢هـ
١٩٦٢/٧/٢٠

(أخلاقنـــا)

اللهم يا من بيده تيسيرٍ كل عسير يسر لنا كل أمر عسير ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً ، (**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

الحمد لله الحاكم الذي لا يقع في ملكه إلا ما يريد، القادر الجبار ذي البطش الشديد، سبحانه لا إله إلا هو ربُ العرش العظيم ، أحمده وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسولِ الله . اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه السادة الأخيار .

أما بعد فقد قال الله تبارك وتعالى ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى**﴾[1].

أيها المسلم :

إن الفوضى الأخلاقية والأزمة الدينية والإجتماعية التي تهددنا بفواجع في ديننا وأخلاقنا وأعراضِنا لا يرضى بها عزيز لأنها أشد فتكاً من الأزمة المالية والاقتصادية.

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير الحي والوتد

إن هذه الفوضى لا تقف عند حدٍ إلا إذا تداركها المصلحون، وضرب عليها ولاة الأمور وحكام البلاد بيد من حديد، وأوقفوا تيارها الجارف وعالجوها بمنتهى الحكمة والرعاية والإخلاص، حتى يرجعوا بها إلى حدود الدين وبَرْد اليقين .

---

١ ــ سورة طه (١٢٤ ــ ١٢٥ ــ ١٢٦) .

يا معشر المسلمين :

في كل يوم تطالعنا الصحف والمجلات بفواجع في الأعراض والأنفس والأخلاق، تنهار منها الأعصاب وتتفطر منها القلوب والأوتار ولا مغيث ولا مجيب . إن رجالنا ونساءنا وبناتِنا وفتياتِنا وفِتياننا، إن كبارنا وصغارنا وأحداثنا هؤلاء جميعاً قد زلت بهم القدم إلا من عصم ربك، فسقطوا في تيار الحضارة الكاذبة والمدنية الخادعة البراقة والتقليد الأعمى للأجانب حتى فسدت الأخلاق وضاعت آداب الدين، فاصبحنا ممسوخين مشوهين لا ديناً تمسكنا به ولا إسلاماً اعتصمنا بحبله . ولا دنيا حصلنا عليها . فكان مَثَلُنا مَثَلَ المنبَّت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى[1]

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا

فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعُ[2]

بل صار مَثَلُنا مَثَلَ الذين خسروا الدنيا والآخرة معاً ذلك هو الخسران المبين .

يا أمة الإسلام. أيتها الأمة العربية الإسلامية :

إن حالتنا الدينية تدعو من غير شك إلى التفكير الجدي بعقل سليم لم تتغلب عليه العواطف الآثمة المجرمة . وقلب خالص لم تتحكم فيه عوامل الشقاء ويدُ الأهواء. وإن الذي يرى ويسمع في عالمنا اليوم يخرج بنتيجة واحدة مؤلمة مخجلة تصغر لها الوجوه وَجَلاً وترتعد لها الفرائص خجلاً وتتميَّز منها القلوب حنقاً وغيظاً ويندى لها جبين الإنسانية . تلك النتيجة هي أن سلطان الدين قد ضعف في نفوس أهله، ولم يعد للوعظ والإرشاد تأثير على النفوس، وإن الله ليزعُ بالسلطان أكثر مما يَزعُ بالقرآن .

---

١ ــ هذا حديث نبوي ولفظه : إن المنبَّتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقىٰ .

٢ ــ شعر لابراهيم بن الأدهم سئل كيف أنت فقال :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقىٰ ولا ما نرقع

فطوبىٰ لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

إن خشية الله ورهبته قد فُقدت تماماً من القلوب، فأصبحت خالية من كل خير، إلا من التفكير فيما يغضب الله ويرضى الشيطان. أصبحت خالية تماماً إلا من المكر والخداع والتفنن في ضروب المعاصي والأذى وصنوف البلايا وأنواع المصائب والمحن .

يا أمة الإسلام بعد محمدٍ :

سلام على الإسلام بعد محمد   سلام على أيامـــه النضرات

إن تدهور أخلاقنا وضعف سلطان الدين على نفوسنا قد جعلنا في أحط منزلة يرثى لها. جرائمُ أخلاقية ترتكب بكل جرأة تحت ستار الحضارة المشؤومة . أصبحنا كالأنعام بل أضل سبيلاً . لقد أصبحت كل مخالفة دينية تعد في عرف المتمدنين مدنية وحضارة وتقدماً وازدهاراً . حتى لو سارت امرأة عاريةً مكشوفة الساقين والعنق والصدر، لقالوا هذا من المدنية . ويا ليت الأمر وقف عند حد السفور بل تناهى إلى التبرج والفجور . فلو وَضعت امرأةٌ النقاب على وجهها، لقالوا هذا من الرجعية . ولو تعانق الرجل والمرأة الأجنبيان عليٍ قارعة الطريق، لقالوا إنه رقيٌّ ومدنية. وتحت هذا كله أصبح التوازن مختلاً . والقيم الاخلاقية مبعثرة والعياذ بالله تعالى . فرحماك اللهم رُحماك ولطفك لطفَك بعبادك المساكين المغرورين .

أيها العقلاء. تالله لو رأى أهل هذا الزمان رجلاً أو امرأة يقيمان الصلاة ويعبدان الله تعالى، لقالوا إن هذا من الرجعية والرجوع إلى الوراء ولو رأوا ناسكاً أو متعبداً لقالوا هذا من الضلال والبلاء. ولو شاهدوا جماعة من الشباب والشابات يرتكبون الفواحش والمنكرات، لقالوا هذا هو الإسلام الصحيح.

يا قـــوم :

إلى أين نذهب .؟ إلى أين نولِّي وجوهنا .؟ إلى من نبث شكوانا .؟ فهذه المجلات الأسبوعية تَرِد إلينا من الخارج وفيها الصور المكشوفة الخليعة العارية الماجنة التي تقشعر والله من هولها الأبدان . إنك إذا تصفحتها

وجدت فيها صورة الرجل والمرأة على الحالة التي يخجل منها الإنسان وكأنهما مختليان في العربدة والمجون .

﴿**والتفت الساق بالساق. إلى ربك يومئذٍ المساق**﴾[1] فإذا رآها الشباب والشابات فماذا يفعلون.؟ وإلى أين يذهبون .؟ وماذا أنتم فاعلون.؟

إذا الحادثات بلغن النُّهى   فعند التناهي يكون الفرج

يا مسلمون :

هذه وسائل فساد الأخلاق مفتوحة على مصاريعها يرتادها الشباب والشابات، وحفلات الرقص قائمة بين الأصدقاء والصديقات . فإن وعظناكم وُصِمنا بالرجعية الهمجية واللا إنسانية، وإن سكتنا على ضيم الذل والعبودية حل بالمسلمين غضب رب البرية . خبروني بربكم لِمَ تخرجُ المرأة المسلمة بنت الرجل المسلم زوجة الرجل المسلم متهتكة متبرجة عارية الصدر والذراعين والساقين، مع أنها والله لا تصنع ذلك لزوجها.؟ خبروني. لماذا لا يغار عليها زوجها ولا يحافظ على شرفه أبوها.؟ أليس لها وازع من نفسها يردعها عن مخالفة هذا الدين.؟ أليس فيها بقية من حياء أو خوفٍ من الله.؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أيها العلماء. ماذا قدمتم لهذه الأمراض المتفشية في مجتمعنا اليوم، التي استعصى حلها على العقلاء.؟ قولوا بربكم ماذا عملتم.؟ أينفعكم السكوت ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾[2] فلو طلبنا منكم كلمة حق في محلها لأقمتم الدنيا وأقعدتموها، وقلتم يريد الخطيب أن يذكرنا بديننا ونحن متذكرون ، يريد أنْ يعظنا ونحن الواعظون، يريد أن يُرشدنا ونحن المرشدون. يكفيكم هذا الحديث من قوله ﷺ (من كتم علماً يعلمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)[3] أما أنتم أيها الناس

١ ــ سورة القيامة (٢٩ ــ ٣٠) .
٢ ــ سورة الشعراء (٨٨ ــ ٨٩) .
٣ ــ رواه عبدالله بن وهب المصري بسند صحيح باختلاف ببعض الألفاظ : من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار .

فلسان حالكم والله أعلم ﴿ **قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين** ﴾[1] وكأنَّ لسان الحال ما قاله ربُّ السماء ﴿ **وإذ قالت أمة منهم لِمَ تعظون قوماً اللهُ مهلكُهم أو مُعَذِّبُهم عذاباً شديداً، قالوا معذرةً إلى ربكم ولعلهم يتقون . فلما نَسوا ما ذكِّروا به أنجينا الذين ينهوْن عن السُّوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسُقون** ﴾[2] .

يا ذوي الولاية والسلطان. يا حكام البلاد في كل مكان . نعم ماذا يفعل العلماء بوعظهم وإرشادهم إذا لم تؤيدوا دعوتهم وتنفذوا رغبتهم امتثالاً لدين الله الحنيف.؟! فالوعظ وحده لا يكفي بدون قانون زاجر أو تشريع ظاهر. ماذا نقول.؟ أما الشرف وأما العفة وأما الحياء وأما الفضيلة في البلاد فأمور قديمة بالية، وتأخرٌ عصريٌ لا يتفق مع مدنية القرن العشرين..!! واختم كلمتي هذه بقولي فعلى الجميع رحمة الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولقد صدق من قال :

وإذا أُصيب القومُ في أخلاقهم   فأقم عليهم مأتماً وعويــــلاً

أيها الناس :

أما العلاج الحقيقي فهو الرجوع إلى الله، والوقوف عند حدود الدين، ومراعاة تعاليم الإسلام الحكيم . فتوبوا إلى خالقكم وثوبوا إلى رشدكم وارجعوا إلى ماضي عزكم وسالف مجدكم، واتقوا الله وتمسكوا بدينكم، وقفوا عند حدودكم، فكفى ما وصل إليه حالكم . تأدبوا بآداب القرآن فكفاكم تمرداً على ربكم ﴿ ...، **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**)[3] قال ﷺ (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم)[4] أو كما قال : أدعوا الله .

---

١ ـــ سورة الشعراء (١٣٦) .

٢ ـــ سورة الأعراف (١٦٤ ـــ ١٦٥) .

٣ ـــ سورة النور (٣١) .

٤ ـــ رواه البزار والطبراني في الأوسط والخطيب عن ابي هريرة بسند ضعيف .

الحمد لله وأشهد الاَّ إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

عباد الله : اتقوا الله وحافظوا على أخلاقكم، فقد مدح الله نبيه بقوله ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[1] راعوا حدود الله قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال . واعلموا أن الله تعالى صلى على حبيبه تعظيماً وتكريماً فقال (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً**) (الصلاة الإبراهيمية) .

وارض اللهم عن الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم القويم اللهم الف بين قلوبنا واجمع بين كلمتنا واجعل التوفيق والفوز والنجاح حليف الأمة العربية الإسلامية . اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك وهدايتك الحسين بن طلال أعزه الله ورعاه .

اللهم أصلح فساد قلوبنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاءً وسائر بلاد المسلمين. عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاءِ ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) . **وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

* * * * *
* * *
*

---

١ ــ سورة القلم (٤) .

أَلخطبة العشرون :

٢٤ صفر ١٣٨٢هـ
١٩٦٢/٧/٢٧

(رسولنا العظيم وإصلاحاته في الأرض)

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك **(رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)**. رب اغفر لي ذنوبي واستر لي عيوبي .

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله . اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

أما بعد . فقد قال الله تبارك وتعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾[1] .

أيها المسلمون :

لقد أشرق نور المصطفى ﷺ في الجزيرة العربية حين استحكمت الضلالة في النفوس، ولقد بعث الله محمداً ﷺ للناس جميعا، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم صراطاً مستقيما، فجاهد في الله حق جهاده، مقتحماً الشدائد، محتملاً الصعاب في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سائراً سير الحكيم، آخذاً قومه بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة الرشيدة غير مُتناسٍ قول الله تعالى ﴿**أدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن،...**﴾[2]. صبر على

١ — سورة آل عمران (٢٠٠) .
٢ — سورة النحل (١٢٥) .

إيذاء قومه صبر الكرام ، حتى اجتاح الضلاله ، وأظهر الحق بأقوى دليل ، وأرشد الخلق إلى دين الإسلام وهو أقوى وأقوم سبيل، وتم له ما أراد من نجاح اجتماعي وخلقي، وفوز حربي ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأكرمين العاملين .

إن تغيُّرَ حالةٍ كالأمة العربية ، وإحياء أمم الأرض بها وقلبَ نُظمها ، وإصلاح جميع أحوالها وأمورها وإخراجها من الفساد والاختلال والفوضى والاضمحلال، وإعلان العقيدة الحقة، وإظهار الإسلام على حقيقته برجل كمحمد ﷺ في حاله ونشأته وفقره ويتمه ، أمرٌ لم يُعهد له مثيل في تاريخ الإنسانية أبدا .

أيها المسلم الكريم :

هذا هو محمد ﷺ الذي أبدل وحده من الجهل علماً ، ومن الفساد نظاماً ، ومن الكفر إيمانا ، ومن الشرك توحيداً ، ومن التفرق اتحاداً ، ومن التخاذل ائتلافا، ومن الضعف قوة ، ومن الذلة عزة ، وهو في ذلك الليث الهصور ، والقائد المحنَّك، والسياسي الحكيم والرؤوف الرحيم ، مثالُ الإيمان الصادق الصحيح ، والإخلاص الأكبر للناس آجمعين ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة...** ﴾[1] : فلا عجب إذاً أيها المسلم أن أحيا رسولك المصطفى ﷺ أمة حملت لواء العلم والعزة والمجد ، والحرية والإخاء والمساواة إلى أمم الأرض قاطبةً مع شدة الحاجة إلى بعثته في ذلك الزمن، الذي سادت فيه الفوضى والفساد ، واستشرى فيه الكفر والظلم والاستبداد ، فغيَّرت رسالةُ هذا النبي الكريم وجه التاريخ في سنين قليلةٍ، وبسرعة خاطفة خارقةٍ للعادة ، مع أن دول ذلك العصر على عظمتها وقوتها وأموالها عجزت عن جميع شعوبها بصبغتها في الدين واللغة والجنس والأخلاق.

---

١ ــ سورة الاحزاب (٢١) .

فلم يزدد الناس منها إلا نفوراً وسخطاً وبغضا. فمحمد ﷺ الذي أحيا تلك الأمة وبعثها بعثاً جديداً في الإسلام، وجاء بذلك الدين، واستوجب محبة الأمم الآخذةِ بتعاليمه، المتأثرةِ بأقواله وأعماله إلى اليوم، لم يتمَّ له ذلك كلُّه إلا بالصبر والاحتمال والمجاهدة.

حقاً أيها المسلمون :

لقد خاب كل مُدَّعٍ للنبوةَّ من بعد بعثة محمد ﷺ وخاب كل مصلح بعد إصلاحه ، وخاب كل وطني بعد وطنيته ، لقد ظل محمد ﷺ فذّاً نسيج وحدِه في جميع أعماله، دون سائر البشر .

أما نحن الأمة العربية الإسلامية، فقد وكلنا اللهُ إلى أنفسنا حينما تركنا ديننا جانباً، وجعلنا تعاليم محمد ﷺ خلف ظهورنا واستبدلناها بمدنيةٍ عمياء . فدور الملاهي مفتوحة، وأماكن الفسوق والفجور قائمة، والخصومات والمنازعات منتشرة ، إننا والله أصبحنا عاجزين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأن البلاء عام ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة ...** ﴾[1] ﴿ **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس** ﴾[2] ألم يقل الله عز وجل ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون** ﴾[3] .

فالعالم يجامل في دينه ولا يستطيع قولة الحق، والحدود والعقوبات معطلة لا تقام على مرتكبي الجرائم الأخلاقية والدينية. وصدق الله العظيم ﴿ **فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاةَ واتبعوا الشهواتِ، فسوف يلقوْن غيًّا** ﴾[4] فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

١ ــ سورة الأنفال (٢٥) .
٢ ــ سورة الروم (٤١) .
٣ ــ سورة آل عمران (١٠٤) .
٤ ــ سورة مريم (٥٩) .

تاالله لو كانت تشاريعنا غير الإسلامية تنص على معاقبة المستهترين بالقيم الأخلاقية، وتعاقبهم على ارتكابها بمقدار معين من المال. ما أقدم الزاني ولا شارب الخمر، ولا تبرجت نساؤنا، ولا كنا في فوضى أخلاقية مفجعة.

يا إخواننا في الجزائر. يا قادة الجزائر. بالله عليكم لا تنسوا مليوناً من إخوانكم الضحايا قد استشهدوا في سبيل تحريركم من الظلم والاستعباد. دعوا بالله عليكم كل خلاف شخصي. واجعلوا كتاب الله دليلكم ومرشدكم وسنة رسوله ﷺ غايتكم. فلا نزال نقيم الأفراح بأعياد انتصار إخواننا في الجزائر. بالله عليكم لا تشمتوا بنا أعداءنا. وقد قال ﷺ (اللهم إنّي أعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)[1] وجاء على لسان بعض أنبيائه فلا تشمت بي الأعداء، ولا تجعلني مع القوم الظالمين .

عن ابن عمر رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال (كيف انتم إذا وقعت فيكم خمس وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن ، ما ظهرت الفاحشةُ في قوم يُعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطرة من السماء ، ولولا البهائمُ لم يُمطروا ، وما بَخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنينَ (أي القحطِ والجدبِ) وشدةِ المؤونة وجور السلطان ، ولا حكم امراؤهم بغير ما أنزل الله ، إلا سلَّطَ عليهم عدَّوهم، فاستنفدُوا بعضَ مافي أيديهم، وما عطَّلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم)[2] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

---

١ ــ وتمامه : اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال .

٢ ــ هكذا بمعناه وهو برواية البيهقي عن ابن عمر في منع الزكاة ولفظه : يا معشر المهاجرين خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة من قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة ، وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم ألا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سُلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض مافي ايديهم ومالم تحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه وهداه .

عباد الله هذه صفحة من نور تبين لكم أننا أصبحنا لا حول لنا ولا قوة إلا بالله . فأرجعوا إلى ربكم وتوبوا إلى بارئكم ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ...** ﴾[1] اذكروا الله تعظيما وتمجيدا وتكريما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) (الصلاة الإبراهيمية) .

وارضَ اللهم عن الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والعلماء العاملين وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين .

اللهم ارزقنا عملاً نرضيك به ورسولك المصطفى ﷺ اللهم اجمع شمل الأمة العربية الإسلامية ووحد صفوفها ، وانصر الإسلام والمسلمين ، وأهلك الكفرة والمشركين ؛ أعداءك أعداء الدين ، وانصر اللهم الحسين بن طلال واشمله بالعناية والرعاية والتوفيق ، واهده إلى أقوم سبيل وطريق .

واجعل هذه البلد آمنا مطمئنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .
عباد الله (**ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) (**وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

---

١ ــ سورة التوبة (١٠٥) .

الخطبة الحادية والعشرون :

١٠ ربيع أول ١٣٨٢هـ

١٩٦٢/٨/١٠

(القدوة الصالحة في الميلاد النبوي الشريف)

اللهم إني أسألك علماً نافعاً وقلباً خاشعاً ونوراً ساطعاً ورزقاً واسعاً وعملاً صالحاً وشفاءً من كل داء ، وأسألك الغنى عن الناس وشكر نعمتك وحسن عبادتك . اللهم ألهمني رشدي وأعزني من شر نفسي وأجرني من مُضلات الفتن واجعل لي في لساني نورا وفي قلبي نورا وفي سمعي نوراً وفي بصري نورا وفي كل حاسة من حواسي نورا . (**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

الحمد لله الذي اصطفى من جميع خلقه الذات المحمدية ، وأمد أحبابه وأصفياءه بهبات واسعة عليَّه ، (أحمده) سبحانه أن هدانا للايمان والإسلام ، وأشكره أن جعلنا من أمة خير الأنام المخصوصة من بين الأمم بأشرف منزلة ومزية . أشهد أن لا إله إلا الله الرؤوف الرحيم وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بالمؤمنين رؤوف رحيم . اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ذوي النفوس الزكية .

أما بعد ، فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ ـــ التوبة آية (٣٣) .

أيها المؤمنون :

في مثل هذا الشهر المبارك ، في الثاني عشر من شهر ربيع الأول على أصح الأقوال ، ولد الهدى ﷺ وعين العناية ترعاه ، ثم نشأ نشأة

سريعة . اتصف بالآداب السامية والأخلاق المرضية . كما قال (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[1] نشأ بين أمة جاهلية أمية . ختمت الرسالة ببعثته ، كما بدأت الخليقة بنور طلعته . دعا الناس إلى عبادة الملك العلام ، وحطم الأصنام ، وأظهر الأحكام . فعليكم باتباع شريعته الغراء ، ولا تكثروا المعاصي اتكالاً على شفاعته يوم العرض على الله وما له من عظيم الجاه ، لأن المعاصي طريق إلى الكفر ، طريق إلى النار ﴿**لكن الذين اتقوا ربهم هم غرف من فوقها غرف مبنية...**﴾[2].

ولقد كان محمد ﷺ من أشرف البطون والظهور ، كما قال عليه الصلاة والسلام (خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء)[3] .

أيها المسلمون :

إن الأمم تعنى بذكرى عظمائها تقديراً لأعمالهم ، ووفاءً بحقهم عليها ، وتذكيراً للحاضرين بأعمال الماضين . لكنَّ سيدنا محمد ﷺ غني عن تكريم الناس وتمجيدهم ، بعد أن كرمه الله تعالى فرفع ذكره وأعلى قدره ، لأنه النور الإلهي والمدد الرباني ، سِفر الوجود والخلود . صفحة التاريخ الفاخر بالعهد الزاهر . فإذا كنا نحن المسلمين نحب محمداً وسيرته وصحبه وآل بيته والإنتساب إليه ، فيجب علينا قبل كل شيء أن نقتدي بأعماله ونسير على آثاره ، باحياء سننه واتباع هديه وهداه وشريعته وتقواه .

أجل أيها المؤمنون :

في مثل هذا الشهر من عام الفيل قصد أبرهة ملك الحبشة الكعبة المشرفة ، بيت الله الحرام ، ليهدمها ويعفى على آثارها ، وينقض ذلك الرمز الإسلامي الباهر قبلة العالم الإسلامي في كل زمان ومكان . ولكنَّ الله تعالى بحكمته وإرادته رد أبرهة على عقبه خاسئاً خاسراً . نعم برز

---

١ ــ سبق تخريجه .

٢ ــ سورة الزمر (٢٠) .

٣ ــ رواه ابن عدي موصولاً .

النور المحمدي في مثل هذا الشهر ولكن لم تدقَّ لمولده الطبول ، ولم تعزف المعازف ، ولا غنت القينات . بل كانت ولادته ﷺ بشرى صلاح الإنسانية ، وخلوصها من ربقة الذل والعبودية . نعم نشأ يتيماً لم تتعهده عناية الأب الرحيم ، ولكن تعهدته عناية أرحم الراحمين ، إلى أن قام يدعو أمته إلى دين الله وقد حباه ربه من جميل الصفات وحميد الخصال ، ما قرب قلوب الناس إليه وجعلهم يقبلون عليه وتمتلىء نفوسُهم إعجاباً باستقامته وتحدثاً عن دماثة خلقه ، شب وترعرع وعرف بالأمين العف والشاب الذي لا تستهوية الشهوات ولا تستعبده الملذات ، لا يفتُرُ ساعة عن التفكر في خلق السموات والأرض ، وذكرِ الله قائماً وقاعدا ، عرف ربه بقلبه وعقله ، أقام الصلاة قبل أن يؤمر بها ، اتخذ ملة إبراهيم له ديناً قَيماً فلم يك من المشركين ، أمرنا بالعمل للدنيا والآخرة . كان يفر إلى غار وحدته يناجي ربه ويسأله الهداية إلى الصراط المستقيم . ولد عزوفاً عن أفعال الجاهلية ، وولد معه دين الإسلام . أحسَّ به متمشياً في جوانحه سارياً مسرى الدم في جسده .

نشأ هذا النبي حتى عمَّ نوره أرجاء العالمين فنشر بين العرب القساة ألوية الأمن والعدل والحرية والمساواة ، ولم تقتصر دعوته على الجزيرة العربية وحدها بل تجاوزت إلى ما هو أبعد من ذلك ، وأخرجت الناس من ظلمات الشرك والجهالة إلى نور المدنية والعرفان .

أيها المسلمون :

لقد أذن الله سبحانه وتعالى لنبيه أن يظهر مظهراً قوياً رائعاً يسري بين النفوس التي هداها الله ، سريان النسيم في الروضة الغناء ، ولقد جاهد هذا النبي وصبر وصابر ورابط ، فلم يخرج من الدنيا إلى جوار ربه الكريم حتى شاهد بعينيه نصر الله ، الذي وعده في قوله ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾[1] واطمأن لذلك. ولقد هيأ الله لهذا الدين من

---

١ ــ سبق تخريجها .

أصحاب محمد ﷺ واتباع شريعته حراساً أمناء وقادة أشداء ، اتبعوا تعاليم نبيهم ورعوها حق رعايتها وأقاموا معالمها ، حتى خفقت على العالم رايتُها . أجل لاح نور محمد في بطحاء مكة ، وانبعثت أشعته ذات اليمين وذات الشمال . وانقلب الجهل علماً والغواية هدىً والظلم عدالة .

ليلةُ المولدِ الذي كان للدين   سرورٌ بيومه وازدهاء

حيث جبريلُ في السموات مجدَّ   يعلن البشر في ولادة أحمد

سمعتْ امُّه البشرى بمحمد

وتوالت بشرى الهواتف أنْ قد   ولد المصطفى وحَقَّ الهناءُ

لقد كانت دعوة محمد مصدر خير ومطلع حكمة ، ترمي إلى أهداف سامية في إصلاح المجتمع بعقائده وتقويم أخلاقه وأعماله ، وتنقية النفوس من المزاعم الباطلة ، وتحرير العقول من أسر التقليد ، حتى تسيرَ تحت ضياء الحجة الواضحة .

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه

فقوم النفس بالأخلاق تستقم

معشر المسلمين :

لقد بزغت الدعوة المحمدية على الناس فصيحة البيان ، حكيمة الأساليب ، ناصعة البرهان . ومع هذا لم تسلم من جماعات يرمونها عن قوس إلحاد وقح أو مبدإٍ هدام أو جهل قائم ولولا أن الله تعالى تكفل بحفظها وقيض لها أنصاراً رسخوا في فهم مقاصدها في كل عصر وتصدوا للذود عن حياضها بيقظة وحزم وهمة وعزم ، لتمكن أولئك الملحدون من إخفات صوت الإسلام وطمس معالمه . فليست دعوة الإسلام بالدعوة التي ترشد إلى مواطن الإصلاح فحسب ، بل هي دعوة تحمل في مبادئها فرضاً على الأمة أن تقوم بتنفيذ ما تقرر . إذ لا ينفع كلامٌ بحق لا نفاذ له .

أيها المسلمون :

لقد تمسكنا اليوم بمظاهر الذكريات النبوية والأعياد الدينية بقشورها لا بلبابها ، لقد خُدعنا بمدنيات زائفة ومظاهِرَ خلابةٍ أنستنا ذكريات الماضي المجيد والعهدِ السعيد .

لقد كنا سادة . لقد كنا أحراراً أمجاداً . لقد كنا مجاهدين وعاملين ، فهابنا الناس وحسبوا لنا حساباً أما اليوم فقد تحللنا من كل فضيلة ، وتمسكنا بكل رذيلة ، وادعينا أن كل ضلالة ومجونٍ وفسوق من أعمال الإسلام والمسلمين . كلا إن الإسلام عزيز لن يذَل ، قوي لن يضعف . ولقد تَركَنَا هذا الرسول على المحجة البيضاء . جمع الله في شخصه الكريم سعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة . أرشدنا وهذبنا ورسم لنا الطريق الواضح ، فانحرفنا كل الانحراف ، وركبنا الشطط والاعتساف .

مولاي الرسول الكريم .. هذه امتك تنتسب اليك بالقول لا بالفعل تركتها صادقة فكذبت ، تركتها مؤمنة بمبادىء الإخلاص في البيع والمعاملات فاعرضت ، تركتها ناصحةً في العمل فنافقت وخدعت وغشت وظلمت، سيدي رسول الله لقد تركت هذه الأمة موحدة فتمزقت ، تركتها قوية فضعفت ، تركتها عزيزة فذلت ، وما ذلك إلا بسبب انحرافها عن جادتك المثلى وابتعادها عن هديك وإرشادك . مولاي الرسول العظيم .. نظرةً من نظراتك ونفحةً من نفحاتك تحيي بها ميِّتَ القلب وفاقد الضمير وعديم الإحساس . كيف نصنع والمنكرات متفشية فيما بيننا .؟ كيف نعمل والقرآن أصبح وراء ظهورنا .؟ كيف نصنع والاستخفاف بالدين وأهله واقع فيما بيننا .؟ هؤلاء يا رسول الله حَمَلة شريعتك قد انصرفوا عن هديك وإرشادك ، وتمسكوا بطريق غير طريقك ، ولزموا باباً غير باب ربك .

﴿ ربنا أرنا اللذين أضلَّانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾[1] .

---

١ ــ سورة فصلت (٢٩) .

قال ﷺ (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله)[1] (أو كما قال أدعو الله وانتم موقنون بالإجابة) .

★ ★ ★

الحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على رسوله باطناً ظاهراً على آله وصحبه أشهد الا إله إلا الله شهادة تنفعنا يوم العرض على الله وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، عباد الله .. خذوا من سيرة محمد منهاجاً لكم تُنصروا وتظفروا ، وتمسكوا بشرعه القويم تُجبروا وتؤجروا ، واعلموا أنه تعالى أمرنا بالصلاة على نبيه في كتابه الكريم تمجيداً وتعظيماً ، قال تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً**) (الصلاة الإبراهيمية) .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ونسألك اللهم بجاه صاحب هذه الذكرى العطرة النيِّرة سيدنا محمد ﷺ أن تصلح ما فسد من قلوبنا ، وأن تؤلف بين القلوب المتنافرة ، وتجمع بين النفوس المتباغضة ، وانصرنا على القوم الكافرين . اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، واصلح لنا شأننا كله يا رب العالمين . اللهم وفق الأمة العربية الإسلامية إلى ما تحبه وترضاه من القول والعمل والنيَّة والهدى . إنك على كل شيء قدير .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ـــ مشكاة المصابيح (١٨٦) .

الخطبة الثانية والعشرون :

١ ربيع الآخرة ١٣٨٢هـ
١٩٦٢/٨/٣١

(الإصـــلاح)

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ياذا الجلال والإكرام يامن وسعت كل شيء رحمة وعلما ، أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، (**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) ..

الحمد لله الذي رفع بالإصلاح شأن المسلمين وأعلى قدرهم ،فقال سبحانه ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهوْن عن المنكر** ﴾[1] وأشهد أن لا إله إلا الله العليم بكل شيء ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذي حذر من الفرقة والاختلاف ، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين سلكوا سبيله فكانت لهم سعادة الدنيا والدين ، وبعد . فقد قال تعالى في تنزيله الحكيم ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسِطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم تُرحمون** ﴾[2] .

---

١ ـــ سبق تخريجها .
٢ ـــ سبق تخريجها .

أيها المسلمون :

لما كان الإسلام هو دين البشرية الخالد عُني بالإصلاح بين المتخاصمين من الأفراد والأسَرِ والجماعات ، بين الناسِ بعضهم بعضا على اختلاف طبقاتهم ومناصبهم ومراكزهم ، وكان طبيعياً أن يختلفوا ولا يتفقوا ، كما قال جلت حكمته ﴿ ...، **ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربُك ولذلك خلقهم** ،... ﴾[1] كثيراً ما يقع الشقاق بين الأقارب والأشقاء بسبب فساد نياتهم وحسدهم وتعاميهم عن ثواب الآخرة وتغاضيهم عن أداء الحقوق لأربابها ، فيقطع حبل المودة بينهم وتنهار دعائم الأخوة والصِلات بسبب الأحقاد وسوء الطويات .

وكثيراً ما يقع الشقاق بين الزوجين فتسوءُ العشرة بين أهليهما ، ولولا تدخل عقلاء الطرفين لانصرم حبل المودة وانفصمت عرى المحبة . ولو تباعد المفسدون من أقارب الزوجين لعادت المياه إلى مجاريها وانتظمت الحياة الزوجية . ولذلك دعا الله إلى الإصلاح فقال ﴿ **وإن امرأةٌ خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جُناح عليهما أن يُصلحا بينهما صلحاً ، والصلح خير** ،... ﴾[2] نعم لو تدارك العقلاء خطر الاختلاف بين الزوجين واختاروا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ، لحسموا مادة النزاع وأعادوا للحياة الزوجية صفاءها وبهجتها ، كما قال سبحانه ﴿ ... **فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفقِ الله بينهما ، إن الله كان عليما خبيرا** ﴾[3] .

أيها المسلمون في هذا الزمان :

نعم لو تدارك العقلاء كلَّ خلاف وبحثوا عن أسبابه لدامت المحبة والمودة وجمعوا بين القلوب المتناكرة المتباغضة ، ولكن ويا للأسف يا للخيبة من الناس اليوم مَنْ لا يهتم بأمر المسلمين وخلافاتهم ، بل يزيد النار

---

١ — سورة هود (١١٨ ، ١١٩) .
٢ — سورة النساء (١٢٨) .
٣ — سورة النساء (٣٥) .

ضراما واشتعالا ، وهو لذلك طروب متلذذ ﴿ ...، **إن الله لا يصلح عمل المفسدين** ﴾[1] .

وصدق رسول الله (من لم يهتم بأمر المسلمين، فليس منهم)[2] وفي بعض الآثار (ما عرض الصلح على قوم فأبوْه إلا وندموا)[3] .

أيها المسلم الصادق :

لِعظَم شأن الإصلاح حرم الله الكذب في جميع الحالات إلا في حالة الإصلاح بين الناس ، لأن فيه جمع القلوب وتأليفها ، وَوَصْلَ ما أمر الله به أن يوصل . قال ﷺ (ليس بكذاب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نما خيرا)[4] وقال عليه الصلاة والسلام (أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصمُ)[5] يعني كثير المخاصمة والمشاغبة فكل رجل أو امرأة سعى أو سعت في إثارة القلاقل والاختصام فقد دعا إلى فتنة ، والفتنة أشد من القتل .

إن الخلاف بين الأفراد والجماعات والتقاطع خروج عن جادة الشريعة ، وفساد في الآخرين . قال ﷺ (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان ، فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)[6] وما زاد على ذلك يكون قطعاً لحقوق الأخوة التي ربط الله بها المؤمنين .

أما الخصومة للدفاع عن حياض الدين والوطن فهي من أَوْجَب الأعمال ، كما إذا أمرتَ بمعروف ، أو نهيت عن منكر واقع .

---

١ ــ سورة يونس (٨١) .

٢ ــ رواه الحاكم .

٣ ــ رواه اصحاب السنن .

٤ ــ تقدم وهو متفق عليه بلفظ : ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً او نمىٰ خيراً وفي رواية البخاري ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً او يقول خيراً .

٥ ــ الحديث متفق عليه .

٦ ــ متفق عليه

وأيُّ ضرر أكبر وأخطر على المجتمع من القطيعة بعد الصلة والمودة ، فبمثل هذا وذاك تضعف عزائم المؤمنين تُثبِّتُ العدو المتسلط آهٍ ثم آهٍ فكم من بيوت خربت ؟ وكم من أسرةٍ كانت ناعمة البال قريرة العين تمزقت أوصالها وتشتت شملها ، من التمادي في الخصومة والهجر والجفاء ولقد أحسنت حكومتنا الرشيدة في بيانها الصحافي يوم جعلت بيوت الله مركزاً للإشعاع الديني وفي هذا إعطاء الحرية التامة للعلماء والخطباء والوعاظ في التوجيه والإرشاد وقولِ الحق ، الذي لا يستحيي الله منه ، ولا ريب أن المصارحة للشعوب والهيئات فيما نصت عليه الشريعة دون سكوت عن الحق ، أعظم برهان على حسن النية . ولهذا فأني أقولها صريحة تبلغ مسامع الدنيا كلِّها موجهة إلى كل حاكم وقائد وزعيم في البلاد العربية ان الله تعالى يقول ﴿ ... **وأصلحوا ذات بينكم** ،... ﴾[1] ويقول ﴿ ... **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين** ﴾[2] ويقول بصراحة في كتابه ﴿ ... **وتعاونوا على البر والتقوى** ،... ﴾[3] أيتها الدول العربية والإسلامية في كل مكان . أيتها الجزائر الحرة .

إن في خلافاتكم القائمة واستعجالكم لأخذ الثأر من بعضكم البعض استعجالاً للقضاء على القضايا الإسلامية العربية الهامة .

إن في خلافاتكم إضعافٌ لحقوقنا ومطالبنا وقُوانا أمام العدو . إننا نتقدم إلى الأخطار المفاجئة يوماً بعد يوم يا حكام البلاد وقادتها وساستها في البلاد العربية .

---

١ ــ الأنفال (١) .
٢ ــ آل عمران (١٣٤) .
٣ ــ المائدة (٢) .

تالله إنكم مسؤولون أمام الله عما حصل في الماضي ، ويحصل في المستقبل والقضاء يقر ، وعي الشعوب يسطر ويحرر ، فماذا على إسرائيل لو تبجحت في إذاعاتها وصحافتها وطلبت التوسع الجغرافي في البلاد على حساب الأخرين على حساب الأمة العربية الإسلامية .؟!! وماذا عليها لو هددت كل حين بتحويل مجرى الأردن عصب الأمة الإسلامية العربية جمعاء .؟!! تيقظوا أنتبهوا تنازلوا عن أنانياتكم وأطماعكم . إن الموت يحيط بكم من كل مكان ، وسيسألكم الله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

اما حملة الدعوة الإسلامية فما عليهم إلا أَنْ ينبهوكم ويحذروكم من الأخطار الناجمة عن الخصومات والمنازعات . رحماك يا رباه رحماك .

قال ﷺ (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة . قالوا بلى قال إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين)[1] أو كما قال ادعوا الله .

★ ★ ★

الحمد لله مصلح القلوب والصلاة والسلام على رسوله خير خلق الله وعلى آله وصحبه .

اتقوا الله أيها المسلمون اتقوا الله وراقبوا ربكم فإنه حسيب رقيب عليكم .

أيها المؤمنون أيتها الأمم الواعية :

---

١ ـــ سبق تخريجه .

هذه الجزائر الشهيدة قضت حِقبةً من الزمن وهي في صراع مع الباطل ، ومع ذلك فهي لا تزال في شقاق بعيد وتناحر شديد ، فرحماك يا رباه رحماك .

اللهم إنا نشهدك بأنا عاجزون عن رأب هذه الصدوع ، فالرحمة الرحمة اتقوا الله يا حماة الإسلام ، اتقوا الله يا حماة الديار والأوطان اتقوا الله يا حماة الأديان فهذه فلسطين ومقدساتها وشيبها وشبانها أمانة في أعناقكم .

اللهم ألف بين القلوب واجمع بين الكلمة وأصلح فساد قلوبنا .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك سليل الدَّوحة الهاشمية الحسين بن طلال نصره الله واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاءِ ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الثالثة والعشرون :

٨ ربيع الآخرة ١٣٨٢هـ

١٩٦٢/٩/٧

(فضل التعلم والتعليم)

أسأله تعالى أن يلهمني رشدي ويعيذني من شر نفسي . اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كلّه **(رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)** .

أحمد الله واستهديه سبل الرشاد ، وأعوذ به من مفاتن الحياة ونزعات الإفساد ، أعوذ به من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يرفع . سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . أشهد أن لا إله إلا الله تكفلَّ لأولي العلم عيشة راضية في الدنيا ، ونعيماً في الآخرة ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذي آتاه الله العلم والحكمة ، وأيده بروح منه. اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته، الذين يعلّموا العلم لوجه الله تعالى فنالوا به ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب العاملين . أما بعد فقد قال عز من قائل ﴿ **يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾ المائدة آية (٦٧).

أيها المسلمون :

إن الله جلت حكمته أمر نبيه الكريم في هذه الآية أن يبلغ ما أنزله الله عليه ولا يكتم منه شيئاً ، أمره أن يقول الحق ولو كان مُرًّا ، فإن لم يفعل ذلك فخاف الناس وخشي بأس الآخرين ، كان كاتماً للعلم ، غير

متمثلٍ أَمر ربهِّ . وبهذه المناسبة فقد طمأنه ربُّه بأنه إذا بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة فلا خوف عليه ، لأن الله يعصمه ويحفظه من شرورهم وأذاهم ما دام على الحق . وفي الأثر (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقطعا رزقاً ولم يقصِّرا أجلا) [1] ولذلك كان النبي ﷺ أبلغ الرسل في حجته وموعظته فكان يحدث قومه كأنه منذر جيش يقول صبَّحكم مسَّاكم فتحمر عيناه وتنتفخ أوداجه [2] .

أيها الناس :

إن محمداً ﷺ كان يقول كلمة الحق ولا يبالي وهي أفضل الجهاد . لا تأخذه في الحق لومة لائم ولا إنكارُ منكر ولا اعتراضُ معترض ، لأن هدفه الأسمى هو الله . ولذلك كانت رتبة العلم أعلى الرتب لما فيها من الصراحة في الأقوال والأفعال دون محاباة أو مواربة .

أما مواعظ المجاملات لمجرد الشهرة والسمعة فليست من الحق في شيء ولا تأثير لها في القلوب وما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان ، وما خرج من القلب وصل إلى القلوب . ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النارَ ولا يكلمُهم اللهُ يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾ البقرة (١٧٤) .

---

١ ــ رواه الاصبهاني من حديث طويل ولفظه : ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقاً ولا يقرب أجلاً .

٢ ــ رواه ابن الحاكم وابن ماجه عن جابر ، ولكن بلفظ آخر . كان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صبحكم مساكم .

أيها المؤمنون :

لقد اقسم الله بنفسه ، وثنى بملائكة قدسه ، وثلَّث بأولي العلم بان الدين الصحيح الواقعي هو دين الإسلام . فقال سبحانه ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ،إن الدين عند الله الإسلام**...﴾ آل عمران آية:(١٨)و(١٩).

إن العلم الذي يستضاء به هو علم الشريعة الإسلامية ، ذلك العلم الذي ركز في نفوس حامليها حقائق الحياة ومعانيهَا .

فلقد كانت العلوم الشرعية دستوراً وقانوناً جامعاً لخيري الدنيا والآخرة ، جامعاً لمصالح الدنيا والدين ، داعياً لحل مشاكل العالم كلِّها دون تمييز في الحق بين كبير أو صغير وبين جليل أو حقير وبين عالم أو جاهل .

فالعلوم الشرعية هي المقصودة من الحياة الاجتماعية ، لأن فيها تنظيم الروابط والعلائق بين الخالق والمخلوق وبين الفرد والجماعة . فالشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان .

أما الاقتصار على تلقي العلوم الكونية والعصرية ، تلك العلوم التي تقوي الروابط المادية والشخصية في نفوس الناس ، ولا تهدف بطبيعتها إلا إلى بناء كيان مادي ينمِّي في قلوب ذويه روح الكراهية والبغضاء ويُشعل نار التنافس على أغراضٍ ماديَّة زائلة والتهافتِ عليها تهافتَ الفراش على النار . فهذا كلهُّ لا يغني من الحق شيئاً وحبذا لو جمع الطالب بين علم الشريعة والعلوم الكونية ، لأن العلوم الشرعية تُهذب الأرواح وتقوي النفوس ، ويزن صاحبُها أعماله بالقسطاس المستقيم .

يا شباب محمد عليه الصلاة والسلام :

إنني أدعوكم إلى تلقي العلوم الشرعية الصحيحة الثابتة . أدعوكم إلى تلقي العلوم الكونية من طب وهندسة وتشريح وفهم في علم طبقات

الأرض إلى غير ذلك . لكن الأهمَّ من هذا كلِّه هو فهم الدين الإسلامي من طريقه الصحيح بالموازين الشرعية والمقاييس المنطقية والوعي الصادق.

أيها المسلمون :

لقد أحسنت حكومتنا الرشيدة يوم دعت إلى إنشاء كليات وجامعة في الأردن تعلم فيها شبابنا ما يغنيهم عن مصدر آخر . بارك الله خطواتِها وجهودها ، لكنني قبل كل شيء أذكر المسؤولين ﴿ ... **فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ (١) أذكرهم بمعاهد العلوم الشرعية الإسلامية والعناية بها ودعمِها من النواحي المادية والمعنوية ، لتكون في مصاف المعاهد الشرعية العليا في البلاد العربية الإسلامية الأخرى لمقاومة المبادىء الهدامة هذه المعاهد التي مضى على تأسيسها سنوات وهي تُخرِّج رجالاً أقوياء في دينهم وعقائدهم يحملون رسالة الإسلام فلا تجد لها ولياً ولا نصيرا ولا سميعاً ولا بصيرا . ﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمراتٍ مختلفاً ألوانُها ، ومن الجبال جُدَد بيض وحُمْرٌ مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدوابِّ والأنعام مختلف ألوانُه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ،...** ﴾ (٢) .

ولا ريب أن العلماء في هذه الآية هم الذين عرفوا الله فخافوه من آياته الكونية ، التي تجلَّت في خلقه . فمن درس علوم الكون وما فيها من عجيب الصنع والإبداع ، آمن إيماناً كاملاً بوجود الله تعالى ، وكان أكثر خشية ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب** ﴾ (٣) .

---

١ — سورة الذاريات (٥٥) .
٢ — سورة فاطر (٢٧،٢٨) .
٣ — سورة آل عمران (١٩٠) .

أيها المسلمون :

إذا كان هذا هو شأن العلوم الدينية الشرعية ، فما بال كثير من المتعلمين قد انحدرت نفوسهم واستباحوا كلَّ نقيصة وتركوا كل فضيلة .؟ وما بال أنصافِ المتعلمين تجدهم سِراعا إلى المنكرات والمعاصي لا يخافون ربهم ولا يفعلون ما يؤمرون .؟ وصدق الله العظيم ﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ آية (٧) الروم .

أيها الشاب المسلم المتعلم :

لا يذهبْ بك الظنُّ بعيداً أني لا أريد لك التقدم العلمي في التحصيل والاجتهاد ونيلِ الشهادات ، كلا ثم كلا ، أقول لك عليك بالجد والاجتهاد والكفاح في هذه الحياة بهمة لا تعرف الكلل ومضاء عزيمة لا تعرف الملل . قال تعالى لنبيه يحيى عليه السلام ﴿ **يا يحيى خذ الكتاب بقوة** ،... ﴾[1] أي بجد واجتهاد . إنني أدعوك أيها الشاب المسلم أن تضيف إلى معلوماتك الكونية علوماً شرعيةً دينيةً . حيوية تلك العلومُ التي تنير بصيرتك وتذلل لك سبل الحياة . فلا تغرنَّك مباهجُ هذه الحياةِ ، ولا تخدعنك مظاهرها الكاذبة الخادعة ، فالسعيد من اتعظ بغيره ومن نظر فاعتبر . كان الناس من قبل يتسابقون على تلقي العلوم الشرعية فدانت لهم الدنيا بحذافيرها ففتحوا أمصارها وأسسوا فيها الحضارات الإسلامية الصحيحة التربوية ، لم تشغلهم الدنيا عن الدين وقد نبغ علماء أفذاذ في شتى العلوم الكونية والفلسفة الاجتماعية والطب ، كابن رشد وابن سينا والفارابي وغيرهم مِمَّنْ اتقن البحث .

---

١ ــ سورة مريم (١٢) .

أيها الناس :

إن العلوم الشرعية تقوّي عزائم المرء وترمِز إلى أسمى المشاعر والعواطف ، وتقوي مراقبة العبد لربه ﴿ **فما أوتيتُم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى ...** ﴾ (١) .

قال ﷺ (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي) (٢) أو كما قال . ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الذي دعانا إلى التزود من العلم فقال له ربه ﴿ ...، **وقل رب زدني علما** ﴾(٣) اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين .

عباد الله :

اتقوا الله وتعلموا العلم لوجه الله ﴿ ... **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ (٤) واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما وقال ولم يزل قائلاً عليما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليما**) (**الصلاة الإبراهيمية**) .

وارض اللهم عن الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

١ ــ سورة الشورى (٣٦) .
٢ ــ رواه البخاري .
٣ ــ سورة طه (١١٤) .
٤ ــ سورة الاسراء (٥٨) .

اللهم ألف بين قلوبنا ، واجمع بين كلمة الأمة الإسلامية العربية واجعل عالمنا العربي الإسلامي صادعاً بأمر الله تعالى يعمل بكتابه ويسير على هدي رسوله .

اللهم ألف وآخ بين قلوبنا إخواننا في الجزائر ، ووحد صفوفهم وانصرهم على من عاداهم .

اللهم إنا نبتهل إليك رافعين إليك أكف الضراعة أن تنصر مليكنا المحبوب نصير العلم والعلماء الحسين بن طلال حفظه الله ورعاه .اللهم خذ بيده إلى مافيه صلاح الدنيا والدين ، وجنبه شر الظالمين المفسدين ،واجعل هذا البلد آمنا مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

* * * * *

* * *

*

أَلخطبة الرابعة والعشرون :

٢٢ ربيع الآخرة ١٣٨٢هـ
١٩٦٢/٩/٢١

(الأخوة الإسلامية وحرمة البيوت)

اللهم إني استعينك واستهديك واستغفرك وأتوب إليك ، وأصلي وأسلم على نبيك الكريم ورسولك العظيم ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين . اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا . إنك أنت العليم الحكيم **(رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)** .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الحمد لله الذي جعل المؤمنين إخوة ، فقال في كتابه الكريم ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾[1] أحمده سبحانه وتعالى ، وأشهد أن لا إله غيرُه . لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت . ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك رسول الإنسانية والرحمة الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، أما بعد . فقد قال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ **...، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾[2] .

أيها المسلم الكريم :

من أوصاف المؤمنين الجميلة أنهم إذا أساءوا استغفروا ، وإذا أعطوا شكروا ، وإذا أخطأوا أنابوا إلى ربهم ، ومن صفاتهم الابتهال إلى الله ألاّ

---

١ ـــ سورة الحجرات (١٠) .
٢ ـــ سورة البقرة (٢٨٦) .

يحملهم ما لا يطيقون من الصعوبات والمشقات ، ومن صفاتهم طلب المغفرة والرحمة والنصرِ على الأعداء .

أيها المؤمنون :

لقد أمرنا الله بالبر والطاعات ونهانا عن الإثم والسيئآت ، ومهما جد أحدنا في الحياة واجتهد ، فلا ينال إلا ما قدره الله له .

فالمعاصي تحيط بنا من كل جانب ، والمُغريات تهاجمنا من كل حَدَب وصوب ، إذاً لا نجاة لنا إلا بالرجوع إلى الله ، والوقوف عند حدود الله . قال تعالى ﴿ **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾[1] .

أما أولئك العصاة المغرقون في السيئآت وارتكاب الموبقات فهم يكذبون ويخادعون الله ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون .

إن الله لا ينظر إلى الصور والأقوال ، ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يُجزاه الجزاء الأوفى** ﴾[2] وقال تعالى ﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم ،...** ﴾[3] .

أيها المؤمن الكريم :

إننا في كل يوم في هذه الحياة نصيب ونخطىء ونُحسن ونسيء ، لكن أخطاءنا تزيد على طاعاتنا ، وإذا أطعنا الله يوماً فقد عصيناه أياما . ﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ...** ﴾[4].

لقد أرشدنا الله إلى كل عمل يُنيلُنا العزة والكرامة والمجد والعظمة ، وعلمنا جميع ما نحتاج إليه في حياتنا الفردية والاجتماعية ، هدانا إلى أحسن السبل وأقوم الطرق ، حتى نكون خيرَ أمة أخرجت للناس ، حذرنا من

---

١ ــ سورة طه (٨٢) .
٢ ــ سورة النجم (٣٩ ــ ٤٠ ــ ٤١) .
٣ ــ سورة النساء (١٧) .
٤ ــ سورة التحريم (٨) .

كل عمل يسيء إلينا ويوجب الذل والعار والضعف والانحلال ، أمرنا أن نسير في الأرض ليالي وأياماً متكبدين الأسفار ، لنعلم ما فيها من خيرات ومعادن وأخلاقٍ وعادات ، وفي هذا مجال فسيح واسع لتحقيق الأخوة الإسلامية العامة الشاملة . قل سيروا في الأرض ثم انظروا قال ﷺ (المسلم أخو المسلم لا يَظلمه ولا يُسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)[1] ، فمن مقتضى الأخوة الإسلامية أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، كأن يكون عزيز الجانب ، موفور الكرامة وتكرهَ له ما تكرهُ لنفسك ، فإذا فعلت ذلك بصدق وإخلاص فقد حققت الأخوة الإسلامية ، فما أبلغ هذه الجملة وما أروعها وما أعمق معناها ، وما ابعد الغاية التي ترمي إليها .

فإذا كان المسلم أخاك ، كيف تجيز لنفسك أن تظلمه .؟ مع أن النبي ﷺ قال (لو بغى جبل على جبل لدك الباغي منهما)[2] وقال (الظلم ظلمات يوم القيامة)[3] فإذا ما قصرت في نصحه وإيصاله إلى حقه ، فقد ظلمته .

أيها المسلمون :

من صفات المؤمنين الصادقين التحلي والتخلق بأخلاق رسول الله عليه الصلاة والسلام والتأدب بآداب البيوت والمنازل ، فإن للبيوت في نظر الإسلام حُرمةً وقدسيه ، قال تعالى ﴿ **والله جعل لكم من بيُوتكم سكنا** ... ﴾[4] ليستتروا فيها عن الأبصار ، وقد منع الله الأجنبي من الدخول فيها بغير إذن أصحابها . فالبيت موطن الرجل والمرأة ، فمن أراد أن يعرف حقيقة تاريخ البشر فليراع حقوق البيوت ، لأن رعاية حرمتها هيٍ أساس قوة الأمة ومنبعُ رجُولتها ، فالأسد يفترس من يقتحم عليه عرينه غيرة

١ ــ رواه مسلم .
٢ ــ رواه البخاري في الادب المفرد .
٣ ــ رواه البخاري ومسلم .
٤ ــ سورة النحل (٨٠) .

وحميه ، والنَّسر ينقض على من يعبث بوكره . لذلك كله جاء الإسلام بما يوفر على البيت هدوءه ، ويكفل سعادة أهله ، ويحفظ له حرمته ، قال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بُيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خيرٌ لكم لعلكم تذكَّرون** ﴾[1] وورد أن امرأة من الأنصار شكت إلى رسول الله ﷺ فقالت (يا رسول الله إني أكون في بيتي على حالٍ لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد ، فيأتي الأبُ فيدخلُ عليَّ وإنه لا يزال يدخل رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع .؟ فنزلت تلك الآيات .

أنظروا أيها المسلمون إلى هذه المرأة التي شعرت بنفسها المهذبة ، وأدركت بإحساسها الرقيق وأدبِها السامي العريق ، أن هذه عادة مُجانِبةٌ للأدب مؤذيةٌ للحرية ، فسألت رسول الله ﷺ لتحفظ على المرأة كرامتها ، وتصونَ لها أدبها ولترعى للبيت حرمته ، وتوفرَ له قدسيته أجل: إن المرأة إذا رزقت عَزيمةً صادقة وقلباً طاهراً ونفساً زاكية مؤمنة وديناً راسخاً، وفقت للصواب، وأُلهمت وجه الحق، يا مسلمي هذا الزمان.

إن الله تعالى أمرنا في هذه الآيات وغيرها ، ألاَّ ندخل بيوتاً غير بيوتنا حتى نستأذن ، تنبيهاً لأصحاب الدار بالقدوم عليهم ، ليأخذ كل منهم نفسه بأدب الحشمة وجميل الستر ، فلا يجوز الدخول بلا استئذان ، ولا يجوز النظر الى داخل البيوت من نوافذها .

إذاً فما بال شباب اليوم يخالفون أمر الله فيأتون الى بيوت أصحابهم ويدخلونها بلا استئذان ، فتقابلهم في مداخلها زوجات أصحابهم مذهولة بهم فيجلس الصاحب الى جانب زوجة صاحبه دون ما حياء أو خجل ، يقول ﷺ (ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان ثالثهما الشيطان)[2] ، فما بالنا تحللنا من كل فضيلة وأتينا كل رذيلة .؟!! فهل اندرست معالم

---

١ ـــ سورة النور (٢٧) .

٢ ـــ رواه مسلم بتغيير باللفظ : ما اختلى رجل بامرأة الا وكان الشيطان ثالثهما .

الاسلام .؟ هل ذهب القرآن .؟ هل ذهب الحياء والايمان في هذا الزمان .؟ ماذا يسمى هذا في مذهبكم أيها الشباب .؟ أيسمى مدنية وحضارة .؟ أم يسمى سُبَّة ولفتة وعاراً . فكروا قليلاً في أنفسكم الى أين تذهبون .؟ أتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم .

فكروا قليلاً في مصير زوجاتكم وأبنائكم قبل أن تختلط الأحساب والأنساب ﴿ ... ، **أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة** ، ... ﴾(١) أعميت أعينكم وقلوبكم .؟ هل تصاممتم عن النصائح والمواعظ .؟ أوليس هناك سائل ومسؤول .؟ أوليس هناك حساب وعقاب .؟ أوليس هناك رجوع ومآب .؟ ﴿ **إن كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً** ﴾(٢) .

يا أخي المسلم الكريم :

إذا كانت المرأة في صدر الاسلام تتأذى من أبيها وأخيها وقريبها ان يدخل عليها بيتها وحدها بعد استئذان ، فمابالكم بالاجنبي يأتي بيتاً غير بيته وأهلاً غير أهله ، ظانا نفسه أنه مدني متحضر ، ضارباً بآداب القرآن والاسلام عرض الحائط ، فهل يعتبر إقدام الفاسقين المارقين من الدين على مثل هذه الاعمال تشريفاً لنا في حياتنا المدنية والدنيوية ..؟! وهل نتخذهم قدوة في أعمالنا ..؟! إن قدوتنا العظمى هو رسول الله ﷺ المشرع الأعظم لا غير .

قال ﷺ (أدبني ربي فأحسن تأديبي)(٣) أو كما قال :

ادعو الله وأنتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★ ★

---

١ ــ سورة التوبة (٣٨) .

٢ ــ سورة مريم (٩٣) .

٣ ــ سبق تخريجه .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد . فاتقوا الله أيها الناس في أنفسكم وأزواجكم وأهليكم ، واسمعوا وأطيعوا ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾[1] .

لقد أمركم الله بالصلاة على نبيه حباً وتعظيماً ، قال تعالى ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ الصلاة الابراهيمية . وارض اللهم على أصحاب رسول الله أجمعين ، وتابعيهم بإحسان الى يوم الدين . اللهم الف بين قلوبنا واجمع بين كلمتنا ، وأدبنا بآداب نبيك الكريم .

اللهم أصلح فساد قلوبنا ، واجمع شملنا ، وأصلح ذات بيننا ، وهيىء لنا من أمرنا رشدا ، وثبتنا على كلمة الهدى ، واجعل كتاب الله دليلنا ومرشدنا ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، إنك سميع قريب مجيب . ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك مليك البلاد الحسين بن طلال ، حفظه الله . واجعل هذا البلد أمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

وأقم الصلاة (... ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون) .

---

١ ــ سورة التحريم (٦) .

الخطبة الخامسة والعشرون :

٧ جمادى الأولى ١٣٨٢هـ
١٩٦٢/١٠/٥

(التمسك بالدين)

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم . اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي ، وأجرني من مضلات الفتن ، (**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

الحمد لله الذي تفضل علينا بواسع الكرم ووافر الجود والنعم ، (أحمده) تعالى وأشكره وأتوب إليه واستغفره وأسأله اللطف فيما جرى به القلم ، وأشهد أن لا إله إلا الله المنزَّه في ذاته وصفاته ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بأشرف آياته . اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أولى الصدق والاخلاص وطهارة الذمم .

أما بعد . فقد قال الله تعالى ، وهو أصدق القائلين ﴿ **يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم . الذي خلقَك فسوَّاك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك . كلا بل تكذبون بالدين . وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون** ﴾[1] .

أيها المسلمون :

إن الله تعالى خلق الانسان في أحسن تقويم ، وصوَّره فأحسن صوره ، فتبارك الله أحسن الخالقين . وما ذلك إلا ليعرف الله ويعبده حق عبادته ﴿ **وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون** ﴾[2] أي ليعرفوني وحدي بالعبادة دون غيري ، لأنه الاله المعبود بحق .

---

١ — سورة الانفطار (٦ — ٧ — ٨ — ٩ — ١٠ — ١١ — ١٢) .
٢ — سورة الذاريات (٥٦) .

أيها الانسان الفاضل :

كم بلطائف النصح وعظناك ، وكم الى مواطن الصدق والأنس أرشدناك ، ولا زلت عن ذلك كلّه في صمم ، ويحك ما بالك تركت سبيل السلامة ، وفعلت ما يخزيك يوم القيامة . ما للطاعات ليس بينك وبينها سلام ووئام .؟ وما للمعاصي بينك وبينها أعظم التئام ..؟!

يا هـذا :

ليس الإيذاء والإفساد من شأن المسلم والاسلام ، عجباً لك فما أحد من شرك الفظيع يسلم ، وكل يوم تأتي بجديد ، فمن غيبة مسلم إلى احتقار فقير ، الى فساد وإفساد ، إلى مخالفة القرآن .! ألم يأن لك أن تقلع عن هواك وتترك الزيغ والجفوة وتصالح مولاك الذي بره ولطفه في كل لحظة يغشاك ..؟! عجباً يُحسن إليك وتسييء إليه ، فعرفانك بالجميل لربك أمر واجب ، وسعيك في نكران الجميل والاحسان خائب ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ... ﴾[1] ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله** ،... ﴾[2] .

أيها المسلم في زماننا هذا . آما آن لك أن تخشى الله وتخافه في يوم يقتص في للمظلوم ممن ظلم .؟ ألم تعلم أنك كلما تماديت على الاصرار اشتد عليك غضب الجبار .؟ ألم تعلم أن لا بد لك من الوقوف بين يدي الرب الحكيم الأحكم .؟ فستذكر ما أقول لك يا مسكين اذا نصب الصراط ووضع الميزان ونشرت الدواوين ، وقيل للظالم تقدم وللمظلوم قف وتحكّم ﴿ ... **فيؤخذ بالنواصي والأقدام** ﴾[3] ﴿ **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ،ووجدوا ما عملوا حاضرا،ولا يظلم ربك أحداً** ﴾[4].

---

١ ــ سورة الحديد (١٦) .
٢ ــ سورة الحشر (٢١) .
٣ ــ سورة الرحمن (٤١) .
٤ ــ سورة الكهف (٤٩) .

أيها المسلم :

اتق الله ولا تتعدّ حدود الله ﴿ ... ، **ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه** ... ﴾[1] .

أيها الناس .

طالما سمعتم الأمر والنهى وما تحوَّلتم ، وطالما ذُكرتم بلطائف الحكم وما تغيرتم حتى كأن غيركم المخاطب وسواكم المطلوب ﴿ ... ، **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ، ... ﴾[2] فهيهات هيهات بعد عمل منكم قد فات ، هيهات ان يصل العبد الى رحمة ربه قبل أن يرجع عن ضلاله ، ويغير ما في نفسه وافساده ، ودمعه منهمر مسكوب ﴿ ... ، **وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردَّ له وما لهم من دونه من وال** ﴾[3] وهو غالب غير مغلوب. فاتقوا الله عباد الله واخلصوا النية ، وحاسبوا أنفسكم على ما اكتسبت قبل مداهمة اليوم المرهوب ﴿ **يوم نحشر المتقين الى الرحمن وَفْدا. ونسوق المجرمين الى جهنم وردا** ﴾[4] ﴿ **يوم يجمع الله الرسُلَ فيقولُ ماذا أجبتم، قالوا لا علم لنا، انك أنت علام الغيوب** ﴾[5] .

روى الامام مسلم أنه ﷺ قال (بادروا بالأعمال الصالحة فستكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعَرَض من الدنيا قليل)[6] ويقول ﷺ (إضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمنْ لكم الجنة أصدقوا اذا حدثتم ، وأوفوا اذا وعدتم ، وأدوا الأمانة اذا اؤتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم)[7] أو كما قال : ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★ ★

---

١ ــ سورة الطلاق (١) .
٢ ــ سورة الرعد (١١) .
٣ ــ سورة الرعد (١١) .
٤ ــ سورة مريم : (٨٥ ــ ٨٦) .
٥ ــ سورة المائدة : (١٠٩) .
٦ ــ رواه مسلم عن ابي هريرة .
٧ ــ رواه الامام أحمد والحاكم والبيهقي والطبراني عن عبادة بن الصامت قال الذهبي إسناده صالح .

الحمد لله يجيب دعوة المضطرين، ويكرم المتقين المخلصين، (أحمده) على جزيل نعمه، وأشكره على جميل كرمه، وأستعيذ به من النار، وأشهد أن لا إله إلا الله الحكم العدل، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. اللهم صلِ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

عباد الله :

اتقوا الله في أنفسكم، وراقبوا ربكم، فما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . تمسكوا بدينكم يُجركم من عذاب أليم، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما، (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) (الصلاة الإبراهيمية) .

وارض اللهم عن أصحاب رسول الله أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم باعد بيننا وبين الفتن الظاهرية والباطنية، ودبر مصالحنا الدنيوية والأخروية، ووفقنا للأعمال الصالحة النقية . اللهم احفظنا من الماكرين والحاقدين، المبغضين لأهل الدين، اللهم عليك بالمبغضين لآل بيت رسول الله أجمعين فإنهم لا يعجزونك. يا رب العالمين اللهم ألف بين قلوبنا، واجعل رايتنا الإسلامية العربية فوق رؤوس الظالمين الماكرين ، اللهم ألْهِمْ ولاة أمورنا العمل بشريعة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

اللهم من آذى المسلمين فآذه ومن عاداهم فعاده، ومن تجرأ عليهم بلسانه أو يده فخذه وعجل به أخذ عزيز مقتدر، إنك على ما تشاء مقتدر .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال وأن تحفظه من أهل الزيغ والضلال .

واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

وأقم الصلاة (... ، **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★
★ ★ ★
★

الخطبة السادسة والعشرون :

١٢ جمادى الأولى ١٣٨٢هـ
١٩٦٢/١٠/١٢

(المحبة في الله)

اللهم يامن بيده مقادير الخيرات كلِّها، يامن إليه يرجع الأمر كلُّه ، يا فتاح يا عليم افتح لنا فتحاً قريبا ، (**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، أنزل القرآن هدى للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان، فصَّل فيه الشرائع والأحكام وجعله دستوراً عادلاً لحفظ حقوق الفرد والجماعات والشعوب والحكومات، ويدعو العالم إلى الأمن والأمان والاستقرار، ويرشدهم إلى السلامة والإسلام، إلى العزة والكرامة والفخار، أنزل هذا القرآن الكريم على قلب محمدٍ رسولِ الله الأمين، ليبشر به العاملين المخلصين المتقين، ويُنذر به قوماً لُدًّا. فصلِّ الله على هذا النبي الكريم الذي بلَّغ الرسالة ، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وهدى الناس إلى صراط الله المستقيم، ورضى الله عن آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد أيها المسلمون. فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور رحيم** ﴾ آل عمران آية (٣١) .

أيها الناس :

المحبة هي ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه، بحيث يحملها على ما يُقرِّبُها إليه، والعبْدُ إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله، وأن كل

ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله وإلى الله ، لم يكن حبُّه إلا لله وفي الله ولذلك فُسرت المحبة في هذا المقام بإرادة الطاعة ، وجُعلت مستلزمةً لاتباع الرسول في عبادته ، والحرص على طريقته والسيرِ على نهجه ﴿ **يحببْكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ جواب للأمر في قوله فاتبعوني ، أي يرضَ عنكم ويؤيدْكم بنصره وتوفيقه وهدايته .

نعم. أيها المؤمنون. إن كان حبكم لله حقيقة فاتبعوا شريعة نبيه، واستمسكوا بهديه، يُعْنكم على أعدائكم. فمن أحبه الله أعانه ونصره على عدوِّه .

واعلموا عباد الله أن أفضلَ ما وعظ به الواعظون هو كتاب الله، وأشرفَ ما هدى به الهادون هو ما صحَّ عن رسول الله ﷺ من الأحاديث الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة. فمن هذه الأحاديث قوله ﷺ (سبعة يُظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظل إلا ظلُّه إمام عادل (وفي رواية إمام عَدْلٌ) وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلقٌ بالمساجد، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)(١) .

أيها المسلمون :

أول السبعة إمام عدل؛ وهو إمام المسلمين وحاكمهم، الذي يحكم رعيته بما أنزل الله وشرع محمد بن عبدالله ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، يدافع عن عقيدتهم وإيمانهم ومعابدهم ومقدساتهم ، يناضل عن حقوقهم وأوطانهم وأعراضهم ، يرعى تجارتهم وزراعتهم ، ويزيد في نشر العلوم والمعارف بينهم، ينشر لواء الأمن والاستقرار فيما بينهم ، يقاوم الباغين والمفسدين والمنافقين المخادعين ، ويُلحق بالإمام العادل القائمون على أمور العباد وشؤونهم، بل كلُ من يتولى أمراً من أمور الأمة والشعوب .

---

١ ــ متفق عليه .

ثانيهم : شاب في ريعان الشباب نشأ في عبادة ربه ، أو شابة في نضارة صِباها نشأت في عبادة ربها، سارا على الصراط المستقيم؛ صراطِ الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . والنساء شقائق الرجال في الأحكام . ثالثهم . رجل قلبه معلق بالمساجد كلما أدى فريضة جماعةً في بيت من بيوت الله وخرج منه لعمله أو تجارته بقى قلبه متشوقاً إلى الرجوع إلى بيت الله .

رابعهم : رجلان مؤمنان صادقان مخلصان أحبَّ كل واحد منهما الآخر لوجه الله . أما الحب المصطنع وحُب الشباب والشابات في الغرام والهيام والأغراض الجنسية، فليس من هذا النوع أبدا .

خامسهم : رجل طلبت منه امرأة غنية لها مكان عظيم ومنزلة رفيعة وجمال بارع رائع ، طلبت منه ما تطلبه المرأة النزقة الطائشة من الرجل الأمين العفيف، فعفَّ وامتنع وقال (إني أخاف الله وأخشى عذابه) .

سادسهم : رجل تصدق بجزء من ماله سِرّاً على من يعتقد حاجته إليه ولم يُطلع أحداً على ما فعل. مخلصاً لربه سبحانه. طالباً الأجر منه. غير حاسب لمدح الناس وذمهم حساباً .

سابعهم : رجل جلس في مكان خال يعبد الله فيه كأنه يراه، فاستولت على قلبه خشية الله، ففاضت عيناه بالدموع خوفاً ووجلاً من الله .

أيها المسلمون :

ماهو جزاء هؤلاء السبعة إن كانوا متصفين بهذه الصفات ؟ جزاؤهم أن يُظلَّهم الله ويحميهم من حرٍّ وشر ذلك اليوم العصيب، الذي تجتمع فيه الخلائق كلُّهم في صعيد واحد، وتدنوا الشمس من رؤوسكم ويشتد الحرُّ ويعظم الكرب. حيث لا يجدون بيتاً ولا سقفاً يستظلون تحته

ولا شجرة يتفيَّئون ظِلالها وبينما الناس في شدة وبلاء. يؤخذ هؤلاء السبعة ويوقفون تحت العرش أي في مكان أمين. فلا يرون حرا ولا شدة ولا بأسا، كما قال تعالى ﴿ **كلا إذا دكت الأرض دكاً دكا. وجاء ربك والملك صفاً صفا. وجيء يومئذٍ بجهنم، يومئذ يتذكر الإنسان وأنىَّ له الذكرى** ﴾[1] .

إذاً يجب على كل واحد منا كبيراً أو صغيراً، جليلا أو حقيرا، ذكراً أو أنثى، أن يجتهد ويعمل لله مبتعداً عن موجباته عذابه، تاركاً ما نهى الله عنه، معرضاً عن قتل الأنفس البريئة والرياء والكذب وشرب الخمور، وقول الزور وأكلِ أموال الناس بالباطل، وغيرها من الموبقات الواضحات، التي يعلمها كل مؤمن ويبعد عنها كل تقي .

أيها المسلمون. يا شباب الإسلام :

إعلموا أن الشاب الداعر والشابة العاهرة، التي تذرع الشوارع طولاً وعرضاً متبرجةً بزينة مميلة ألباب الرجال ضعفاء الإيمان، لا نصيب لهم من ظل الله وحمايته يوم القيامة .

تنبهوا، تيقظوا، هذه إسرائيل بقواتها وبصواريخها بدعايتها المنتشرة انتشار البرق في السرعة في أفريقيا وآسيا. هذه إسرائيل تستغل الظروف وتغتنم الفرص، وتزيد في الكيل والكيد والوقيعة بين الأشقاء، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . روى الإمام مسلم أنه ﷺ قال (إن الدنيا حُلوةٌ خضِره وإن الله تعالى مُستخلفكم فيها، فينظرُ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء)[2] أو كما قال : أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

---

١ ـــ سورة الفجر (٢١ ـــ ٢٢ ـــ ٢٣) .

٢ ـــ مرّ تخريجه .

الحمد لله العليم الحكيم، والصلاة والسلام على نبيّه الأمين . عباد الله إن الله تعالى يقول يوم القيامة (أين المتحابون بجلالي أليوم أُظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي)[1] .

عباد الله إننا لنرتقب اليوم المنشود ، الذي ترفرف فيه الراية العربية الإسلامية في كل بلد ومكان وزمان . إننا لنرتقب يوم الوئام بعد الخصام ، يوم العزة والسعادة .

واعلموا أن الله تعالى صلى على نبيه تعظيماً وتكريما ، فقال (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) (الصلاة الإبراهيمية) .

وارض اللهم عن الصحابة أجمعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم انصر الإسلام والمسلمين. اللهم اجعل القرآن الكريم والسنة المطهرة دستور القادة والمصلحين. اللهم أعز المسلمين والعرب أجمعين. اللهم أعن من على الحق أعانهم، وأهلك من ناوأهم وعاداهم. ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك مليك المملكة الأردنية الهاشمية الحسين بن طلال . اللهم على الخير أعنه وإلى الصراط السوي فقومه . واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) . **وأقم الصلاة . إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**).

---

١ ــ أخرجه مسلم .

الخطبة السابعة والعشرون : الخطبة الأولى بعد عودة الشيخ من السعودية .

٣ رمضان ١٣٨٣هـ

١٩٦٤/١/١٧

(شهر رمضان المبارك واجتماع أقطاب العرب في مؤتمر الذروه)[١] الذي عقد يوم الاثنين ٢٧ شعبان لسنة ١٣٨٣هـ و ١٩٦٤/١/١٣ الساعة الخامسة مساء .

اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي وسيئآت أعمالي وأجرني من مضلات الفتن (**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) اللهم أعنا على صيام هذا الشهر وقيامه، واجعلنا من العاملين.

الحمد لله الذي أنزل القرآن في مثل هذا الشهر فعظَّم قدره وأعلي شأنه وضاعف الأجر للصائمين والقائمين والركع السجود. (أحمده) سبحانه حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائلُ في كتابه العزيز ﴿ **وألَّف بين قلوبِهم، لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما ألَّفتَ بين قلوبهم ولكنَّ الله ألف بينهم، إنه عزيز حكيم** ﴾[٢] سبحانه من إله حكيم جمع بين القلوب المتباعدة ومكنَّ الأواصر وهذب المشاعر .

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، الذي آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فكانوا بنعمة الله إخوانا، وعلى آله وصحبه الذين اجتمعوا على كلمةٍ سواء بينهم، فلم يعبدوا إلا الله، اجتمعوا على كلمة الله وعهد الله، وتحابوا في الله، فكانوا يداً واحدة على من عاداهم كما أمرهم الله.

١ ــ أول مؤتمر قمة عربي .

٢ ــ سورة الأنفال (٦٣) .

اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد، الذي صام رمضان وقام لياليه في العبادة حتى تورَّمت منه الأقدام، وعلى آله وصحبه الذين اتخذوا عبادة الصوم رمزاً للشجاعة والثبات والإقدام .

أما بعد فقد قال الله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياماً معدودات،...**﴾(١).

أيها المسلمون :

إن شهر رمضان المبارك قد حلَّ بساحتكم ضيفاً كريماً أياماً معدودات ، جاءكم داعياً يحمل بين أعطافه تباشير الخير والنصر المؤزر ، لقد كتبه الله على سائر الأمم من قبلنا، فاخْتَلَفَ صورةً وزمنا حتى اختص الله به الأمة المحمدية لأنها خير الأمم، لقوله تعالى ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهوْن عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾(٢) .

ففي أول ليلة من هذا الشهر ينزل مَلَكٌ إلى سماء الدنيا فينادي (يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقْصِر)(٣) .

(شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عِتْقٌ من النار)(٤) .

أيها المسلمون في كل مكان :

لقد كان من توفيق الله ونفحاته، أن يُلْهم الرئيسَ جمال عبدالناصر دعوة إخوانه الملوك والرؤساء والقادة في البلاد العربية إلى اجتماع هام، فكان المستجيبُ الأوُل لهذه الدعوة الإلهية هو الحسين بن طلال وكم للحسين من فضل الله تعالى ورحمته سليل الدوحة الهاشمية من مواقف مشرِّفة، دعا فيها إلى الوحدة وجمع الشمل. ولقد كان هذا النداءُ نداء السماء في ساعة الإجابة

---

١ ـــ سورة البقرة (١٨٣ ـــ ١٨٤) .
٢ ـــ مرّ تخريجها .
٣ ـــ سبق تخريجه .
٤ ـــ رواه ابن خزيمة في صحيحه من حديث طويل عن سلمان أوله خطب رسول الله في آخر يوم من شعبان .

ولذا فقد استجابوا جميعاً، واجتمعوا في مصر الشقيقة العزيزة حول مائدة مستديرة في مؤتمر الذروة العليا، لأنهم متعطشون لهذا اللقاء الأخوي، وهذا التقارب المرتجى. أجل اجتمعوا بفضل الله ورحمته اجتمعوا والحمد لله يا اسرائيل ولم يتراجعوا ولم يتخاذلوا ولم يتفرقوا، بل ولن يتفرقوا بعد اليوم، بإذن الله، والله مع الصابرين .

نحن اليوم غُيرنا بالأمس نحن اليومَ يا إسرائيل في مستهل عام أربع وستين. عام توحيد الكلمة وجمع الأيدي والصفوف لتحقيق النصر المبين، لاسترجاع فلسطين . لسنا في عام ثمانٍ وأربعين، عام الفُرقةِ والاختلاف المُشين ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودينِ الحق ليظهره على الدين كلِّه، وكفى بالله شهيدا** ﴾[1] .

أيها الملوك والرؤساء والقادة ؟

لقد كانت الشعوب الإسلامية والعربية في آسيا وأفريقيا متعطشةً إلى هذا الاجتماع الأكبر. أجل كانت هذه أُمنيةَ الشعوبِ كلها وإرادتَها وهي من إرادة الله كما قيل :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة	فلا بد أن يستجيب القدرْ
ولا بد لليل أن ينجلـــي	ولا بد للقيد أن ينكسر

يا ملوكنا ويا رؤساءنا وقادتنا :

لقد كنا نتحرَّقُ لهذا اللقاء الأخوي فأرونا بالله عليكم أعمالكم ومقرراتِكم الحازمة الحاسمة. مضى دور الخُطَبِ والأقوال المجردةِ من الأعمال، والله تعالى يقول لكم ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسولُه والمؤمنون وستُردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾[2] .

---

١ ـــ سورة الفتح (٢٨) .

٢ ـــ سبق تخريجها .

هيّا بنا جميعاً لنعملَ على رفع العار والشّنار. لقد كنا نسمع من الناس مجتمعين ومنفردين آهاتٍ وتأوهاتٍ تحمل في طياتها التحسُّر والأسى. نسمع الكثير منهم في كل بلد وفي كل مكان يتنفَّسُ الصُّعَدَاء، لماذا يا ترى ؟ لماذا يا ترى.؟ نعم يذرفون الدموع الغالية على التنافر والتناحر على اختلاف الأهداف والغايات ، بينما العدو اللئيم ساهر ماكر يُندِّد بهذا في إذاعاته وصحافته، جادٌّ في تدبير المكائد لتحويل مجرى الأردن الأصيل والتوسعِ على حساب الأمة العربية جمعاء، لطمس معالم المسلمين والأمةِ العربية ومقدساتهم من الوجود لا سمح الله، وهم أصحاب الحقوق المشروعة في فلسطين. إنه لعارٌ وأيُّ عارٍ أن تتحقق أحلامُ إسرائيل وأنتم معشرَ الملوك والرؤساء والقادة على رأس هذه الشعوب التي مصائرها بأيديكم. لبيْك يا فلسطينُ الجريح فقد دقَّت ساعة العمل. دقت ساعة الخلاص. دقت ساعة التحرير والانطلاق. فسبحان مقلِّب القلوب ذي الجلال والإكرام .

أجل : مائة مليونٍ عربي يتطلعون بشوق ولهفةٍ إلى يوم النصر يوم السيادة يوم العزةِ والكرامة . إنه اجتماع عربي فذٌّ من نوعه، سيغير مجرى التاريخ في الشرق الأوسط كلِّه . بل هو نقطةُ تحوُّل وانطلاق للأمة العربية إن الضعيف في هذه الحياة لا وزن له ولا مكان له بين الأمم القوية الحيَّة .

ربنا أنت تحب الأقوياء يا قوياً يكره المستضعفين .

أيها المؤتمر الحافل القوي :

إنكم والحمد لله أقوياءُ بإيمانكم ، أقوياء بعقيدتكم، أقوياء بحقكم المسلوب المغتصب. تذكروا بالله عليكم ظلم الإستعمار والمستعمرين، وتألُّبهم علينا منذ عهد بعيد. تذكروا وعد بلفور المشؤوم منذ اللحظات الأولى من احتلال بريطانيا فلسطين، قال بلفور للصهاينة واليهود المشتتين

في الأرض بكل صراحة ووقاحة، بما نصُّه (تنظر حكومة جلالة ملك بريطانيا بعين الاعتبار إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي، وستبذُل جميع مجهودٍاتها لتحقيق هذا الغرض) وفعلاً سارت بريطانيا وحليفاتُها من الدول الكبرى، وبذلت أقصى جهودها سياسياً وعسكرياً وأجْلتنا من وطننا الشرعي فلسطين، لتضع فيه ربيبتها إسرائيل .

أجل متى كان هذا ؟ يوم كانت القلوب متنافرة والأهدافُ مبعثرة، والجهود ضائعة، ألا فليعلم العالم كلُّه أن في اجتماع أقطابنا وقادتنا هذا لأعظم بشرى على تأليف القلوب، ودعم الكيان العربي الأصيل، وجعلِه تحت راية واحدة نتناسى فيها الأنانيات والعصبيات. ففي ذلك حياةٌ لآمالنا وإحياءٌ لنفوسنا بالعودة إلى فلسطين أرض الإسلام والعروبة، وحل جميع القضايا المشتركة .

أيها المسلمون :

أبشروا واستبشروا، إنها وأيم الحق من نفحاتك يا شهر الصيام شهرُ رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان . شهرُ الصبر والنصر، شهرُ غزوةِ بدرٍ الكبرى، التي أعزَّ الله بها الإسلام والمسلمين ﴿**...يومَ الفرقان يومَ التقى الجمعان، والله على كل شيء قدير**﴾[١]، شهرُ الانتصارات الإسلامية الخالدةِ المجيدة، اعملوا عملاً إيجابياً، وكونوا قلباً واحداً ويداً واحدة ﴿**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا، إن الله مع الصابرين**﴾[٢] ﴿**ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس...**﴾[٣] .

إعملوا لتُسَجَّلَ أعمالكم في سجل الخلود في سجل البطولة والشهامة والمجد والكرامة في دنيا الإسلام والعروبة، والله معكم يؤيدكم بنصره إن شاء الله تعالى .

---

١ ـــ سورة الأنفال (٤١) .
٢ ـــ سورة الأنفال (٤٦) .
٣ ـــ سورة الأنفال (٤٧) .

« الحديــث »

في الحديث القدسي قال الله عز وجل المتحابُّون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيُّون والشهداء وقال ﷺ (من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ ما ينبغي له أن يُتحفظ كفرَّ ما قبله)[1] أو كما قال (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

الحمد لله جامع الكلمة والشمل ، أشهد أن لا إله إلا الله شهادةً ترضى بها عنا يا رب العالمين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين .

أيها المسلمون :

اطمئنوا وأطيعوا ربكم ، وأكثروا من تلاوة القرآن خلال شهر رمضان ، وثقوا بالله ربكم ﴿ ... ، **وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** ﴾[2] ، فاتقوا الله عباد الله وصلُّوا على نبيه الكريم حيث قال سبحانه (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) (الصلاة الإبراهيمية) .

وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله أجمعين والعلماء العاملين ، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا واستر لنا عيوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وآمنا في أوطاننا ، اللهم أيدِّ الإسلام والمسلمين وسدد خطوات الملوك والرؤساء والقادة أجمعين . ونسألك اللهم أن تشملهم بعنايتك ورعايتك وتوفيقك أجمعين .

---

١ ـــ رواه ابن حيان في صحيحه والبيهقي عن ابي سعيد الخدري .

٢ ـــ سورة آل عمران (١٢٦) .

ونسألك اللهم ياذا الجلال والإكرام أن تحفظ مليكنا المحبوب سليل الدوحة الهاشمية ، العامِلَ لخير المسلمين والأمة العربية الحسين بن طلال حفظه الله ورعاه وعلى الحق أعانه وقوَّاه .

عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

وأقم الصلاة ، (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكرُ الله أكبرُ والله يعلم ما تصنعون) .

★ ★ ★ ★ ★
★ ★ ★
★

الخطبة الثامنة والعشرون : الخطبة الثانية بعد عودة الشيخ من السعودية .

٢٤ رمضان ١٣٨٣هـ

١٩٦٤/٢/٧

(ليلة القدر في شهر رمضان)

أللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي، وأجرني من مضلات الفتن، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، اللهم أنت غياثي فبك أغوث، وأنت عياذي فبك أعوذ، وأنت ملاذي فبك ألوذ، يامن ذلت له رقاب الجبابرة، وخضعت له مقاليد الفراعنة أجرني من خزيك وعقوبتك في ليلي ونهاري ونومي وقراري، لا إله إلا أنت تعظيماً لوجهك وتكريما لسبحاتك، فاصرف عني شر عبادك واجعلني في حفظ عنايتك، وسُرادقات حفظك وعد علي بخير منك يا أرحم الراحمين، **(رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)**.

الحمد لله ذي الفضل والجود والكرم سبحانه من إله حكيم، أنعم علينا فهدانا للإسلام، وامتنَّ علينا بنعمة الصيام والقيام، أشهد أن لا إله إلا الله أنزل القرآن في ليلة القدر تكريماً لهذه الأمة وتقديرا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيرا. اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين ساروا على نهجه القويم، فكان كل واحد منهم أسداً هصورا .

أما بعد فيا أيها المسلمون قال الله تعالى ﴿ **إنَّا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزَّلُ الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر** ﴾[1] .

---

١ ـــ سورة القدر .

يا أمة خير الأنام :

إن شهر رمضان الذي أدبنا الله بعظاته وإرشاداته، وهذبنا بتهذيبه وآياته، قد أشرف على بلوغ الغايات ، ولم يبق منه إلا أيام معدودات شهر اشتمل على شتى الهدايات وأنواع القُربات، اشتمل على عديد من الطاعات والانتصارات . شهرٌ فيه ليلة خيرٌ من ألف شهر، أي خير من ثلاث وثمانين سنةً وأربعةِ أشهر ليس فيها مثلُ هذه الليلة فليست العبرة بطول السنينَ والأعوام. إنما العبرة بالساعات التي تنطوي على أعمال نافعة جسام ، فما أجمل الحياةَ المترعة بالأعمال النافعة، التي يحيا فيها الفرد والجماعة نتيجة جهاده وكفاحه ، وما أشقى الأيامَ والليالي التي يمر بها الإنسان ولا يفيد منها شيئاً . فالوقت ثمين والساعاتُ تُسلب والأوقات تُنهب والأيامُ صحائف الأعمال وكلٌ ميسر لما خلق له .

أيها المسلمون : يا أمة الإسلام .

ليلة القدر هي ليلة الشرف والتقدير والعظمة . إنها ليلة الخير وليلة العزة والكرامة لمن أحسن صيام هذا الشهر وقيامه . فيا سعادة من أشغل في الخير قلبه ولسانه ، ويا شقاوةَ من أطلق في الشر عنانه .

فهنيئاً لمن صامه وقرأ القرآن وأرشد الناس خالصاً لله معتزاً بعبوديته ورحمته. كان ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شدَّ مِئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله. وكان يقول لأصحابه (ذاكر الله في رمضان مغفور له، وسائل الله فيه لا يخيب)[١] وفي الحديث القدسي (من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين)[٢] ذلكم القرآن الذي كان ابتداءُ نزوله في مثل هذه الليلة، فكانت أول آية نزلت على رسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿ **إقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾[٣] الآية. وأخر آية ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾[٤]

---

١ ــ رواه الطبراني في الاوسط والبيهقي .
٢ ــ رواه الترمذي .
٣ ــ سورة العلق (١) .
٤ ــ سورة المائدة سبق تخريجها .

ولقد حث النبي ﷺ على قيام هذه الليلة والتعبد فيها، فقال (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه)[1] كما جاء في صحيح البخاري وغيره . وهي في الليلة السابعة والعشرين من شهر رمضان على أصح الأقوال، لما ورد عنه عليه الصلاة والسلام (تحرَّوْا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان وهي في الأوتار)[2] .

قالت عائشة رضي الله عنها، يا رسول الله إذا وافيت ليلة القدر فيم أدعو ؟ قال قولي (اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني)[3] اللهم إنا نسألك العفو والعافية، والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، يا فوز عبد قد رآها مرة ـــ في عمره إذ أدرك المأمولا .

أيها المسلمون في كل مكان :

في ليلة القدر ينزل الأمين جبريل في كبكبته أي كثرة من الملائكة ومعه ميكائيل وإسرافيل يحمل جبريل معه أربعة ألوية، أي رايات والرايات لا تكون إلا علائم للخير والنصر، فيضع لواء الرحمة فوق الكعبة المشرفة. ولواء المغفرة فوق قبر النبي، ﷺ ولواء الكرامة فوق الصخرة المشرفة. ولواء الحمد ما بين السماء والأرض، إيذاناً وإعلاماً ببشائر الصائمين والرحمة لهم، لأنهم قاموا شهرهم صائمين حامدين لله تعالى .

هذا شهر رمضان الذي يهيىء نفسه للرحيل عنكم كان شهر الفتوحات الإسلامية والبشريات. توالت فيه أحداث تاريخية هامة غيرت مجرى الحياة، وقعت عبر التاريخ الإسلامي، يحق لكل مسلم أن يعتز ويفخر بها مدى الحياة .

ففي صبيحة اليوم السابع عشر ارتفعت اولى رايات الإسلام رُغم أنف الكفر والشرك والضلال، فكانت أعظمَ غزوات الإسلام أشرق فيها

---

١ ـــ متفق عليه .
٢ ـــ متفق عليه بدون زيادة وهي في الأوتار .
٣ ـــ رواه الترمذي وقال حسن صحيح ولكن بدون زيادة (كريم) .

نوره قتل فيها سَرَاةُ الزيغ والباطل من صناديد قريش . وبهذه الغزوة كانت للمسلمين هيبة يكسرون الجيوش ويهزمون الأعداء . كما وقع الرعب والفزع في قلوب جيش إسرائيل الفاشل ومن يحتضنها من المستعمرين . عندما هزّ أركانهم مؤتمر الذروة الذي عقد في مصر على مستوى الملوك والرؤساء والقادة .

إذاً فجدير بنا أن نشكر الله تعالى العليَّ الأعلى على هذه العناية الربانية ، ولا عجب إذا اتخذنا يوم النصر في غزوة بدر عيداً ، نذكر فيه نعم الله على الإسلام والمسلمين ، وهو اليوم السابع عشر من شهر رمضان . كما أنه لا عجب أن تتخذ الأمة العربية بأسرها يوم الثالث من شهر رمضان الموافق للسابع عشر من كانون الثاني سنة أربع وستين وتسعمائة وألف عيداً قومياً . نذكر فيه نعمة الله على هذه الأمة التي ارتضى لها الإسلام دينا ووحد كلمتها في مؤتمر القمة ، بداية الطريق ومفتاح النصر وسبيل السلام .

أيها المسلمون :

في هذا الشهر كانت فتوحات عظيمة منها فتح مكة المكرمة ، وفيه كانت واقعة القادسية ، وفتح جزيرة رودس ، وفتح الأندلس ، ومدينة (كانديا) بجزيرة (كريد) .

وفي شهر رمضان سنة أربع وثمانين وخمسمائة هزم صلاح الدين الأيوبي الناصر لدين الله جيوش المستعمرين الصليبيين في سوريا ، حتى عادت إلى العروبة والإسلام . وفي هذا الشهر غزا يعقوب ملك المغرب الفرنجة في الأندلس .

وفي مثل هذا الشهر سنة خمس وتسعين وخمسمائة رد صلاح الدين الأيوبي جموع المستعمرين عن مدينة صور في (لبنان) .

وفي مثل هذا الشهر هزم الجيش المصري جموع التتار ، وكسرهم شرَّ انكسار .

وفي أوائل هذا الشهر المبارك من هذه السنة ، تلاقت قلوب الملوك والرؤساء في أرض مصر الشقيقة بالحب والوئام والوفاق والاستبشار ، ومن هنا تبتدأ نقطة الانطلاق بإعادة الحق إلى نصابه ، واسترداد فلسطين من أيدي الغاصبين .

قال ﷺ : (إذا كان ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة أي (كثرة) من الملائكة يصلون على كل عبدٍ قائمٍ أو قاعد يذكرُ الله ، فإذا كان يوم عيدهم باهى به ملائكته فقال يا ملائكتي ما جزاء الأجير إذا وفَّى عمله قالوا ربَّنا جزاؤه أن يوفى أجرَه)[1] أو كما قال . ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ مختصراً من حديث طويل رواه ابن حبّان في كتاب الثواب والبيهقي .

الخطبة التاسعة والعشرون : الخطبة الثالثة بعد عودة الشيخ من السعودية

٨ شوال ١٣٨٣هـ

١٩٦٤/٢/٢١

(التفاؤل والثبات على الحق والتعاون المثمر)

(رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) ، اللهم ألهمني رشدي ، وأعذني من شر نفسي ، وأجرني من مضلات الفتن ، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

الحمد لله وفّق من شاء لما شاء ، وهو على كل شيء قدير ، أشهد أن لا إله إلا اللهُ القادرُ الناصرُ يَهَبُ النصر والتوفيق لمن يشاء ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والمرجفون عُلوّاً كبيرا ، وأشهد أن محمداً رسولُ الله ، الذي حذرنا من اليأس وقال بشروا ولا تنفروا ، يسروا ولا تعسروا ، وعلى آله وصحبه العاملين اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين .

أما بعد فقد قال أصدق القائلين ﴿ **وقل جاء الحق وزهَق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا** ﴾[1] .

أيها المسلمون :

هذه الآية قد أماطت اللثام وكشفت لنا عن سنةٍ من سنن الله ، التي لا تبديل لها ولا تغير . تلكم هي أن النجاح والفوز للحق في النهاية ، وإن قلَّ أنصاره وحُماته ، وكثر أعداؤه وغُلاته ، كما أن الفشل الذريع

١ ــ سورة الاسراء (٨١) .

للباطل . ولو تضافر أعوانُه وأتباعُه ، نعم قد يكون للباطل صولةٌ في غفلة الحق وأهلِه (...، **فأما الزَّبَدُ فيذهبُ جُفاءً، وأما ما ينفعُ الناس فيمكث في الأرض، ...**)[1] وفي الحكم قيل للحق أين كنت فتركت أنصارك في ذلة وهوان .؟ فقال لا تخافوا لقد كنت أجتثُّ جذور الباطل .

والتاريخ يحدثنا أن رسول الإسلام ﷺ قام يدعو الناس إلى دين الله وحده، معتصماً ومعتزاً بالله ، وكان جنود الباطل يومئذ قد تحشَّدوا لمصارعة الحق وأهله ، ولبث الصِّراع ردحاً من الزمن، حتى انتهى الأمر بفتح مكة المكرمة (مَعقِل) الوثنية وحِصن الأصنام، التي كانت تُعبَدُ من دون الله، وبفتحها تحررت جزيرةُ العرب منها كلِّها .

وتمَّ النصر لمحمد ﷺ وأتباعه، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً، حتى صار للإسلام بفضل الله الكلمةُ العليا، ودانت له الشعوب الأخرى في كل مكان .

وصدق الله العظيم ﴿ **بل نقذفُ بالحق على الباطل فيدمَغُه فإذا هو زاهق ، ...** ﴾[2] .

وصدق الله الكريم ﴿ ... **كم من فئة قليلةٍ غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين** ﴾[3] .

أيها المسلم في كل مكان :

إن أعداءنا اليوم يتباهَوْن بتحالفهم على الغدرُ والشر، وبكثرتهم يتحالفون على الباطل ضد حق العرب الواضح الظاهر، وما علم حلفاءُ إسرائيل أن الكثرة لا تكون مظهراً من مظاهر القوة والبسالة دائماً، فقد كانت الدول الكبرى متحالفة، وأمام تحرر الشعوب المؤمنة بالتحرر واقفة، لكنها ويا للأسف كانت كثرة لا غناء منها ولا نفع فيها. لذا فقد اندثر غيرها وزال سلطانها لسوء نواياها . وتبين أنها كلَّها عدو للعرب في ثياب صديق.

---

١ ــ سورة الرعد (١٧) .
٢ ــ سورة الانبياء (١٨) .
٣ ــ سورة البقرة (٢٤٩) .

نعم نحن بالنسبة لحلفاء الباطل في قلة، ولكننا على حق في هذه الحياة ﴿ ...، **والله يؤيد بنصره من يشاء**، ... ﴾[1] نحن اليوم لسنا كالأمس فقد تسلحنا بمختلف العلوم والقوى المادية، لدينا كتاب كريم ودستور عظيم نسير عليه ينطق بالحق ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد** ﴾[2] لدينا اليوم اسلحة حادة فتاكة، فاقت أسلحة الدول الكبرى كما صرحت إسرائيل نفسها . نحن اليوم يُحسب لنا الحساب في توازن القُوى الدَّولي، وتستنجد بنا الدول الأخرى التي يُعتدى عليها . نعم نحن اليوم قوة متحابَّة متماسكة لا يُستهان بها . كانت تصاريحنا لا يؤبه لها. أما اليوم فهي باسم مائة مليون عربي كل واحد منهم أمة لأمته. ومع هذا كله فلسنا وحدنا في الميدان .

أيها المسلمون :

أبشروا واستبشروا : أليس الإسلام يعمل على دعم التآخي ونشر الحرية والوئام، وتأسيس قواعد الشُّورى، وجمع الصفوف وتشابك الأيدي مع تلاقي القلوب، وقد ظهرت طلائع ذلك في وجودنا العربي .

﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً**، ... ﴾[3] .

أين هذا مما عليه أمم الأرض الآن من ظلم وتحيزٍ للباطل، وابتعادٍ عن الحق الواضح الظاهر.؟ إنها تبغى الفساد في الأرض والاستعباد. ولكن ﴿ ...، **كلما اوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله**، ... ﴾[4] الا فليعلمِ المسلمون

---

١ ــ سورة آل عمران (١٣) .
٢ ــ سورة فصلت (٤٢) .
٣ ــ سورة النور (٥٥) .
٤ ــ سورة المائدة (٦٤) .

ولتعلم الأمة العربية بأسرها أن كل تضحية يضحى ويؤمن بها المؤمن بعدالة قضيته في سبيل دينه ووطنه، إنما هي حقٌّ وسعادة والعاقبة للعاملين . إن المعركة التي نخوضها اليوم مع عدونا هي المعركة الفاصلة، والله تعالى دائماً يكون مع المحقين، وعدالته تأبى أن تنصر المبطلين الظالمين .

قال ﷺ (لا تقدس أمة لا يُقضى فيها بالحق، ولا يأخذ الضعيف حقَه من القوي غير متعتع)[1] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

الحمد لله الولي الحميد، ذي البطش الشديد، الفعال لما يريد ، أشهد أن لا إله الا اللهُ وهو على كل شيء شهيد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أمرنا بالقول السديد، وعلى آله وصحبه ذوي الرأي الرشيد، والقول النافع المفيد .

أيها المسلمون :

كونوا مع الحق دائماً وتباعدوا عن الباطل، واعلموا أنما هو إله واحد .

جنِّدوا أنفسكم لخدمة دينكم وأمتكم ووطنكم، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليما**) (الصلاة الإبراهيمية) .

★ ★ ★ ★

اللهم ارض عن صحابة رسولك أجمعين، لا سيما الخلفاء الراشدين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم اغفر لنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات. ربنا ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين أمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم. اللهم أصلح ذات بيننا، وألف بين

---

١ ــ سبق تخريجه .

قلوب ملوكنا ورؤسائنا، واجمع بين كلمتهم وسدد خطاهم يا رب العالمين اللهم اجعل النصر والتوفيق حليفنا، وأيد الإسلام برجاله المستمسكين به وبتعاليمه .

ونسألك اللهم أن تهلك عدوَّنا المتآمر المتربص بنا الدوائر .

اللهم لا تمكن الأعداء منا ، ولا تسلطهم علينا ، واجعل الدائرة على كل ظالم معتدٍ أثيم يا أرحم الراحمين .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وهدايتك وتوفيقك مليكنا المحبوب ، الحسين بن طلال أيده الله اللهم ، وفقه وسدد خطاه يا رب العالمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

وأقم الصلاة (... ، **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

* * * * *
* * *
*

الخطبة الثلاثون : « الخطبة الرابعة بعد عودة الشيخ من السعودية » .

٢٩ شوّال ١٣٨٣ هـ

١٩٦٤/٣/١٢

(الإخلاص في العمل)

(رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ، وسيئات اعمالي اللهم أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك اللهم لا تجعلنا من الغافلين ، يا غياث المستغيثين أغثنا ، اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كلّه لا إله إلا أنت .

الحمد لله العزيز الغفار ، العظيم الجبار ، العالم بما في الضمائر ، وخفي الأسرار ، يعلم ما تحمل كلُّ أنثى وما تفيض الأرحام وما تزداد ، وكلُّ شيء عنده بمقدار ، خلق الخلقَ بقدرته ، وسيَّرهم بأحكامه ومشيئته . (أحمَده) سبحانه وتعالى آناء الليل وأطراف النهار ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ أمرنا بالإخلاص في الأعمال ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله الحبيب المختار ، وعلى آله وأصحابه الأطهار . صلى الله وسلم عليه وعليهم تسليما كثيرا .

أما بعد : فقد قال الله تعالى **﴿ ومن الناس من يَعبدُ اللهَ على حَرْفٍ ، فإن أصابه خيرٌ اطمأنَّ به ، وإن أصابته فِتنةٌ انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ﴾**[١] .

فريقٌ من الناس يعبد الله على طَرَف من الّدين لا ثباتَ له فيه ، فإن رأى نفسه ثريّاً غنياً اطمأن باله وارتاح ضميره ، ونسى ربَّه وخالقَه ،

---

١ ــ الحج : (١١) .

وإن أُصيب بعَرَض من أعراض الدنيا ، كالفقر وغيره ، تزعزع إيمانُه وضعُف يقينه ، وساءت طويته ، وهناك الحسرة والندامة والخُسران المبين .

يا ابن آدم: الى متى تتحمل الأوزار وهي ثقال، إلى كم تعصي مولاك الأعظم وهو مُسبلٌ عليك الأستار، إلى متى تتجاهر بالمعاصي وشرب الخمور ولم تحسن سوء الحساب وعذاب النار، إلى متى تعلَّل بالتزيف والآمال.

يا بني آدم :

كلكم لآدم وآدمُ من تراب ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلاَّ بالتقوى[1] وعملٍ صالح ويحك أيها المسلم بادر بالتوبة والرجوع إلى مولاك .

وانظر لدنياك بعين الاعتبار لتتيقنَ أنها ليست بدار مقام .

الرحمنُ يدعوك لطاعته فتُعرِضُ وتتأخرْ ، ويأمرك بمراقبته فَتتجبرَّ ، وينهاك عن الفسوق والعِصيان فتتوارى . إلى متى ضياعُك مع الحيارَى .؟ وترى الناسَ سكارى وماهم بسكارى .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعةِ شيء عظيم .يومَ تَروْنها تذهَلُ كلُّ مُرضِعَةٍ عما أرضعت وتضعُ كلُّ ذات حمل حَمْلها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكنَّ عذاب الله شديد ﴾[2] .

أيها المسلمون :

لم يضمنِ الله لأحد في هذه الحياةِ الدنيا أن تجرى أُمورُه على نَسَقٍ واحد ، ولو شاء الله لفعل ، ولكنها الحكمة الإلهية اقتضتْ أن يكون الناسُ بين بسط وقبض، وعطاءٍ ومنع، وغنىً وفقر، وعز وذُل، وحرب وسلام، وحب وبُغض وغير ذلك من الأعراض الدنيوية، تحقيقاً لضعف الإنسان أمام الربوبية، وامتحاناً للصابرين المخلصين ، وتمييزاً لعُبَّاد المال والمادة من المنافقين.

هذه سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

---

١ ــ مرّ سابقاً .
٢ ــ سورة الحج (١ ــ ٢) .

الناس في الحياة ألوان ، فمنهم قويٌّ متينٌ في إيمانه ، يتلقى ما يجده في الحياة برحابة صدر وقَدَم ثابتة ، حتى إذا ما انتهت شدتُه خرج كالذهب الإبريز أصفى مما كان عليه ، لم يدركه خَوَرٌ ولا وَهَن ، فذاك قريع الزمان وأخر الإيمان .

ومن الناس من يتظاهرُ بالقوة والثبات ، ويتحدث عن الصبر والجهاد ما دام في خير وسلام وطُمأنينة ، حتى إذا طرقت الأحداث بابه تبدلت قوته ضعفاً ، وثباتُه تزعزُعا ، وصبرُه جزَعًا ، وجهاده فِراراً ، كالمعدنِ المحترق . وعجيبة العجائب أن هذا النوع من الناس لا يبالي باذاعة الإشاعات المضلِّلة المغرضة وبلبلة الرأي العام . وفي هؤلاء يقول سبحانه ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أُوذي في الله جعل فِتنةَ الناس كعذاب الله** ... ﴾[1] يعني أنه يتحول عن إيمانه فوراً لتلاعبه بالإيمان ، ومنهم أُولو بقية من خير وأثارة من هُدي إذا نُبِّهوا انتبهوا وثابوا إلى رشدهم كما قال تعالى ﴿ **وما أُمِروا إلا ليعبدوا اللهَ مخلصين له الدينَ حُنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دينُ القيِّمة** ﴾[2] .

فالإخلاص في الأعمال أيها الناس سِرُّ النجاح في الجهاد والكفاح .

أيها المسلمون :

إن الإسلام دينُ القلوب والنوايا الصالحة ، لا دينُ المظاهر والعناوين الخادعة ، والأقوال البرَّاقة ، ولهذا يرشدنا ﷺ بقوله (إنما الأعمال بالنيِّات وإنما لكل امريءِ ما نوى)[3] .

فالإمعاتُ في الدنيا كثير . يقول ﷺ (لا يكن أحدكم إمَّعةً)[4] والإمَّعَةُ هو الذي لا رأي له،فهو يتابع كل أحد على هواه،سواءٌ أكان مُحسناً أم مسيئا .

---

١ ــ سورة العنكبوت (١٠) .

٢ ــ سورة البينة (٥) .

٣ ــ متفق عليه .

٤ ــ الحديث : لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن أن تحسنوا وأن أساؤوا فلا تظلموا . رواه الترمذي في كتاب البر وقال حسن غريب .

ويقول ﷺ : (ثلاث مُنجيات ؛ خشية الله في السر والعلانية والعدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، وثلاث مهلكاتٌ ؛ هوىً متّبعٌ ، وشح مُطاع ، وإعجاب المرء بنفسه)[1] أو كما قال .

ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد لله العظيم الأعظم ، وأشهد أن لا إله إلا الله الكريم الأكرم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي تحلّى بجميل الشيم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ذوي المفاخر والعِزَّةِ والشَمَم .

أما بعد فيا أيها المسلمون راقبوا ربكم قبل يوم القيامة قبل الحسرة والندامة ، وأحسنوا نواياكم قبل لقاء مولاكم ، واعلموا أنكم ملاقوا ربكم فيسألكم عما جنيتم واقترفتم ، اتقوا الله حق تقواه وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، بدأ فيه بنفسه وثنّى بملائكة عرشه ، فقال (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) (الصلاة الإبراهيمية) .

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلي ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم أعزّنا بالإسلام ، وزيّن في قلوبنا الإيمان ، وأهِّلنا إلى مقام المعرفة والإحسان ، واغفر لنا ولكم وللمؤمنين والمؤمنات يا رب العالمين . اللهم ألف بين قلوب القادة العاملين ، واجمع بين كلمة المسلمين ، وارفع شأن العروبة المؤمنة يا رب العالمين ، ونسألك اللهم أن تشمل بتوفيقك وهدايتك الحسين بن طلال نصره الله ، اللهم وفقه لعملٍ يرضيك ، وباعد بينه وبين معاصيك يا أرحم الراحمين .

---

١ ـــ سبق تخريجه .

عباد الله :

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون).

... وأقم الصلاة ، (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

* * * * *

* * *

*

أَلخطبة الحادية والثلاثون : الخامسة بعد عودة الشيخ من السعودية

٥ ذو الحجة ١٣٨٣ هـ

١٩٦٤/٤/١٧

(أثر الإحسان في المجتمع ومساوىء التسوُّل)

اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن سيئآت أعمالي ، اللهم اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك ، اللهم وما رزقتني مما احب فاجعله قوة لي فيما تحب ، اللهم ما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب ، ياذا الجلال والإكرام ، اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أساءوا استغفروا (**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كلَّه ، لا إله إلا أنت ، يا غياث المستغيثين أغثني أغثني أغثني .

الحمد لله الذي أمرنا بالتسامح والإحسان ، ونهانا عن المنَّة على بني الإنسان ، وأشهد أن لا إله إلا الله ذو الفضل على العالمين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسولُ الله ، إمامُ المحسنين وملجأ البائسين ، اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه الرحماء العاملين .

(أما بعدُ) فقال قال الله تعالى ﴿ **وابتغ فيما آتاك اللهُ الدار الآخرة ،ولا تنسَ نَصيبَك من الدنيا ،وأحسِن كما أحْسَنَ الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ،إن الله لا يحب المفسدين**﴾ القصص آية (٧٧).

أيها المسلمون : أيها الأغنياء :

لقد تفضَّل الله عليكم وأحْسَنَ إليكم ، وصان وجوهكم عن مذلة السؤال ، لهذا يجبُ عليكم أن تشكروا ربكم ولا تكفروه ، قال جل وعلا ﴿ ...، **لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد** ﴾[1] .

ليس الشكر مجرد القول باللسان ، إنما الشكر الحقيقي عقيدة راسخةٌ في القلب والجنان ، وامتثالُ أوامر الله العظيم والمنانّ ، والإحسان الى البؤساء الذين أصابهم الذل والهوان .

فمن القسوةِ أن تقبضوا أيديكم شُحاً وبُخلا ، لأن الشدائد تميت قلوب المُعْوِزين ، وتقضي على حياة الجائعين ، أينَ الرحمة والعدالة أن تكونوا في رغَدٍ من العيش وغيرُكم في كرب وضيق وألم من البؤس والإعسار .؟!!

أين المروَّة أن تستمتعوا بملابس المواسم والأعياد ، وإخوانكم ممن أضنى عليهم الزمان لا يجدون مابه يستترون .؟!!

أيها المسلمون :

إن ما تقدمونه لذوي الحاجات والعاهات ، والمناضل الجريح الذي بُتر ساقه أو قطعت أطرافه في حومة الوغى ذياداً عن دينه ووطنه وأمته .إن البذل لهؤلاء لهيِّن ويسير على الكرماء والرحماء ، يسيرٌ على من حماه الله وعافاه من وحمة الشح والبخل .

يقول رسول الله ﷺ (المؤمنون كرجلٍ واحد إذا اشتكى عينُه اشتكى كلُّه وإذا اشتكى رأسُه اشتكى كلُّه)[2] .

---

١ ــ سورة ابراهيم (٧) .

٢ ــ رواه مسلم والإمام أحمد في مسنده عن النعمان بن بشير .

ويقول عليه الصلاة والسلام (إن الله قسمّ بينكم أخلاقكم ، كما قسمّ بينكم أرزاقكم ، وأن الله عز وجل يُعطي الدنيا من يُحب ومن لا يحب ،ولا يُعطي الدين إلا من أحب . فمن أعطاه الدين فقد أحبه)[1] .

إذاً فلا يَتئَس فقير صابر بفقره ، وليفرح الفرح كلَّه اذا كان راضياً بقضاء الله وقدره . فهنيئاً لمن سَلِم قلبه ولسانه ، وحَسُن خُلقه ، وعاشر الناس بالمعروف . وليعلم الغني الشحيح أن غناه قد يكون وبالاً عليه ، يعاقب على جمعه واكتسابه ، ولا يُعتبر غناه من رضاء الله عليه وحبه كما يزعم . ألا وإن المال الحرام لا يُبارك فيه . ولا يَدفع عن صاحبه شرّاً ولا يَجْلِب له خيراً ، ولا يقبل الله التصدق به . لأن الله طيِّب لا يقبل إلا طيباً ، ألا وإن هذا المال لا يصلح عُدة لعوادي الزمان ، وليعلم الحريصون على جمع المال الحرام أنهم سوف لا ينالون إلا الحسرة والندامة ، ولو أقاموا الصروح العظيمة والبروج الفخمة العالية المشيَّدة ، لا سيما مَن اتخذوا أموالهم ذريعة للمحرمات ، كتعاطي الخمور ولعب القمار والرشوة والبغاء والربا وأكل أموال الناس بالباطل .

إن الله لا يمحو الخبيث بالخبيث ولا السيىء بالسيىء ، ولكنْ يمحو السيىء بالطيِّب الحَسَن . ﴿ ...، **إن الحسنات يذهبن السَّيئآت ، ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾[2] .

روى ثوبان عن الحكيم (ان الارض لتنادي كل يوم سبعين مرة يا بني آدم كلو ما شئتم واشتهيتم ، فوالله لآكلنَّ لحومكم وجُلودكم)[3] .

أيها المسلمون :

كونوا حذرين فلا يشتبه عليكم فقير بفقير ولا سائل بسائل . فرق عظيم وبوْن شاسع بين مسكين متعفف ينطوي عليه بيته . قال تعالى في مثل هذا النوع (... **يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم**) ثم قال (**لا يسألون الناس الحافا ، وما تنفقوا من خير فان الله به عليم**)[4]

---

١ ــ رواه احمد ورجاله ثقاة عن عبدالله بن مسعود مختصراً .

٢ ــ سورة هود (١١٤) .

٣ ــ رواه الحكيم الترمذي عن ثوبان بسند صحيح .

٤ ــ البقرة (٢٧٣) .

انهم لا يُلحون بالسؤال على الناس ، ولا يشتمونهم اذا منعوهم . وهناك فرق بين مسكين متظاهر يُمسك بتلابيب الناس والغرباء ، وهو في حقيقة أمره جمَّاع للمال ، اتخذ ذلك حرفة أَعَدَّ لها مظاهرها ووسائلها ، فقد يكون لصاً في ثياب سائل أو مجرماً يسعى في الارض فسادا ، فالمسكين الحقيقي هو الذي يؤثر الكرامة على المذلة والاستجداء . وربما أعطى فردَّ العطاء . من أجل هذا فقد كان الاسلام حريصاً على هذه النواحي الاجتماعية الاخلاقية . كان للمسلمين ، أيام الدولة الاسلامية أيام محمد ﷺ وأصحابه ، أيام تطبيق الاسلام على حقيقته ، بيت مال تقضى منه حوائج الفقراء والعاطلين وتُرد به مظالم البائسين ، كان هذا يوم كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما يرى فقيرا محروما من بيت المال يقول (الويل لعمر إن لم يغفر له ربه) . بمثل هذه المزايا الاسلامية الحميدة كتب الله للمسلمين عزتهم وكرامتهم ، وانتصروا على عدوهم . وتمت لهم الفتوحات الاسلامية المظفَّرة . وفي الآثار لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صَلَح به أولها .

أيها المسلمون :

لقد استساغ المتسولون اليوم هذا الكسب الرخيص الذي لا يبذل فيه جَهد ، وتفننوا في الحصول عليه . فان دام هذا تشيع البطالة ويخيم الكسل ونشأت عن ذلك بيئة فاسدة هي عُشُّ المنكر والفساد ، تكثر بسببها الجرائم وتنتشر السرقات ، وتنهب البيوت الآمنة الوادعة ، اذا لم تكن هناك حدود رادعة ، قال تعالى : ﴿ **ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب** ﴾[1] فالفقراء والمساكين ، هم الذين ذكر الله أوصافهم في مصارف الزكاة والآيات البيِّنات ، فلمثل هؤلاء يكون الاحسان لا للذين يتلبسون الناس في الشوارع والطرقات ، ولا للذين يُهنيون القرآن بقراءته على جوانب الطرق والشوارع العامة ، أمام الأجانب والسائحين ، ولا

---

١ ـــ سورة البقرة سبق ذكرها .

للذين يضربون بالرمال بالاحتيال . فتشوا عن المستحقين من الأرامل التي تربي اليتامى ، عن العاجزين عن الأعمال ، عن طلاَّب يدرسون عجزوا عن متابعة دراستهم لفقر أولياء أمورهم ، فتشوا عن بائع متعفف ذى عيال يبيع ولا يربح في غدِه من بضاعته التي لا تساوي ديناراً واحداً ، انقذوا مدينا لا يجد ما يسدد به ديونه . أعينوا مريضاً محتاجاً يغالبه الموت لعجزه عن المعالجة والدواء ، الى غير ذلك من أبواب البر والتقوى . قال ﷺ : « ثلاثٌ اقسم عليهن ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظُلم عبدٌ مظلمةً صبر عليها الا زاده عزا ، ولا فتح عبد باب مسألةَ (يعني يسأل الناس عن غير حاجة) الا فتح الله عليه باب فقر »[1] أو كما قال : ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★

أحمد الله الكريم المحِسان مُصلياً على رسوله وحبيبه الداعي الى السماحة والاحسان، وعلى آله وصحبه ذوي المرحمة والرأفة والعرفان ، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين .

عباد الله . هذه أيام مُواسم المبرات والصيام والصدقات هذه العشرُ الأوائل من ذي الحجة من شهور الحج الى بيت الله الحرام ، يقول ﷺ (ما من أيام العمل الصالح فيهنَّ أحبُّ الى الله من هذه الأيام العشر ، فقالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ، فقال ولا الجهاد في سبيل الله . إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء)[2] . ومعنى هذا : ان العمل الصالح والقربات الى الله في هذه الأيام العشر أفضل منه في كل وقت ، الا من خرج مجاهداً بنفسه وماله ، فاستشهد في سبيل الله ، فان درجته عند الله أعظم .

فاتقوا الله عباد الله وتقربوا الى مولاكم بالطاعات ، إذ قد ورد عنه ﷺ (ان الصدقة لتطفيء عن أهلها حرَّ القبور وإنما يستظلُّ المؤمن يوم

---

١ — رواه ابن ماجة والترمذي وقال حسن صحيح ، ولكنها بلفظ ثلاث لا ثلاثة .
٢ — متفق عليه .

القيامة في ظلِّ صدقته)[1] . واعلموا أنه تعالى أمرنا بالصلاة على رسوله ارشاداً منه وتعليما قال تعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ .

اللهم صلِ على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وأزواجه الطيبين الطاهرين ، حتى يرضى ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين وأصحاب رسول الله أجمعين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين . اللهم ألف بين قلوب المسلمين ، واجمع بين قلوب قادة الأمة العربية ، وانصر الاسلام والمسلمين يا أكرم الأكرمين . ونسألك اللهم العناية والرعاية والتوفيق لمليك البلاد الحسين بن طلال : اللهم الهمه الحق والسداد واهده الى طريق الرشاد . عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) ... **وأقم الصلاة** ، (**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ،ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

* * * * *

* * *

*

١ ــ رواه الطبراني عن عقبة بن نافع بسند ضعيف .

أَلخطبة الثانية والثلاثون : السادسة بعد عودة الشيخ من السعودية

١٠ ذو الحجة ١٣٨٣ هـ

١٩٦٤/٤/٢٢

« خطبة عيد الأضحى »

يذاع على الناس قبل صلاة العيد . عند الشافعي ومالك رضي الله عنهما سنة مؤكدة ، وعند الامام أحمد فرض كفاية ، وعند أبي حنيفة واجبة . استمعوا الى الخطبة بعد الصلاة .

« الكيفيـة »

تقول اصلي صلاة عيد الأضحى تكبر في الأولى قبل القراءة ثلاثا ما عدا تكبيرة الاحرام وثلاثاً في الثانية بعد القراءة .

اللهم يا من بيده مقادير الخيرات كلها ، يا من إليه يرجع الأمر كله ، يا فتاح يا عليم افتح لنا فتحاً قريباً .

اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن دعاء لا يرفع ، ومن عين لا تدمع ، أعوذ بك من هؤلاء الأربع ، اللهم نوِّر أبصارنا وبصائرنا بنور معرفتك ، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد شجرة النور الأصل النورانية ، وعلى آله وصحبه وسلم ، اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي ، واجرني من مضلات الفتن ، اللهم علمني ما ينفعني أو نفعني بما علمتني وزدني علما ، **(رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)** .

الله أكبر (٩) مرات . الله أكبر ما قصد الحجيج بيت الله الحرام من كلِّ فج ، واقيمت في هذه الأيام مناسك الحج .

الله أكبر ما أذَّن مؤذن الحجاج وهلل وكبر . الله أكبر ما خرجوا من منازلهم وألوية الرضا وأعلام القبول على رؤوسهم تُنشر ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر . الله أكبر ما وصلوا مواقيت الوصال وتجردوا من المخيط امتثالاً لأمر ربهم الجليل الأكبر ، الله أكبر ما أحرموا وتمتعوا وطافوا بالبيّت العتيق ، الذي طاف به كل نبي مطهر ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر .

الله أكبر ما وقفوا بعرفة وضجُّوا بالتلبية (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك : إن الحمد والنعمة لك والمُلك لا شريك لك فأجابهم مولاهم بالرضوان الأكبر . الله أكبر ما أفاضوا من عرفة الى المشعر الحرام فالى منى لرمي الجمار والنحر وطيب الكلام ، ومنهم من حلق أو قصرَّ . الله اكبر ما ذرفت دموع الحجيج يوم وداع البيت الأغرِّ ، الله أكبر ما هامت قلوب المشتاقين لرؤية أنوار الحبيب ، وصلّوا بين الروضة والمنبر ، ففازوا بالنعيم الأكبر ، سبحان ذي المُلك والملكوت ، سبحان ذي العزة والجبروت ، سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر . الحمد لله الذي أجزل العطاء في هذا اليوم السعيد ، فكان أكبر عيد ، وجعله يوم ذكرى لكل عبد سعيد من الذنوب تطهَّر . (أحمده) سبحانه وتعالى واشكره واتوب إليه واستغفره ، وأسأله اللطف فيما قدَّر ، واشهد أن لا إله الا الله واسع الرحمات ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير من ذكَّر وبشرَّ وعلى آله وصحبه وسلم .

(أما بعد) فيا أيها المسلمون :

إن يومكم هذا مغتنم الخيرات ، وموسم الربح والعطيّات ، ومهبط الملائكة والكرامات ، فيه يدنو ربُّنا من الخلائق ، وفيه باهى الله أهل السموات بكلِّ تقى أبرَّ ، فيا فوز من تطهَّر فيه من المآثم وتعطَّر ، ويا سعادة من جمع فيه الى لباس الزينة لباس التقوى . ويا شقاء من أغضب مولاه بفعل الموبقات والمسكرات ، وارتياد دور الملاهي والمنكرات ، ولم يتذكر هول المحشر .

أيها المسلمون :

أنزل الله على رسوله وحبيبه يوم عرفة ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** ﴾[1] ، فكان نزولها للمسلمين عيداً خالداً مجيداً ، فاهنئوا معشر المسلمين بما أنعم الله عليكم وأكثر ، وأقيموا شعائر الله بصلاة عيد الاضحى والتضحية امتثالا لأمر ربكم بقوله : ﴿ **إنا اعطيناك الكوثر فصلِّ لربك وانحر** ﴾[2] .

بادروا عباد الله فإنه ما عُبِدَ الله في هذه الأيام بشيء أفضل من اراقة الدماء ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، فطيبو بها نفساً وقرّوا بها عينا ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم،...** ﴾[3] وأطعموا منها الفقراء والأغنياء والقريب والبعيد وهي للفقراء والمساكين اولى وأظهر ، وانفقوا من اجود ما عندكم من النَّعم ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون،...** ﴾[4] وأطعموا من ضحاياكم القانع والمعتر .

قال عليه الصلاة والسلام (من ضحَّى طيبة نفسه محتسباً لأضحيته كانت له حجاباً من النار)[5] .

يا أمة الاسلام :

إن أيام العيد أيام هناء وسرور وشكر ومواساة وتسامح . أطعموا الطعام وافشوا بينكم التحية والسلام ، وصلوا الأرحام ، وأكرموا الأرامل والأيتام، يبارك الله لكم فيما تعملون .

إن الله سبحانه جعل السعادة والهناء مطمح كل انسان في هذه الحياة فلم يجعلها لذوي الأماني الباطلة، الغارقين في بحار من الشهوات ، جعلها جزاء من ربك عطاء لأعمال البر والخيرات ، للذين يعملون على إيجاد المحبة والأخاء بين الأفراد والجماعات . إن الدِّين والوطن متلازمان فلا سعادة لصاحب دين مشتت لا وطن له، ولا عزة ولا كرامة لصاحب

---

١ ــ سورة المائدة : سبق تخريجها .
٢ ــ سورة الكوثر (١ ــ ٢) .
٣ ــ سورة الحج (٣٧) .
٤ ــ سورة آل عمران (٩٢) .
٥ ــ رواه الطبراني عن الحسن بن علي بسند ضعيف .

وطن لا دين له . فالتضحية في سبيل ارضاء الله تعالى وتنفيذ أوامره وإسعاد الأمة واعلاء كلمة الحق والحفاظ على الأوطان، من أعظم القربات من أجل هذا قال ﷺ (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[1] . ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★ ★

الله أكبر ٧ أيها المسلم: في كل مكان الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع شريعته وهداه. قل لي بربك أيُّ تضحية أعظم عند الله من التضحية بالنفس والولد.؟ والجود بالنفس اقصى غاية الجود، وأيُّ نفسٍ تلك التي تسخو بذبح فلذة كبدها ابتغاء مرضاة الله. أنها نفس ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه، الذي اتخذ الله خليلا، واستجاب لأمر ربه، فقال (يا بُني ماذا ترى) فقال (يا أبتِ افعل ما تؤمر) فأخذه العزم المتين وبادر إليه فتلَّه للجبين بقلب سليم رحيم، حتى ضجَّت ملائكة السموات السبع، ونزلت البشرى بالفداء من السماء ولولا ذلك عن التضحية بولده ما تأخر. ومن هنا شرع التكبير الله أكبر الله أكبر.

يقول ﷺ (ما عبد الله في هذه الايام بشيء أفضل من اراقة الدم)[2] أو كما قال عباد الله اتقوا الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه. ألا فليعلم المسلمون قاطبةً أن في هذه التضحية لعبرةً لذوي النفوس الأبيّة، إذ فيها يتجلى الكرم الحقيقيُّ والتضحياتُ الكبرى للحصول على أعزِّ ما يرتجيه الإنسان في هذه الحياة من دِينٍ ووطن .

تتجلى فيها طاعة الأبناء للآباء والأمهات واحترامُهم على أحسن وجه أقدسَ وأوفر .

---

١ ــ متفق عليه .

٢ ــ الحديث هكذا بالمعنى أما لفظه : ما عمل آدمي من عملٍ يوم النحر أحب الى الله من إهراق الدماء ، وإنه لتأتي يوم القيامة في فرشه بقرونها واشعارها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع على الأرض فطيبوا بها نفساً رواه ابن ماجة والترمذي عن عائشة وقال حسن غريب وقال الحاكم صحيح الاسناد .

ألا وإن أعيادنا نحن الفلسطينيين، لا تكون ولا تتحقق إلاّ بتضحيات غالياتٍ في سبيل استرداد وطننا السليب المغتصب، من أيدي اليهود والمستعمرين، المخالفين لأمر الله الأكبر .

أجل أعيادنا الحقيقية بهذا التضامن العربي الأخوي. وهذه النهضة الإسلامية العربية المتحركة الشاملة لديارنا في دنيا الإسلام والعروبة أعظم وأكبر .

إذا العيدُ يوماً أتى أمـــــةً
وكان لهـــا العزُّ والسؤددُ
بَناهــــا الأُباةُ بحد الحسام
وللشعب نفس بــــه تسعد
وما العيدُ إلا بِنَيْل العُلا
وحِصنٍ حَصِينٍ لمن تشهدُ

أيها المسلمون :

تزاوروا في عيدكم وتصافحوا، يذهب الغلُّ من قلوبكم : هذا وإني من أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من منبر صلاح الدين، الناصر لدين الله أرفع التهاني القلبية بهذا العيد السعيد للعالمين الإسلامي والعربي فهنيئاً لكم اجتماعَ قلوبهم، ووحدةَ صفِّهم، وكلُّ عام وأنتم بخير .

اللهم أيد الإسلام والمسلمين، وانصرهم على من عاداهم يا أرحم الراحمين، وانصرنا على الظالمين والمنافقين يا عليماً بذات الصدور .

اللهم اجمع على الحق كلمتنا ، وعلى الإيمان قلوبنا ، ونظِّم للحق والجهاد صفوفنا، وسدد للتوفيق خُطانا، وطهرِّ من الغل والحقد والحسد نفوسنا، يا أكرم الأكرمين .

ونسألك اللهم ياذا الفضل والكرم ، أن تشمل بالعناية والرعاية الإلهية مليكنا المحبوب الحسين ابن طلال ـــ أللهم الهمه الحق وسدد خطاه .

اللهم أعظم شأن ديننا ، ضارعين إليك بقلوبنا، كما جمعت بين قلوب المسلمين في عيد واحد وهدف واحد وطافوا ببيت واحد وآمنوا بإله واحد ، أن تجمع بين قلوب المسلمين وكلمتهم . ياذا الجلال والإكرام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * * * *
* * *
*

الخطبة الثالثة والثلاثون : السابعة بعد عودة الشيخ من السعودية .

٢٦ ذو الحجة ١٣٨٣هـ

١٩٦٤/٥/٨

(ذكريات الهجرة النبوية)

(**...رب أعوذ بك من همزات الشياطين. وأعوذ بك ربي أن يحضرون**)[١] اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وسيئآت أعمالي وأجرني من مضلات الفتن. أعوذ بك منك. أنت كما أثنيت على نفسك لا أحصى ثناءً عليك، (**...رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**)، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين ياذا الجلال والإكرام.

الحمد لله مجدد الأعوام عاماً بعد عام ، عبرةً وتبصرةً وذكرى للأنام (أحمده) حمداً كما ينبغي كرم وجهه وعزَّ جلاله ، وأستعينه استعانةً مقرٍ بعبوديته ووحدانيته، وأشهد أن لا إله إلا الله المنزهُ عن الشبيه والنظير ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه ، قطبُ دائرة الجلال وتاج الجمال ، الذي هاجر من مكة المكرمة وطنه الأصلي، إلى المدينة المنورة، امتثالاً لأمر ربه ليجدد نهضة الإسلام وحركته. اللهم صلِ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه من المهاجرين والأنصار .

أما بعد. فقد قال الله تعالى ﴿ **إلاَّ تنصروه فقد نصره الله إذْ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنيْن إذهما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزنْ إن الله مَعَنا، فأنزل اللهُ سكينته عليه وأيده بجنودٍ لم تروْها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمةُ الله هي العليا، والله عزيزٌ حكيم** ﴾ التوبة[٢] .

---

١ ــ سورة المؤمنون (٩٧ ــ ٩٨) .

٢ ــ الآية (٤٠) .

أيها المسلمون :

لقد مضى العام الهجري بحسناته وسيئآته بخيره وشره ، لقد مضى بما فيه فماذا أعددتم لدينكم ووطنكم.؟ ماذا عملتم لاسترجاع وطنكم بعد هجرتكم.؟ منه وماذا أنتم فاعلون في عامكم الجديد .؟ أجل لقد كانت قوة الأمة العربية الإسلامية مبعثرة مُحزنة، يفرح لها العدو ويُساء منها الصديق ، كانت أحداث العام الماضي خصوماتٍ وخلافات بين الإخوة الأشقاء ، كانت اسرائيل الباغية ومن ثبَّت أقدامها من الدول الجائرة ترقُص فرحاً وطربا ، لكننا في نهاية العام الماضي قُبَيْل شهر رمضان المبارك عدنا إلى عزتنا وكرامتنا ووحدتنا، وردَّ الله للإسلام صولته، وللحق دولته فجمع بين الإخوة وألَّف بين القلوب المتباعدة، وجعل أمة العرب والإسلام النابعة من الأمة الإسلامية تصول وتجول، تخطط وتُقرر ، تعمل وتُهدد عن قوة وعزم ، فقد جمع سبحانه بين قلوب ملوكهم ورؤسائهم وقادتهم بفضله وكرمه. يقول الواحد منهم باسم مائة مليونٍ عربي غير هيَّاب ولا وجل، والشعوب الأخرى في آسيا وإفريقيا تؤيده وترعاه .

أيها المسلمون :

إن وحدة قلوبنا اليوم هي وحدة الصف والهدف تمنح وتجدد تصون ولا تبدد إنها كلمة واحدة نابعةٌ من صميم قرآننا وقلوبنا ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾[1] .

نعم لقد كانت نهاية العام الهجري مؤذنة بالخير وتباشير النصر والتوفيق ، وفي كل لسانٍ فرحة ، وعلى كل وجه بسمة أملٍ مشرق . نعم لقد تحرك الركب الإسلامي العربي الثائر في قافلة واحدة مجيدة، رجاء الحرية والحياة السعيدة. إنه يريد الكفاح بالسلاح ليهزَّ الكون من أقصاه إلى أقصاه، لاسترداد حقِه المهضوم ، فقد عَرَف العالمُ كلُّه قضيتنا، وعرف أن

١ ــ سبق تخريجها . سورة آل عمران .

الأيدي الباغية والتبعية الجائرة قد استعمرتنا بالحديد والنار، وجعلتنا فرقاً وأحزابا يضربُ بعضُنا رقابَ بعض، ويكيد كلٌّ منا للآخر، أما اليوم فقد استيقظنا والحمد لله، ونفضنا عن وجوهنا غبار الذلة والهوان. بدأنا نستنشق الرَّوْح والريحان من تصاريح مؤتمر الذروة المؤيدة بالأعمال .

أيها المسلمون :

اسمعوا وعوا . لما علم المستعمر الغاشم بهذه القوى المتزايدة، صار ينفُث الحُمم القاتلة من سمومه، فتارة يضرب الجنوبَ العربي الثائر على الظلم واسترداد الكرامة والحرية، يضربُهُ بقنابله وطائراته وصواريخه، وتارة يؤيد بقاء الصهاينة في وطننا الأصيل، ويُمُّدهم بعتاده وسلاحه وماله ، وتارة يشجع على إيقاع الفتن والقلاقل، ويُغذي الأحزاب المعادية للإسلام والدين والوطن ، حتى وقع في جزء من وطننا المجاور ما يؤلم ويزعج ويقضُّ المضاجع من قتلى وجرحى وصرعى بالآلاف، في بيوت الله التي أذن الله أن يذكر فيها اسمه ، وما هذه الأعمال إلا من بقايا مكائد المستعمرين المدَّبرة بليل أسود قاتم. أجل : إن المستعمرين في كل مكان يخشوْن غضبة الأمة الإسلامية العربية، وحينما علموا بوحدتنا الصادقة صاروا كالذي يتخبطه الشيطان من المس والجنون. لأنهم أيقنوا بتصفية قواعد الاستعمار ومستعمراته ومحمياته في كل شبر من أرض العرب .

أيها المسلمون :

إن الزحف الإسلامي العربي المقدس واقع لا محالة، ماله من دافع، ولكن لا بد من الإعداد والاستعداد، ولو اعترضتنا صعوبات ومشقات . فقد كان من حِكم الله تعالى أن يرسل رسله ممن قويت عزائمهم وكمل إيمانهم، فإذا أُوذوا صبروا وعملوا واحتملوا في سبيل إرضاء ربهم وإعلاء كلمته، ليعلِّم المجاهدين منهم والصابرين ، فقد أرسل الله محمداً ﷺ خاتم

النبيين، فأخذ يدعو قومه لعبادة الله وحده ، ولكنهم ما تركوا سبيلاً من سُبل الأذى إلا وسلكوه، حتى أذن الله لرسوله ومن معه بالهجرة وسار في طريقه يصحَبُه رفيقه أبو بكر، لا هرباً من أذىً ولا خوفاً، من ضرر، ولكن كانت الهجرة امتثالاً لأمر الله، وكان من نتائجها تجديدُ القوى وإعدادُ العدة لفتح مكة فتحاً جديدا، وكان وعدُ الله مفعولا . فإذا كانت الأهلةُ للأعوام مواقيت للناس، فإن في هلال المحرم الذي سيشرق علينا في مطلعِ العامِ الجديد صقلاً للقلوب وشحذاً للهمم والعزائم ، فهلال المحرم من كل عام يذكرنا بما كان عليه المسلمون والمصلحون والعلماء العاملون ، وما لاقوْا ، في سبيل الدعوة الإسلامية .

أيها المسلمون :

في فترة من الزمن خرج من بين العرب مصلح عظيم وقائد حكيم، ذلك هو محمد ﷺ قد دعاهم إلى الإسلام، ونهاهم عن عبادة الأوثان، فشق ذلك عليهم، حتى قال المشركون (والله إنه الهلاك فإن لم نغلِبْ محمداً غلَبنا والله لنأخذنَّ عليه الطريق ، ولنسدَّنَّ عليه المسالك ولنحمينَّ منه قريشا وسلطانها. وفي هزيع ليلةٍ من الليالي في غرة محرم العام الهجري الحرام ضربوا حول بيته سوراً ووقفوا شاكي السلاح، ليبطشوا به، ولكنْ :

وقاية الله أغنت عن مضاعفـــة

من الدروع وعن حالٍ من الأُطم

فما أضعف حيلة الإنسان، وما أعجزه أمام جبروت الرحمن وبأسه . واللهُ أشد بأساً وأشد تنكيلا .

فقد استطاع محمد بعناية ربه أن يخرِقَ سور الكفر والإلحاد، وسار معه أصحابه إلى المدينة المنورة، تحرسه عناية الله. وهناك هيأ محمد الجيش الإسلامي العربي الصالح، وأعاد الكرة على كفار مكة، وفتحها فتحاً جديدا

فارتفعت راية الإسلام، وزال الكفر وأنصاره، وتم النصر للمؤمنين العاملين.
عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال (قد رأيت دارَ هجرتكم ذاتَ نخل بين لابتين)[1] يعنى المدينة او كما قال .

أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

الحمد لله الباقي على الدوام، وأشهد أن لا إله الا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله. اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه .

أما بعد، فيا أيها المسلمون :

خذوا من عامكم الجديد عظةً وعبرةً وأخلصوا لربكم وجددوا عزائمكم، وكرسوا جهودكم للحياة الحرة الكريمة ، واعلموا أن عظائم الأمور لا تنال إلا بالجد والجهاد والصبر والعمل ليوم المعاد . استقبلوا عامكم الجديد بتوبة صادقة ونية خالصة، اعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى ولم يزل قائماً عليما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) (الصلاة الإبراهيمية)

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم عليك بمن أذى المسلمين فإنه لا يعجزك، اللهم انشر سابق رحمتك على البلاد والعباد، واقمع أهل الشرك والإلحاد والفساد. اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب إهزم الأحزاب، وزلزلهم وانصرنا عليهم. إنك على كل شيء قدير. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

---

١ — سبق تخريجه .

ونسألك اللهم أن تشمل برعايتك وتأييدك وحسن توفيقك مليكنا المقدام الحسين بن طلال ـــ اللهم اكتب له النصر والتوفيق رب العالمين .

عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

وأقم الصلاة (... ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

* * * * *
* * *
*

من آي الذكر الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها، وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون. يوم نطوي السماء كطيِّ السجل للكتب، كما بدأنا أول خلق نعيده، وعداً علينا، إنا كنا فاعلين. ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عِباديَ الصالحون . إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين . وما أرسلناكَ إلاّ رحمة للعالمين . قل إنما يُوحَى إليَّ إنما ألهُكم إلهُ واحد ، فهل أنتم مسلمون ﴾ ؟ .

صدق الله العظيم

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة الأنبياء (١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨) .

١٨ محرم ١٣٨٤هـ

١٩٦٤/٥/٢٩

(لا سعادة إلا بإيمان وعمل)

اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت ، اللهم أني أعوذ بك من شر نفسي وسيئات أعمالي ، اللهم أذهب عني غيظ قلبي، واغفر لي ذنبي، وأجرني من مضلات الفتن ، أسألك برضاك وأعوذ بك من سخطك ، أسألك جنتك وأعوذ بك من نارك. أسألك الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله ، رب أعوذ بك من همزات الشياطين وان يحضرون .

اللهم ثبتني على الهدى والصلوات، واجعلني راضياً مرضياً غير ضال ولا مضل ، اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي (**...رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

أحمد الله الذي شرع الإسلام هدايةً للمؤمنين، ووفق من شاء للتمسك به والتحلّي بآدابه، فضلاً من الله ونعمةً ، والله عليم حكيم ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ تفرَّد بالعزة والعظمة والسلطان، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله، بعثه الله رحمةً لبني الإنسان ، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه، بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حقّ جهاده، فكان أفضل قدوةٍ لعباده، وعلى آله وصحبه الذين حملوا من بعده عَلَمَ الهداية فدانت لهم الأمم ، وخضعت لِسُلطانهم الرقاب، فكان فضل الله عليهم عظيما .

أما بعد فقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ **وعَد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنَنَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا** ﴾[1] .

أيها المسلمون :

هذا وعدُ الله الصادقُ ولن يُخلِفَ اللهُ وعدَه . إن الأعمال النافعة الحيوية للأمم جزاؤها عند الله استخلافُ الأراضي والأوطان ، للعاملين النافعين كما قال جلت حكمته ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرِثها عباديَ الصالحون** ﴾[2] .

فالاستخلاف في الأرض هو عمارة الكون ، وتوزيعُ العدل والإحسان بين عباده ، وذلك يعتمد على القوة والهيمنة ونفاذِ الكلمة ، وهو مطلبُ رفيع تتفانى الأمم في سبيله، وتضحي بأبنائها وأموالها بغية الوصول إليه ، فما استقامت عقيدة ، ولا استقر سلطان ، ولا وُجِدَ مجدٌ وسؤددٌ ، ولا شعرت أمة بالعزة، إلا إذا حمتها القوة، وبسطت عليها اجنحتها .

أيها المسلمون :

إن استرداد الحقوق المهضومة والأوطان السليبة، لا يتحقق إلا إذا توحدَّت الكلمة، وتجمعت القوى في صعيد واحد ، ونُظِّمت الصفوف في وجه العدو الماكر المغامر، وذلك لا يتحقق إلا بنكرانِ الذات وإيثارِ المصالحِ العامةِ المشتركة على المصالح الخاصة. ولا يكون أيضاً إلا بتبادل الآراء في جوٍّ تسوده المحبة الصادقة والاحترام الأكيد . وأكرم الناس في ذلك وأبرزُهم حميةً ووطنيةً، أخلصهم لدينه ووطنه، واتقاهم لله .

﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير** ﴾[3] .

---

١ ــ سورة النور سبق تخريجها .
٢ ــ سورة الانبياء (١٠٥) .
٣ ــ سورة الحجرات سبق تخريجها .

ألا وإن المُثَل قائمةٌ وشواهدَ الماضي حاضرةٌ في الأذهان ماثلةٌ ، وتمكينُ الدين والعقيدة نعمةٌ عظمى ومقصد رفيع، يتبعه استقرار النفوس وراحة الضمائر، والشعورُ بالعزة والكرامة .

ألا وإن تناسيَ الأحقاد والأضغان، وإشاعةَ الطمأنينةِ والمحبةِ الصحيحة بين الأفراد والجماعات. كلُّ أولئك سبيلٌ إلى السعادة. سبيلٌ إلى التعاون المثمر ، سبيل إلى الوحدة الشاملة ، سبيل إلى استرداد الحقوق المغتصبة .

أيها المسلمون :

ليس شيء أحبَّ إلى النفوس، ولا أمتعَ وأشهى للقلوب ، ولا أهنأ للروح من أن يرى الإنسان عقيدته سائدةً غيرها بحق ، على حينِ كونِها صاحبةَ السلطان والنفوذ في نفوس الناس كافة .

أجل : ليس شيء أحبَّ للإنسان من أن يرى الأمْنَ بعد الخوف، الذي هو أعزُّ مطلب في الوجود ، لأن للخوف آثاراً تُفسد العقل وتذْهب بالتفكير .

إذاً فما أحلى الأمْنَ والاستقرار بعد الفزع والفَرَق ، وما أعذبه يتدفق على النفوس برداً وسلاماً بعد القلق .

أيها الناس :

ليس الإيمان مجرد تصورات تتخيَّلُها العقول، وتجري عباراتها على الألْسُنِ ، وليست الأوطان العزيزةُ شعاراتٍ تتردد دائماً، ولا سِلعاً تُستباح وترد إلى حظائرها بلا ثمن، بأقوال عارية عن الأعمال الواقعية، إذ لا بد من الحزم والعزم، والإعداد والعمل .

أجل : إن الوطنية طاقاتٌ وإمكانيات وتضحيات، وتصافي القلوب وتوحيد الأهداف والصفوف ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسولِهِ ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون** ﴾[١] .

إن أعلى الأعمال الصالحة، وأغلاها منزلةً عند الله ، فضائل الأخلاق؛ من الوفاء بالعهود، والصدقِ في الأقوال والأفعال والشجاعةِ في الحق ، والصبرِ على احتمالِ المكاره ، والعدلِ مع الناس جميعاً في الحقوق والواجبات .

ومن الأعمال الصالحة إطاعةُ الفرد لما تفرضه الجماعة، وما تفرضه وُلاة الأمور التي ليس فيها معصيةٌ للخالق جل وعلا، ولا مخالفةٌ لأوامر الله تعالى، لقوله ﷺ (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[٢] .

أجل ، لا تسعد أمة تتفرق أهواؤها، ولا تسعد أُمةٌ تصير شيعاً وأحزابا، لا تسعد أمة تحتكم إلى شهواتها ، وتتعامى عن النُّذر والآيات، بل تتعامى عن العِبر والعظات . لا تسعد أمة تجعل تعاليم دينها وراءها ظِهريا، وتزدري بالأخلاق الفاضلة النيِّرة، حباً في شهوةٍ أو متاع أو ظهور .

لا تسعد أمة ينغمس كبراؤها وأغنياؤها في البذخ والإسراف والترَّف، يستعذبون الراحة ويأنفون العمل .

﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقَّ عليها القول فدمرناها تدميرا** ﴾[٣] .

أيها المسلمون :

نحن الآن على مفترق الطرق، فإما أن نستضيء بنور العقل ونهتدي بهدي الشريعة، فنصير إلى عِزَّة وكرامة نعلو بهما في أجواء الفضاء ونخترق

---

١ ــ سورة الحجرات (١٥) .
٢ ــ رواه الامام احمد والحاكم عن عمران بن الحصين وقال الهيثمي رجال احمد رجال الصحيح .
٣ ــ سورة الاسراء (١٦) .

بهما أطباق الأرض. وفي الآخرة إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض، وإما أن نتعامى عن الطريق السويّ، وننسى ماحل بالأمم السابقة، التي أخلدت إلى شهواتها وملذاتها، فأهدرت كرامتها، فكان عاقبة أمرها خسرا .

قال ﷺ (من التمس رضا الله بسخط الناس، كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس سخَط الله، ووكله الله إلى الناس)[1] . وقال ﷺ (يد الله مع الجماعة عليكم بالسواد الأعظم، وإنما يأخذ الذئب من الغنم القاصية)[2] أو كما قال . ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

الحمد لله واهب المنن. أشهد أن لا إله إلا اللهُ ذو المجد والعزة والفضل والكرم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فيا أيها المسلمون اتقوا ربكم واستمسكوا بدينكم وسيروا على هدى نبيكم واعتصموا بحبل الله المتين قال تعالى ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هُديَ ألى صراط مستقيم** ﴾[3] .

واعلموا أن عدوكم ساهر ماكر غادر، يتربص بكم الدوائر، هذا وإن إذاعة إسرائيل ومن يركزها في الأرض من المستعمرين، تدسُّ السُّم في الدسم، وتنظرُ إلى ساعة الفرقة والاختلاف، لا سمح الله، فخيبوا آمال أعدائكم، وحطموا ظنونهم، وبرهنوا لهم على أنكم بشرع نبيكم عاملون، وبحبل الله معتصمون، وعلى طريق الحق لسائرون، وبالعودة إلى وطنكم فلسطين الحبيب لواثقون. إن شاء الله تعالى، واعلموا أنه تعالى، أمرنا بالصلاة على نبيه قديما تعظيما منه وتكريما، قال تعالى « **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) .

---

١ ـــ رواه الترمذي عن عائشة .
٢ ـــ رواه الترمذي عن ابن عباس .
٣ ـــ مرّ تخريجها سابقاً .

اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولِك النبيِّ الأميِّ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما بقدر عظمة ذاتك، في كل وقت وحين .

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا. اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا، وما أسرفنا. أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير. اللهم ألف بين قلوبنا واجمع بين كلمتنا وانصر الأمة العربية الإسلامية يا أكرم الأكرمين. واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

اللهم ناصر الحق المبين نسألك أن تشمل بعنايتك وتأييدك وتوفيقك مليك البلاد الحسين ابن طلال . اللهم اجعله بالحق مستمسكا، واجعل بينه وبين الباطل برزخاً وحاجزا. يا رب العالمين .

عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظُكم لعلكم تذكرون**) .

وأقم الصلاة (... ، **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الخامسة والثلاثون : التاسعة بعد عودة الشيخ من السعودية .

٩ صفر ١٣٨٤هـ

١٩٦٤/٦/١٩

(إنتشار المنكرات والموبقات)

اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي، وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا ، (... **رب أعوذ بك من همزات الشياطين. وأعوذ بك رب أن يحضرون**) ، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، وشر عباده ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون ، يا أرحم الراحمين، يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، يا الله ياذا الجلال والإكرام ، أعوذ بك من العجب والكبرياء والرياء والخيلاء ، (... **رب اشرح لي صدري•ويسر لي أمري•واحلل عقدة من لساني•يفقهوا قولي**) آمين .

الحمد لله العليِّ الكبير الجليل القدير ، وهو العليم الخبير ، جعلنا خير أمةٍ أخرجت للناس، خَصَّنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الصمدُ الأكبر ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، حثنا على الدعوة إلى الله لإصلاح الأمة والمجتمع ، اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه الذين رفعوا راية الإسلام ومناره بالحزم والصبر والثبات ، فدانت لهم الدنيا، ولهم عند الله حُسنُ ثواب الآخرة، فنعم العاملون .

أما بعد، فقد قال العليم الحكيم ﴿**ولتكن منكم أُمةٌ يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهوْن عن المنكر، وأولئك هم المفلحون**﴾[1] .

١ ــ سورة آل عمران (١٠٤) .

وقال جل شأنه ﴿ **التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله، وبشر المؤمنين** ﴾[1] .

أيها المسلمون :

إن الله عزت قدرتُه خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وكرَّمه بالعلم والمعرفة ، بالتفكير والعقل المستنير ، يُميز به النافع من الضار، ويفرقُ بين الحق والباطل ، ولكنَّ العقول البشرية وحدها لا تستقلُّ بإدراك المصالح الدنيوية، فضلاً عن الأُخروية ، ولا تهتدي وحدها إلى تمييزِ الخير من الشر ، والمعروف من المنكر، حتى لو وصلت إلى الغاية القُصوى من الإدارك، لأنها قد تنجح وتميل عن الحق إلى الباطل ، وتنحرف عن الصلاح إلى الفساد ويخفى عليها وجهُ المصلحة ، ولا تهتدي إلى مَغَبَّة الأعمال، وكثيراً ما يبدولها الشرُ في لباس الخير، فتقعُ فيه، وكثيراً ما ظهر لها الخيرُ في صورة الشر، فأعرضت عنه .

ولما كانت العقول البشريةُ من طبيعتها قاصرةً عن دَرك مصالحها في هذه الحياة، وكانت عُرضةً لتغلب الأهواء والشهوات والأمراضِ الاجتماعية الفتاكة ، كالكبر والعُجب والرياء والتبذير والإسراف والكذب والحسد، اشتدت حاجة البشر إلى الهداة والمصلحين والدعاةِ والمرشدين الناصحين يبصرونهم بدينهم ودنياهم، وما يَصلُح به معاشُهم ومعادُهم ، يدعونهم إلى ما فيه سعادتهم، ويحذرونهم من الشرور والأثام ، يُطهرون نفوسهم من أدران النقائص وغوائل الشهوات ، أولئك هم رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

بهذه الدعوة الحكيمة الرشيدة، التي استنارت بها البصائر، واهتدت بها العقول، سَلَكَ المجتمعُ الإنساني طريقاً قويما سوِياً سليما ، وصراطاً

---

١ ـــ سورة التوبة (١١٢) .

مستقيما ، فسَلِمَ من مَخاطر الآفات والشقاء ، وفاز بحياة حرة كريمة طيبة ، وما زال الاجتماعُ الإنسانيُّ في هذه المسكونة بعد انقضاء عهد النبوة والرسالة، في أشد الحاجة إلى دعاةٍ مرشدين، وناصحين أمناء يخشون الله ولا يخشوْن الناس ﴿ ... وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، ... ﴾[1] يحمون دين الله وحدودَه من عبث العابثين ، ويحرسون عقائد المجتمع من الضياع والانهيار ، يحذِّرون الناس من عواقب الشر ، ويراقبون الأعمال والأخلاق ، يُنيرون السبيل إلى مافيه السعادةُ العظمى .

أيها المسلمون :

بالدعوة الإلهية التي قام بها الرسل الكرام، لبست النفوس أدباً ضافياً ، صافيا من معين الحق والعدالة والصدق والإيمان ، وأخذ المجتمع سُنَّة منتظمة ، واستضاءت العقول بحقائق كانت غامضة . وإذا كانت للشرائع السماوية ثمرةُ تقويم النفوس ، فإن نصيب الإسلام من هذه الثمرة أوفر وأحلى .

أيها الناس :

ما برحت العصور تَلِدُ عدداً كبيراً من المعاندين والجاحدين الحاقدين على الإسلام، الذين يُحاولون تحرير النفوس من قيود الأدب والعفاف والفضيلة، ولكنْ يجدُ أمثالُ هؤلاء أمامهم في كل عصر دُعاة أولي همة وإخلاص، يقرعونهم بالحجة والبرهان، فيزهَقُ باطِلُهم ويبؤون بالخيبة والخِذلان.

أيها المسلمون :

ترشدنا الآية الواردة في قوله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير...﴾[2] بأوسعِ صراحةٍ وبيان، أن الدعوة إلى الخير فريضةٌ ملقاةٌ على

---

١ ــ سورة الأحزاب (٣٧) .

٢ ــ سورة آل عمران (١٠٤) .

عاتق الأمة ، لا تخلصُ من عُهدتها حتى تؤديها طائفةٌ على النحو الذي أمر الله به من امتثال الأوامر واجتناب النواهي. وهي كسائر فروض الكفاية يوجَّهُ خِطابُها إلى كافةِ أفراد الأمة، كلٌ على قدر طاقته ومعرفته ، من أجل هذا أهلك الله أقواماً وأُمماً من قبل، وندَّد بأعمالهم. قال تعالى ﴿ **لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داودَ وعيسى ابن مريمَ ، ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهَوْن عن منكر فعلوه. لبئسَ ما كانوا يفعلون** ﴾[1] صدق الله العظيم .

أيها المسلمون :

تفكرَّوا قليلاً بالله عليكم، وتأكدوا تماماً بأن النهي عن المنكر حِفاظ الدين والوطن، وسياج الآداب، وعِمارُ البيوت ، فإذا أُهمل تجرأ الفُسَّاق على هتك الحُرُمات، وطعنوا الأمة في صميم عفافها وكرامتها، وتجاهروا بالموبقات بلا خجل ولا مبالاة، والرسول ﷺ يقول (كلُّ أمتي معافىً إلا المجاهرين بالفسق)[2] .

ذلك كان شأن الأمم السابقة ودأبهم، ذكره الله عبرة للمؤمنين حتى لا يقعوا فيه. لقد كادت وظيفة الدعوة إلى الخير تتعطَّلُ في أيامنا. لضعف الإيمان في قلوبنا. وانتشرت المنكرات بصورة يضيق بها صدر الحليم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ولقد أصبح الناس لا يؤمنون بالأخلاق الفاضلة والمُثُل العُليا. ألا فليعلم الناس ولتعلم الدنيا بأسرها أن وعظ الواعظين وإرشاد المرشدين، قد أصبح محصوراً بين جدران بعض المساجد والمدارس ، وأصبح التوجيه في شهر رمضان وغيرِهِ في الصحف والمجلات حِبراً على ورق، لا يؤبه له . فجديرٌ بالمرشدين والدعاة العاملين أن يتوجهوا إلى المسارح العامة والملاهي السَّامة والأماكن المنكرة ، حيث يجتمع العـــدد الوفير من الذين لا يعرفون أبواب المساجد، ولا يستمعون إلى

---

١ ـــ سورة المائدة (٧٨ ــ ٧٩) .

٢ ــ سبق تخريجه .

مذياع التوجيه الديني ، فهناك المنكرات وهناك الموبقات ، التي كادت تقضي على حياة هذه الأمة ، وتُميتها مادةً وأدباً ، وكأن حساب يوم القيامة لم يخطر لنا على بال .

أجل : إننا في حاجة إلى الدعوة الخيِّرة النيرِّة الصادقة ، في حاجة للأمر بعمل المبرَّات في سبيل سعادة الأمة وحياتها ونموِّ اقتصادياتها وتوفير أموالها ليوم النفير ، ليوم حماية الأوطان .

نعم : نحن اليومَ في حاجة إلى المجهود الحربي ، في حاجة أكيدةٍ دافعة لحشد الطاقات والإمكانيات ، وإعداد العدة للعدو الماكر الغادر ، الذي يتربص بنا الدوائر .

قال ﷺ :

(ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ، ليس منا من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر)[1] .

ويقول ﷺ (ليغشيَّن أمتي من بعدي فِتنٌ كقِطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ، ويُمسي كافرا ، يبيع أقوامٌ دينهم بعرض من الدنيا قليل)[2] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت ، وهو اللطيف الخبير ، أشهد أن لا إله إلا اللهُ المطلعُ على خفايا الصدور ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذي قام بالدعوة والطاعة لربه ، حتى تورمت منه الأقدام ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله .

---

١ ــ رواه الترمذي وقال حسن غريب .

٢ ــ رواه الحاكم عن ابن عمر في باب الفتن .

عبـاد الله :

اتقوا الله في نفوسكم اتقوا الله في أعمالكم وذراريكم ﴿ **واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله، ثم توفى كلُّ نفس ما كسبت وهم لا يُظلمون** ﴾[1] .

هاهي الصحافة تقول إن إسرائيل تستعد بتأييد من أصدقائها وأعوانها في الغرب إلى أضخم مناورةٍ في الذخيرة الحيَّة ، مناوراتٍ عسكرية شرعت فيها منذ أيام في قلب وطننا العربي الكبير ، فلنكن ساهرين يقظين حذرين لا غافلين ولا متواكلين ، ولنعتصم بحبل الله المتين ، ولنتفاءَل بسعادتنا إن شاء الله في المستقبل القريب .

اتقوا الله وصلوا على نبيه امتثالاً لأمر الله الكريم ، وتعظيما وتكريما حيث قال (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) (الصلاة الإبراهيمية) .

وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين ، الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، وعن أصحاب رسول الله اجمعين ، ومن سار عن نهجهم القويم .

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين ، واجعلنا بجاه سيدنا محمد النبي الأمي العربي الهاشمي من الآمرين بالخير والدعوة إلى الله .

اللهم ألف بين قلوبنا ، واجمع بين كلمتنا ، واجمع بين قلوب قادة الأمة وكلمتهم على الحق ، يا رب العالمين ياذا الفضل العظيم .

ونسألك اللهم ياذا الجود والفضل والكرم ، أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال ، حفظه الله ، اللهم أيده بالنصر وسدد خطاه .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

وأقم الصلاة (... ، **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

---

١ ــ سورة البقرة (٢٨١) .

الخطبة السادسة والثلاثون : العاشرة بعد عودة الشيخ من السعودية .

١٥ ربيع الأول ١٣٨٤هـ
١٩٦٤/٧/٢٤

(قبس من حياة رسول الله ﷺ وحيائه)

(... **رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، اللهم اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن. أعوذ بك من شر نفسي وسيئآت أعمالي ، اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه دقه وجله عمده وخطأه سره وعلانيته إنك على كل شيء قدير ، اللهم ألهمني رشدي ، وأعذني من شر نفسي .

الحمد لله الذي جعل الحياء من الأخلاق الرضيَّة الإسلامية، وذكرى محمد من أجمل وأجلِّ الذكريات التاريخية، أشهد أن لا إله إلا الله. أمرنا بالاقتداء برسول الهداية والإنسانية، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله. حثنا على التخلق بآداب الإسلام، وحذرنا من الفواحش والآثام. اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، الذين راقبوا ربهم فاستحيْوا منه حقَّ الحياء.

أما بعد. فقد قال الله تعالى ﴿ **إن الله لا يستحيي أن يضربَ مثلاً ما بعوضةً فما فوقها، فأما الذين آمنوا فيعلمون أنَّه الحقُّ من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يُضِلُّ به كثيرا ويهدي به كثيرا، وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين** ﴾[١] .

---

١ ـــ سورة البقرة (٢٦) .

أيها المسلمون :

إن الله سبحانه وتعالى يضرب الأمثال بالأمم السابقة الماضية، وما أصابها من ضعفٍ وانحلالٍ وتخاذلٍ، للفطنة والاعتبار. وما حل بها من خسف وقذف ودمار للتفكر والاستبصار ﴿ **فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾[1] إنه سبحانه يأمر وينهى، يقضي ويذكرٌ ويُحذّر ، فالمؤمن يفهم ويرجع ويعمل ويطيع ، والكافر والمكذب والمنافق والمنكر لآيات الله ودلائلِ قدرته، يُعرض ولا يبالي ولا يستحي من ربه، ولا يخشى مغبّة أعماله السيئة .

أيها المسلمون :

كان الناس في القرون الثلاثة الأولى الماضية، في غِنىً عن إقامة الاحتفالات بميلاد الرسول ﷺ ، لقربهم من عهد الإسلام وامتلاء قلوبهم بنوره ، وفي مستهل القرن الرابع الهجري، أمر المعز لدين الله الفاطمي إحياء ذكرى ميلاد محمد ﷺ .

إن في مثل هذه الاحتفالات بمولد هذا الرسول تعويداً للناس على المكارم والفضائل ، وتقريباً لقلوبهم المتشاحنة المتباعدة، وتكثيراً لموائد الإحسان والهبات ، وتيسيراً للمبرات ، وإحياءً لذكرى رسول الله وفضلِ ربه السابغ على الوجود بهذا المولود، وذلك في حدود الشريعة الغراء، ومراعاةِ الأداب الإسلامية طيلة شهر كامل، اشتمل على ميلاد أكرم رسول في العالمين .

معشر المسلمين :

إننا نبغي من ذكراه الاقتداء بأقواله وأفعاله، إذ قد كان ميلادُه ﷺ ميلاد دنيا ودين ، نريد أن نقتفي آثاره، ونعرف مراحل حياته الحافلة بالفضائل ، نريد أن نعرف أخلاقه المحمدية القرآنية ، لتكون لنا نبراساً

---

١ ــ مرّ تخريجها .

وهاجاً، ومنهاجاً في حياتنا الدينية والدنيوية ، وفي ذلك سرورُه ورضاه ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ، ... ﴾[1] .

فمن أقواله الخالدة عليه الصلاة والسلام (إن لكل دين خلقا ، وخلق الإسلام الحياء)[2] وأجاب حينما سئل عن الحياء هل هو من الدين ؟ فقال (بل هو الدين كلّه) .

يا شباب محمد : يا أمة الإسلام :

الحياء خلق كريم يبعث في النفوس بُغض الموبقات والمنكرات ، يمنعُ صاحبه من ارتكاب الفواحش. قال صاحب الميلاد ﷺ (الحياء شعبة من الإيمان ولا إيمانَ لمن لا حياء له)[3] ، ذلك لأنه يغرس في النفوس مراقبة الله سراً وعلانية. أما الذي حُرم فضيلة الحياء فقد حُرِمَ الخيرَ كلَّه ، وليس لديه بقيَّةٌ من خير، لذا قال صاحب الذكرى (إذا لم تستح فاصنع ما شئت)[4].

يا أبناء الإسلام في كل مكان :

إذا كنا نحن المسلمين نحتفي بمولد رسول الهداية، ومنقذ البشرية من الغواية، تقديراً منّا لسيرته وجوهرِ دعوته، فلماذا لا نطبق الإسلام على حقيقته لنقارنَ بين الحالين .؟

فهل من الحياء ـــ والحياءُ خلق كريم ـــ الغِشُّ في البيوع والمعاملات ؟

هل من الحياء اغتيابُ الناس والنميمةُ بينهم ، وإفسادُ أواصر المحبة والأُلفة بينهم .؟

هل من الحياءِ الإسلاميِّ إيثار رضاء الناس على حب الله ورسوله .

---

١ ـــ سورة النساء (٨٠) .

٢ ـــ رواه ابن ماجه بسند ضعيف عن ابن عمرو ابن عباس ومالك وغيره عن انس مرفوعاً .

٣ ـــ رواه ابو الشيخ ابن حِبَّان في صحيحه عن مجمع بن حارثة .

٤ ـــ رواه البخاري .

وإذا كان الحياء من الإيمان ، فهل من الحياء ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .؟!!

هل من الحياء إعراضُ الشباب المسلم عن بيوت الله التي أذن الله أن تُرفع، ويذكر فيها اسمه، وارتيادُ دور الملاهي والفسوق والعصيان .؟!! هل من الحياء ترك الحبل على الغارب للسيدات والآنسات هكذا متبرجات متبهرجات مائلاتٍ مميلات.؟!! أم أن هذا من المدنية الجهنمية والتقدمية في عرفنا اليوم ؟؟؟ هل من الحياء والحياء خلق نبيل، عدم قيامك للصلاة عند النداء وأنت غارق في مجالس الغافلين المتمدنين .؟!!

يا هذا قل لي بربك هل من الحياء والحياء من الايمان انتظار المسلمين للجنازة على أبواب المساجد، فلاهم مع الناس يُصلُّون، ولا هم بها يعتبرون (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

كان صاحب الميلاد عليه الصلاة والسلام أشدَّ حياءً من العذراء، وأشد الناس غضباً عند مخالفة أوامر الله تحمرُّ عيناه وتنتفخ أوداجه، كأنه منذر جيش ينادي عالياً، أيلعب بكتاب الله وأنا بين ظهرانيكم يا مسلمي اليوم .؟!

هل من الحياء والإيمان تملُّكُ أرض المسلم وبيعُها ليهوديٍّ أو كافر لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، مقابل مطامع دنيوية استعمارية فاسدة .؟! نتائجها الجلاء النهائي ، لا سمح الله .

يا مسلمون :

هذا حياء عثمان بن عفان في بطون التاريخ ، وهذه عائشة أمُ المؤمنين رضي الله عنهما ، تقول : (نعم النساء نساء الانصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)[1] .

---

١ ــ هذه مقالة للسيدة عائشة رضي الله عنها انظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الايمان وكتاب وجوب الغسل على المرأة .

يا شباب الإسلام : يا شباب محمد رسول السلام :

إن محمداً لا يريد منا احتفالاتٍ بميلاده مجردةً عن العمل والتقدير ، ولا إطلاقَ شهب هوائية برَّاقةٍ في الأجواء ، وإنما يريد قوة إيجابيةً فعَّالة تفاخر بها الجوزاء، لرد أي عدوان . أجل يريد منا وحدة متماسكة في القلوب، لا فُرقة ولا اختلافا . فما زال صوت القرآن يجلجل في السماء ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾[١] .

قال أحد المستشرقين، كان محمدٌ النبيُّ العربيُّ موفقاً توفيقاً عظيماً، جمع بين زعامات ثلاث؛ زعامة الدين، وزعامة الشعوب، وزعامة الدولة الإسلامية العربية .

مولاي الرسول العظيم :

لقد اختارك الله أميناً على وحيه، جعلك وسيطاً بينه وبين خلقه ، واجهت العالمَ بالحق ، دعوتَه بالحكمة إلى طريق واضح مستقيم، طهَّرت قلوب الناس من أدران الشرك ، وخلَّصتَ نفوسهم من العبودية لغير الله ، أطلقت كلمة التوحيد من قلب الجزيرة العربية بلا إله إلا الله، فأجابك جبريل أمين السماء، وأنك يا محمدُ رسولُ الله ، فملأتْ سمع الدنيا كلِّها ، عالجت مرضا اجتماعياً خطيرا، ذلك هو حب الذات والأنانيَّة، فقلت (وكونوا عباد الله إخوانا)[٢] دعوتَ إلى المساواة لتذيب الفوارق ونظام الطبقات، حيث بينت لهم أن الناس جميعاً لآدم وأدمُ من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، دعوت إلى التسامح والتعاون وبذرِ المودةِ والمحبة بينهم ، نظمَّت الأسرة ورتَّبت عليها الحقوق والواجبات .

مولايَ الرسول الكريم :

لقد نهيت وأكدَّت عدم اختلاط المرأة المسلمة وغيرها بالرجل الأجنبي. لذا فلم توجب على المرأة صلاة الجمعة دراً للمفاسد، أمرتها بلزوم

---

١ ـــ مرت سابقاً .
٢ ـــ مرت سابقاً .

بيتها إلا لضرورة حتمية، وجاهرت في صراحة (ما اختلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما)[١] .

سيدي رسول الله :

ها هي ذي المرأة المسلمة خرجت على تعاليمك ومبادئك، ضربتْ بها عُرضَ الحائط ، تبرّجت وتبهرجت، وزاحمت الرجال في غير ميدانها. لم تعبأ بهديك وتشريعك؛ هذا التشريع الذي يساير الزمن، ويوافق طبيعة الوجود، والتطور والامتداد .

يا أمة محمد عليه الصلاة والسلام :

ها نحن أولاء اليوم قد ابتُلينا بأعداء صاحب الميلاد بالإباحية واللاإنسانية. أنكروا على محمد دعوته ورسالته، وظنوها معيقة لهم عن التقدم والرقي ، تنكروا لدينهم، ومن تنكر لدينه تنكرَّ لوطنه وأمته .

أجل : ابتلانا المستعمر الكافر بآثاره السيئة؛ بالشعوبية والحزبية والإلحادية. ضلَّلوا بسطاء الناس، شككوهم والله في عقائدهم وكتابهم وسنة نبيهم. هؤلاء والله أشد بلاء وفتكاً في جسم الأمة من غيرهم ﴿ ... **ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[٢] .

سيدي رسول الله :

لقد أعطاك ربك، ومنحك ما يُعينك على فتح مغاليق هذه القلوب، بما لك من عظيم الخُلُق، وبديع الحكمة، وحصافة العقل، وصدق الله العظيم ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[٣] وصدق فيما قال ﴿ **هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين** ﴾[٤] .

---

١ ــ متفق عليه .
٢ ــ سورة الروم (٦) .
٣ ــ سورة القلم (٤) .
٤ ــ سورة الانفال سبق ذكرها .

بهذا كلِّه نجحت دعوتك، وتأسست دولتك، والأمة العربية الإسلامية الآن في حاجة ماسة إليها، كي تستعيد مجداً سبق، وعزاً تحطَّم .

صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، بقدر ما أضفيت على الدنيا كلِّها من خير، وما خلَّفت وراءك من قانون سماويٍّ عادل، ألا نفحةً من نفحاتك، وقبساً من فيض نورك، يَهدي ميِّتَ القلب وأعمى البصيرة. وفق الله تابعيك للأخذ برسالتك، والعملِ بمبادئك والقيامِ بشريعتك.

قال ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين »[1] وقال صاحب الذكرى (الحياء لا يأتي إلا بخير)[2] أو كما قال . ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

الحمد لله المنعمِ على عباده برسالة نبيِّه الكريم، أشهد أن لا إله إلا اللهُ العظيم الحليم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله الله رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين .

عبـاد الله :

تمسكوا بهدي نبيكم. سيروا على مبادئه وأخلاقه، قبل أن تُسألوا، خذوا دروساً غالية من حياته، تأدبوا بآدابه .

إحذروا أعداءكم، تبصروا، تيقظوا ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكُمُ النار...**﴾[3] أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، والله مع العاملين

---

١ ـــ متفق عليه .

٢ ـــ متفق عليه .

٣ ـــ سورة هود (١١٣) .

واعلموا أنه تعالى أمرنا بالصلاة عليه، فقال **(يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)** وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعثمان وعلي ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم ألف بين قلوب المسلمين ، واجمع بين كلمتهم يا أكرم الأكرمين ، بجاه صاحب هذه الذكرى سيدنا محمدٍ النبي العربيِّ الهاشمي ، اللهم اجعلنا من العاملين بشريعتك ، السائرين على نهجك ، المقتدين بآثارك ، المحبين لرسالتك ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك وتوفيقك مليكنا المحبوب ، الحسين بن طلال ، اللهم باعد بينه وبين الحاقدين على الإسلام يا رب العالمين .

اللهم اجعل هذا البلد أمناً مطمئناً ، سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله **(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر يعظكم لعلكم تذكرون)** .

(... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

★ ★ ★ ★ ★
★ ★ ★
★

الخطبة السابعة والثلاثون : الحادية عشرة بعد عودة الشيخ من السعودية .

٢٢ ربيع الأول ١٣٨٤هـ
١٩٦٤/٧/٣١

(عمارة بيوت الله من الايمان أثر الموتمر الطبي العربي الثالث)

(**رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون**) ، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، اللهم اني أعوذ بك من شر نفسي وسيئات اعمالي ، رب اغفر لي ذنوبي وإسرافي في أمري. اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت ، يا حي يا قيوم برحمتك استغيث يا غياث المستغيثين أغثني. اللهم اجعل عملي خالصا لوجهك الكريم، لا لرياء ولا لسمعة (...**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

الحمد لله نور السموات والأرض علام الغيوب، أمرنا بعمارة مساجده وبيوته ، حثنا على الطهارة ونظافة القلوب والأبدان ، أشهد أن لا إله إلا الله طبيب الأطباء يحب التوابين ويحب المتطهرين، وأشهد أن محمداً رسول الله طبيب النفوس والأرواح. أرشدنا إلى أن صحة الأديان مترتبة على صحة الأبدان، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فقد قال أحكم الحاكمين ﴿ **في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه**

فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾[1] .

أيها المسلمون :

إن الله ـــ جلَّ وعلا ـــ هو موجد السموات والأرض وما بينهما ، هو الذي جعل لعباده المؤمنين أماكن لعبادته ومهبط رحمته ، ومنبع عدالته، الا وهي مساجده وبيوته في أرضه ، يتصل نورها بأهل السماء ، كما يفيض خيرها على أهل الأرض ، وهناك من المساجد ما خصص بالذكر أشارت إليه مصادر التشريع تشد إليها الرحال ، وتقطع من أجلها المسافات النائية من أقصاها إلى أقصاها، لما لها من الفضائل والمكرمات. ولقد كان من نعمة الله على البشريه إرسال محمد ﷺ رحمة للأنسانية والعالمين، شق طريق الحياة بمآثر ومفاخر دينية اجتماعية تاريخية ، بَهرت قلوب الباحثين والحكماء الفارهين ، تدرَّج ﷺ في سياسته نحو الآفاق ، وحلَّق في أجواء السبع الطباق ، أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، الذي بارك الله حوله تكريماً وتفضيلاً .

يا أمة الاسلام :

لقد كان نبيكم محمد ﷺ متوجهاً في صلاته وعبادته نحو قبلة بيت المقدس، واقتدى به المسلمون آنذاك، واستمر على ذلك نحو سبعة عشر شهراً دام على هذه الحال حتى تشوقت نفسه الشريفة المنيفة ، وتحركت مجامع قلبه الى وطنه (مكة المكرمة) فحن إليه. وحنين الانسان دائماً لأول منزل في الحياة ، كان شغوفا بالبيت الحرام، لأنه أول بيت وضع للناس ، طاف به الأنبياء والمرسلون من قبل ، كما كان المسجد الأقصى (القبلة الأولى) مُتعبد الأنبياء والمرسلين، منذ الاف السنين ، صار يقلب وجهه في السماء مكتفيا بربه الخبير البصير . وما كان تعلقه بالبيت الحرام ، الا لأنه الكعبة قبلة جده إبراهيم الخليل، صلوات الله وسلامه

---

١ ـــ سورة النور (٣٦ ـــ ٣٧ ـــ ٣٨) .

عليه، لذلك أعلمه سبحانه بصريح قوله ﴿**قد نرى تقلُّبَ وجهك في السماء، فلنولينك قبلةً ترضاها، فولِّ وجهك شطْر المسجد الحرام، وحيثما كنتم فولُّوا وجوهكم شطره...**﴾[1] وقد كان فعلا تحويل القبلة في السنة الثانية من الهجرة، ﴿... **قل لله المشرق والمغرب، يهدي من يشاء الى صراط مستقيم**﴾[2].

أيها المسلمون :

إن ما وقع لرسول الله في الحادثين السابقين، كان لحكمة الهية ، وأسرار دينية اجتماعية، ليتلقى العالم العربي الاسلامي دروسا عملية غالية في معنى حب الأوطان، والتفاني في الذّياد والدفاع عنها بالنفس والنفيس ، وهناك دروس وعظات أخرى لأتباع محمد ﷺ ومَنْ ولي الامر منهم، من قادة وحكام ورؤساء ، ليجعلوا بيت المقدس (قلب فلسطين النابض) نصْب أعينهم، وحتى لا يفرطوا فيه، وان يبذلوا في صيانتها والحفاظ عليها وعلى مقدساتها المهج والأرواح، فلا تكون نهباً لمغتصب أو دخيل (**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر**) .

أجل أيها المسلمون :

لقد كانت المساجد في صدرِ الاسلام هي المدارس والكليات الكبرى والجامعات العظمى ، كانت محلاً للعدالة الاجتماعية والرحمة بالانسانية، خرجت من الجيوش الاسلامية المظفرة، التي كانت فتوحاتها في الشرق والغرب بداية الطريق، بعزم أكيد وإيمان قويم . كانت تسير تحت راية النبوة، التي منها تبدلت المقاييس والمفاهيم ، وأطلَّت على الدنيا بأمن ورخاء وسلام ، نعم كانت تُهذَّب فيها النفوس والضمائر ، كانت مستشفيات للعلل وأمراض النفوس الجامحة. عالجها محمد وأصحابه وهم أطباء الأرواح وأساتذة العالم كله في تلكم المساجد، التي كانت مركز الإشعاع الفكري، والقيادة الفكرية العامة .

---

١ ــ سورة البقرة (١٤٤) .

٢ ــ سورة البقرة (١٤٢) .

أما صخرة بيت المقدس، التي هي جزء من الحرم القدسي، فقد قال تعالى فيها ﴿ **واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب** ﴾[1] جاء في تفسير هذه الآية، المكان القريب؛ صخرة بيت المقدس، وأنها وسط الأرض، وأقرب مكان إلى السماء .

معشر المسلمين :

ما أجملَ الذكريات والمناسبات، إنها لمناسبةٌ سعيدة وفُرصَة ثمينة غالية، ومن نعمة الله تعالى التي اسبغها على الأمة العربية الإسلامية، أنْ وحَّد بين قلوبها وجمع كلمتها، صفّاً وهدفاً، وقد التقتِ الإخوةُ والأشقاء والحكماء والأطباء في بيت المقدس؛ أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، نعم التقت القلوبُ الصافيةُ النيِّرة في مؤتمراتها، وفي مؤتمرها الطبِّي العربِّي، في أقدس بقعة وأشرف مكان، تسابقت هذه المؤتمرات هنا وهناك في كل مكان من أرض الأمة العربية الإسلامية، إلى جمع الكلمة، والتقارب والتعاون على البر والتقوى في الشهر الأنور الأزهر شهر ميلاد محمد ﷺ .

أيها المسلمون :

إن أمتنا اليوم في أشد الحاجة إلى القوى الروحية والمادية، وما أشدَّ حاجتها إلى التسلح بالعلوم الحديثة والطب الحديث . والله تعالى يقول ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾[2] فالعقيدة الإسلامية والعلم بشتى وسائله، هما السلاحُ الحقيقيُّ لصد أي عُدوان غادرٍ مفاجىء ، ولا يتم ذلك إلا بخُلوص النيات، والعملِ بكتاب الله دستورِ المسلمين والمصلحين ، وهو القانون الذاتيُّ المطلق، الذي ليس من وضع البشر، ولا من أساليب الاستعمار المضلِّلة . إذ هو يقول ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾[3] ويقول ﴿**هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق،...**﴾[4]

١ ـــ سورة ق (٤١) .

٢ ـــ سورة الأنفال مرت سابقاً .

٣ ـــ سورة التوبة مرت سابقاً .

٤ ـــ سورة الجاثية (٢٩) .

إذاً فلا يتم الإصلاح العام ولا يتحقق، إلا بإعداد الوسائل الناجعة من النواحي الثقافية والاجتماعية والصحية، وذلك لا يتحقق إلا بالعقيدةِ الحقة الصادقة.

أيها الأطباء :

إنكم حملتم رسالةَ خدمةِ الإنسانية، والشرفِ والكرامة، ونحن نرحب بالعاملين منكم المخلصين لدينهم وأمتهم وأوطانهم، سدد الله خطاكم وأمدكم بتوفيقه.

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ (صلاة الرجلِ في بيته بصلاة ، وصلاتُه في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاةً وصلاةٌ في المسجد الذي يُجمع فيه بخمسمائة صلاة ، وصلاةٌ في المسجد الأقصى بخمسين ألفَ صلاة، وصلاةٌ في مسجدي بخمسين ألفَ صلاةٍ ، وصلاةٌ في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة)[1] .

وورد في الحديث القدسي (إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زُوَّاري فيها عُمَّارُها، فطوبى لمن تطَّهر في بيته وزارني في بيتي ، وحَقٌّ على المَزور أن يكرم زائره)[2] أو كما قال .

★ ★ ★ ★

والرواية المشهورة (صلاة في المسجد الحرام بمائة الف صلاة، وصلاة في مسجدي هذا بالف صلاة، وصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة)[3] وفي رواية بألف صلاة. فانظروا ماذا انتم فاعلون.؟ او فيه أنتم مفرطون.؟ ادعو الله وانتم موقنون بالإجابة .

الحمد لله كثير الفضل والنعم، أشهد أن لا إله إلا الله ذو الفضل والتوفيقِ والكرم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله، اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ذوي المفاخر والهمم .

---

١ ـــ رواه ابن ماجة عن أنس بسند ضعيف .

٢ ـــ رواه ابن ماجة مع اختلاف في اللفظ .

٣ ـــ مر تخريجه .

وبعد فيا أيها المسلمون : إنكم عبادٌ لله خلقكم لعبادته ، وجمع شملكم بكامل قدرته وإرادته ، فاتقوا الله ولا تنسوا نعم الله عليكم ، فهو الذي أمدكم بفضله وكرمه وجوده وإحسانه ، دعاكم إلى التمسك بكتابه والعملِ بسنة نبيكم ، حذركم من التهاون في طاعته ، وأمركم بالصلاة على رسوله الكريم فقال سبحانه ، تمجيداً لحق رسوله وتكريما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) . (الصلاة الإبراهيمية) .

وارض اللهم عن أصحاب رسول الله اجمعين ، والتابعين لهم من العلماء العاملين اللهم ألف بين قلوب المسلمين، واجمع بين كلمتهم على الحق يا رب العالمين. اللهم لا تَدَعْ للحاضرين والغائبين من أمة محمد ﷺ ذنباً إلا غفرته، ولا مريضاً إلا شفيته وعافيته، ولا مسافرا ولا غائبا إلا لأهله رددته، ولا دَيْناً إلا قضيته، ولا هماً إلا فرجته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها يا رب العالمين . اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وخذ بأيدي ملوكهم وقادتهم ورؤسائهم يا رب العالمين .

ونسألك اللهم ياذا الفضل العظيم، أن تشملَ بعنايتك ورعايتك وتوفيقك الحسين بن طلال. اللهم خذ بيده وسدد خطاه، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين . عباد الله : **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(... وأقم الصلاة **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

أَلخطبة الثامنة والثلاثون : الثانية عشرة بعد عودة الشيخ من السعودية .

١٣ ربيع الآخر ١٣٨٤هـ
١٩٦٤/٨/٢١

(النفاق وخطره على الأمة والمجتمع)

ربَّنا ربنا ربنا ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا ، رب اغفر لي ذنوبي واستر لي عيوبي، واكشف لي كروبي ، اللهم يا عظيم يا عظيم أنت الهي، لا إله غيرك، اغفر لي الذنب العظيم فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا العظيم ، (**... ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين**) .
(**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

الحمد لله العليم الخبير ، الحمد لله العليم بأفعال عباده، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، أشهد أن لا إله إلا اللهُ، الذي ميزَّ بين المؤمنين والمنافقين بسمات وعلامات، وأشهد أن سيدنا محمداً رسولُ الله سيد السادات، المؤيدُ بالمعجزات، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد. أيها المسلمون: فقد قال الله تعالى، وهو أسرع الحاسبين، وأحكم الحاكمين .

﴿ ألم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هُدىً للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدىً من ربهم ، وأولئك هم المفلحون (٥) إنَّ الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرْهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوةٌ ، ولهم عذاب عظيم (٧) ومن الناس من يقول آمنَّا بالله وباليوم الآخرِ وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون اللهَ والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) ﴾ الآيات من سورة البقرة .

أيها المسلمون :

لقد ورد أنه ﷺ كان يَقتصر في بعض خطبه على الآيات والأحاديث ، وكان تارة يُطيل الخطبة وتارة يَقصُرُها ، وتارةٍ يُحذر ، وتارةً يذكر بالآخرة ، خاشعاً باكيا آسفا على ما يقع من المسلمين ، تحمرُّ عيناه وتنتفخ أوداجُه ، كأنه منذر جيش . كانت خُطَبُه تطول وتقصُر على حسب مقتضيات الأحوال .

كان يستفتح خطبته بالذي هو خيرٌ ، حامداً شاكراً مصلياً على رسوله،ليعلِّم غيره ، وكان يقول (أما بعد فإن خير الهدى هدى محمد ﷺ وشرَّ الأمور مُحدثاتُها وكلَّ مُحدَثة بدعة وكلّ ضلالة في النار)[1].

أيها المسلمُ الحريص على دينه :

لقد بيّن الله في الآيات السابقة وما بعدها ثلاثة أصنافٍ من العالم ؛ مؤمنٌ ، وكافر ، ومنافق ، وذكر في حق المؤمنين أربعَ آيات ، وفي حق الكافرين آيتين ، لوضوح حالهم وعدم خفائهم على الناس ، وفي حق المنافقين ثلاثَ عشْرة آية . وفي القرآن الكريم كثير من الآيات في حق

١ ـــ سبق تخريجها .

المنافقين لعموم البلوى بهم ، وشدةِ فتنهم على الإسلام ، حتى أنزل الله في حقهم سورة كاملة هي (المنافقون) فقال سبحانه ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسولُ الله ، والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون (١) اتخذوا أيمانهم جُنَّةً فصدُّوا عن سبيل الله ، إنهم ساء ما كانوا يعملون (٢)** ﴾ .

وسبب نزولها : قال زيد بنُ أرقمَ (كنت مع عمي ، فسمعت عبدَالله بنَ سلولٍ رأسَ المنافقينَ يقول لضعفاء الإيمان (لا تنفقوا على من عِنْدَ رسولِ الله حتى ينفضُّوا) أي حتى يتفرقوا ، ويبتعدوا عنه ولكنَّ الله سبحانه أعْلَمَ نبيه أن خزائن السموات والأرض بيد الله (ولكنَّ المنافقين لا يفقهون) وفي مناسبات أخرى ، قال لنبيِّه ﴿ **فأعرِض عمن تولَّى عن ذكرنا ولم يُرِد إلاَّ الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم** ،... ﴾[1] فلما عَلم رسول الله ﷺ بما قاله (ابنُ سلول) أرسل في طلبه ، وجاءِ بأصحابه فحلفوا لرسول الله بأنهم ما قالوا أبداً ، وللشريعة الظاهر ، والله يتولَّى السرائر ، فصدَّقهم رسول الله عليه الصلاة والسلام وكذَّبني ، فأصابني همٌّ لم يُصبْني مِثله ، فجلستُ في بيتي حتى نزل عليه قوله تعالى ﴿ **هُمُ الذين يقولون لا تُنفقوا على مَنْ عندَ رسول الله** ... ﴾[2] أي من فقراء المهاجرين، فأرسل لي رسولُ الله وقال (يا زيد إن الله قد صَدَقكَ) .

أيها المسلمون :

لقد اتصف المنافقون بألْوان كثيرة ، ووجوه متعددة ، وألسنة معسولة . لهذا أنذرهم سبحانه في صريح قرآنه ، بقوله ﴿ **إن المنافقين في الدَّرك الأسفلِ من النار ولن تجد لهم نصيرا** ﴾[3] قال ﷺ (شرُّ الناس ذو الوجهين يأتي هذا بوجه ويأتي هذا بوجه)[4] وقال ﷺ (ذو

---

١ ــ سورة النجم (٢٩ ــ ٣٠)

٢ ــ سورة المنافقون (٧) .

٣ ــ سورة النساء (١٤٥) .

٤ ــ الحديث متفق عليه باختلاف في بعض اللفظ : تجد شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وهو لفظ البخاري في الرواية المذكورة أعلاه رواه البخاري ومسلم ومالك تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه عن أبي هريرة .

الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله يوم القيامة وقال (من كان له لسانان في الدنيا كان له لسانان من نارٍ يوم القيامة)[1] .

ومن غريب ما تسمع أيها المسلم أن هؤلاء المنافقين منسوبون إلى الإسلام، ومُقنَّعُون به، وهم في كل زمان ومكان، وفي كل واد يهيمون، ويتكيّفون مع الواقع والزمن ، يكيدون للإسلام وأنصاره دائماً، ويتربصون بأهله الدوائر ، ويدخلون من باب عداوته من كل وجه، يحسبهم الجاهل أنهم مصلحون (**ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**) ، اتخذوا الوشايات والوقيعة بالأبرياء مرتزقا لهم، ولكن كما قيل :

فلا تَلُمِ الواشيَ ولُمْ مَن أطاعه

أيها المسلمون :

لا يزال الإسلام وأهلُه من هؤلاء المنافقين في محنة وبلية . إنهم يتفننون في طلبِ ارزاقهم، ولا يبالون بأذى غيرهم من الناس . يقول ﷺ (ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو منافق، وإن صام وصلّى وزعم أنه مُسلم ؛ مَن إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان)[2] . أجل لقد ابتلى المسلمون بهم ابتلاءً عظيما، فمن علاماتهم الفارقة أنَّ معالم الإيمان درست وزالت من قلوبهم، فلا يعرفون الرأفة والرحمة، ولا يبالون بما يصدر عنهم هم مع الناس ويقولون ﴿ ... **آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** ﴾[3] .

رأس مالهم الخديعة والمكر، يتظاهرون بالحب والإخلاص وأنهم بحال المؤمنين راضون ﴿ **يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾[4] .

---

١ ــ اخرجه البخاري في كتاب الأدب وابو داود بسند حسن .

٢ ــ متفق عليه في الصحيحين .

٣ ــ سورة البقرة (٨) .

٤ ــ سورة البقرة (٩) .

لكل منافق منهم وجهان ولسانان، يلقَوْن بهما فريقي المؤمنين والكافرين، ﴿ **وإذا لقوُا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوة إلى شياطينهم قالوا إنا مَعَكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزىء بهم ويَمدُّهم في طغيانهم يعمهون** ﴾[1] .

إنْ حَاكمتهم إلى صريح الوحي وجدتهم عنه نافرين ، وإن دعوتهم إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله ، رأيتهما عنهما معرضين ، كأن بينهم وبين الحق أمَدَاً بعيدا ﴿ **وإذا قيل لهم تعالَوْا إلى ما أنزل اللهُ وإلى الرسولِ رأيت المنافقين يصدوّن عنك صدودا** ﴾[2] .

تسبق يمينُ أحدِهم كلامَه بلا طلب . فهم في شك ، يكذبون ويحلفون ، ﴿ **اتخذوا أيمانَهم جُنَّةً فصدوا عن سبيل الله ، إنهم ساء ما كانوا يعملون** ﴾[3] .

أيها المسلمون :

النفاق من الأمراض الاجتماعية الفتاكة ، تفتك في جسم الأمة رويداً رويدا ، إنه جرثومة الفساد وشرُّ الأخلاق ، لا يعرفه إلا أربابُ النوايا الخبيثةِ والأغراضِ الدنيويةِ الفاسدة ، ولقد ابتلى سيد العالمين ﷺ في حياته بهذا النوع من الناس . كان الكافر في زمنه ﷺ واضحاً في شأنه كلِّه ، في تكذيبه وعُتُوِّه وعصيانه ، في حربه ومجابهته . لذا كان اتقاؤه سهلاً ميسورا ، أما المنافق فهو سِلمٌ في ظاهره ، حلوٌ في منطقه ، مُرٌّ في نواياه ، حربٌ في باطنه ، لا تُعرَفُ مسالكهُ حتى يُتَّقى شرُّه ، ليس منه خير يُرتجى ، ولولا أن الله تعالى العليم الخبير بخفايا النفوس ، تكفَّل لنبيِّه بإكمال الدين وإتمام النعمة ، وكان يؤيده بنصره وتوفيقه ، ويكشف له في سبيل ذلك عن المنافقين وغِشهِّم وأهدافِهم ، لما استقامت دعوتُه ، ولما تمَّت رسالته ، فمن أعمالهم السيئة ، الخيانةُ في الأمانة ، والكذبُ في الحديث ، والغدرُ في العهود ، والفجورُ في المخاصمة ، وإشاعة التفرقة بين المتحابين .

---

١ ــ سورة البقرة (١٤ ــ ١٥) .

٢ ــ سورة النساء (٦١) .

٣ ــ سورة المنافقون (٢) .

أيها المسلمون :

اسمعوا الآن ما يتلى عليكم نتيجةً لأعمالنا السيئة ، لعلكم إلى رشدكم تثوبون ، لعلكم تعقلون ، لعلكم تذكَّرون . فاذا دمتم على هذا الحال سيرفع القرآن من بينكم ، قال تعالى في سورة الإسراء ﴿ **وَلئِن شئنا لنذهبَنَّ بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً . إلاَّ رحمةً من ربك ، إن فضله كان عليك كبيرا** ﴾[1] .

عن ابنِ عمر رضي الله عنهما (لا تقوم الساعة حتى يرجعَ القرآنُ من حيث نزلْ ، له دويٌّ كدويِّ النحل ، فيقول ما بالُك ؟ فيقول يا ربِّ منكَ خرجت وإليك أعود ، أُتلى فلا يُعملُ بي ، أتلى فلا يُعملُ بي) وروى أبو يَعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال (يظهرُ الإسلام حتى تختلفَ التجار في البحر ، وحتى تخوضَ الخيلُ في سبيل الله ، ثم يظهر قوم يقرؤن القرآن يقولون (مَنْ أقرأُ منا مَن أعلمُ منا مَنْ أفقهُ منا ؟؟؟ ثم قال لأصحابه هل في أولئك من خير .؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال أولئك منكم وأولئك منكم وأولئك هم وَقود النار) وقال ﷺ (إذا صار الناس على طَرَف الصِراط نادَى مَلَكٌ من تحت العرش يا فطرة المَلك الجبار . أي يا مَن خلقكم مالكُ الملك)جوزوا على الصراط ، ولْيَقِفْ كلُّ من عصاه منكم ، فيا لها أيها الناس من ساعة رهيبة تنكشف فيها النوايا ، وتظهر فيها الرزايا .

وفي الحديث الصحيح (إذا عصف الصراط بأُمتي (أي اضطرب وتحرك) وهاجَ وماج ، نادَوْا واحمداه واحمداه ، فأبادر من شدة إشفاقي أي (خوفي) عليهم وجبريل آخِذٌ بِحُجزَتي أي (بإزاري) فأُنادي رافعاً صوتي : ربِّ أُمتي أمتي لا أسألُك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي) والملائكةُ قيام (ينظرون) عن يمين الصراط ويساره ، ينادون ربِّ سلَّم سلِّم .

---

١ ــ سورة الاسراء (٨٦ ــ ٨٧) .

وقال ﷺ (سيأتي على الناس سنواتٌ خُدَعاتٌ يُصَدَّقُ فيها الكاذب ، ويكذَّب فيها الصادق ، ويؤتمِن فيها الخائن ويخوَّن بها الأمين ، وينطق فيها (الرُّوَيْبِضَةُ) قيل يا رسول الله وما الرُّوَيْبِضةُ) ؟ قال الرجل التافه الخسيس)[1] . أو كما قال . أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد للهِ الغفورِ الرحيم ، شديدِ العقاب ، لا إله إلا هو ، أشهد أن لا إله إلا الله وسعت رحمته كلَّ شيء ، وأشهد أن محمداً رسولُ الله أبان لنا كلَّ شيء ، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد . أيها الناس : فاتقوا الله وراقبوا ربكم ، واعلموا أن هذه الدنيا دار ممر لا دوام فيها ولا بقاء ، وإنما الحياة الدنيا لهوٌ ولعب .

عباد الله : اتقوا ربكم وتباعدوا عن النفاق والشقاق ، فقد كان من دعائه ﷺ (اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق)[2] وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام (اللهم طهِّر قلبي من النفاق ، وعملي من الرياء ، ولساني من الكذب)[3] .

اتقوا الله ، وصلُوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرةِ الصدقة والقيام بأوامره ، تُؤجَروا وتُجبروا وتُحبَروا ، واعلموا أنه تعالى أمرنا بالصلاة على نبيه تعظيماً وتكريما ، فقال (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ النبيِّ الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم،وشرِّف وكرِّم.

---

١ ـــ رواه احمد وابو يعلي والبزار وسنده جيد بلفظ سنون وبدون زيادة الخسيس ورواه الطبراني ورجاله ثقات باختلاف في اللفظ : عن عوف بن مالك قال رسول الله ﷺ : يكون امام الدجال سنون خوادع يكثر فيها المطر ، ويقل فيها النبت ويكذب فيها الصادق ، ويصدق فيها الكاذب ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة ، قيل يا رسول الله وما الرويبضة ، قال من لا يؤبه له .

٢ ـــ أبو داود والنسائي في باب الاستعاذة عن ابي هريرة .

٣ ـــ رواه الخطيب في التاريخ عن أم معبد الخزاعية قال الحافظ العراقي سنده ضعيف .

وارضَ اللهم عن الخلفاء الراشدين ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلي ، وعن سائر أصحاب رسول الله اجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم إنا نسألك بمقعد العزِّ من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وكلماتك التامات ، التي لا يجاوزهنَّ برٌّ ولا فاجر ، أن تنظر إلينا نظرة رحمة ورأفة ، ولا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا فقير او كسيرا إلا جبرته ، ولا عدواً إلا أهلكته ، ولا دَيْناً إلا قضيته وأدَّيتَه ، ولا مريضاً ومُبْتليً إلاّ شفيته وعافيته ، ولا غائباً أو مسافراً أو مجاهداً إلا لأهله رددته وأرجعته ، ولا أمراً لنا فيه صلاحٌ لديننا ودنيانا إلا أنعمتَ به علينا ، يا أرحم الراحمين . اللهم ألف بين قلوبنا ، واجمع بين كلمتنا ، اللهم أيد الأمة العربية الإسلامية بتوفيقك ونصرك ، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين ، اللهم أعله وأظهره على الدين كلِّه ، يا رب العالمين ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك وهدايتك ، مليكنا المحبوب الحسينَ بنَ طلال ، أللهم ألهمه رشده وسدد خطاه ، ووفقنا لما تحبه وترضاه .

عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون**) .

(**... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة التاسعة والثلاثون : الثانية عشرة بعد عودة الشيخ من السعودية .

٢٧ ربيع الآخر ١٣٨٤هـ
١٩٦٤/٩/٤

(الحث على العمل في مؤتمر القمة العربي الثاني نريد أعمالاً لا أقوالا)

بمناسبة اجتماع أقطاب الأمة العربية الإسلامية في مؤتمر القمة الثاني وذلك يوم السبت ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٨٤هـ و ١٩٦٤/٩/٥ .

اللهم سدد خطاي ، وألهمني رشدي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأعذني من شر نفسي ، وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، لا إله إلا أنت يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، أنت ترحمنا ، ارحمنا برحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك (... **رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

الحمد لله جامع القلوب ، علام الغيوب ، غافر الذنوب ، أحاط بكل شيء علما ، أشهد أن لا إله إلا الله الحليمُ الذي وسع كل شيء كرما وحلما ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أمرنا بالعمل وحذرنا من التواكل والكسل ، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن سار على طريقهم القويم .

أما بعد . أيها المسلمون : فقد قال الله العليم الحكيم ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسولُه والمؤمنون ، وستُردُّون إلى عالِم الغيبِ والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾[1] .

---

١ ــ سورة التوبة (١٠٥) .

أيها المسلمون :

في هذه الآية القرآنية وأمثالها ، يأمرنا الله بالعمل المثمر النافع ، ويحذرنا من التواكل والكسل ، ويبين لنا أن الأعمال مهما كان نوعها ، لا بد وأن تنكشف ، ولا بد أن يظهر عليها الناس ، سواء أكان ذلك في الحياة الدنيا ، أم في الآخرة؛ ومرجع ذلك كلِّه إلى الله العالم بالسرائر ، وما تخفي الصدور ، لذلك قال (**فينبئكم بما كنتم تعملون**) .

أيها الناس :

لقد تحكَّمت القسوة بالقلوب فصُمَّت الأسماع ، وعَميت الأبصار والبصائر ، مالكم كلما دُعيتم للطاعة ومغانم الخيرات ، ترديتم وتخاذلتم ، أنكرتم الأمر بالمعروف وما عرفتموه ، وألِفتم المنكر ولزمتموه ، فهل من مدَّكر .؟ فهل من خائف .؟ هل من راجع عن سكره وغيه وضلاله إلى رب شاهد حاضر شديد العقاب .؟ تدَّعون الإيمان وقد هَوَيْتُم في بحار الطغيان ، مالقلوبكم تحجّرت وقست ، لا تؤثر فيها الزواجر ، مالكم لا تعتبرون بمن رحلوا عنكم ومن نبيكم وساكني المقابر ، ألا ترون الأيامَ كيف تسير بكم حثيثاً سير المُجد الطالب .؟!!

إن الليالي للأنام مناهـــلٌ
تُطوى وتنشر بينها الأعمار
فقصارُهُنَّ مع الهموم طويلة
وطوالُهن مع السرور قِصار

ويحكم أيها الغافلون عن ربكم ، إلى متى هذا العصيانُ والانهماكُ في الشهوات والآثام .؟

ألا تذكرون السابقين من الرعيل الأول ، الذين كانوا أشد منكم قوة وأثاراً وأطولَ أعمارا .؟ طحنهم الثرى بكلكله ، وفرَّقهم بطُوَله ،

وقد كانوا قوةً عارمةً في لين ، وحزماً في يقين . كان صمتهم وسكوتهم عملاً ، وعملُهم حركةً وعبرةً ومثلا ، يُصدرون الآراء عن قلوب صافية مؤمنة ، يقولون كلمة الحق ويجهرونَ بها أمام الخلفاء والعظماء وذوي السلطان ، دون خوف أو وجل ، فلا يرون في جهادهم بالحق كبيراً إلا الله ، لذا كان يُستجاب لأمرهم ، ويُسمع لندائهم .

فوا عجباً لأبناء هذا الزمان يزعمون أنهم منهم وقد خالفوهم في كل شيء .؟!! تمسكوا بالفُحش والخيانة ، يجتمعون في حانات الفساق والملاهي ، ويفرون من مساجد الله الكبير المتعال ، ترى نساء أكابر الأمة متبرجاتٍ ، وبالفجور والفسوق غيرَ مباليات ، أحاط بالمرأة الهلاك والبوار ، وزوجها وولي أمرها عليها لا يغار .

يا أمة الإسلام بعد محمد ، عليه الصلاة والسلام :

أين المروءةُ يا أولي الإسلام يامن ورثتم الإسلام تقليداً عن آبائكم لا حقيقة .؟ أما قال للرجال حين نهى الله عن التبرج في محكم الكتاب ﴿ ... ، **وإذا سألتموهنَّ متاعا فاسألوهن من وراء حجاب** ،... ﴾[1] أين هو الإسلامُ يا حماةَ الإسلام .؟!

أيها المسلمون في كل مكان :

إعلموا أن كل عمل وكل دستور وكل تشريع لا يستند على أساس الإسلام لا يؤبه له ولا يُعتدُّ به .

كنا للدين فكان لنا ، كنا للأخلاق حِصنا ، فكانت لنا جُنداً وعزا ، كنا بالقرآن عاملين ، فكان لنا منه النصر المبين ﴿ ...، **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾[2] وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

---

١ ــ سورة الأحزاب (٥٣) .

٢ ــ سورة الروم (٤٧) .

نعم لما تركنا ديننا وقرآننا جانباً ، وهدمنا من الأخلاق رُكْناً قائماً حلّ بنا ما حلّ من التفكك والانحلال ، حتى صرنا غرباء أذلاء في ديارنا .

أيها المسلمون :

غداً يكون اجتماع أقطاب العرب في مؤتمر القمة العربي الثاني ، غداً يكون فاصلاً بين الماضي والحاضر .

لقد تناديتم أيها المؤتمرون وتواعدتم ، وما اختلفتم في الميعاد ، مضت أيام الفُرقة والشقاق ، مضى وقت التواكل والتهاون ، مضى وقت الاستخفاف بقوة العدو الماكر الساهر ، غداً يكون يومَ إعداد لا يومَ نقاش واختلاف ، فماذا أنتم فاعلون ومائة مليون عربي لقراراتكم الفاصلةِ ينتظرون ويستعدون ، وكثيرُ من شبابكم لسان حاله يقول :

يا حبذا الجنةُ واقترابها
طيبةٌ وباردٌ شرابهـــــا

تذكروا قول مالك الملك ، ذي الجلال والإكرام ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون إن الله يحبُّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بُنيان مرصوص** ﴾[١] .

استعرضوا في اجتماعاتكم أيها القادة أعمال (محمد ﷺ) الصامتة الهادئة ، تذكروا غزواته وسراياه ومجالسَ الشورى في أصحابه . تذكروا يوم الفزع الأكبر .

مضى أمسُ بما فيه وعلى ما فيه ، فاتخذوا من وقتكم الثمين ذريعةً لإصلاح ما فسد ، وتضعضع في الماضي .

نعم دقَّت ساعة العمل ﴿**أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة**﴾[٢]، مضى دور النزاع والخصام، وجاء دور الوئام والاستعداد والسلام.

---

١ ــ سورة الصف سبق تخريجها .
٢ ــ سورة النجم سبق تخريجها .

لقد سئمنا لغة الكلام والخطَب المدويّة . إذاً فلا داعيَ للإكثار من الأقوال في هذا المجال ، إذ لا حاجة الآن لأقوال مجردة من أعمال .

إننا ننتظر أعمالاً إيجابية وحقائق ثابتة . تذكروا الارامل والثكالى والأيتام ، تذكروا ما تركناه من جنات وأنهار وبحار ، تذكروا يافا وحيفا وعكا وما والاها ، تذكروا ما وقع في دير ياسين وقبيه وما حلَّ فيها ، تذكروا جهادنا في القسطل وكفار عصيون ، حققوا لنا أحلامنا في استرداد فلسطين الحبيبة إلى حظيرة أهلها البائسين الشرعيين .

أيها المؤتمرون :

هذا إسرائيل على مرمى حجر منكم لا تزال في اجتماعاتها ومجالسها تتهدد وتتوعد ، ومن ورائها حليفاتُها . وفي إذاعة أمس القريب قالت بالحرف الواحد (لقد جربنا مؤتمراتكم يا عرب من قبلُ وعجمنا عودها وعرفنا نتائجها) .

أيها الأقطاب :

لا تملوًّا من قولنا هذا . خذوا العبرة والعظة من هنا وهناك وكفى ، يقول ﷺ (الدِّينُ النصيحة ، قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتِهم)[1] أو كما قال .

ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للمؤمنين ورحمة ، سبحانه أنزله **(قرآناً عربيا غيرَ ذي عِوج لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)** أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تنفعنا يوم بعثه وعَرضه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن سلك سبيله المستقيم .

---

١ ــ متفق عليه .

أما بعد . أيها الناس : فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين .

راقبوا ربكم قبل الحسرة والندامة ، حيث لا ينفع الندم قبل الخزي والعار ، تجنَّبوا مرافقة الأشرار والفجار . اتقوا الله وكونوا مع الصادقين الأبرار ، وأعلموا أنه تعالى أمرنا بالصلاة على نبيه وصلَّى عليه قديما تكريما له وتعظيما قال تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) .

اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين ، ومن تمسك بهديهم القويم يا رب العالمين ، اللهم ألف بين قلوب المسلمين واجمع بين كلمتهم ، وألف بين قلوب المؤتمرين وارزقهم الإخلاص والصدق واليقين ، واجعل التوفيق والنصر حليفهم ، وارزقهم السَّداد في الأقوال والأفعال يا أكرم الأكرمين .

ونسألك اللهم يا واسع الفضل والكرم ، أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك ، مليكنا المحبوب الحسين بن طلال ، اللهم ألهمه رشده وسدد خطاه ، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين يا أرحم الراحمين .

عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

* * * * *

* * *

*

الخطبة الأربعون : الرابعة عشرة بعد عودة الشيخ من السعودية .

٥ جمادى الأولى ١٣٨٤هـ
١٩٦٤/٩/١١

« حقوق الأقارب والجيران »

اللهم ألهمني رشدي ، وأعذني من شر نفسي ، واغفر لي ذنبي اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، اللهم أذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ، وجنبني الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، اللهم سدد لساني واسلل سخيمة قلبي ، وثبت جَناني (قلبي) ، وقوِّ حجتي وبياني ، اللهم إني ضعيف فقوِّني على طاعتك ، واجعل قوتي في رضاك . اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد ، وترحم على سيدنا محمد وعلى آل محمد ، كما صليت وترحمت على سيدنا إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، في العالمين إنك حميد مجيد . اللهم إني أعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، أعوذ بكلمات الله التامات كلِّها من شر ما خلق . اللهم اجعلني ممن يسارع إلى عفوك ورضاك حتى يرضيك ورضِّ أهلي وذوي قرابتي وجيراني عني . اللهم اجعلني في عيني صغيرا وفي أعين الناس كبيرا ، **(... رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)** .

الحمد لله العليِّ القادر ، العزيز القاهر ، الخبير الذي لا ينسى ، الحمد لله وحده ونحن له عابدون ، وأشهد أن لا إله إلا الله أمرنا بالإحسان إلى ذوي القربى واليتامى والمساكين والجيران ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أحسن الجوار ، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه السادة الأخيار .

أما بعد فيقول الله تعالى ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحسانا وبذي القُربى واليتامى والمساكين والجار ذي القُربى والجارِ الجُنُبِ والصاحب بالجنب ...** ﴾[1] .

أيها المسلمون :

إن الدين الإسلامي الذي جمعنا الله عليه ، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور ، لجدير به أن يسمى دين الهداية ونبراسَ العدالة ورسولَ السلام ، كيف لا يسمى كذلك وهو كما هو ، فما عرف خيرا إلا وكان سبّاقاً إليه ، ولا إحساناً إلاّ ورغب فيه ، وحبب إليه ، فهو دين الفضيلة والسماحة ، ودينُ الإنسانية والكمال ، دين الشفقة والعفوِ والرحمة ، دين المروءة والهمة ومكارمِ الأخلاق ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمىً ، أولئك ينادوْن من مكان بعيد .

معشر المسلمين :

خصال حميدة من فضائل الأعمال ، أسوقها إليكم لتكونوا على بصيرة من أمركم ، فمن هذه الخصال إفرادُ المعبود بالعبادة ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً ، فمن واجب المؤمنين أن يَصفوا خالقهم بكل كمال ، وينزهوه عن كل نقص . ومنها الإحسان بالوالدين المقرونُ بعبادة الله وحده ، وأي منزلةٍ أسمى وأشرف من منزلة الوالدين اللذين هما سبب حياتك . ومنها الإحسان إلى قرابتك ، لأنهم قطعة منك ، فإحسانك إليهم إحسان إلى نفسك ، وإساءتك إليهم إساءةٌ لشخصك ﴿ ...، **ومن يوق شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾[2] وفي الحديث (أحسن إلى جارك تكن مؤمناً) أما الرحيم فيكفي ما جاء في الحديث القدسي (أنا الله وأنا الرحمنُ خلقت الرحمة وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته)[3] .

---

١ ــ سورة النساء (٣٦) .

٢ ــ سورة التغابن (١٦) .

٣ ــ اخرجه الترمذي عن عن عبدالرحمن بن عوف وقال حسن صحيح .

وجاء عنه ﷺ (والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون الى صلته ويصرفها الى غيرهم ، والذي نفسي بيده لا ينظر الله اليه يوم القيامة)[١] .

نعم إذا كان هناك بعيد محتاج ، صالح يؤدي فرائض الله ، فهو أفضل من قريب فاسق ماجن، لا يتقي الله . قدِّم لهم من مالك ما يحتاجون إليه إن كنت غنياً قادراً ، فان لم تكن قادراً على صلتهم بما لك ، فبكلمة طيبة لقوله ﷺ (الكلمة الطيبة صدقة) فان كان لك أقرباء غرباء أو أصدقاء أوفياء فصلهم في غربتهم ولو برسالة منك تؤنسهم بها .

أما اليتامى فيكفي ما ورد في حقهم من قوله تعالى : ﴿ **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا** ﴾[٢] عامِلْهم إذا كانوا في كفالتك كمعاملة أولادك ، وانفق عليهم بالمعروف ، فالله تعالى يقول ﴿ ...، **ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير** ،... ﴾[٣] فاليتيم أيها الناس هو الصغير الذي انتقل والده الى الدار الآخرة واستودعه أمانة لدى جماعة المسلمين ، يحافظون عليه ويمدون له يد المعونة والاصلاح ، هو الطفل الذي يتنهد ويتأوه تناوبته الهموم والأحزان ، يبيت ليلته طاويا ، يفترش الغبراء ، ويلتحف السماء ، فيقول أين عيناك يا أبتِ ترى ذُلي وهواني ، بعد ان كنت أرتع في مراتع العزَّ بين ضلوعك وحنانك ، يقول ﷺ (خير بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه)[٤] ويقول (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما)[٥] .

---

١ ـــ رواه الطبراني .
٢ ـــ النساء (٩) .
٣ ـــ البقرة (٢٢٠) .
٤و٥ ـــ رواه البخاري في الأدب وابن ماجة وابي نعيم في الحلية عن أبي هريرة .

وأما المساكين فقد ورد في حقهم ما يستحث النفوس المؤمنة على البذل والسخاء ، وهم من الاصناف الثمانية في مصارف الزكاة ، وقد ورد في حق الفقراء والمساكين ما يُهيب بالمؤمنين وذوي اليسار ألاَّ يدخروا وسعاً في الإحسان والمودة اليهم . وقد جعل الله الفقراء والمساكين رحمة للأغنياء ، ورد أن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام كان ملكا نبياًّ ، وكان إذا دخل المسجد فنظر إلى مسكين جلس إليه ، وقال : مسكينٌ جالس مسكينا) فالسعيد من وفقه الله لحب المساكين .

أيها المسلمون :

أصيخوا بسمعكم إليَّ واسمعوا وعُوا ، فالوصية الآن بالجار ولو جار ، يعني ولو جار في عمله ، وكثير من الناس يشكو من هذا المرض الاجتماعي الخطير .

جارك أيها المسلم بِضْعَةٌ منك ، وهو أول شخص يجيرك ويُغيثك إذا استجرت به واستغثت ، يلبي نداءك في الشدة إذا ناديت ، يجيبك في ظلام الليل الدامس اذا اشتكيت .

فجارك يمينك في النوازل ، وأخوك الذي يشدُّ عضدك في المهمات والكوارث ، صديقك في حضورك ، وحامي حمى بيتك في غيبتك ، يفرح لفرحك ويحزن لحزنك . جارك في الوظيفة والعمل والمتجر والمدرسة .

فهو الصديق وإن نبا بك منزلٌ

وأخوك إن ضاقت بك الأرجاء

فإذا منَّ الله عليك بمثل هذا ، فشدَّ يدك عليه ، واعلم أن الله قد أسبغ عليك وافر نعمه ، ومزيد أفضاله ، فشكرُ هذه النعمة أيها المسلم يكون بالإحسان إلى هذا الجار ، والعطفِ عليه والمحافظةِ على عرضه وشرفه ، ومساعدتِه ما أمكن بمالك أو جاهك ، وزيارتهِ في أوقات الفراغ المناسبة ، وعليك أن تكون حارساً أميناً على بيته وكرامته ،

وعليك بالمبادرة إلى عيادته في مرضه ، والسعي دائماً جُهد الطاقة لسعادته ، حتى تعيش معه عيشة صافية راضية ، تكون ذِكراً لك في الحياة وبعد الممات ، فمثل هذا الجار يكون لأولادك من بعدك صدراً حنوناً وبهم شفيقاً رحيما ، أما جارك المحاربُ لدينك ووطنك ، المفتري عليك ، فلا عهد له ولا ذمة ، فخيانة اليهود واعتداآتهم يا مسلمون : يعرفها تاريخ الإسلام الطويل ، الإسلام يدعونا إلى التآلف والتعـــاون والتوادِّ حتى نكون صفاً واحداً ورأياً واحداً وأمة متحدة واحدة . دعانا للتعامل مع سائر الخلق بالحسنى والتلطف والاحترام ، نهانا عن السُّخرية من أحد ، أو التجسسِ على أحد ، حتى يتمَّ ارتباطنا واتحادنا ويزدادَ صفاؤنا ، فكل بلد وكل قرية وكل حي يعتبر مُجاوراً للآخر . فلنحافظ على هذه الجيرة ، لنصبح جميعاً بنعمة الله إخوانا ، ناهجين صراطاً مستقيما .

أيها المسلمون :

إن السابقين الأولين من المؤمنين والسلف الصالح ، كانوا معتصمين بقول الله تعالى ﴿ ...، **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ،... ﴾[1] كانوا يتغاضوْن عن الهفوات والزلات ، يقابلون السيئآت بالحسنات ، كانوا بتسامحهم هذا كأنهم أفراد أسرة واحدة ، تعاونوا وعملوا يداً واحدة بهمة واحدة ، حتى رفعوا راية الإسلام خفاقة عالية ، وفتحوا الفتوحات العظيمة ، ومدُّوا ظِلال العُمران ، وأحسنوا إلى تاريخ الأمة الإسلامية إيَّما إحسان ، وقد جازاهم بقوله ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾[2] هؤلاء يا قوم تشبَّعوا بروح الإسلام ، كانت لهم قلوب تُحس وتتأثر ، تسمعُ وتتبصَّر ، تبكي وتتطهر ، وبذلك تنجح وتظهر .

أيها المسلمون :

الجوار أمر طبيعي لا غنى عنه ، ولا طُمأنينة ولا قرار في الحياة بدونه ، فإذا كان الجار متعاوناً متفاهماً متبادلاً مع جاره كل محبة

---

١ ــ سورة الشورى (٤٠) .

٢ ــ سورة الرحمن (٦٠) .

واحترام، كان مستريحاً آمناً مطمئناً متجهاً إلى أعماله بهمة ونشاط، وإن كان على عكس ذلك، كان مُتعباً مضطرباً وجَلا خائفا مشغولا بالمشاكل تكدِّرُ عليه صفو حياته هاهو ذا رسول الله ﷺ يوصي بالجار مؤكداً بهذا الأسلوب الذي هو من وحي السماء لامن الأرض، إنها وصية متكررة تاريخية تشعرنا بأن الجار كاد أن يكون أحدَ أفراد أسرته الأقربين، فيقول عليه الصلاة والسلام (مازال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورِّثه)(١).

ومِثل هذا ما قِيل لرسول الله ﷺ عن امرأة صوّامةٍ قوّامة عابدةٍ، انها تؤذي جيرانها بلسانها فقال (بشروها فإنها من أهل النار)(٢) .

أيها المسلمون :

الجار رفيق بجاره فلا تؤذه بريح طعامك ، حيث يراه جارك الفقير وليس لديه قوت اطفاله .

ولا ترفع بناءك على جداره ، ولا تكنس بيتك لتلقي قمامة بيتك وحثالته وكُناسته على ساحة داره ، ولا ترفع صوت مذياعك على جارك في غير ميعاد ، ولا تنظر إلى داخل بيته من النافذة ، ولا تصخ بسمعك الى ما يدور بينه وبين أهلِ بيته من أحاديثَ وأخبار . فقد قال ﷺ (من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ في أذنيه الآنكُ)(٣) وهو الرَّصاص المذاب يوم القيامة .

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه (ما تقولون في الزنا ؟ قالوا حرام حرَّمه الله ورسوله ، فهو حرام الى يوم القيامة ، قال فقال رسول الله ﷺ لأن يزنيَ الرجل بعشر نسوةٍ أيسر وأهون على الله من أن يزني بامرأة جاره)(٤) وقال ﷺ (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره)(٥) أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

---

١ ــ متفق عليه .

٢ ــ أخرجه احمد والحاكم وقال صحيح الإسناد .

٣ ــ رواه الطبراني عن ابن عباس وفي رواية البخاري (في اذنه) بالافراد ولا بالتثنية .

٤ ــ البخاري في الأدب عن المقداد .

٥ ــ رواه أحمد ورجاله ثقات عن عائشة .

الحمد لله الذي أبان لعباده الرشد من الغي، ولم يفرط في الكتاب من شيء ، أشهد أن لا إله إلا الله حذرنا من الفسوق والعصيان، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، من أطاعه فقد أطاع الله، ومن تولّى عنه فقد حَبِط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين .

عباد الله إن لله محارمَ يغار عليها فلا تقربوها، وله حدود فلا تعتدوها. عباد الله اتقوا الله وأحسنوا إلى عباده، قدموا إلى أقربائكم وجيرانكم ما استطعتم من المساعدة والإحسان، واعلموا أن الدنيا زائلة إلا ما بقي فيها من معروف .

لقد كان ﷺ يقول في دعائه (اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المُقامة، فإن جار البادية يتحول، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه وحبيبه تكريماً وتعظيما، فقال (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) .

اللهم صلِ على سيدنا محمد النبي الأمي، الطاهر المطهر، وعلى آله وصحبه وسلم .

وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والعلماء العاملين يا رب العالمين. اللهم ألف بين قلوب المسلمين، واجمع بين كلمتهم يا أكرم الأكرمين .

اللهم ارزقنا مرافقة الأخيار والأبرار وحب المساكين، اللهم أدخل السرور على قلوب المسلمين، واغنِ منهم كل فقير، وأشبع كل جائع منهم، واكسُ منهم كل عار، اللهم ردَّ كل غائب وفكَّ كل أسير وأصلح كلَّ فاسد من أمور المسلمين، واغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا يا أرحم الراحمين .

اللهم أصلح ذات بيننا وبلغنا مما يرضيك آمالنا .

ونسألك اللهم ياذا الفضل العظيم، أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك، مليكنا المحبوب الحسينَ بن طلال. اللهم ألهمه رشده وسدد بالتوفيق سعيَه وخطاه ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(... **وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الحادية والأربعون : الخامسة عشرة بعد عودة الشيخ من السعودية .

١٠ جمادى الآخرة ١٣٨٤هـ

١٦/١٠/١٩٦٤

(الصبر وأثره في المجتمع)

(... رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون) ، أللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال ، أللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي، وأجرني من مُضلاَّت الفتن، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليُّها ومولاها ، أللهم على طاعتك أعنا، وعلى غيرك لا تكلنا، ومن شر خلقك سلمنا ، **(... رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)** .

الحمد لله حمدَ الشاكرين. أشهد أن لا إله إلاَّ اللهُ تفرّد بالعزة والسلطان ، وعد الصابرين مغفرة منه وأجراً عظيما ، وأشهد أن محمداً رسولُ الله بعثه الله رحمةً لبني الإنسان ، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه الأطهار .

أما بعد فقد قال تعالى في محكم كتابه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ آل عمران آية (٢٠٠).

أيها المسلمون :

الصبر ضبطُ النفس ومنعُها عما تهوى، حُباً في خير آجلٍ ونعيم دائم مقيم، فعمدةُ الأعمال جميعها هو الصبرُ، لما ورد عن رسول الله ﷺ (الصبرُ نصف الإيمان)[١] .

---

١ ــ أخرجه أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود .

الصبر رحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وهو سبيل الفلاح وسلاح الكفاح، وطريقُ النجاة من مذلّةِ الحياة وخِزيِ يوم القيامةِ .

الصبر يعتمد على دِعامتين عظيمتين وهما، قوة اليقين، وقوةُ الإرادة. استعرضْ أيها المسلم الأخلاق الكريمة الفاضلة، فإنك تجدُ العفةَ صبراً عما يُشتهى ، والشجاعةَ صبراً حين الشدة والبأس ، وهل الحلم إلا الصبرُ على الأذى .

أما الطاعاتُ والعباداتُ، فإننا نجد الصلاة بحاجة إلى الصبر على أداء تلك الأركان، والتغلبِ على الشواغلِ التي تصرفُ المصليَ عنها ، فنجد الصوم يحتاج إلى صبر عظيم وهو نصف الصبر ، فأيُّ صبر أعظمُ من صبر الجوارح على طاعة الله ومرضاته.؟ لذلك قال سبحانه ﴿ ... ، **إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾[1] .

أيها المسلمون :

ليس الإيمان بمجرد الإدعاء، وإنما يكون إيماناً إذا أينع ثمرُه في نفس المؤمن، وذلك بالشكر على السرَّاء والضرَّاء ، إذِ المرء لا يخلو في حياته من هذين الأمرين ، وإنك أيها المسلم لتلمح في كتاب الله الحكيم ، ما يزيد على نحو سبعين آيةً، كلُّها تحثُّ الناس على الصبر، وقد جعل الله الكوارث في هذه الحياة محنةً وابتلاءً للمرء، ليميزَ الخبيثَ من الطيب، وذلك قوله ﴿ **ولنبلوَّنكم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفسِ والثمرات، وبشر الصابرين** ﴾[2] .

أيها المسلمون :

إن الصبر في الحياة بعد الأخذِ بأسباب العمل لا يُعتبر ضعفاً ولا تواكلاً، كما يزعم الكثير من الناس ، بل الخيرُ كلُّ الخير فيمن يعمل ويصبِر

---

١ ــ سورة الزمر (١٠) .

٢ ــ سورة البقرة (١٥٥) .

ويسعى ويرجو. ولولا ذلك لما استحق الصابرون المكانةَ العليا عند ربهم ولا أجراً ولا جزاء ، ولا امتدحهم بقوله ﴿ **أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون** ﴾[1] .

أجل : يقول سبحانه وتعالى مبيِّناً لعباده خطورةَ الأحداثِ، وكيفية مواجهتها ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا** ﴾ على مشاقِّ ومتاعب الطاعات ، وما يصيبُكم من الشدائد (وصابروا)، أي غالبوا أعداءَ الله بالصبر على شدة الحرب وفواجعه وآلامِهِ، (ورابطوا) أبدانكم وخيولكم ومُعداتِكم الحربيةَ وما هيأتموه من القوة في الثغور ومداخل أوطانكم، مترصدين لغزو عدوكم المفاجىء لكم، لأنه عدو ماكر جُبل على حب الانتقام، ولا يزال الكافرون في كل مكان يغزونكم في عقائدكم، يغزونكم بتسرب أراضيكم بطريق غير مباشر، بتآمر الدول الكبرى على الإسلام وأهله في هذه الديار المقدسة، للصهيونية المجرمة والكافرين .

أيها المسلمون :

رابطوا بأنفسكم على الطاعات، فقد قال عليه الصلاة والسلام (من الرباط انتظارُ الصلاة بعد الصلاة)[2] وكما قال ﷺ حاثاً على التمسك بالأراضي والأوطان (من رابط يوماً وليلةً في سبيل الله ، كان يَعدل أي (مِثْلِ) صيام رمضانَ وقيامه)[3] الحديث .

(واتقوا الله لعلكم تفلحون) راقبوه سبحانه واتبعوا أوامره، كي تفلحوا، وتفوزوا غاية الفوز والفلاح .

---

١ ـــ سورة البقرة (١٥٧) .

٢ ـــ مستمد من حديث الرسول (ﷺ) عن انتظار الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط .

٣ ـــ الحديث هكذا بالمعنى أما لفظه : رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، رواه مسلم .

أيها المسلم :

إن العبد قد يُصاب ببعض المكاره بسبب ما يقترفه من الذنوب، كما قال تعالى ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**﴾[1] مما جنته أيديكم. أما ما يصيب المطيعين والمخلصين من المحن والبلايا والشدائد، فلرفع درجاتهم عند ربهم، ونيلهم الجزاءَ الأوفى، قال تعالى ﴿**أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض، وللآخرة أكبر درجاتٍ وأكبر تفضيلا**﴾[2] وقال ﷺ (لو بغى أي اعتدى جبلٌ على جبل لدكَّ الباغي منهما).

أيها المسلمون : أيها المرشدون :

الصبر في مقام الدعوة إلى الله تعالى صِفةُ الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومدارُ نجاحهم فيها ، ولن يسعدَ دُعاة الإصلاح إلا بالصبر والثبات، ومتى فقد المرشدون هاتين الخصلتين، كانوا كمن أراد السفر في البحر بغير مركب ، قال تعالى لنبيه ﴿ **فاصبر أن وعد الله حق، ولا يستخفنَّكَ الذين لا يوقنون** ﴾[3] .

إذا الحادثات بلغنَ النُّهـــى

فعند التناهي يكون الفـــرج

من أجل هذا، جعل الله من الصابرين قادة وأئمةً وهداة ومرشدين وحكماء فيما صبروا في مقام الدعوة إليه . قال تعالى ﴿ **وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾[4] .

---

١ ـــ سورة الشورى (٣٠) .

٢ ـــ سورة الاسراء (٢١) .

٣ ـــ سورة الروم (٦٠) .

٤ ـــ سورة السجدة (٢٤) .

أيها المسلمون :

اسمعوا وعوا، ولا تغفُلوا، إن الصبر من أخلاق المسلم ووسائله في الحياة، فلا يصبر لحكم الله إلا مؤمنٌ به مُقدِّر لحكمته، قال تعالى ﴿ **ومالنا ألاَّ نتوكلَ على الله وقد هدانا سُبُلنَا ، ولنصبرنَّ على ما آذيتُمونا ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون** ﴾[1] .

إى وربي : إن الصبر ضرورة مُلحَّةٌ في هذه الحياة الدنيا، المليئة بالأشكال والألوان، ولكنه سبحانه بحكمته يُعز ويُذِلُّ، يُعلي ويخفض، يقبض ويُبسط، وهو على كل شيء قدير، قال تعالى ﴿ **لتبلَونَّ في أموالكم وأنفسكم ولَتسمَعُنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيرا ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور** ﴾[2] .

أيها المسلمون في كل مكان :

إن كانت قوة الدول الكبرى من وراء أعدائنا ومن وراء إسرائيل فإن قوةَ الله لا تقهر ، وإن جيشه لن يُغلب، لقد كان الابتلاء الشديد لصفوة خلق الله لأن قلوبهم عامرةٌ مزودةٌ بطاقة من التحمل والثبات .

قال ﷺ (أشدُّ الناس بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثَلُ فالأمثلُ. يُتبلى الناسُ على قدر دينهم، فمن ثُخن دينه (أي قوي) اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليُصيبهُ البلاء حتى يمشيَ على الأرض وما عليه خطيئه)[3] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * *

الحمد لله على نعمه وآلائه، وأصلي وأسلم على أشرف أنبيائه، وعلى آله وأحبائه وأصحابه .

---

١ ــ سورة ابراهيم (١٢) .

٢ ــ آل عمران (١٨٦) .

٣ ــ الحديث رواه ابن حيان في صحيحه من رواية العلاء بن المسيب .

عباد الله لا تسأموا ولا تضجَروا ولا تفجروا، وعليكم أن تقابلوا الأحداث وتواجهوا الواقع بقلوب مؤمنة وصبر ورضا، فإن ذلك خير كثير في الدنيا والآخرة، يقول ﷺ (إن أهل العافية يتمنوْن يوم القيامة حين يُعطى أهلُ البلاء الثواب، لو أن جلودهم كانت قُرِضت بالمقاريض)[1] .

اتقوا الله حق تقواه، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً، تعظيما منه وتكريما، قال تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**).

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ رواه الترمذي وابن ابي الدينار رواته ثقات إلا أنه على النحو التالي : يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض .

الخطبة الثانية والأربعون : السادسة عشرة بعد عودة الشيخ من السعودية

٩ رجب ١٣٨٤هـ
١٩٦٤/١١/١٣

« عظات من الإسراء والمعراج » ومغزاه

اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وسيئات أعمالي، اللهم أجرني من شر نفسي، وأجرني من مضلات الفتن ، أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق ، أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون. يا كائناً قبل كل شيء اغفر لي كل شيء، ولا تسألني عن شيء ، (... **رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

الحمد لله أرشد القول إلى توحيده. وأبطل ببراهين الحق شُبَه المبطلين والملحدين، وأعمى بصائر المنافقين المخادعين، فسبحانه من إلهٍ عظيم لا يضاهى، جلَّ ربًّا وعزَّ ملِكاً وتعالى إلَها، (أحمده) سبحانه على نعم لا تتناهى، رفع السموات بغير عَمد ترونها، أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أشهد أن لا إله إلا الله، عَرج بنبيه إلى السموات العُلى، إلى سدرة المنتهى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادقُ فيما بلَّغ وأخبر، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا بمعجزاته بلا شك ولا امترا، ومن سار على هديهم إلى يوم الدين.

أما بعدُ. فقد قال جلت حكمته ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لِنريَه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير** ﴾[1] .

---

١ ــ الاسراء (١) .

أيها المسلمون :

إن شهر رجب من الأشهر الحُرُم، التي اختصها الله بمزايا وفضائل، وقد ورد النص باستحباب صيام أيامٍ منه أو صيامه كاملاً مع شعبان ورمضان. أما الصلاة بهيئة مخصوصة وعدد مخصوص في ليالٍ مخصوصه فلم يرد فيها نص صريح .

ومما ورد في صيامه عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت قال ﷺ (كلُّ الناس جياعٌ يوم القيامة إلا الأنبياء وأهليهم وصائمَ رجبٍ وشعبانَ ورمضانَ، فإنهم شِباع لا جوع لهم)[1] .

أيها المسلم :

إن من أهم ما اشتمل عليه هذا الشهرُ حادثي الإسراء والمعراج، فقد كان المسلمون الأولون يصومون إياماً منه، وبعضهم يصومه كاملاً مع الشهرين اللذيْن بعده تقرباً إلى الله .

وقد كان هذا الشهر يسمى عند العرب بشهر معجزة الإسراء والمعراج، فيستعدون للذكرى طيلة شهر كامل .

إن هذه الذكرى العَطِرةَ تأتينا كل عام في مثل هذه الأيام ، وفي مثل هذا الشهر الحرام، لِتحرِّك منا القلوب ، وتُهزَّ الجُنوبَ والمشاعر ، نعم جاءت لتكون مصدرَ الحرارة الدائمة، ومنبع القوة الدائبة، فلاتكفَّ عن السير قُدُماً إلى الأمام، ولا عن إلهاب الخواطر والأفهام في سبيل الله وحده ، وفي سبيل دعوته وحده. إن هذه الذكرى واضحةٌ في الملَّة الإسلامية كلَّ الوضوح. تحدث عنها القرآن الكريم والسنة المطهَّرة، رواها نحو خمسةٍ وأربعين صحابياً بلغوا حدَّ التواتر والإجماع .

---

١ ـــ لم أجده هكذا ، ولكن ورد في معناه احاديث كثيرة منها : أكثرهم شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً في الآخرة .

أيها المسلمون :

أسرى الله بعبده ليلاً من المسجد الحرام من أول بيت وضع للناس إلى المسجد الأقصى؛ ثالثِ الحرمين الشريفين، كما قال ﷺ (لا تشدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد؛ مسجدِ الحرام، ومسجدِ الأقصى، ومسجدي هذا)[1] ولقد بَرزَ هذان الحادثان في وقت تألَّبت فيه قوى الشرِّ على دعاة الحق والإصلاحِ في الجزيرة العربية، على رسول الله ﷺ وأصحابِه ، يوم خذله عدوُّه وقلَّ ناصِرُه ، واشتد حزنه بفقد أعزِّ أقاربه ، فتوجه إلى الطائف فلقيَ من الأذى مثل مالاقى في مكة موطِنه، بل أشدَّ وأنكى، فأنكروه كرسولٍ لهم وأنكروا دعوته، حتى دعا دعاءَه المشهور بقلب ملؤه الإيمان الصافي ، وقال (اللهم إليك أشكو ضعف قوَّتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، إلى من تكِلُني إلى عدو يتجهَّمَني أم إلي قريب ملكَّتَه أمري ، إن لم يكن بكَ سَخَطٌ عليّ فلا أبالي، إلى أن قال لك العُتْبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك)[2] لكنه ما لبث أياماً حتى جاءه النصر والتأييد من عند الله. فما أجمل الفرَجَ بعد الشدة .

إن يكنْ نالك الزمانُ بصرفٍ
ضُرِّمَتْ نارُه عليك فجلَّتْ

وأتت بعدها شدائد أخـــرى
خضعتْ أنفسٌ لها حين حلَّتْ

فاخفضِ القلبَ واصبرنَّ رويداً
فالرزايا إذا تجلَّت تخلَّـــــتْ

لقد علم الله وهو العليم الحكيم، أن رسوله الأمين سيستقبلُ عهداً جديدا، كلُّه كفاح وجهاد وصمود وتضحية وافتداء ، فكان حادثُ الإسراء والمعراج تأييداً لرسالته، وترفيهاً روحانياً نفسانيا، وإسراء سماويا، ليستعدَّ الرسول ﷺ للمستقبل الشاق ، الذي سيتمم به رسالته .

---

١ ـــ متفق عليه عن ابي سعيد ولكن ، بتقديم مسجدي هذا والمسجد الاقصىٰ .

٢ ـــ الطبراني عن عبدالله بن جعفر (باختصار) .

أيها المسلم :

لقد شاهد الرسولُ ﷺ في جزء من الليل ، والليلُ موضع التجليات الربانية ، شاهد صُوَراً عجيبةً غريبة في طريقه ورحلته عن الفضائل الإنسانية، وأخرى عن السجايا البشرية. رأى صور المجاهدين وما أُعِد لهم من الأجر الجزيل والحياةِ الأبدية السرمدية. رأى صور المتثاقلين عن الصلاة، وهي معراج المؤمن، صور الذين يتركون نساءهم وحلائلهم الشرعية ويأتون الزانيات الخبيثات، وما أُعِد لهم ومن العذاب والعقاب ، رأى الذين تقرَض شِفاهُهم بمقاريضَ من نار، بسبب ما يصدر عنهم من القذف والطعن في أعراض المحصنات الغافلات من الناس ، هذه وامثالُها صورٌ جيء بها للتمثيل وتصويرِ المعاني بحقائق واقعةٍ لا محالةٍ .

أيها المسلمون :

كان الإسراء من مكة مَهبطِ الوحي إلى القبلة الأولى (بيت المقدس) ليقوم الرسول بتلك الرحلة، مُشاهداً دارساً واعيا، ليرى ويسمعَ ويلاحظَ، ويجمعَ، يقطع المسافاتِ الشاسعة بركابه السريع، وهو البراق المعروف بالخاصة الإلهية من الأنبياء والمرسلين، يطأ أرضاً طويلةَ المدى ، فسيحةَ الأرجاء كأن الله تعالى يأذن له ولأصحابه الأبطالِ يوم ذاك أن يفتحوها غداً باسم الله، وأن يجعلوها لمن بعدهم من الأجيال المؤمنة خالصة لوجه الله، ليردوا عنها كيد الأعداء والمستعمرين. أما المعراج فيكفي ما أشار إليه القرآن الكريم ﴿**ثم دنا فتدلَّى. فكان قابَ قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى. أفتُمارونه على ما يرى**﴾[1] وروى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال (أُتيتُ بالبراق، إلى آخر ما جاء في الحديث الطويل المشهور، فقد عُرِج به إلى السموات العلا، وهناك رأى ما رآى من آيات ربه الكبرى، وقد أطلعه ربُّه على عالمِ الملكوتِ، كما أطلعه على عالَم المُلك، ومن فوق سبع سموات فرض عليه سبحانه خمس صلوات هديةً لأمته، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام.

---

١ ــ سورة النجم (٨ ــ ١٢) .

أيها المسلم الحريصُ على دينه :

كيف تستغرب وتستبعدُ إسراءَ رسول رب العالمين ومِعراجَه ، ولا تستبعدُ صعود الصواريخ والسفن الفضائية، وصانُعها مخلوق مثلكم ركبَّ الله فيه هذا العقلَ السليم فوصل إلى ما ترى باختراعاته من الصعود والدوران حول الكرة الأرضية .؟!! فماذا تقول في نبيٍّ يؤيده خالقُ الأرض والسموات كلِّها .

مشيئة الخالق الباري وصنعتُهُ

وقدرةُ الله فوق الشكِّ والتُّهَمِ

يا أتباع محمدٍ رسول الإنسانية كلِّها :

محمد ﷺ يصل إلى بيت المقدس قائدُ ركب الأنبياء والمرسلين، والغُرِّ المحَّجلين، وهذا البراق يَربِطه أمينُ وحي السماء، جبريلُ عليه السلام، على أحد أبواب هذا المسجد الأقصى، إيذاناً بالوصول إلى الغاية القصوى .

هنا يجتمع الأنبياء والمرسلون، وكوكبة من الملائكة المقربين، يقدمه جبريل إماماً مصلياً بالكافَّة ، أليس في ذلك إشارةٌ كبرى إلى حكام الأرض وقادتها ورؤسائها من المسلمين، أن يجعلوا بيت المقدس واسطة العِقد من القلادة في الوطن الإسلامي العربي الكبير، لبذل المهج والأرواح في سبيل صيانة هذه الأماكن المقدسة والمحافظةِ عليها من غارة المغيرين ..؟

أيها المسلمون في كل مكان :

إن فلسطين الغالية هي قلبُ العالم كلِّه ، ومُقدساتها موضعُ عناية الفاتحين السابقين ومَن بَعدهم من الحاكمين ، إذاً فالتفريط في شبر منها جنوحٌ عن الحق والصواب، وخيانة كبرى للضمير الإنساني العالمي .

أين هي عزة الإسلام والمسلمين؟ فهل بقي لنا من كرامة وعزة بعد تسرب أراضينا لأعداء الإسلام باسم الاستعمار الأثيم.؟ أين هي الوَحدةُ التي يَنشدونها.؟ لقد تمثل اليومَ دورُ الصهيونية العالمية أيام الانتداب البغيض. الذين استولَوْا على فلسطيننا الحبيبة بمؤازرة المستعمر الكافر، وبينما نحن في غفلة عن الحق، إذا بالدولة اليهودية قائمة على أرض فلسطين.

قل لي بربك هل ينفع العلاج بعد أن بلغت الروح الحلقومَ.؟!! هل ينفع الإيمان عند الغرغرة؟﴿... **يومَ يأتي بعضُ آياتِ ربك لا ينفعُ نفساً ايمانُها لم تكن آمنت من قبلُ أو كَسبت في إيمانها خيراً**،...﴾(١).

إن ما حل بفلسطين من الكوارث والدواهي، كان سببهُ الاستعمارَ بجميع أشكاله وصوره، وكان نتيجة أطماع السماسرة والباعة الجشعين الظالمين، فهؤلاء لا حظ لهم في مقابر المسلمين، ولا في التغسيل والتكفين قال ﷺ (لما كذبتني قريشٌ قمتُ إلى الحِجر (أي حِجر إسماعيل واشتد كربي، فجلَّى الله لي بيت المقدس، فطفقتُ أُخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه)(٢) أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

الحمد لله على نعمه وآلائه وأصلي وأسلم على أشرف رسله وأصفيائه ، أشهد أن لا إله إلا اللهُ الذي خلق الخلق بقدرته وسيَّرهم بأحكامه ومشيئته، وأشهد أن محمداً رسولُ الله الذي ما ينطق عن الهوى، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

عباد الله. اتقوا الله في أنفسكم وذراريكم. تذكروا اليوم الآخر الذي تُرجعون فيه إلى الله، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، تعظيماً له وتكريما ، فقال (**إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) .

---

١ ـــ سورة الأنعام (١٥٨) .

٢ ـــ متفق عليه والترمذي والنسائي عن جابر .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، وأصحاب رسول الله أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللهم أيد الإسلام والمسلمين وأعلِ بفضلك كلمة الحق والدين، وانصرنا على أعدائنا وأعدائك فإنك خير الناصرين . اللهم إنا نسألك العفو والعافية، والمعافاةَ الدائمة في الدين والدنيا والآخرة ، اللهم اجعل رجزك وعذابَك على أعداء الإسلام والمسلمين، وأنزل بهم بأسك الذي لا تَردُّه عن القوم المجرمين ، اللهم خالف بين كلمتِهم، واجعل الدائرة عليهم، وزلزل أقدامَهم يا رب العالمين .

ونسألك اللهم ياذا الفضل العميم، أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك مليكنا المحبوبَ الحسينَ بن طلال أيده الله اللهم باعد بينه وبين الظالمين رب العالمين .

اللهم اجعل هذه الديار المقدسة آمنة مطمئنة محفوظة بالعناية والرعاية الإلهية، سخاءً رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله :

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) .

(... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

« بسم الله الرحمن الرحيم »[1]

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنرية من آياتنا، إنه هو السميع البصير (١) وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل الاَّ تتخذوا من دوني وكيلا (٢) ذُريةَ من حملنا مع نوح، إنه كان عبداً شكورا ﴾ (٣) .

« بسم الله الرحمن الرحيم »[2]

﴿ والنجم إذا هوى (١) ما ضلَّ صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحْيٌ يوحَى (٤) علَّمه شديدُ القُوىَ (٥) ذو مِرَّةٍ فاستوى (٦) وهو بالأُفق الأعلى (٧) ثم دنا فتدلَّى (٨) فكان قابَ قوسين أو أدنى (٩) فأوحى إلى عبده ما أوحى (١٠) ما كذب الفؤاد ما رأى (١١) أفتمارونه على ما يرى (١٢) ﴾ .

---

١ ــ سورة الإسراء (١ ــ ٢ ــ ٣) .

٢ ــ سورة النجم (١ ــ ٢ ــ ٣ ــ ٤ ــ ٥ ــ ٦ ــ ٧ ــ ٨ ــ ٩ ــ ١٠ ــ ١١ ــ ١٢) .

ألخطبة الثالثة والأربعون : السابعة عشرة بعد عودة الشيخ من السعودية .

٢٣ رجب ١٣٨٤هـ
١٩٦٤/١١/٢٧

« الدين وأثره النافع العام لدى جميع الأمم »

(...**رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون**)، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وسيئات أعمالي، اللهم ألهمني رشدي، اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله، عمده وخطأه، سره وعلانيته، اللهم اغفر لي جهلي وإسرافي في عملي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير، لا إله الا أنت (...**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**).

الحمد لله الذي ارتضى الإسلام ديناً لعباده، وجعل السعادة في التمسك به، والتحلِّي بآدابه، وجعل غُدوَّ الشهور والأعوام ورواحَها عبرةً للأنام وتجنباً للسيئات، واغتناماً للحسنات، وأشهد ألاّ إله إلا اللهُ الملكُ الديانُ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وكان خاتَمَ النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه وَمَن تمسك بهذا الدين المتين واهتدى بهديه المكين، (اما بعدُ) : فقد قال اللهُ المَلِكُ الحق المبين (...، **اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**، ...)[1].

أيها المسلمون :

هذا الدين الذي ظهرت معالمه وآثاره من بطحاء مكة المكرمة، فأضاء الدنيا بأسرها، وأشرقت آثاره، هذا الدين القيِّمُ الذي فتح الله به قلوباً غُلفَا، وعيوناً عُميا، وآذاناً صُمّاً، في جميع أدوار حياة الرسول، وما وقع له ﷺ

١ ـــ سورة المائدة (٣) .

ولأصحابه رضي الله عنهم، من فتح ونصر وعزة وكرامة ، وما كان له من هجرة مقرونةٍ بالعزِ والفخار ، وما حصل له من إسراء ومعراج، الذي تحدثنا عنه في هذا الشهر بما فيه الكفايةُ والإبداع .

هذا الدين الذي هو مستَقِرٌ في جوانحكم وطياتِ قلوبكم، له محاسِنُ كثيرةٌ وفضائلُ جمةٌ مستنيرة ، تَحْمِل ذوي القلوبِ السليمة، والعقولِ الصحيحة على التمسك به والتحلّي بآدابه، وكلّما كان المرء سليم العقل نيِّرَ البصيرة اشتد تعلقه به لاشتماله على جميل المحاسن وجليل الفضائل ، فإنه دين قرر من عقائد التوحيد ما اتفقت العقول على صحته ، واستعدت الفِطَرُ السليمة لقبوله ، لأنه دين قويم دعا إلى التبصر والتفكير العميق، نظَّم علائق المجتمع ، وقوَّى أواصر الحب والمساواة ، وهو دين وحي السماء إلى الأرض ، لم يُفرَض على العباد بالإكراه والسيف والقوة، لكنه دعاهم إلى التدبر والاختيار والاختبار قبل اعتناقه، فقال سبحانه وهو أصدق القائلين ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالُها** ﴾[1] وقال ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت. فذكر إنما أنت مذكر. لست عليهم بمُصَيْطر . إلا من تولّى وكفر** ﴾[2] وبعد أن دعاهم إلى التفكير والفهم، ومنهم المقبلُ والمدبرُ قال سبحانه ﴿ **لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغيِّ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمنْ بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم** ﴾[3] .

لكنَّ الله العليمَ بأحوالهم ودخائلِ نفوسهم، قال في موطن آخر من القرآن ﴿ **ولو ترى إذ وُقِفوا على النار فقالوا يا ليتنا نردُّ ولا نُكذبَ بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين . بل بدا لهم ما كانوا يُخْفونَ من قبل، ولو رُدُّوا لعادُوا لما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾[4] .

---

١ ــ سورة محمد (٢٤) .
٢ ــ سورة الغاشية (١٧ ــ ٢٣) .
٣ ــ سورة البقرة (٢٥٦) .
٤ ــ سورة الأنعام (٢٧ ــ ٢٨) .

أيها المسلمون :

إنهم لكاذبون حقاً، إنهم لخاسرون حقا، بدليل الآية التي تجر بذيلها عليهم ﴿**قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله، حتى إذا جاءتهم الساعةُ بغتةً قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها ...**﴾(١) إلى أن قال سبحانه ﴿**وما الحياة الدنيا إلا لعِب ولهوٌ، وللدَّار الآخرة خيرٌ للذين يتقون، أفلا تعقلون**﴾(٢)؟؟

هذا الدين المتين شرع للناس من العبادات ما يهذب النفوس، ويبعث فيها روُح الأُلفةِ والإخاء، ففرض على الأمة الإسلامية ليلة الإسراء والمعراج خمس صلوات في اليوم والليلة، مُطالباً تأديتها جماعةً، ليكثرَ التلاقي والاجتماعُ وتتأكدَ بيننا روابطُ المحبة الصادقة ، وأوجب الزكاة والإحسان إلى ذوي القربى واليتامى والمساكينِ، لتُطهرَ النفوسُ من سخيمة البخل والشُح، وتتحلّى بفضيلة السخاء، وليدوم الوئام بين الفقراء والأغنياء ، وسمى الصدقة قرضاً يردُّه بأضعاف كثيرة، فقال سبحانه ﴿ ...، **وما أنفقتم من خيرٍ فهو يُخلِفهُ، وهو خير الرازقين**﴾(٣) وقال ﷺ (صدقة قليلة تدفع بلايا كثيرة)(٤) وقال ﷺ (الصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار)(٥) وكتب الصيام ليذوق الإنسان ألم الجوع، فيعطفَ على أخيه الإنسان، ولتتعود النفوس قوّةَ الإرادة وتَحملَ الشدائد ، لا سيما في مثل هذه الأيام. أوجب الحج ليجتمع المسلمون من أقصاها إلى أقصاها على اختلاف ألوانهم ولغاتهم ودرجاتهم في صعيد واحد ، ليتعارفوا ويتآلفوا ويتعاونوا على إصلاح شؤونهم وتدبير أمورهم ، وشرع من المعاملات ما يكفُل حياة الفرد والجماعة، وما يضمنُ سعادة المجتمع الإنساني، ويحفظُ نظام العالم من الفوضى والاضطراب ، فقد قطع دابر المتحكمين في النفوس المتسلطين

---

١ ــ سورة الأنعام (٣١) .
٢ ــ سورة الأنعام (٣٢) .
٣ ــ سورة سبأ (٣٩) .
٤ ــ لم أجده هكذا وانما قوله : باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة رواه البيهقي والطبراني .
٥ ــ رواه الترمذي .

عليها، محا آثار الإقطاع من جوانب المسكونة كلِّها، فأحل البيع والشراء والشركة والإجارة وما ماثلها، وحرم الاحتكار والاستغلال. لهذا قال ﷺ (من احتكر طعام المسلمين أربعين يوما ضربه الله بالجُذام والإفلاس)[1] وفي رواية فقد برىء من الله، وبرىء الله منه ، كلُّ ذلك تيسيراً لتبادل المنافع، وتسهيلاً لقضاء الحاجات على أحسن وجه ، كتب القصاص وبين أنَّ فيه حياةَ الأمم، فقال سبحانه ﴿ **ولكم في القِصاصِ حياةٌ يا أولي الألباب** ﴾[2] بيَّن ارتكابَ الجرائم وردعَها عن الشرور والآثام، وبين لكل جريمة حدَّها ، أحلَّ النكاح وحرم الزنا والسِفاح، كما حرم مقدماتِه؛ كالخلوة بالأجنبية، والنظرِ إليها. حَكَم بالجلد أحياناً وبالرجمِ في حالات أخرى، حفظاً للأنساب وصوناً للأمة عن الفناء. وابتعاداً عن وصمتهِ ومعرَّة اللَّقطاء قال تعالى ﴿ **الزانيَةُ والزاني فاجلدوا كلَّ واحد منهما مائةَ جلده، ولا تأخذكم بهما رأفةٌ في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليشهد عذابَهما طائفةٌ من المؤمنين** ﴾[3] واسمع أخي ماذا يقول رسول العدالة والسلام محمد عليه الصلاة والسلام (إقامة حدٍّ في أرض خيرٌ من مطرٍ أربعين صباحا)[4] .

أيها المسلمون :

هذا هو دينكم، ذلكم هو الدين الإسلاميُّ الذي لا عِوجَ فيه ، الذي أخرج من العرب القدامى الأُميين الجاحدينَ، أمةً شديدة البأس ، شديدة القوة عظيمة الرأي واسعة السلطان، تخرَّج منهم رجالٌ على أيدي محمد وأصحابه، كانوا ولا يزالون أعلاماً في الهدى والاستقامة ، أبدلهم الله بالخوف أمنا، وبالجهل علما، وبالعداوة محبةً، وبالتفرقة وحدةً، وبالضعف قوة، وبالذل عزا، وبجفاء الطباع رأفةً ورحمة .

---

١ ــ رواه الإمام أحمد وابن ماجة بدون زيادة أربعين يوماً ورجاله ثقات .

٢ ــ تقدمت (١٧٩) البقرة .

٣ ــ سورة النور (٢) .

٤ ــ رواه ابن ماجة عن ابن عمر والنسائي عن جرير .

دينٌ أنجب من العلماء والعظماء وأساطين البحث ودهاقنة منه السياسة ما لم ينجبه دين من الأديان السماوية . أنجب أمثال أبي بكر وعمر وعثمانَ وعليٍّ ، ودينٌ يكيد له حساده منذ ظهوره على البسيطة ، وهو — كما ترى — لا يتزعزع ، لم يُطفأ نوره ، ولم يضعُف برهانه ، ولم تلِن قناته ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمُّ نورِهِ ولو كره الكافرون**﴾[1].

هذه أيها المسلم بعضُ محاسنِ ، دينك وما سمعته اليوم قطرة من بحر وقليل من كثير ﴿ ...، **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا** ... ﴾[2] .

روى البخاري أن النبي ﷺ قال (أحبُّ الأديان إلى الله الحنيفيَّةُ السمْحة) أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد لله ذى الفضل العظيم وأشهد ألاَّ إله إلا اللهُ الحليمُ الكريمُ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .

أيها المسلم :

اتق الله واعتصم بحبله المتين ، واحرص على العمل بأحكامه والتحلي بآدابه ، قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم ، تمسك بدينك حتى تصل إلى ما وصل إليه السابقون من السلف الصالح من عزة وقوة ونصر ورقي وسعاده .

واعلموا أن دينكم هذا قائم بقوته وجرأته وعظمته وتعاليمه ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

ولا تغرنكم المناورات الاستعمارية القائمةُ على الأغراض والمصالح ، فدينكم دين حيويٌ جامعٌ لمصالح الدنيا والآخرة ، يدعو إلى العمل لا إلى التخاذل والكسل .

---

١ — سورة الصف (٨) .

٢ — سورة آل عمران (١٠٣) .

اتقوا الله وسلوه إصلاحاً وتنظيما ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليما**) .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد . وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر أصحاب رسول الله اجمعين،والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات . اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر وعزيمة الرشد ، ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ، والرضا بقضائك ، ويقيناً صادقاً وقلباً سليما .

اللهم اعز الإسلام والمسلمين وأعلِ بفضلك كلمة الحق والدين ، وانصرنا على اعدائنا رب العالمين .

اللهم اجعل راية الإسلام بيد هذه الأمة العربية الإسلامية وسائر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، يا أرحم الراحمين .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال يا رب العالمين . اللهم باعد بينه وبين اعداء الإسلام والمسلمين .

واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا ، سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

الخطبة الرابعة والأربعون : الثامنة عشرة بعد عودة الشيخ من السعودية

٣٠ رجب ١٣٨٤هـ
١٩٦٤/١٢/٤

« الدين وأثر الإيمان باليوم الأخر »
لا سعادة إلا بالإيمان الصحيح

(... **رب اعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون**) اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال . اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي وسيئآت أعمالي وأجرني من مضلات الفتن . اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين . وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت اللهم يامن بيده مقادير الخيرات كلها ، يامن إليه يرجع الأمر كله يا فتاح يا عليم افتح لنا فتحاً قريبا ، (... **رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

الحمد لله بيَّن للناس سبيل الهداية ، وأزال عن بصائر من أناب إليه غِشاوة الضلالة والغَواية ، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، وداعياً إلى الصراط المستقيم ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

(أما بعد) فقد قال الله العليم الحكيم ﴿ **وإذا قيل لهم اتَّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أَوَلَوْ كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السَّعير** ﴾[1] .

---

١ ــ لقمان (٢١) .

أيها المسلمون :

لقد أوغل هؤلاء الكافرون في غيهم وضلالهم ، وبالغوا في كفرهم وجحودهم ، واكتفوْا بتقليد آبائهم وأسلافهم ، بل قالوا في غير ما تدبرٍ ولا تفكير (إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ (أي على طريقه) وإنا على آثارهم مهتدون) (سائرون) ولو إلى الهاوية ، وهذا هو التقليد الأعمى بعينه ، الذي لا ينفع صاحبه ولا يفيد ، لقد كانوا يعرفون الرسول ﷺ كما يعرفون أبناءهم ، يعرفونه بصدقه وأمانته وإخلاصه ، لكنهم لم يتخلّوا عن دين الآباء السابقين المنحرفِ ، وهو الكفرُ بالله ، والإلحادُ في دينه ، والخروج على مبادىء الإسلام ، ونُظُمِه الأساسية ، فلما جاءهم صاحب الرسالة بدعوته ، ودعاهم إلى الإسلام ، كبُر عليهم ما دعاهم إليه ورموْه بالسحر والجمود ، والرجعيه ، استكباراً وعناداً ، وهذا دأب المبطلين في كل أمة من الأمم ، ﴿ **وقال الذين كفروا لِرُسُلِهم لنخرجنّكم من أرضنا أو لتعودُنّ في ملتنا ، فأوحى إليهم ربُّهم لنهلكنّ الظالمين** ﴾[1] .

أيها المسلمون :

يقف الباحث في تاريخ الأمم ، ونهضة الشعوب ماضيها وحاضِرها على حَضارة زاهية وضع أساسَها الإسلام ، وأقامها على تلك النظم والأوضاع ، وقد أجملها القرآن إجمالا ولم يفصلها تفصيلاً ، لأن في ذلك تعطيلا لموهبة العقل ، الذي هو نعمة من الله للإنسان ، حتى جاء رسول الإسلام محمدٌ ﷺ وبين للناس ما نُزِّل إليهم ، من أجل هذا لم يترك الله تعالى الناس عبثاً من غير أنبياءَ ومرسلين ، وهداة مرشدين ناصحين .

إن حاجة المجتمع الإنساني إلى الدين ، لا تقلُّ شأناً عن حاجة الأجسام إلى الأرواح والغذاء ، فإذا ما تجردت امة من دينها ، وضعف وازع الأمل فيها ، انقلبت إلى همجية وحشية ، وفقدت عناصِرَ الحياة

---

١ — ابراهيم (١٣) .

الكريمة ، التي تضمن للشعوب حرياتها وللإنسانية وكرامتها ، كما عليه الآن أمم الغرب من تفاخر وتناحرٍ ، وتكالبٍ للسيطرة والهيمنة على ربوع الكرة الأرضية ، والمقدسات الإسلامية ــ لا يسمح الله ــ بالقوة والجبروت ، فهي لا تزال في حرب أعصاب مستعِرةٍ لا تخمدٌ جذوتها ، ولا ينطفىء لهيبُها ، ولا يمكن أن يستريح العالم من ويلات ما بعدها ، من الحروب الطاحنة الشاملة المدمرة ، الا بالرجوع إلى دين الله ، وإلى الله ، الذي له مُلك السموات والأرض ، فإذا كان هؤلاء عُمياً لا يبصرون ، أو صُمّاً لا يستمعون إلى منطق الحياة العادل السليم ، فليسمعوا قول رسول السلام ورسول الإنسانية والهداية ، ألا وهو محمد ﷺ حين قال قبل أربعة عشر قرناً خلت ، (ما جئت لألقى سلاحا ، ولكن جئت لأنشرَ سلاما)[1] .

أيها الباحثون أيها المثقفون :

يحدثنا التاريخ الصحيح ، أن هذا العلمَ الصحيحَ ، الذي يفخَرُ به أبناء الجيل الحاضر كان مصدره الشرق ، وأن الذي أحياه وجلاّه من أصدافه هم عرب الإسلام وأبناء الإسلام ، حتى تأيدت دولةُ العلم في العصور الأولى للإسلام ، وحتى نبغ منهم الأطباء والفلاسفة والحكماء ، كانوا زينة الدنيا والدين ، ولا نغالي في شيء إذا قلنا إنه مامن عالم من علماء الغرب إلا وفي عنقه مِنَّةٌ ونعمة ، كهؤلاء العلماء الأولين يقول (روبرتسون) في الزمن الذي كان فيه العرب يتدارسون العلوم المختلفة ، وينشرونها في بلادهم ، كان أهل أوربا في جهل مطبق ونوم عميق ، ولم يستفيقوا إلا بعد الحروب الصليبية ، فإنهم عندما اختلطوا بالمسلمين وجدوا علوماً لا يعرفونها ، وبلاداً متمدينة متحضرة ذاتَ نُظمٍ محكمة ، فاقتبسوا منها وشرعوا يبثونها في بلادهم ، قال (درابر العالم الأمريكاني الشهير) قد تأخذنا الدهشة أحياناً ، عندما ننظر في كتب العرب ، فنجد

---

١ ــ لم أجده هكذا .

فيها آراء نعتقد أنها لم توجد في زمننا هذا . لقد تعلَّم العرب قديماً ، وذهبوا إلى أبعدَ مما ذهبنا إليه ، ولكن صدق الله العظيم ﴿ **وكأيِّنْ من آية في السمواتِ والأرض يمرُّون عليها وهم عنها معرضون** ﴾[1] .

أيها المسلمون :

جاء الإسلام لمصلحة الناس جميعا ، بعد أن رَسَفَتِ الإنسانيةُ في أغلال ظالمه واستعباد من الذل ، فأقام الإسلام سياسته على مبدأ واحدٍ ، وقد جمعهم تحت راية التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ففي الأولى التخلصُ من كل عبودية إلا لله وحده ، وفي الثانية لا يصح إيمان من أحد إلا باتباع شريعة محمد ﷺ ألا وهي شريعة الإسلام . وبهذا الركن الإسلامي الخالص تكوَّنت جبهة الإسلام ، ورُفعت الراية الإسلامية ، وتحققت الأُخوة الدينية التي فاقت كل أخوة في العالم ، وانمحت فوارق الألسنة والألوان ، فلا حاكم ولا محكوم إلا وهو في ظل قانون السماء ﴿ ... **وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نِعَّما يعظُكم به ، إن الله كان سميعاً بصيرا** ﴾[2] فالحاكم الذي هو ظلُّ الله في أرضه ، ويأوى إليه المظلومون ، لا يحكم إلا بما يفرضه عليه القانون السماوي من لدن حكيم عليم ، ولا طاعة لعبد في معصية خالقه .

أيها المسلمون :

من أصول الإيمان التي لا بد من التصديق بها أن هناك حياةً أُخروية أبدية سرمدية ، تعقب هذه الحياة الزائلة ، ليرى كل انسان الجزاء العادل على ما قدمه في دنياه ، وقديماً كان الناس ينكرون الآخرة ، ولا يهتمون إلا بالحياة الدنيا ، لا يصدقون ببعث ولا حشرٍ ولا نشر ، ولا مؤمنين بحساب ولا جزاء ، حتى بلغ منهم التكذيب أن يقسموا بنفي البعث

---

١ ــ سورة يوسف (١٠٥) .

٢ ــ سورة النساء (٥٨) .

وإنكاره ، قال تعالى ﴿ **وأقسموا بالله جَهدَ أيمانهم لا يبعث الله من يموت ،...** ﴾[1] حتى ردّ الله عليهم وعلى أمثالهم بأبلغِ رد ﴿ **بلَى وعدا عليه حقا ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ، ليبيِّنَ لهم الذي يختلفون فيه ولِيعلَم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين** ﴾[2] إنهم لا يزالون حائرين مختلفين .

أيها الناس :

إن الإسلام يعتبر اليوم الآخر نتيجةً طبيعيَّة لقيام هذه الحياة الدنيا ، ولزوال هذه الدنيا ، فالحياة ميدان كبير ومسرَحٌ واسع ، لا يزال يشهد تصارعَ الحق والباطل وتنازع البقاء .

ففي اليوم الآخِرِ تتضح الحقائق ، وتُفضَحُ النوايا والسرائر ، ويُفصل في القضايا التي طال فيها الجدَل والخلاف ، حقاً إن الحياة الدنيا بغير الآخرة لا قيمة لها ، والعملَ بلا جزاء لا وزنَ له ، ودراسةَ الطالب وجَهدَ العامل بلا امتحان ولا تقدير لا يجدي ولا يفيد ، ولا يشجع على المضي في الأعمال ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضُها السمواتُ والأرض أعدت للمتقين** ﴾[3] .

ومن هنا يكون المؤمن بالآخرة أصبَرَ على العمل ، وأقدَرَ على الكفاح ، يعمل مخلصاً وهو يبتغي جزءاه من الله ، لا لسمعة ولا لشهرة ولا لجاه ، ومن هنا أيضاً لا يضيق المؤمن بحياته ولا ينتحر ، مهما أحاطت بن المنغصاتُ والمكاره والشدائد ، أما الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، فهو ضيق الأفق محدود النظر والتفكير ، لا أمل له ولا رجاء ، وليس له إلا شقاءُ القلب وحَيْرةُ الضمير ﴿ **إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضُوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون** ﴾[4].

١و٢ــ سورة النحل (٣٨ ــ ٣٩) .

٣ ــ سورة آل عمران (١٣٣) .

٤ ــ سورة يونس (٧ ــ ٨) .

روى الشيخان أن الله تعالى يقول لأهل الجنة (يا أهل الجنة فيقولون لبيْك ربنا وسعديك ، والخيرُ في يديْك ، فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك ، فيقول ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك ؟ فيقولون يا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول أُحِلَّ عليكم رضواني ، فلا أسخطُ عليكم بعده أبدا)[1] أو كما قال : ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

* * *

الحمد لله رب العالمين نحمدك حمداً أنت أهلُه ومستحِقُه ، وأشهد الاّ إله إلا اللهُ الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .

عباد الله :

تبصروا زمنكم ، وتدبروا أمركم ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون ، لعلكم تفلحون . حافظوا على صلواتكم وواجباتكم وأراضيكم وأوطانكم ، واحذروا عاقبة أمركم ، ولا تخدعنكم الأيام والآمال . واعلموا أنه تعالى أمرنا بالصلاة على رسوله تعظيماً له وتكريما ، فقال عز من قائل (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا السابقين ، الخلفاء الراشدين ، وسائر أصحاب رسول الله أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأعل بفضلك وإحسانك كلمة الحق والدين ، واجعلنا من الناطقين بها بحق يا رب العالمين .

---

١ ـــ متفق عليه .

﴿ ... ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾(١) .

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، اللهم اغفر لآبائنا وأمهاتنا وسائرِ المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات، رب العالمين، ونبتهل إليك يا سميع الدعاء ودافع البلاء ومحقق الرجاء أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال، حفظه الله ورعاه . اللهم باعد بينه وبين الظالمين والمضللين .

عباد الله : **(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر يعظكم لعلكم تذكرون) (... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون)** .

* * * * *

* * *

*

---

١ ـ سورة الحشر (١٠) .

حديث الجمعة الديني : (قبل صلاة الجمعة) .

٣٠ رجب ١٣٨٤هـ
١٩٦٤/١٢/٤

« أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »

« بسم الله الرحمن الرحيم »

بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم يامن بيده مقادير الخيرات كلِّها ، يامن إليه يُرجع الأمر كله يا فتاح يا عليم ، افتح لنا فتحاً قريبا .

(أما بعد) فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هديُ محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة . وكل بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار)[١].

يقول ﷺ (أمرني ربي بتسع ؛ الإخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الغضب والرضا ، والقصدِ في الفقر والغنى ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأصلَ من قطعني ، وأعطيَ من حرمني ، وأن يكون نطقي ذكرا ، وصمتي فكرا ، ونظري عبرة)[٢] .

يقول ﷺ (إياكم وعقوق الوالدين ، فإن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام ، والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ، ولا شيخ زان ، ولا جارٌّ إزاره خيلاء ، إنما الكبرياء لله رب العالمين)[٣] .

---

١ ــ رواه مسلم وأحمد والنسائي وابن ماجة عن جابر .
٢ ــ سبق تخريجه .
٣ ــ رواه الطبراني في الأوسط من حديث طويل عن جابر بن عبدالله .

لا يدخل الجنة قاطع رحم[1] .

من أراد يُنسأله في أثره ، ويبارك له في رزقه ، فليصل رحمه[2] .

قال ﷺ الكبائر : (الشرك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين)[3] (وقال إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم)[4] .

﴿ ... فاذكروني أذكركم ... ﴾[5] ﴿ ... فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً ،... ﴾[6] ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ﴾[7] .

﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ... ﴾[8] .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ رواه البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم .

٢ ــ متفق عليه .

٣ ــ متفق عليه .

٤ ــ رواه الطبراني في الأوسط .

٥ ــ سورة البقرة (١٥٢) .

٦ ــ سورة البقرة (٢٠٠) .

٧ ــ سورة آل عمران (١٩١) .

٨ ــ سورة الاسراء (٢٩) .

الخطبة الخامسة والأربعون : الحادية والعشرون بعد عودة الشيخ من السعودية والقاهرة .

١١ ذو القعدة ١٣٨٤هـ
١٢/٣/١٩٦٥

(الحج دعامة من دعائم الإسلام الكبرى)

أسأله سبحانه وتعالى متوسلاً بحبيبه المصطفى ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، أن يمدني بقوة منه ، وبتوفيقه وعنايته ، ويجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم الهمني رشدي وأعذني من شر نفسي ، وأجرني من مضلات الفتن . اللهم اغفر لي ذنوبي واسرافي في أمري (... **رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

الحمد لله الذي أعجز وصفُه ألسنة الواصفين ، وحجب عن درك كنه ذاته أفهامَ العارفين ، وأوحى إلى إبراهيم خليلِه (أن طهرِّ بيتيَ للطائفين والعاكفين ، وجعل حُرمة حَرَمِهِ ملجأً للخائفين ، (أحمده) سبحانه وأشكره وأتوب إليه ، واستغفره وأسأله الهداية والتوفيق والعزة للمؤمنين ، اشهد أن لا إله إلا اللهُ خالق الخلق أجمعين ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله إمامُ المتقين ، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الصادقين الصابرين .

أما بعد ، فيا أيها المسلمون : يقول الله تعالى ﴿ **إن أول بيت وضع للناس لَلَّذي ببكةَ مُباركاً وهدى للعالمين . فيه آياتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيمَ ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حِجُّ البيت مَن استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنيٌّ عن العالمين** ﴾[1] .

١ ـــ سورة آل عمران (٩٦ ـــ ٩٧) .

أيها المسلمون :

إن أول بيت أقامه الله في الأرض هو البيت الحرام ، تهوي إليه أفئدة العالمين ، وتتطلعُ إليه قلوب الموحدين ، فيُهرَعون إليه من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسمَ الله في أيام معلومات ، ولِما في الحج من منافعِ الدنيا والدين ، جَعلَه سبحانه ركناً عظيماً من أركان الإسلام وقواعِدِه ، تتجلى فيه وَحدة العقيدة الدينية الكبرى ، بأجلى معانيها وأبلغِ مظاهرها ، فيه يجتمع المسلمون من جميع بقاع الأرض ليتبادلوا الآراء ، ويبحثوا الوسائل النافعة المفيدة ، لعلوِّ مكانتهم ، ورفعة شأنهم مادياً وأدبيا ، فالحج لاشك مؤتمر إسلامي يُحِسُّ فيه المسلمون أنهم هيئة واحدة وجماعة واحدة .

أيها المسلمون :

الحج فرض على المسلم المكلفِ المستطيع القادر على أدائه ، في العمر مرة ﴿ **ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إليه سبيلا** ﴾ .

فالمستطيع هو الذي يملك ما يكفيه من المال ذهاباً وإيابا ، على حسب ما يقتضيه زمنُ الحج وظروفُه ، كلُّ إنسان بحسب مقدرته ، إذاً فلا يجوز للمسلم أن يستدين مالاً للحج إذا كان لا يقدر على وفائه وقضائه ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ (أن الحج المبرور يكفِّر كلَّ شيء إلا الدَّينَ)[1] كما لا يجوز له أن يترك أولاده وأهله بلا مأوى ولا نفقةٍ ، عالةً على غيرهم يتكففون الناس ولا مال عندهم لقوله تعالى ﴿ **...، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقونِ يا أولي الألباب** ﴾[2] .

وكثيرٌ من الناس من يخرج للحج مراتٍ متعددةً غير الفريضة رياء وسمعةً ، بقصد حرمان الوارثين من ماله ، وتركِ أبنائه من تحصيل في المدارس والمعاهد والكليات ، وحرمانهم من بلوغ ما يرجونه من المستقبل

---

١ ــ تقدم سابقاً .

٢ ــ سورة البقرة (١٩٧) .

في الحياة ، فهؤلاء لا ينالهم من ذلك إلا التعبُ والمشقة وإضاعةُ الأموال . إن الأمة اليوم في حاجة إلى تنمية مواردها وتوسيع اقتصادياتها . إن الأمة اليوم في وضع يستدعي جمع الأيدي ، وإعدادَ العُدة للعدو المتربصِ بكم الدوائر ، وكذلك لا يجوز للمرأة المسلمة ــ لا سيما الشابّةَ ــ أن تخرج للحج وحدها بلا مَحرم ؛ كأبيها أو أخيها أو عمها أو غير ذلك ، إلا إذا كانت تأمن على نفسها مع جماعة النساء دون مفارقةٍ لهن .

أيها المسلمون :

إن قاصد الحج بعد الطهارة الكاملة ، يلبَس إزاراً غير مخيط يستر به عورته ، ويقول (اللهم إني نويت الحج فيسره لي وتقبله مني ، لبيْك اللهم لبيْك لا شريك لك ، لبيْك إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) ففي هذه الحالة يكون ناوياً الإفراد بالحج ، ولا يجوز له فكُّ الإحرام إلا بعد أداء المناسك كلِّها ، وإذا نوى الحج والعمرة سمي قارناً ، وفي الحالين لا يجوز له ارتكاب شيء من محظورات الإحرام إلا بعد الوقوفِ بعرفة والمبيتِ بمزدلفة إذا أمكنه المبيت ، ورميُ جمرة العقبة ، أما من نوى العمرة ملبياً عند الحدود ؛ أي المواقيتِ المعلومة ، فيسمى متمتعاً بتسهيلات أكثر من المفرد والقارن . فإذا دخل مكة تطهَّر واستقبل الكعبة المشرَّفة مقبِّلاً الحجرَ الأسود الأسعد ، لأنه يمين الله في الأرض ، يصافح بها عباده ، بادئاً بالطواف جاعلاً الحجر الأسود عن يساره داعياً إلى الله بما تيسر حتى يعود إلى الحجر نفسه ، ثم يصلي ركعتين في مقام ابراهيم عليه السلام إذا أمكنه ذلك حتى يكملِّ سبعة أشواط مهرولاً أي مسرعاً في الثلاثة الأُولى ، ثم يقوم على الصفا قُبالةَ البيت ويمشي إلى المروةِ مكبراً مهللاً كما فعل سابقاً حتى يُتم سبعة أشواط . وبهذا تنتهي أعمال العُمرة التي أحرم بها عندها يتحلل من إحرامه بالحلق أو التقصير ، أما المرأة فتقصرِّ ولا تحلق . يقول ﷺ (اللهم اغفر للمحلقين والمقصرين)

وتلزمه الفديةُ لتحلله من العمرة ، والفديةُ محِلُّها منىً لقوله تعالى ﴿ ... **حتى يبلغ الهديُ محِلَه** ،... ﴾[1] ﴿ **لن ينال الله لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ،... ﴾ الحج آية (٣٧) .

فإذا كان يومُ التروية أحرم بالحج فاعلاً مثل ما أحرم بالعمرة ، ثم يقصد منىً فيصلي فيها الأوقات الثلاثة من الظهر ، ثم يتوجه إلى عرفة وهناك يمكث فيها حتى غروب شمس ذلك اليوم ، ولا بد من دخول جزء من ليلة النحر ، ولا يصح النفر من جبل عرفة قبل الغروب ، يقول ﷺ (وقفتُ هاهنا وعرفةُ كلّها موقف)[2] .

أيها المسلمون :

الحج ركن من أركان الإسلام وقاعدةٌ من قواعد الدين ، شرعه الله لآدابٍ سياسية عالية ، وحِكَمٍ اجتماعية راقية ، لا يدركها الا القليلُ من الناس . لأَن الإنسان لو تأمل في هذه الحياة ، على رونقها وجمالها وفِتنتها ، لوجدها كسوقٍ قائمة ؛ ربح فيها من ربح ، وخسر فيها من خسِر ، وأن كلَّ ما يجمعه الإنسان فيها من مال وحطام زائل ، ليس له شيء منه إلا ما قدمتْ يداه ﴿ **فمن يعمل مثقالٍ ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[3] ، والإنسان في هذه الحياة يُقبل على الدنيا بنهَم الطامع الشرِّه ، يعمل فيها بعزيمة الأبطال المجاهدين ، فيزرع ويقلع ويتاجر ، ويجمع ويربح ويجازف ويخاطر . كلُّ ذلك وراء الدنيا ومالِها الفتان .

أيها المسلمون :

إن في الحج من المُتعة الروحيةِ واللَّذةِ الشخصية ما يُنسي حَلاوة المال وضخامة الجاه والمنصِب والغِنى ، وأيّ لذة أَحْسَنُ من أن يستجيبَ

---

١ ــ سورة البقرة (١٩٦) .

٢ ــ رواه الامام أحمد في مسنده .

٣ ــ سورة الزلزلة (٧ ــ ٨) .

العبد لربه الذي خلقه وسوَّاه في أحسن تقويم ، يخرج الإنسان من بيته وقد بذل ماله وراحته ، وفارق أهله ومحبيه وبلده ووطنه ، قاصداً حجَّ بيتِ الله الحرام ، يدفعه الشوق إلى عرفات ، ويجذبه الغرام إلى مِنىً لتكتحل عيناه بمكة وآثارها ، والمدينة وأنوارها ، حيث هنالك الرَّوْحُ والريحان ، والأجر والغفران ، حيث تُشفى القلوب وتهنأ الأرواح ويُستجاب الدعاء ، وكيف لا تُشفى قلوبٌ شربت من ماء زمزمَ المصفى .؟!! وكيف لا تهنأ أرواح سعِدت بمشاهدة الآثار المقدسة .؟!! وكيف لا يستجاب دعاءُ قوم امتزجت أنفاسهم بأنفاس الملائكة المقربين .؟!! اللهم إن هذا موقف له خطرُه وشأنُه عند الله ، وكيف لا وقد توافد إليه عباده المخلِصون من كل فج عميق ، يرجون رحمته ويخشوْن عذابه ، ورحمة الله قريب من المحسنين ، انهم ينسوْن هناك ما كان لهم في الدنيا من أهل ومال وجاه ، وهم على اختلاف اجناسهم وأوطانهم وطبقاتهم يُنسَبون إلى دين واحد ويقفون في مكان واحد ، ويهتفون بدعاء واحد لرب واحد (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبْيك) فلا ينصرفون إلا وقد نزلت عليهم مواكب الرحمة والرضوان ، وتحقق لهم كل أمل واستجيب لهم كل دعاء ، يا له من موقف يفيض بالروعة والجلال ، وينطق بعظمة الاسلام وعزة المسلمين لو كانوا يعقلون . إن في هذا الموقف رمزا لوحدتهم وتذكيراً بعزتهم ، وإثارة لحميَّتهم ، وإنه يهتف عاليا أنْ وحدوا صفوفكم واجمعوا كلمتكم ، فأنتم الآن في مشرق شمس الاسلام ، وفي مهبط وحي القرآن ، ومسقط رأس محمد عليه الصلاة والسلام ، وعند بيت أبيكم ابراهيم عليه السلام ، ويا ليت قومي يعلمون ، إذاً لكان للاسلام شأن غير هذا الشأن الذي يتخطفه الاستعمار البغيض من كل جانب ، ولكان للمسلمين حال غير هذا الحال الذي نبكي له ويبكي لنا من الأهوال .

ماذا يراد بنا نحن الأعزة بل
ماذا جنى العرُبُ حتى يُصبحوا غنما

ومنهمو رجلُ الدنيا وواحدها
من قال ربي ولم يعبأ بمن ظلما

نعم : الحجِ يشتمل على مشقات يتحملها المسلم الكريم راضيا مرضيا ، لأنه ينفذ أوامر ربه ، وفي ذلك تدريب له على تحمل الأعباء ومدافعة الأخطار ، إنه جندي مجهول يعمل في طاعة ربه ورضاه ، لذلك كان في الحج عناصر الجهاد ، قال ﷺ (جهاد الكبير والصغير والضعيف والمرأة الحج والعمرة)[١] وقال ﷺ (خير الدعاء يوم عرفة)[٢] .

أيها القاصد لحج بيت الله :

إياك والركون إلى غفران ذنوبك كلِّها ما دمت مُصراً على معاصي الله واقتراف الكبائر والموبقات ، وإياك والاسترسال وراء الشهوات ، والظلم والملذات ، اتكالا على محوِ ذنوبك وآثامك .

قال ﷺ (من استطاع الحج ولم يحج إن شاء مات يهوديا وإن شاء مات نصرانياً)[٣] أو كما قال :

* * *

ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة .

الحمد لله المنعم على عباده بنعم لا تحصى ، وأشهد أن لا إله إلا الله ذو الفضل الذي لا يعد ولا يُستقصى ، وأشهد أن محمداً رسول الله وعلى آله وصبحه ومن تبع هداه .

عبادالله : اتقوا ربكم وراقبوه واعملوا بما أمر واجتنبوا عما نهى عنه وزجر ، اتقوا الله إيمانا به وتسليماً ، وحجوا قبل ألَّا تحجوا ، ولا تسرفوا

---

١ ــ رواه النسائي عن ابي هريرة .
٢ ــ رواه الترمذي وقال حسن صحيح .
٣ ــ هكذا بالمعنى ولفظه : من ملك زاد أو راحلة ولم يحج فلا عليه أن يموت ان شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً ، وله شاهد آخر اخرجه سعيد بن منصور .

أبدا ، فإنكم لا تدرون ما يفعل الله بكم غداً ، بادروا الأعمال الصالحة قبل عجزكم عن القيام بها ، تعاونوا على البر والتقوى ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً ، قال تعالى ولم يزل قائلا عليماً (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن سائر اصحاب رسول الله أجمعين ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا ، وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم ، اللهم انصر الاسلام والمسلمين ، واجمع بين كلمة الموحدين والقادة الحاكمين ، ووحد صفوف الأمة العربية الاسلامية وسائر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . يا ربَّ العالمين ، اللهم وفق الحاكمين للعمل بتنفيذ كتابك وسنة نبيك يا أحكم الحاكمين ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال أيده الله ، اللهم باعد بينه وبين أعداء الدين يا أكرم الأكرمين ، اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله :

(**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة السادسة والأربعون : الثانية والعشرون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

١٧ ذو القعدة ١٣٨٤هـ

١٩٦٥/٣/١٩

(اليأس يهدم الآمال ويُضعف همم الرجال)

﴿ ... رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وان يحضرون ، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلَّه لا إله الا أنت ، اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي، وأجرني من مضلات الفتن ، رب اغفر لي ذنوبي كلها واستر لي عيوبي ، واكشف لي كروبي ، **(... رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)** .

الحمد لِلَّه الذي خصَّ الانسان بنعمتي العقل والدين، ومنحه القول الحق وصدق اليقين، (أحمده) سبحانه وتعالى على نعمتي الرجولة والتمكين، ونشكره على مزية الانسانية للصادقين الصابرين ، وأشهد أن لا إله إلا الله، دعا الى العمل وحذر من اليأس والملل ، وأشهد أن محمداً رسول الله جاهد في سبيل ربه، ونشر دعوته ، فما ضعف وما استكان، وعلى آله وصحبه مصابيح الهدى، الذين ما كانوا يوما اذلاء صاغرين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين (أما بعد) أيها المسلمون : فقد قال سبحانه وتعالى **﴿ يا أيها الذين امنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم، إن الله كان بكم رحيما. ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نُصليه ناراً، وكان ذلك على الله يسيرا﴾** النساء الآيتان (٢٩، ٣٠).

أيها المسلمون :

في هاتين الآيتين الكريمتين ينهاكم الله جلت حكمته عن جريمة من أبشع الجرائم ، وكبيرةٍ من أقبح الكبائر ، ألا وهي جريمة الانتحار، فالانتحار جريمة كبرى، إن دلت على شيء فإنما تدل على نقص في العقل، وضعفٍ في الشخصيةِ والرجولةِ ، وسوءِ استعمالٍ في التربية والتقدير للعواقب، ورقةٍ في الدين، ووهنٍ في العقيدة ، لأن هذا العمل الشنيع عنوانُ يأس وقنوط، تسوء بسببه الخاتمة، ويضاعِف المصيبة، ويخلِّدُ العار ، ويُحبط الأجر ، ويُغضب الله رب العالمين ، يذهب بعد ذلك إلى نار تتأجج وجحيم عابسٍ بسبب كفره وجحوده لقضاء الله وقدره، لأن صاحبه ساخطٌ على الله، متبرم بقضائه، ناقم على ما رسمه له من حدود وأحكام ﴿ ...، **إنه لا ييأس من رَوْحِ الله إلا القومُ الكافرون** ﴾[1] ﴿ **قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** ﴾[2] . واليأس بعد ذلك كلّه دليلٌ على سوء الظن بالله .

ففي الحديث القدسي (أنا عند ظن عبدي بي، إن ظنَّ خيراً فله، وإن ظن شراً فله)[3] فلو كان واثقاً بربه، لاعتقد أن الضيق يعقبه الفرج ، والعُسرَ يتبعه اليسرُ (وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا)[4] نعم لو كان واثقاً بربه لاعتقد أن المرض يعقبه الشفاء، وأن الفشل والسقوط، لا بد وأن يعقبهما نجاح وفلاح ، لاسيما وقد أخبرنا الله سبحانه بذلك، وبين لنا أن الدنيا في تقلب دائم، فشأنها التحول والانتقال والإعزازُ والإذلال والإقبال والإدبار ، والصفو والأكدار ، حتى إنها لو جاءت صافيةً يوماً ما، فيكون ذلك على غير طبعها .

---

١ — سورة يوسف (٨٧) .

٢ — سورة الحجر (٥٦) .

٣ — رواه البخاري في باب التوحيد بدون الزيادة إن ظن خيراً ...

٤ — تقدم في ص (٦٨) .

كريشة في مهب الريح طائرةٍ

لا تستقر على حال من القلق

أجل : ما هذه الدنيا إلا كالشمس، لا تطلعُ على قوم إلا غابت عن آخرين ، ولكن مهما طال الليل، فلا بد من بزوغ الفجر وطلوع النهار ، فهذا هو السر المصون ﴿ **وفي الأرض آياتٌ للموقنين. وفي أنفسكم، أفلا تبصرون** ﴾[1].

من هنا أوجب الله الصبر على الناس، وأمرهم به، ورغَّبهم فيه، وجعله من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، بل هذا هو السرُّ في أن الله سبحانه وتعالى، أوجد الدين لتسهيل وتيسير أهوال الدنيا ، فالدين طبعاً هو الذي لطَّف حرارة الدنيا، وألان قسوتها ، فهو الذي جعلها على المؤمنين الصابرين برداً وسلاما، وتحية وإكراما ، حيث إنه أخبرنا عنها بأنها لهوٌ ولعِبٌ ومتاعُ الغرور، وزينةٌ وتفاخرٌ بالأموال والأولاد والمناصب ، وأنها مهما كانت ثابتةً في نظر المتمسكين بها، فلا بد من زوالها ، ومهما كانت طويلةَ الأمد، فلا بد من انتهائها ، فهي أخسُّ من أن يحْزنَ الإنسان على ما فيها من عرض زائل، وأحقرُ من أنْ يَقتلَ الإنسان نفسه فيها، وهي إلى زوال دون استعمال، ولو لم يكن للدين من هيمنةٍ رمزيةٍ وفضيلة، إلا أنه شبه الحياة الدنيا بنبات قصير الأجل، يتحول بعد جماله ونضارته إلى هشيم متطايرٍ تذروه الرياح، لكفى ذلك أولي الألباب عظةً وادِّكاراً، كما قال تعالى ﴿ **واضرب لهم مَثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح، وكان الله على كل شيء مقتدرا** ﴾[2] .

أيها الإنسان الذي يُقدم على انتحار نفسه، كما تُطالِعُنا الصحف والمجلات. ألم تعلم بأن الحياة وطولَ البقاء فيها والعملَ الصالحَ نعمة كبرى من نعم الله عليك .؟ ألم تعلم بأن الحياة مزرعة للآخرة، ومن حق العاقل أن

---

١ ــ الذاريات (٢٠ ــ ٢١) .

٢ ــ الكهف (٤٥) .

يعرفها في قناعة وطاعة ، وإغاثة ومساعدة، وإصلاح وإنشاء المشاريع الخيرية وبناء المستشفيات التي تعود على الأمة بالخير..؟ كان من دعائه عليه الصلاة والسلام (اللهم ارزقني سنا طويلا في الخير واجعلني مشتغلاً بالعبادة الخالصة)[١]وكان يقول (خيركم من طال عمره وحسُن عمله ، وشركم من طال عمره وساء عمله)[٢] واسمعوا هذا الحديث الذي يهز أركان الدنيا، ويحرك القلوب الجامحة، قال ﷺ (إذا بلغ أحدكم الأربعين سنةً ولم يغلب خيره على شرِّه فليتجهز. أي فليستعدَّ إلى النار)[٣] .

آهِ من غفلتنا وَاأسفى ، آه من رقدتنا وآحرَّ قلبي .

أجل: لو تأملنا قليلاً، لعلمنا أن الدنيا ثمرةٌ قبل أن تكون حُظوظا، ومعنى ذلك أن الثمرة لا بد لها من شجرة، والنتيجة لا بد لها من مقدمة. فإذا أراد الإنسان أن يكون في الحياة سعيدا، فليعمل عملاً صالحاً وليدفعْ ثمن سعادته من عمره وحياته ، من جِدِّه ونشاطه، من جسمه وقلبه، لا بد وأن يُجهد عقلَه ويبذلَ مالَه، لا بد أن يَفرِض على الأيام شخصيته، لا أن تفرض عليه الأيام. فإن حطمت الأيام أملَه، تسلق إليه بحبال الله الواثقة:

واشدد يديك بحبل الله معتصماً

فإنه الركن إن خانتك أركـان

تغلَّب أيها المسلم على الأيام، فالرجل هو الرجل، والإنسان هو الإنسان، إن أغلقت الدنيا في وجهه باباً، فتح في ظهرها أبوابا، وإن قطعت له سببا، أحيا في قلبها أسبابا. فالشخصية الواعية القوية، لا تعرف عجزاً ولا كسلا ولا مللا، ولا تعرف ضعفاً ولا فشلا، ولا عسيراً ولا مستحيلا. وهذا هو الفرق ما بين السعداء والأشقياء، والضعفاء والأقوياء، وما أجمل ما قيل:

ومن تكنِ العلياءُ همةَ نفسه

فكل الذي يلقاه فيها محبَّب

---

١ ــ لم أجده هكذا ، وانما المأثور عنه ﷺ أنه كان يقول : اللهم أحيني ما علمت الحياة خيراً وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي .

٢ ــ تقدم تخريجه ص ٦٦ .

٣ ــ تقدم تخريجه ص ٦٦ .

أيها المسلمون :

فلو أن رسول الله ﷺ لم يصبر على صدِّ قريشٍ في دعوته، وأذى المشركين لشخصيته، لما انتشرت دعوته ورسالته في أقلَّ من ربع قرن، في طول الأرض وعرضها، بسرعة البرق والكهرباء .

وما وُلد الألمعي محمدُ عبده إماماً، ولا حافظُ إبراهيمُ شاعراً، وما ولد الرافعي أديباً، وكثيرٌ غيرهم، إلا أنهم جدُّوا فوجدوا، وزرعوا فحصدوا، برغم ما أصابهم في حياتهم العلمية ودراساتهم الثقافية . كما يروي التاريخ هؤلاء علموا أن السعادة لا بد لها من سُلَّمٍ يُرتقى عليه، وأن معاليَ الأمور لا بد لها من معراج لبلوغها .

كذا المعالي إذا ما رمت تدركها

فاعبــر إليها على جسر من التعب

أقول هذا لأستنهض همم اليائسين البائسين، الحائرين الخائفين، أقول كل من سار على الدرب وصل، ولو إلى حين .

أيها المسلمون :

لو أن الدول العربية لم يجتمع شملُها، ولم تتفق كلمتها، لما كان لصوتها صدىً يدوِّي في قلب العالم كلِّه. ولو أنها لم تُجمعِ على رأيٍ واحد صحيح، لما حسِبت الدول الغربية الكبرى للعرب حساباً . إذاً فلا تتناسوا أيها المسلمون، ولا تستلموا للإشاعات والأقاويل، وكونوا دائماً على حذرٍ من الحاقدين على الإسلام والمسلمين .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ (من تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم، يتردَّى فيها خالداً مُخلَّدا أبدا، ومن تحسَّى سُماًّ، أي تناوله فقتل نفسه، فسُمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنم خالداً مخلدا فيها أبدا)[1] يعني أن مَن قتل نفسه بأية آلة، أو شرب

---

١ ـــ تقدم ذكره . متفق عليه .

أي نوع من أنواع الحبوب والسوائل، أو ألقى نفسه في حُفرة أو بئرٍ أو بحرٍ، مات عاصياً، يقتل نفسه يوم القيامة في المادة التي قطع بها حياته. وفي الحديث القدسي (كان رجلٌ فيمن قبلكم أصيب بِجرُح فجزِع فأخذ سكينتَه وطعن بها نفسه. فلم يرق الدمُ حتى مات، قال الله عاجلني عبدي بنفسه فحرَّمت عليه الجنة)[1] أو كما قال. ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

★ ★ ★

الحمد لله الذي أنعم علينا بالحياة الطيبة والإيمان، ورزقنا فيها من الأعمال ما يرضيه، أشهد أن لا إله إلا اللهُ مالكُ الملك ذو الجلال والإكرام، يفعل ما يشاء ويختار ما يريد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي استسلم لقضاء ربه وقدره في كل حال، اللهم فصلِ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعدُ، فيا أيها المسلمون :

اتقوا الله في أنفسكم. اتقوا الله في أقوالكم وأفعالكم، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور .

أيها المسلمون :

إنه لم يعرف في تاريخ الإنسانية سعادةٌ حقيقيةٌ بغير تعب ، ولا مجدٌ مؤثَّل بدون نصب ، ولا نجاح مظفرٌ بدون كدٍّ ولا عناء . إن السعادة الحقيقية هي التي يغرسها الإنسان بيده وقوته، ويَسقيها بعرَق جبينه ، ويتعهدها بعلمه وعمله ، وهذه هي السعادة التي يسعى إليها الرجالُ الأقوياء، ويعمل لها الأبطال الأعزاء . أما السعادة التي تأتي عفواً عن طريق الحظوظ والمصادقات وبيع الضمائر، فليست سعادةً حقيقية، لأنها لا تصلح أن تكون موازينَ ومعايرَ للحياة .

---

١ ــ تقدم ذكره ص ٦٧ .

فاعملوا أيها الناس للسعادة الحقيقية، واعتمدوا على ربكم ولو جانبكم الحظ زمناً، فلا بد يوماً من بلوغ مرادكم، وعودتكم إلى وطنكم فلسطين الشهيدة، إن شاء الله تعالى .

اتقوا الله وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، وآعْلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما. قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) (الصلاة الإبراهيمية) وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والعلماء العاملين، وارزقنا السير على نهجهم القويم .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، اللهم اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيء الأعمال والأخلاق، فإنه لا يصرف عنا سيئَها إلا أنت، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأعلِ بفضلك وتوفيقك كلمة الحق والدين، اللهم اجمع بين كلمة القادة والحاكمين، ووفقهم للعمل بهْدي سيد المرسلين .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك، الحسين بن طلال أيده الله . اللهم ألهمنا رشدنا، وأعذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . وارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا . اللهم على طاعتك أعنا، وعلى غيرك لا تكلنا، ومن شر خلقك سلمنا .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

أَلخطبة السابعة والأربعون : الثالثة والعشرون بعد عودة الشيخ من مصر

٨ ذو الحجة ١٣٨٤هـ
١٩٦٥/٤/٩

(عشر ذي الحجة ويوم عرفة وذكرياتها)

اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت ، اللهم يامن بيده تيسير كل عسير، يسر لنا كل أمر عسير، فإن تيسير كل عسير عليك يسير ، اللهم الهمني رشدي وأعذني من شر نفسي ، اللهم اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون ، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة ، (... **رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

الحمد لله شرع لعباده مافيه صلاح دينهم ودنياهم، ووعدهم بالثواب على ما يعملون . ونهاهم عن كل ما يضرهم، وحذرهم من سوء ما يعملون . إن ربك حكيم عليم ، وأشهد أن لا إله إلا الله توحَّد بالألوهية المطلقة، وتفرَّد بالعزة والجلال، مصلياً أفضل الصلوات والتسليمات، وأتمَّها على من جاهد في الله حق جهاده حتى أظهر دينه، سيدنا ومولانا محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين حملوا من بعده علم الهداية، فدانت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب، وكان فضلُ الله عليهم عظيما .

أما بعد، أيها الناس فقد قال سبحانه وتعالى ﴿**والفجرِ. وليالٍ عشر. والشفعِ والوترِ. والليل إذا يسرِ. هل في ذلك قسم لذي حجر**﴾[1]؟؟؟.

١ ــ سورة الفجر (١ ــ ٥) .

أيها المسلمون :

سورة مكية نزلت على رسول الله ﷺ إيذاناً بعظمة الله وحده ، وإعلاماً بقدرته ﴿ ... ، **ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** ﴾[1] .

يُقسم الله لعباده وله الحق، أن يُقسم ويحلفَ بما شاء بالفجر، الذي هو من بديع صُنعه وحكمته ، يُقسم بفجر عرفة، كما يُقسم بفجر يوم النحر ، وفي تفسير أوائل هذه السورة، أقوالٌ كثيرة، حاصلها : وحقِّ فجر عرفة ويومِ النحر، وحقِ مافي الوجود كلِّه من مخلوقات من ذكر وأنثى وفرد وزوج، وحق سيركم ليلاً من عرفة إلى المزدلفةِ والمشعرِ الحرام ، وعزتي وجلالي أنا الوِتر الواحدُ الأحد، فهل تحتاج أيها الإنسان فيما ذكرته إلى قَسمي ويميني.؟ وهل ينكر عاقل منصف وجودي وعظمتي، بعدما شاهد آياتي ودلائل قدرتي ؟ .

قل لي بربك إذا كنت ايها الإنسان عاجزاً عن معرفة نفسك وكيفية تكوينها، وبدايتك ونهايتك، تخاف من بطشي وجبروتي، تفزع وتولول عند سماعك صوتَ الرعد يدوِّي في أرضي وسمائي، تندهش من صاعقة أو آفة سماوية كهزة أرضية تخرج منها إلى العَراء مذعوراً حائراً، تقف نبضاتُ قلبك عند رؤيتك فيضاناً أو حريقاً أو بركانا يقذف بِحممه من الأرض، تخشى على حياتك من توقف حركة دموية في جسمك، أقول إذا كنت أيها الإنسان عاجزاً عن تحمُّلِ ذلك كلِّه، عاجزاً عن درك حقيقة وجودك ، فكيف تنكر وجودي وعظمتي، وأنا معك أرقب أعمالك، أسمعك وأراك..؟! ومع هذا ففضلي ونعمي بين يديك، وملائكتي من حولك تسمع وتسطر، وتسجل عليك ﴿**إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾[2] أما القسم عليه في هذه الآيات فتقديره لنعذبنّ الكافرين والمنكرين، ولنهلكن الظالمين الذين يكذبون بيوم الدين والجزاء.

---

١ ــ سورة الانعام (٦٢) .
٢ ــ سورة ق (١٧ ــ ١٨) .

وأما جواب القسم، فما سيأتي من آيات هذه السورة ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ يحصي أعمالكم، وليس بغافل عنكم .

أيها المسلمون :

تذكرنا الأيام العشرة بلياليها العشر بعهد أسلافنا الأولين، بماضيهم المشرق الزاهر، وبحاضرنا المقلق الغابر ، يذكرنا هذا العرضُ القرآنيُ الإلهيُّ بمواقف محمد ﷺ وأصحابه من هذا الدين حينذاك ﴿ ... ، **اليومَ يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشَوْهم واخشونِ ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ، ... ﴾[1] فكانت هذه بشارةً عامة للمسلمين، بأنه قد تم لهم ما أرادوا من الفتح والنصر ، ولم يَعُد بمقدور عدوِّكم أن يردكم عن دينكم الذي ارتضاه الله لكم، فلا تخافوهم أبدا ، فإنهم لا حول لهم ولا قوة ، وخافونِ أيها الناس، واستمسكوا بعهدي، أنا الإلهُ الواحد القهار، ولما حج ﷺ وكُمل الدين، نزلت هذه الآية يوم الحج الأكبر، في يومِ جمعةٍ، بعد عصر يوم عرفة، سنة عشر ، ولما قرأها رسول الله ﷺ بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وزيرُ رسول الله ﷺ الثاني في الأرض، فقال له الرسول وما يبكيك يا عمر ؟ فقال أبكاني أنَّا كنا في زيادة من ديننا، وما كُمل شيء إلا نقص)[2] فقال رسول الله ﷺ (صدقت) .

أجل أيها الناس :

لقد أتم الله علينا نعمه بإكمال الشرائع والأحكام ، وإظهار دين الإسلام ، كما وعد سبحانه ﴿ ... **ليظهرَه على الدين كلِّه** ... ﴾[3] ديناً قيِّماً باقياً بكمالِه لا يُنسَخُ من شيء .

---

١ ــ سورة المائدة (٣) .
٢ ــ رواه ابن جرير .
٣ ــ سورة الصف (٩) .

يا حجاج بيت الله الحرام في أرض الحرم والمقام النبوي، يذكرنا عشرُ ذي الحجة اليوم بمواقفه ﷺ الرائعة يوم قال (ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، حتى تلقوْا ربكم فيسألكم عن أعمالكم)[1] ، يذكرنا يومُ عرفة الآتي قريباً ، بما قاله رسول الهداية ونبراسُ العالمين ﷺ (وطوبى شجرة في الجنة أو منزلة في الجنة ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن طاب كسبه، وصلُحت سريرته، وحَسُنَت علانيتُه ، طوبى وهنيئاً لمن سعى وأصلح بين الناس، فمن عفا واصلح فأجره على الله ، طوبى لمن تواضع لله في غير منقصة، وأنفق مالاً جمعه في غير معصية ، وخالط أهل الفقه والعلم والحكمة ، وطوبى للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين .

معشر المسلمين :

هذه أيام البر والطاعات تمر بكم سراعاً، ولكنكم عنها غافلون، بالأمس القريب كنا في العشر الأواخر من شهر رمضان، ونحن اليوم في العشر الأوائل من ذي الحجة، وقد مرَّت بنا الأيام سراعا دون ما عملٍ نتقرب به إلى الله. يذكرنا يوم النحر، وهو يوم عيد الأضحى، بيوم التضحية والفداء، بما حصل ووقع لسيدنا ابراهيم الخليل مع ولده اسماعيل، عليهما الصلاة والسلام، وما تمثل فيهما من إطاعة أوامر الله، وإطاعة الأبناء للآباء، فمعالي الأمور والحِمى المستباح والأوطان الغالية، لا تنال إلا بالتضحيات الجسام، فالضحايا التي تُهرق دماؤها هنا وهناك في أيام الحج، ما كانت إلا رمزاً للتضحيات، كلُّ هذا وذاك ليكونَ الإنسانُ طاقةً فعَّالةً، قادراً على الصمود أمام المخاطر والشدائد والمكاره، صُلْباً في دينه وعقيدته، جريئاً في تضحيته، فما لكم إذاً لماذا لا تستعدون للتضحيات الغاليات في حومة الوغى للجولة القادمة، تُثبتوا أنفسكم أنكم أمة ذات أمجاد، خالدين لا ترضوْن بالذلة والهوان والعسفِ والتشريد أمام أعدائكم الماكرين الغاصبين ، الذين سلبوكم

١ ـ رواه ابو داود والنسائي بدون الزيادة حتى تلقوا ربكم ....

أرضكم ودياركم ، ألم تعلموا وتسمعوا ، الم تقرؤا الصحف والمجلات، ألم تسمعوا الإذاعات أن دول الغرب الحاضنة إسرائيل قد تألبت علينا بأسرها.؟ وأفرغت قواها على دعم الوجود الصهيوني في أرضنا ووطننا العربيِّ الواسعِ الكبير .؟ وهي لا تزال جادةً تعملُ بكل الوسائل لتبقى إسرائيلُ ركيزةً منفذِةً للأوامر ، ما الذي دهانا حتى صار العدو يتخطفنا من كل مكان ؟ ولكنَّ الله مع العاملين الصابرين .

ولا يُقيم على ضيم يُراد بـــه

إلا الأذلان عيْر الحي والوتدُ

قال عليه الصلاة والسلام (إذا كان يوم النحر وقرَّب العبد ضحيته وقربانه، فأول قطرةٍ قطرت من قربانه وضحيته تكون كفارة لذنبه)[١] ويقول ﷺ (ما من أيامٍ العملُ الصالحُ فيهن أحبَّ إلى الله من هذه الأيام العشرِ)[٢] وقال أيضاً (مامنِ أيام أحبَّ إلى الله أن يُتَعَّبَد له فيها من عشر ذي الحجة، يعدل صيام كلِّ يوم منها كصيام سنة، وقيامُ كلِ ليلة منها بقيام ليلة القدر)[٣] .

وبعد فيا أيها المسلمون، يا شباب الإسلام والدين المحمدي، مالنا اليوم تخلفنا عن ركب محمد وأصحابه السابقين الأولين ؟ ما الذي جرى لنا ؟ إنهم آمنوا، لكنهم بإيمانهم الصحيح وحده، فتحوا الحصون العاتية والمدن الشامخة العالية ، ونحن بقوتنا وأسلحتنا ومدمراتنا وعددنا وعديدنا قلوبنا خائفة حائرة واجفة ﴿ **قد جاءكم بصائر من ربكم، فمن أبصر فلنفسه، ومن عميَ فعليها، وما أنا عليكم بحفيظ** ﴾[٤] .

---

١ ــ لم أجده هكذا ، وإنما له شواهد كثيرة أهمها : يا فاطمة قومي إلى أضحيتك فاشهديها فإن ذلك بأول قطرة تقطر دمها ان يغفر لك ما سلف من ذنوبك رواه البزار وابن حبان .

٢ ــ متفق عليه .

٣ ــ رواه الترمذي والبيهقي وابن ماجة عن ابي هريرة .

٤ ــ سورة الأنعام (١٠٤) .

على هذا الأساس القويم، نهض الإسلام عزيزاً لا يعرف الذل، كريماً لا يقبل الضيم، حَمله كِرامٌ بررة، رفعوا لواء عزِّه، وشيدوا صروح مجده، ﴿**فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، فسوف يلقوْن غيّا**﴾(١) حسبوا الناس مغانم تُقَسَّم، وأسلابا تُوز ع، ودنيا مملوءة باللذائذ والشهوات، فيها دَعَةٌ وسكون، وتَرَفٌ ومجون، صرفتْهم الأهواء عن الهدْي الإلهي فساءت أحوالهم، وتحللوا من أصول الإسلام وفضائله، سوَّل لهم الشيطان وزين اعمالهم، أن التمسكَ بالدين عار وشَنار، وما شرعه الله لعباده من أحكام وقوانينَ منظِّمةٍ للحياة، ليست إلا بقيةً من قرون جامدة متخلفة، لا تليق بالمتمدنين الذين عرفوا معنى الحياة، ظنوا أن الانغماس في الإباحيَّة الجامحة الطامحة نوعٌ من الحرية، وخاصةٌ من خواصِّ المدنية، بهذا أصبح الإسلام في ناحية، والمسلمون في وادٍ آخر وصدق الله العظيم ﴿**...،من يهدِ الله فهو المهتدِ، ومن يُضلل فلن تجد له وليّاً مرشدا**﴾(٢) قال ﷺ (الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)(٣)، أو كما قال. ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

★ ★ ★

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، وعلى آله وصحبه ومن سار على شريعته وهدْيِهِ .

أما بعد، أيها المسلمون :

لقد سمعتم آيات الله تتلى عليكم، فلا تكونوا عنها غافلين، وتذكروا هول الموقف العظيم، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم .

عباد الله :

إن مسلمي هـذا الزمان، يقولون لا يوجد نص صريح قاطع في تحريم الخمـر، ولا يكتفون بالدور الثالث القرآني مـن تحريمها في قوله تعالى

---

١ ــ سورة مريم (٥٩) .

٢ ــ سورة الكهف (١٧) .

٣ ــ متفق عليه .

﴿...، **فهل أنتم منتهون**﴾[1]؟ عندها قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه (انتهينا يا رب انتهينا) وفي ساعة التحريم هذه أُهريقت الأواني التي كانت فيها الخمور، وتابوا إلى الله منها، فجاءت آيةٌ أخرى من القرآن تجر بذيلها على المنكرين ﴿ **قل إنما حرَّم ربيَ الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن** ... ﴾[2] فماذا يقولون بعد ذلك ؟ وأيّ فاحشة أدهى وأمر من فاحشةٍ أذهبت عقولاً، وأضاعت أموالا، وهدمت بيوتا .؟

يا مسلمون :

إن ديننا مهما امتدت آفاقه وتأوّل فيه المتأولون، فهو لا يحتمل هذه البوائق والمنكراتِ، ولا هذا الإلحاد، ولا هذه الإباحية والخلاعة الجامحة، التي لم تقف عند حد ، وإنما يحتمل مدنية فاضلة، تقوم على أساس علم كامل وعقيدة صحيحة، وخلق فاضل كريم .

اتقوا الله عباد الله . وسلوه إصلاحاً وتنظيما، وصلوا على نبيه كما قال سبحانه (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صلِ على سيدنا محمد حتى يرضى وعلى، آله وصحبه وسلم .

اللهم ارض عن ساداتنا الخلفاء الراشدين، وسائر أصحاب رسول الله أجمعين، والأئمة المجتهدين والعلماء العاملين، اللهم هَيِّئْ لنا من أمرنا رشدا، وثبتنا على كلمة الهدى، وباعد بيننا وبين الأعداء، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا، فانصرنا على القوم الكافرين .

---

١ ــ سورة المائدة (٩١) .

٢ ــ سورة الاعراف (٣٣) .

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأعلِ بفضلك كلمة الحق والدين، وألف بين قلوب قادتنا وحكامنا ورؤسائنا، واجعلهم بكتابك وسنة نبيك من العاملين، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك وهدايتك الحسينَ بنَ طلال، أيده الله وسدد خطاه، اللهم اجعله وأخاه وليَّ عهده الحسنَ بنَ طلال عاملَيْن بما كان عليه الحسنُ والحسينُ وجدُّهما رسول الله ﷺ. اللهم كن لهما ولا تكن عليهما، واجعلهما عاملين بكتابك، منفذين لأوامرك ، وإعلاء كلمة الله ، يا أرحم الراحمين . اللهم جنبهما مواطن الزلل ، وارزقهما الإخلاص في القول والعمل . اللهم أجر الإصلاح على أيديهما ووفقهما للعمل به ، اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

اللهم هذا حالنا لا يخفى عليك ، وهذا عجزنا ظاهر بين يديك ، فارحمنا بما رحمت به عبادك الصابرين .

عباد الله : **(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)** .

(... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

* * * * *

* * *

*

أَلخطبة الثامنة والأربعون : الرابعة والعشرون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

٢١ ذو الحجة ١٣٨٤هـ

١٩٦٥/٤/٢٣

التحذير من العودة إلى المعاصي بعد الحج ، والحث على الاتحاد وأثره في نجاح الأمم

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وانت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم يامن بيده مقادير الخيرات كلها، يامن إليه يرجع الأمر كله، يا فتاح يا عليم افتح لنا فتحاً قريبا، اللهم أعذني من شر نفسي وسيآت أعمالي، عاملني بما أنت له أهل، ولا تُعاملني بما أنا له أهل، إنك أهل التقوى وأهل المغفرة، اللهم أذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن، **(رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)**.

الحمد لله الدائم، الذي لا يزول ولا يتغيَّر ، الحكيم، الذي جعل في انقضاء الشهور والأعوام عِبرةً لمن تفكرَّ ، فاشهد أَنْ لا إله إلا اللّهُ فتح أبوابَ رحمته، لمن ثابر وداوم على طاعته ، وحجب أنوار هدايته عمن انقاد لشهوته، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه، إمامُ المتقين الصابرين حثّ على الاتحاد وجمع القلوب ، وحذَّر من الشقاق والاختلاف ، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن تمسك بارشاده وهدْيه .

أما بعد، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **يا أيها الناسُ اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكمُ الأرضَ فراشا والسماءَ بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكمْ ، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون** ﴾[1] .

---

١ — سورة البقرة (٢ — ٢٢) .

أيها المسلمون :

هذا خطاب إلهي عامٌّ شامل ، موجه للعالمين إلى يوم الدين ، يدعونا سبحانه إلى توحيده وعبادته، لأنه خلقنا ومن قبلنا من الأمم، وهو الموجد للأولين والآخرين .

إنه خلقكم في هذه المسكونة، ذاتِ الأرجاء الفسيحة، وجعل لكم أرضها كالفراش تستريحون عليها، كما جعل سماءَها مضروبةً على الخلق أجمعين كالخيمة الكبرى، بلا عَمدٍ ترونها، فسوَّاها وزينها بالكواكب المشرقة النيِّرة، وكان من أبرز آلائه على الناس إنزالُ المياه، وما أخرجته من أشجار وثمار ولباسٍ ودثار ﴿ **وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمة الله لا تُحصوها، إن الإنسان لظلومٌ كفَّار**﴾[1] فإذا كان هو سبحانه المنعمَ الحقيقيَّ على عباده فلا تشركوا به شيئاً، ولا تعبدوا إلهاً غيرَه، إنما الله إلهٌ واحد.

يا عبادي :

إذا كنتم تتأكدون من ذلك وتوقنون به، فكيف تخضعون لعباد لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً ، لا يَخلُقون شيئاً وهم يُخلقون ؟ كيف لا تخضعون للإله الحقِّ.؟! الذي ﴿ **وله المَثلُ الأعلى في السموات والأرضِ، وهو العزيزُ الحكيم** ﴾[2] .

أيها المسلمون : أيها الحُجاج :

إن كان شهر الحجيج قد مضى كأنه طيف خيال، وقد أديتم مناسك الحج، فهل بعد هذا عزمتم على العود إلى التفريط واقتراف الذنوب ؟ إن ربكم حيٌّ أبدي لا يدركه الزوال ، لا تقولوا أصبحنا حُجاجا وذهبت عنا الآثام، فلنستأنف طريق العصيان . كالذي يصلي في رمضان ولا يصلي في غيره من الأيام (البرُّ لا يبلى ، والذنب لا يُنسى ، والديانُ لا يموت ، إعمل ما شئت كما تَدين تُدان)[3] .

---

١ ــ سورة ابراهيم (٣٤) .

٢ ــ سورة الروم (٢٧) .

٣ ــ رواه عبدالرزاق والبيهقي في الزهد عن ابي قلابة وابو نعيم والديلمي عن ابن عمر .

أيها الحاج : أيليق بك بعدما كنت في الحرم برّاً تقياً أن تصير في الحِلِّ جباراً عصيا ؟ أيليق بك بعدما كنت في مكة والمدينة مَلَكاً كريما أن تصير بعدها شيطاناً رجيما ومرابياً أثيما وحاكماً ظلوما وعاملاً غشوما ومدمناً ذميما .؟ لعلك اكتفيت بلقب (الحاج فلان) وهو لقب غير شرعي ، لم يُطلق على نبي، ولا على صحابي أو تابعي ، فالعبرة يا أخي بالأعمال الصالحة، وتصحيح النيَّات .

أيْ أبناء الإسلام :

ذهب الناس للحج ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله ليجتمعوا ، ويأتلفوا ويتحدوا ، ويأتمروا بمعروف عند البيت الحرام، ليرضَى عنا ربُّ المخلوقات وواهبُ الحسنات، لا لإيغار الصدور والخلافات . ولكنَّ الله عليم بذات الصدور .

يقول رسول الهداية ﷺ (إن الله لا ينظر إلى صُورِكم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالِكم)[١] .

فالدنيا يا أخي عملٌ ولا حساب، والآخرة حساب ولا عمل : فاتقوا الله أيها الناس ، وخذوا من دنياكم لأُخراكم، وتزودوا لسفر طويلٍ، أبعدَ وأعمق بكثيرٍ من أرض الحرم، واستعدوا لحسابٍ وهول عظيم ﴿... **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه**﴾[٢] يوم يعضُّ الظالم على يديه، وما جناه ﴿ **ليجزيَ الله كلَّ نفس ما كسبت، إن الله سريع الحساب**﴾[٣].

لقد كنتم بالأمسِ في أول بلد عربي إسلامي، بزغ منه فجر الإسلام ، أولِ من خطَّ صفحة الجهاد، وهريقت فيه الدماء، تبلورت فيه النفوسُ الصُّلبةُ العاتية، ولكن صهرها الإيمانُ الحقيقي عند البيت العتيق، كنتم في بلد تحمَّل فيه رسول الله ﷺ أنواع الأذى ليصلَ إلى غاية قُصوى وذِروة عليا، ألا وهي تحقيق العدالة ونشرُ ألوية الرخاء والسلام، آخى بين

---

١ — رواه مسلم في الأدب، وابن ماجة في الزهد، ولكن بدل أجسامكم أموالكم .
٢ — سورة النبأ (٤٠) .
٣ — سورة ابراهيم (٥١) .

القلوب المتباعدة ، وجمع بين المتشاحنين ، حتى صاروا كأنهم إخوة من لحم ودم ودين . نادى في الناس على رؤوس الأشهاد ، يُسمِعُهم صوتَ الحق ، ويردد قول ربه ﴿ **لا يتخذِ المؤمنون الكافرين أولياءَ من دون المؤمنين ومَن يفعلْ ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تُقاةً ، ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير** ﴾[1] .

أيها المسلمون في كل مكان :

إن أقوى عامل على رفع منار الأمم ، وأفضلَ مُعينٍ على نهوضها ، هو اجتماعُ القلوب واتحادُ الكلمة ، ونسيانُ الماضي المؤلم ، فما تمسكت به أمة إلا ظهر سُلطانها ، وقويت شوكتها ، ودامت دولتها ، وما تفرقت أمةٌ واختلفت أهدافها ، وتباينت آراؤها ، وتنازعت في أمرها ، إلا اضمحلَّ سلطانها ، وتصدَّع كيانها وبنيانها ، دالت دولتها وتبدل عزها ذلا ، وكان من نصيبها الخسرانُ المبين ، لهذا قال جلت قدرته ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ،... ﴾[2] . إذاً فلنعدَّ للعدوِّ عدته كما قال سبحانه ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدوَّ الله وعدوكم** ﴾[3] . ولنكن أمة موحدة الآراء والأهداف ، لا ثغرة فيها للعدو الماكر ، ولا تصريح هنا وهناك بأنصاف الحلول ، لأن قضية فلسطين هي قلب العالم كلِّه ، يا قومنا أجيبوا داعي الله ، كفاكم ما مضى ، فلنجدد عزائمنا ، ولنملأ قلوبنا حُباً وكرامة وإيماناً بالله وثقة بأنفسنا ، ذلك لأن حياة الفرد من حياة الأمة ، وحياةُ الأمة باتحاد افرادها اتحاداً قلبياً صادقاً ، لا يُخرج أحداً من من الصف العربي المكين .

---

١ ـــ سورة آل عمران (٢٨) .

٢ ـــ سورة آل عمران (١٠٣) .

٣ ـــ سورة الانفال (٦٠) .

أيها المسلمون في كل مكان :

انظروا الى الماضي ، كيف كانت الأمة العربية أيام الجاهلية ، على أسوأ حال ، حرب متواصلة ، وتفرق دائم ، وعِداء مستحكم ، وهمجية ممقوتة ، يبطش القوي بالضعيف ، فلا دينَ يمنعه ، ولا قانون يردعه ، ولا مُنصف يقفه عند حده ، حتى سطع نور الإسلام فبدَّد الجهالة كلها ، وارتجت لسهوله أكبر دول العالم آنذاك ، وأبى الله إلا أن يُتمَّ نوره على يد رسول عظيم من العرب القدامى ، فنزل عليه القرآن بلسان عربيٍّ مُبين ،ودعا إلى الإسلام ، فانضم إليه العقلاء ، والتف حوله السعداء ﷺ فكانت له بطانة صالحة تأمر بمعروف وتنهى عن منكر ، وتؤمن بالله ، نزع الله من قلوبهم داء العداوة والبغضاء ، وطهَّرها بدواء المحبة الصادقة ، والإخلاص العميم . ألَّف بينهم ، فصاروا روحاً واحدة في جسد واحد ، ففازوا بربح عظيم ، وظفروا بنصرٍ مؤزَّر جسيم ﴿ **...، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ...** ﴾[1] .

يا حماة الإسلام ، يا ملوك الأرض ورؤساء الأمة وقادتها : كان لدولة الإسلام العزُّ الشامخ ، الذي لا يُجارى ، والسلطانُ الذي لا يبارى ، قهروا الجبابرة ودوّخوا الأكاسرة ، مَلكوا مشارق الأرض ومغاربها يوم كان دستورُهم القرآن ، وهدفُهم السلامَ والأَمانَ ، أدركوا باتحادهم على قلةِ عددهم وعُددهم ، مالم تدركه الجيوش الكبرى والأساطيل العظمى .

ولما بُويع عمر بن الخطاب بالخلافة التف الناس حوله ، واتحدت كلمتُهم ، ففتحوا المدن والأمصار وانتصروا في جميع الميادين ، يوم كانت جامعاتهم الأولى مساجِدَ الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ،

---

١ ــ سورة آل عمران (١٠٣) .

تخرَّج منها أصحاب محمد ﷺ ، وأبطالٌ فاتحون ، لم تُنكسَّ لهم راية ، ولم ينهزم لهم جيش ، كان كل واحد منهم قلعة راسخةً في بناء مجتمعه ، يعمل مخلصاً لإعلاء كلمة الله والحق والدين ، ناسياً حظَّ نفسه ، كان أولُ عمل قام به الخليفة عمر عزْلَ خالد بن الوليد رضي الله عنهما ، وخالدُ بنُ الوليد سيف الله المسلول عن قيادة الجيش ، وما فعل ذلك عمر لمصلحة الأمة فحسب ، بل حرصاً على الوحدة الكاملة الشاملة .

لئن كان سيفُ الله خَلىّ مكانه
لما كان سيفاً في الكريهة نابيا
وإن تكن الأيام أفنين خالدا
فإن له ذكرا سيُفني اللياليا

لما علم خالدٌ بعزله قالها بصراحة (لقد أحسن عمر) رضي الله عنه . وسلم قيادة الجيش إلى أبي عبيده عامرِ بن الجراح عن طيب نفسٍ . لم يجد حَرجًا مما فعله أمير المؤمنين ، وانخرط في صفوف المجاهدين كجندي عادي أمين .

أيها الناس ، نحن بين اليومِ والأمسِ :

كنا بالأمس يعمل الواحد منا منافساً لهوىً في نفسه ، يسعى وراء مصلحته ، ولو كان في ذلك مضرةُ الآخرين ، حتى صار الكلُّ منا ضحية المذلة والهوان . كنا بالأمس على النقيض مما نحن عليه اليوم ، كنا بالأمسِ في خطب ومواعظَ وصيحاتٍ وهُتافاتٍ وتصريحات هنا وهناك ، ولم يكن بيننا مودة في القلوب ، أو رحمة للنفوس ، أو نيةٌ في العمل .

أيها الوافدون ، أيها الإخوة الأشقاء من كلِ مكان . إننا نحن اليوم والحمد لله غيرنا بالأمس ، لقد زرتم الخطوط الأمامية وشاهدتم بأعينكم الخطر الصهيوني المحدِقَ بوطننا (الحبيب فلسطين) ، لقد عانيتم ـــ يا سادة ـــ باطل اليهود وتعديَهم على حقوقنا المشروعة ، بموآزرة صانعي

إسرائيل من دول الاستعمار الكبرى . هذه الخطوط الطويلة العريضة التي يحرسها الحسين ، ويرعاها بروحه وجيشه المظفَّر منذ النكبة .

إن قضيتنا ــ يا سادة ــ تتطلب جمع الأيدي القوية ، العاملة في الداخل والخارج ، تتطلب دعاياتٍ واسعةَ النطاق تطغي على دعايات الصهيونية العالمية الجائرة ، لقد أدركنا أخطاءنا في الماضي ، وتجنبنا أسباب الفشل والخِذلان (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)[١] .

إن قضايانا العامة المشتركة ، أعلى من مستوى المصالح والغايات ، كان عليه الصلاة والسلام إذا دعت الضرورة ، يعقد المؤتمرات في قلب المعركة ، ويؤلف مجالس الشورى فوق قمم الجبال ، ومن هناك كان النصر مواكباً للدعوة الإسلامية . إننا في اشد الحاجة لمعرفة السبيل الوحيد الذي يمكننا من إعادة الحق إلى نصابه ، إنه هدفُ كلِ مسلم وكل عربي من المحيط إلى الخليج ، ذلكم هو الوحدة الكاملة الشاملة .

« **الحديث** »

يقول ﷺ (مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحِمِهم وتعاطُفِهِم مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عُضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[٢] أو كما قال . أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد لله الذي ألف بين قلوب المؤمنين ، وأوجب الاتحاد ، وحرَّم التفرقة في كتابه المبين ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ ، هدى من شاء إلى الصراط المستقيم ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

---

١ ــ متفق عليه .

٢ ــ رواه مسلم واحمد في الادب عن النعمان بن بشير .

عباد الله :

إن الوقت ثمين ، والأمرَ جدٌّ لا هزلَ فيه ، فقولوا بالله عليكم واعملوا ، فقد ندَّد الله بالقوَّالين الذين لا يفعلون ، وقال ﴿**يا أيها الذين أمنوا لم تقولون مالا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون**﴾[1].

أيها الناس :

هذه إسرائيل تأتينا كل يوم بجديد . إنها تتحرش . وهذه اعتداءاتُها تحت السمع والبصر ، وما ذلك إلا لتحذرَوا ، وتستيقظوا وتعملوا .

اتقوا الله وراقبوه ، واعلموا أنكم إليه تحشرون . اتقوا الله وصلوا على نبيه تشريفاً وتكريما ، قال تعالى ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ . اللهم صلِ على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم .

وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين ، والصحابة أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، اللهم كما أَلَّفت بين قلوبهم فألف بين قلوبنا ، واجمع بين كلمتنا ، اللهم كما نصرتهم وكتبت لهم العزة بالإسلام ، فاكتب لنا العزة والنصر والإقدام . اللهم كما جمعت بين قلوب قادة رسولك المصطفى ، فاجمع بين قلوب رؤسائنا وحكامنا وقادتنا يا رب العالمين .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم ، ونسألك اللهم ان تشمل بعنايتك وتوفيقك ، الحسين بن طلال أيده الله . واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا ، سخاءً رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(... **وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

---

١ ـــ سورة الصف (٢ ـــ ٣) .

الخطبة التاسعة والأربعون : الخامسة والعشرون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

١٣ محرم ١٣٨٥هـ

١٩٦٥/٤/١٤

(جرأة العلماء العاملين في الحق ويوم ١٥ أيار)

لا إله إلا أنت بيدك الخير ، وأنت على كل شيء قدير ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم ألهمني رشدي ، وأعذني من شر نفسي ، وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني الى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ولا تجعلني من الغافلين **(رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)** (يا الله) .

الحمد لله أوضح الحق وأبان السبيل ، وجعل في اتباعه السلامة من شرور الدنيا وعذاب الآخرة ، سبحانك ربي ما أسمى حكمتك ، وما أجلَّ قدرتك ، أقمت دنيانا على الحق ، ونسجت لنا من شريعتك السمحة درعاً حصينة تقينا عواديَ الأيام وجور الزمان، وأشهد ألاَّ إله إلا اللهُ أبت حكمته أن يسوِّيَ بين المحقين والمبطلين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خليفته في أرضه لإرشاد خلقه اللهم صلِ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد أيها المسلمون :

فقد قال رسول الله ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً)[1] .

يرشدنا الرسول العظيم إلى التماسك القوي فيما بين الأفراد والجماعات ، والشعوب والحكومات ، وقد ضرب النبي ﷺ للمؤمنين مثلاً عالياً واضحاً ، لأن البنيان إذا كان متراص الأجزاء غير متعتع رسخ في مكانه وصَلُب في بنيانه ، لا تؤثر فيه الأعاصير الشديدة ، ولا توهنه الهزات العنيفة ، ولا تزعجه الأراجيف المخيفة إلا بقدر . ذلكم أيها المسلمون مَثَلُ الأخ لأخيه كَلَبِنَةٍ في مجتمع أمةٍ بأسرها مع أخيه الآخر ، قولٌ واحد ورأى واحد ، وإرادة واحدة ، وعمل واحد ، وهدف واحد .

أما التفرق والتخاذل والتقاطع والتدابر ، فلا يعرفه الإسلام ، ولا الإيمان . فحيثما وجدت وحَدةُ القلوبِ والأهدافِ ، وجدت القوة والشوكة للعاملين ، يستخدمونها في صَدِّ عدوهم ، ويستردون حقوقاً مغتصبة مسلوبة ، وليرهِبوا بها المستعمرين المعتدين في كل مكان .

يا أمة الإسلام والمسلمين :

إن الله جلت عظمته أرسل إلينا رسولاً كريما ليهديَنا سواء السبيل ، وأنزل إلينا دُستوراً خالداً نستنير به في الظلمات الحالكة ، دعانا إلى الإيمان الصادق ، إلى الأعمال ، الى الصدق في الأقوال والأفعال ، بيد أننا ويا للاسف ، تركنا العمل بهذا الدستور ﴿ ...، **وما أنت بمُسمع مَن في القبور** ﴾[2] نبذناه ظِهريا ، ولجأنا إلى قوانين مدنية وصنعية لا تنطبق على حكم الله القائل ﴿ ...، **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم**

---

١ ـــ متفق عليه .

٢ ـــ سورة فاطر (٢٢) .

الكافرون ﴾[1] ومع هذا كلِّه ، فكلنا يدعي الإسلام ، وبعضنا يستقل بمفهومه وحده ، وبعضنا يتخذه وسيلة لأغراض معينة إذا دعت إليه الضرورة ، فالدستور أيها المسلمون المعطَّلة أحكامهُ ، ولا يطبق نظامه ، كأنه لا قرآن ولا دستور ولا نظامَ ، وإن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ، لقد أصبحنا لا ندري أين نتوجه ، فإذا تحدثنا في أمور ديننا وقواعده وأحكامه ونُظُمه ، قيل رجعية لا تساير عجلة الزمن ، من أبناء هذا الزمن ، وإذا تحدثنا في شؤون قضايانا العامة المشتركة ، قيل تدخُّلٌ في السياسة ، وكأن الدين معزول عن السياسة ولا فصل بين الدين والدولة ، مع العلم بأن عباداته ومعاملاته تدور حول مِحور سياسي ، وتهدف إلى نواح سياسية هامة لمصلحة البشر ، تكفل للناس دائماً حياة هادئةً ، وسعادة أبدية لبني الإنسان . وإذا تحدثنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اللذين يَصلُح بهما حال العباد ، ويستتب بهما الأمن والنظام في البلاد ، قالوا تعصب أعمى . إذاً فمن أي طريق نسير ؟؟ **﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾**[2] .

لقد كان للعلماء العاملين صولتُهم وجولتهم ، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كانوا لا يبالون من قولة الحق مهما كلفهم الثمن ، لما يترتب عليها من أجر كبير عند الله تعالى ، ولعلهم بقوله ﷺ لعليٍّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه (يا عليُّ لأن يَهديَ اللهُ بك رجلاً واحدا ، خير لك من حُمْر النَّعمَ[3] (وهي كرائم الإبل النفيسة) . روى تاريخ العلماء العاملين ، أنه لما قامت الحرب بين مصر والحبشة ، وتوالت الشرور على مصر لاختلاف قادتها ، قيل للخديوي إسماعيل ماذا تصنع يا

١ ــ سورة المائدة (٤٤) .

٢ ــ سورة آل عمران (٢٠٠) .

٣ ــ متفق عليه .

باشا إذا ضاق بك الحال ؟ فقال ألجأ إلى الله بالدعاء وبتلاوة صحيح البخاري ، من قبل العلماء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، فيفرج الله عني ، فاتصل الخديوي آنذاك بالشيخ العروسي شيخ الأزهر ، وجمع له أصلح العلماء لتلاوة البخاري في القبلة القديمة ، ولكنَّ المحن اشتدت وزادت ، فذهب الخديوي ومعه شريف باشا إلى الأزهر ، ورفع صوته عليهم ، يا علماء لا تزال الشدائد منصبةً على مصر ، فمن هو البخاري هذا ؟ فسكت العلماء ووقف من بينهم واحد جريء وقال له (يا إسماعيل) ؟ يقول ﷺ (لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ أو تنهُنَّ عن المنكر ، أو ليسلطنَّ الله عليكم شراركم فيدعو خيارُكم فلا يستجاب لهم)[1] فشرح الحديث وخرج الخديوي غاضباً ومعه شريف باشا ، وصار العلماء يلومون ذلك العالم على صراحته ، حتى عاد شريف باشا وأخذه معه إلى قصر الحكم ، فازداد خوف العلماء عليه وعلى أنفسهم ، ولما دخل مجلسَه طلب منه إعادةَ ما تحدث به في الأزهر ،فذكره كلَّه وزاد عليه ، فقال الخديوي ما الذي فعلناه حتى سلط الله علينا الأعداء ؟؟ فقال يا أفندينا أفلم تُبيحوا ما حرم ربكم عليكم ؟ .

أفلم تبيحوا الربا والتعامل به .؟ اليست هناك بيوتٌ للفحش والخنا .؟ أليس تبرج النساء فتنةً وعمى ؟ أليس الخمر مُباحاً هنا وهنا ؟؟ وعدَّد له المنكرات التي تجري بلا إنكار ، ثم قام من مكانه وقال واقفاً ، يا أفندينا كيف تنتظرون النصر من السماء ؟ .

قال الخديوي وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب ، واختلطنا بالمستعمرين.؟ فأجابه العالم العامل بجرأة وإقدام وصلابة : إذاً فما ذنب البخاري ، وما حيلة العلماء ؟؟ اتقوا الله ، اتقوا الله ، ففكر اسماعيل

---

١ ــ رواه الطبراني في الاوسط .

٢ ــ عن أبي هريرة .

الخديوي وقال له صدقت والله فيما قلت ، واعتذر إليه وأعاده إلى منزله معززاً مكرما .

أيها العلماء :

مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، فإنهما لا يقطعان رزقاً ولا يقربان أجلا ، وأن الأمر كلَّه لله وحده ، سيروا رحمْكم الله على نهج رسول الله ، واعتصموا بحبل الله لنكون خيرَ أمة أخرجت للناس .

أيتها الأمة المسلمة ، أيها العرب :

تالله إن ما أصابكم فيما مضى ، لم يكن إلا نتيجةً لازمة لسوء أعمالنا وتفريطنا وتصرفاتنا وسماحنا في أراضينا الغالية وأملاكنا العزيزة لليهود والكافرين . وياليتنا نعي ونفهم ، ونرجع إلى الله ﴿ ... **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ... ﴾[1] وقال سبحانه ﴿ **ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلَّامٍ للعبيد** ﴾[2] .

أيها المسلمون ، أيها الناس :

غداً يصادف الخامس عشر من أيَّار ، يا شهر أيَّار يا شهر العِبَرِ والعَبَرات ، يا شهر الذكريات ، والحوادثِ المفجعات المؤلمات ، لقد كنت يا شهر أيار بدايةَ عهد جديد ، فاصل بين الحق والباطل ، كنت نذير نكبةٍ وويلات ، كنت نذير الفُرقة والخلافات ، لوجود دولة العصابات ، التي هي من مخلفات الاستعمار الزائل البغيض .

سبعة عشر عاماً مضت على احتلال فلسطين ، ليس فيها الا المآسي والاجتماعُ والتفرق ، والحماسُ والتظاهر ، والخطب المدوية والهتافات العالية ، فماذا فعلنا ، وإلى أي نقطة وصلنا ؟ .

---

١ ـــ سورة الرعد (١١) .

٢ ـــ سورة الانفال (٥١) .

منذ عام مضى ، وبعد ستة عشر عاماً ، التأمت صفوف الأمة العربية ، واجتمعت ثلاثَ عشرةَ دولةً تحت سقف الجامعة العربية ، فتلاقى الإخوة الأشقاء على صعيد واحد ، وتوحَّدت كلمتهم ، وتعاهدوا أمام الله والتاريخ ، أن يعملوا فما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا ، وما تخاذلوا ، رغم أن المستعمر الكافر ما يزال ينفث سمومه ، ويكيد هنا وهناك ، في اليمن في شمال العراق في الجنوب العربي في آسيا في إفريقيا بل في الشرق الأوسط كلِّه ، فما زال يَضع الأسافين والعراقيل في طريق وَحدتنا ، لأن وحدة صفوفنا كارثة على رؤوس المستعمرين والطامعين ، فهذا زعيم تونس مثلاً طلع علينا بتصريحات هزّت أركان العالم كلِّه ، مع أنه حضر مؤتمرى القمة وتعاهد مع أشقائه ، فالإسلام يعتبره غادراً شقَّ عصا الطاعة ، وفارق الجامعة والجماعة ، ﴿ **ولا تحسبنَّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخصُ فيه الأبصار** ﴾[1] .

أيها المسلمون : أيها العرب :

متى كانت الهُتافات العالية ، والمظاهرات التي تشق الأجواء ، وسيلة لحل المشاكل والقضايا المستعصية ، تالله إن ذرةً من عمل صامت منظم ، أفضل بكثير من إثارة المشاعر ، وإحداث الفوضى والاضطراب والقلاقل . إننا في حاجة إلى التدريب العسكري والتمريض النسائي ، أجل : إن الأعمال المنظمة هي الأعمال الإيجابيةُ الصادقة ﴿ ... **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾[2] .

فلسطين تستغيث بالحسين المقدام ، وارثِ النهضة العربية ، الذي لا يزال جاهداً مصمماً على الحفاظ والدفاع عن هذا البلد الصابر المرابط ، وهو يقف بجيشه المظفر ، على أطول خط للدفاع .

---

١ ــ سورة ابراهيم (٤٢) .

٢ ــ سورة محمد (٧) .

أيتها الجامعة العربية ، يا أصحاب الضمائر الإنسانية . فلسطين تناديكم وتستغيث بكم وبكل عربي مسلم ، بكل دولة إسلامية عربية تؤمن بحقوقنا وعدالة قضيتنا . بل بِكل دولة إنسانية .

يا إخواننا وأصدقاءنا في كل مكان :

مضى وقت الأنانيات . مضى وقت التنازع والحزبيات . دعونا بالله عليكم نفكر ونعمل . عدوكم ليس بغافل عنكم ، مضى دور التناحر والزعامات ، والعنعنات ، وجاء دور العمل البناء ، دعونا يا ناس لنعمل في صمت وتحضير . دعونا من العواطف الجياشه .

مامضى فات والمؤمل غيب

ولك الساعة التي انت فيها

يا حسينُ العظيم . يا قادة الأمة وساستها :

وطننا يستغيث بكم ، ضارعاً إلى الله قائلاً أَنقذوا مساجد الله من اسرائيل ، التي أصبحت اصطبلاتٍ وحانات خمور ، أنقذوا مراقد الأنبياء والمجاهدين في القدس المحتلة وغيرها ، التي أصبحت أثراً بعد عين ، أنقذوا المعابد ، التي أصبحت أماكن للرقص والدنس ، على أشلاء شهداء فلسطين ، فأيُّ محنة تجتازها البلاد اليوم أقسى من محنة فلسطين .؟ قلب الإسلام قلبِ المقدسات ، قلب العالم كله ، مثوى أبطال صلاح الدين في حطين . اتذكرون قول اليهود من الفرات الى النيل .؟ يا حسيننا ومليكنا يا وارث النهضة العربية الإسلامية .

اسمع بالله عليك ماذا تقول فلسطين : إنها تقول لك يا ابن الأكرمين ، يا ابن رسول رب العالمين ، إني أمانة في عنقك ، إنها تقول لك ولأشقائك أنا فلسطينكم قلب العرب النابض ، أنتظِرُ نَجدتكم ، أنتظر ساعة الخلاص ، أليس لكم فيَّ أبناءٌ وأحفاد .؟ لقد تغيرت معالمي ، وتبدلت العزة ذلاً ، تركتموني لشرذمة ظالمة ، ويهودية غادرة عاتيه ، بين ايدٍ لا ترحم ، وقلوب لا تحنُّ ، ولا تلين .

ففي ذمة الله تلك الدماءُ البريئةُ الغالية ، وفي سبيل الله تلك النفوسُ العالية ، وفي رضوان الله تلك الأرواح الطاهرة ، التي أستُشهدت في سبيل فلسطين ، لتحيا ، وفنيت لتبقى ﴿ **ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يُرزقون** ﴾[1] .

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال (إذا جمع الله الأولين والأخرين يوم القيامة ، يُرجع لكل غادر لواءٌ ، فقيل هذه غدرة فلان بنِ فلان)[2] . أو كما قال أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد لله ذي العزة والعظمة والجلال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد والصحب الأول .

عباد الله :

اتقوا الله ربكم ، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا . ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ،... ﴾[3] وحدوا قلوبكم ، ونظموا صفوفكم ﴿ ... **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ،... ﴾[4] المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يَثْلِمه . كونوا عباد الله إخوانا .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

---

١ ــ سورة آل عمران (١٦٩) .

٢ ــ متفق عليه .

٣ ــ سورة التوبة (١٠٥) .

٤ ــ سورة الانفال (٤٦) .

الخطبة الخمسون: السادسة والعشرون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر.

٣ صفر ١٣٨٥هـ

١٩٦٥/٦/٤

لا تشاؤم من الأعمال والأيام
الجهاد في حياة الأمم وسعادتها

أحمدك يا رب بجميع محامدك ، ما علمت منها ومالم أعلم ، حمداً يوافي نعمك ، ويكافي مزيدك ، وأصلي واسلم على رسول الله ، حبيب الله ، حتى يرضى ، وعلى آله وصحبه العاملين .

اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، ياذا الجلال والإكرام ، اللهم كما كفيت نبيك محمداً ﷺ شر المستهزئين والحاسدين والمنافقين ، اكفنا شر الظالمين والمتنطعين ، اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب ، اهزم الأحزاب وزلزلهم ، إنك على كل شيء قدير ، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، اللهم الهمني رشدي وأعذني من شر نفسي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن (... **رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

الحمد لله ، يحب المتقين والصابرين والمتفائلين ، ويكره المتشائمين ، (الحمد لله) يحب المجاهدين العاملين لإعلاء كلمة الله ليستخلفهم في الأرض ، ويمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وأشهد ألاَّ إله إلا الله جل قدسه وعلت عظمته ، سبحانه جعل العزة والنصر للصادقين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله قائد جيش المرسلين ، والغر المحجلين ، وعلى آله وصحبه المخلصين المتقين .

أما بعد أيها المسلمون : فقد قال ﷺ (لا عدوى ولا هامة ولا نَوْاء ولا صفر)[1] .

أيها المسلمون :

لقد كان العرب في الجاهلية قبل الإسلام لهم أوهام وخُرافات يعتقدونها ، وذلك مثل العدوى ، وهي انتقال المرض من المريض إلى الصحيح . ويتشاءمون من بوم ينزل على سطح دارهم ، أو غراب أسود أو نجم ظهر في أجواء السماء ، فجاء بالمطر أو الريح العاصف ، كما أن الجاهلية كانت تتشاءم من حلول شهر صفر ، فكانوا يحلونه تارة ويحرمون أخرى ، ويتشاءمون من أي عمل فيه كالبيع والشراء والزواج والبناء ، حتى جاء الإسلام يحمل بين أعطافه غرس الفضائل في النفوس البشرية ، ويحررها من الخيالات والأوهام الفاسدة . لقد نفت هذه الشريعة هذه الأوهام ، ونهت عن اعتقاد شيء منها ، ولقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال (يا رسول الله ما بال الإبل تكون كالظباء أي الغزلان ، فيخالطها البعير الأجرب فيجربها كلها ، فرد عليه ﷺ بقوله (فمن أعدى الجمل الأول)[2] ؟ على أن الشريعة الإسلامية قررت أن هناك أمراضاً سارية تنتقل من المريض إلى الصحيح ، ولكن بإرادة الله فمن ذلك قوله ﷺ (فِرَّ من المجذوم فرارك من الاسد)[3] وقال تارة للمجذوم (كل ثقة بالله وتوكلاً عليه) فالعدوى بالنسبة لقوي الإيمان وعظيم الثقة بالله لا تأثير لها ، ولكن الضعيف في إيمانه يخاف ، فلا يستسلم لقضاء الله وقدره ، ولذلك قال ﷺ (فر من المجذوم فرارك من الأسد) أي تباعد عن المريض الذي به مثل ذلك لئلا تصاب بما أصيب به ، كما تفر وتباعد عن الأسد لئلا يفترسك . هذا وقد كشف العلم

---

١ ـ البخاري بدون نوء ، وعند مسلم لا عدوى ولا طيرة ولا نوء ولاصفر .

٢ ـ اخرجه البخاري ، ولكن بدون كلمة الجمل .

٣ ـ أخرجه البخاري .

الحديث اليوم ، سر حديث رسول الله ﷺ وما ينطوي عليه من حكم ، وأبان الناحية الفلسفية والتمثيل الصحيح ، كما قرر الطب الحديث أن هناك أمراضاً معدية سارية ، ينبغي التنبه لها والحذر منها . ومع هذا فإن الأمر كلّه بيد الله فكم من أناس يلتصقون بمثل هؤلاء المرضى ولكنهم لا يتأثرون ، ويسلمون من عواقب ذلك .

وكم من أناس يسكنون في أماكن مستقلة عن الناس ، وكلهم بالأمراض يصابون .

أما تشاؤم الناس من البوم وصوتها ، ومن الغرابُ سواده فكثير من الناس اليوم من يتشاءم ، فإذا كان مسافراً عاد من سفره ، وإذا كان مريضاً خاف على نفسه . وإذا كان سليماً حسب العواقب ، وخاف حدوث النوائب .

وأما تشاؤم الناس من شهر صفر ، فهذا يقع فيه كثير من الناس اليوم حتى عقلاء الناس ، فمنهم من لا يقيم فيه زواجاً ولا بناء ولا عملاً مفيداً ولا سفراً قاصداً أكيدا . ومن الناس من يتشاءم من الأيام والأعوام .

أيها المسلم :

إن رسول الله ﷺ كان يحب الفأل الحسن ، والكلام الطيب الحسن . ما كان رسول الله يتشاءم من شهر صفرولا غيره ، ولم يرد في الشريعة أن شهر صفر فيه تشاؤم ، فكان يقع فيه الزواج والبناء ، وكان يسافر في شهر صفر وفي أي يوم أراد ، ما كان يتشاءم من يوم ولا شهر ولا عام ، فمن أين جاءك لك هذا التشاؤم .؟ طبعاً من الجاهلية ، لقد كان التشاؤم والاعتقادات الفاسدة يوم كانت الإنسانية بدائية والعقل طفلا والعلم وليدا . لا يعرف مصادر الخير ولا منابع الشر ، ولا حقائق الأمور . يوم كانت الأصنام تعبد من دون الله . ولو علم الناس حقيقة

التشاؤوم ، لأدركوا أن سبب ذلك هو ضعف عقلياتهم وقلة تفكيرهم ، ولقد ظلت الإنسانية في غلوائها تتعثر في ظلماتها ، إلى أن اختار الله لها صفوة الرسالات ، وخلاصة الشرائع ، ولباب الأديان ، على لسان أكمل نبي ، وأفضل قائد مجَّرب ، ذلكم هو رسولنا محمد ﷺ فكانت نوراً لامعاً وضياء ساطعاً ودواء ناجعاً ، لما أصاب العقول يوم ذاك من أمراض وأوهام وخيالات وأسقام ، حتى أقام الإسلام العقل على قدميه ، وأطارَ الفكر بجناحه ، وأطلق للعلم عِنان السرعة ، ومهدَّ له طريق السيِر ورفع له سلم النهوض والرقي ، ونادى القرآن في الناس أن العقل زعيم الحق ، وأن المنطق هو رائد البحث ، وأن العلم إمامُ الدين ، فلا كهانة ولا عرافة ولا أصنام ولا أوثان ولا عدوى ولا طيرة ولا سانح ولا بارح ولا صفر ، إنما هنالك القضاء والقدر ، والأسباب والمسببات ، والسنن والقوانين ، وأن ذلك كلَّه بيد الله إن شاء أمسكه ، وإن شاء أطلقه ، وإن شاء قبضه وإن شاء أرسله ، ﴿ **قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾[1] وقد حذر الرسول من العرافين والسحرة والحجبة والتعاويذ اللاشرعية . عن عمران بن معن رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (ليس منا من تطيَّر أو تُطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سَحر أو سُحِر له ، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقوله ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)[2] وقال أيضاً (من أتى كاهناً فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة اربعين ليلة فإن صدقه بما قال كفر)[3] وقال من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه ، لم تقبل له صلاة اربعين يوماً[4] وقال (من اقتبس علماً من النجوم ، اقتبس شعبة من السحر)[5] .

---

١ ــ سورة التوبة (٥١) .

٢ ــ رواه الطبراني بسند حسن عن عمران بن حصين والبزار بسند جيِّد .

٣ ــ رواه الطبراني عن وائلة بن الاسقع بسند ضعيف .

٤ ــ رواه مسلم والامام احمد عن بعض أزواج رسول الله .

٥ ــ رواه أبو داود وأحمد وابن ماجه عن ابن عباس بسند صحيح .

وقال سبحانه على لسان نبيه (**قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون**)[١] وهذا رسول الله ﷺ الذي هو سيد الأولين والآخرين يقول في قرآن ربه (... **لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني مَلَك** ...)[٢] عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ، فمفاتيح الغيب عند الله وحده ، ولا يعلمها أحد سواه .

فالكاهن هو الذي يتعاطى الأخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار ، والعرَّاف هو الذي يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات وأسباب ، كمعرفة الشيء المسروق ، ومكان الشيء المفقود فالكاهن والساحر سيان ، وكل منهما يدعي أنه يعلم الغيب ويصرف الشيء عن وجهه ، وهو يشمل كل أنواع الشعوذة والتضليل ، ومثل هؤلاء من يدعي الولاية والمشيخة ، ويظهر للناس أنه يعلم ما يفعله الآخرون ، ويثبتها لنفسه ككرامة من جملة الكرامات . فلا معجزة إلاّ لنبي أو رسولٍ ، ولا كرامة إلا لولي صالح ، وما اتخذ الله من ولي جاهل ، وقد غُرر الكثير من الناس بمثل هذه الشعوذات ، ومن هؤلاء بعض النسوة اللاتي يدعين علم الغيب بفنجان القهوة ، الذي ليس فيه سوى خطوط سمراء من البن في فنجان لا يسع أكثر من شربة ماء لطفل ، صغير ومع ذلك فترى السيدة تقرأ في هذا الفنجان ما يملأ كثيراً من الصحف والمجلات . وهو كذب باطل وزعم فاضح ، لا يستند على أصل ولا برهان . ومن هؤلاء أشخاص نراهم في الشوارع يضربون بالرمل ، ومعهم حيوانات صغيرة لالتقاط ورقة الحظ والبخت ، وما يدري هؤلاء أنهم كاذبون ومعذبون لأرواح لا ذنب لها ولا جريمة ، فيحبسونها بلا أكل ولا شرب في الحر والقرِّ ليقولوا للناس جرب بختك

١ ــ سورة الأعراف (١٨٨) .
٢ ــ سورة الأنعام (٥٠) .

وحظك ، والرسول ﷺ يقول (دخلت امرأة النار في هرة أي بسبب هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)[٣] أي من بقايا الطعام . يا ويحكم فهل علمتم أن إنساناً من هؤلاء أغنى إنساناً آخر أو أعاد متاعاً مسروقاً وعلم أمراً غيباً .؟! هل علمتم أن أحداً من هؤلاء شفى لك مريضاً أو رد غائباً أو دفع هماً واقعا .؟!

ومن التشاؤم السائد في الناس أنه قد يخطب إنسان لنفسه فتاة ذات شأن ، أو يشتري داراً ذات كيان ، ولكن قد يحدث شيء أثناء خطبته الفتاة أو بناء الدار ، فقد يكسر شيء من الأواني ، أو تشتعل نار ، أو يطفأ مصباح ، فيتشاءم الطرفان ، وربما توقف الزواج والبناء ، وربما أشاعوا عنها ذلك فلا يتقدم لها أحد من الناس .

أهكذا قال ربكم يا قوم ؟ أهكذا أمركم نبيكم.؟ ألهذا دعاكم إسلامكم الذي لا يؤمن الا بالعلم الصحيح والمنطق السليم ، قولوا بالله عليكم من أين سرت إليكم هذه الأوهام والخيالات ؟ ومن أين فشت فيكم هذه الخزعبلات ؟ لا شك أنها جاءتكم بطريق الوراثة من الجاهلية الأولى ، فهل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ .

إن الإسلام يا قوم لا يؤمن إلا بالرجولة الناضجة ، والإنسانية الكاملة ، والعزائم الصادقة ، والهمم الوثابة ، والعقول الزكية ، والبصائر النيِّرة ، والأفكار الواعية ، ينهى عن الذل حتى عند السؤال ، ويحارب الجهل أين وجد ، ويطارد الوهم أنى كان . فالإسلام يريد من المؤمن أن يكون كراراً فراراً وبطلاً مغواراً أو شجاعاً قوياً وألمعياً ذكيا ، لا يقتنع الا بالمنطق ، ولا يصدق إلا بالحجة ، ولا يؤمن إلا بالدليل ، يريد منه أن يجعل عقله فوق كل اعتبار ، فإذا تبين له صواب أمضاه دون أن يصده

---

١ ــ متفق عليه .

عنه رؤية بياض أو سواد . لا تحرم ولا تحلل ولا تضر ولا تنفع ولا تشقى ولا تسعد ، ولكن المحلل والمحرم والضار والنافع ، واهب السعادة والشقاء انما هو العلي القدير ﴿ ...، **إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[1] .

تشاءم يا أخي من أعمالك ، تشاءم من ساعاتك التي تقطعها بالأعمال المشؤومة والفسوق والعصيان ، ليست العبرة من الحياة طولها أو قصرها . إذ لا تقاس الحياة بالأيام والسنين ، وإنما تقاس بالميزات وما قام به الإنسان من أعمال حيوية صالحة نافعة لدينه وأمته وبلاده . فالأيام صحائف الأعمال ، وخلودها بأجمل الذكريات .

أيها المسلمون :

إذا كان الإسلام يكره الشؤم والتشاؤم ، فإنه يحب الفأل والتفاؤل . فسرور الإنسان عند سماع صوت حسن ، أو رؤية شيء حسن طبيعي تشتهيه النفوس والعقول ، وفوق ذلك فالتفاؤل يشجع على العمل والإنتاج والإيمان بالمستقبل الطيب الزاهر ، ويدفع إلى المضي والإقدام . وهذا هو الذي يريده الإسلام من الحياة ، يريدها حركة منتجة وعملاً مثمراً دائبا ، وكذا يريده نافعاً مفيدا ، فهو يكره التشاؤم لأنه معرقل معطل ، ويحب التفاؤل لأنه مساعد معين مؤيد .

قال عليه الصلاة والسلام (ثلاثة لا يخلو منهم أحد الحسد والظن والطيرة . فإذا حسدتم فلا تبغوا وإذا ظننتم فلا تحققوا ، وإذا تطيرتم أي تشاءمتم فلا ترجعوا)[2] إنهم لا يزالون يعملون عمل الجاهلية من الأوهام والخرافات ، فقد كان يعلقون على الأطفال والكبار وأبواب المنازل ودعة أو عظمة أو كعب أرنب أو رأس حمار أو طوقاً يحيط بالعنق .

---

١ ــ سورة يوسف (٤٠) .

٢ ــ ثلاث لازمات لأمتي : سوء الظن والحسد والطيرة ، فإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا حسدت فاستغفر الله ، وإذا تطيرت فامضي ــ رواه ابو الشيخ في التوبيخ والطبراني عن حارثة بن النعمان .

وإن أهل اليوم يكتبون على مقدمة سياراتهم ومُؤخرها (راجعة) وغير ذلك من العبارات التي لا صلة لها بالإسلام ، ولا يعلمها إلا الله .

أيها المسلمون :

في نفس كل امرىء داعيان ؛ داع يذكره بالله ، ويدعوه إلى الخير والهدى ، ذكر الله وعن كل معنى شريف .

إذا انتصرت قوة الخير والحق واجابت النفس داعى الله . كان الإنسان فاضلاً خيراً يحبه الله ويرضى عنه الناس ، ويرضى هو عن نفسه .

أما إذا انتصرت قوة الشر وأجاب الإنسان داعي شهوته .فإنه حينئذ يكون قد هزم في الجهاد هزيمة منكرة ، فيصبح شريراً يرتكب كل شيء ، ولا يتورع عن شيء . هذا هو الجهاد والذي وصفه الرسول ﷺ بأنه الجهاد الأكبر ، وسلاح هذا الجهاد هو خوف الله ومراقبته ، وهو ما يسميه علماء النفس (بالضمير) وإليه يشير قوله تعالى ﴿ ...، **إن الله كان عليكم رقيبا** ﴾[1] .

هذا هو سلاح الدين في جهاد النفس ، وهو سلاح قوي ماضٍ لا تعرف البشرية سلاحاً أقوى منه ، ولا أمضى في محاربة التشاؤم وأسبابه ، ومدافعة عوامل الشر والسوء .

أيها الناس : إغرسوا بذور التربية في النفوس ، تنبت لكم ثماراً دانية القطوف ، وكونوا خلق المراقبة وجهاد النفس .

أيها المسلمون :

إن الله تعالى يقول ﴿ ...، **ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** ،... ﴾[2] .

---

١ ـــ سورة النساء (١) .

٢ ـــ سورة النساء (١٠٢) .

يقول سبحانه ﴿ **يا أيها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ولَيجِدُوا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين . وإذ ما أُنزلت سورةٌ فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيمانا ، فأما الذين امنوا فزادتهم إيمانا وهو يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون** ﴾ من سورة التوبة الآيات (١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥) .

شرع الله الجهاد في الإسلام وجعله فريضة من أقدس فرائضه ، وركناً من أقوم أركانه ، وواجباً من اجل واجباته ، من أنكره فقد كفر ، ومن تخلف عنه بدون عذر فقد نافق ، ومن قصر فيه بدون سبب فقد فسق ومن فرَّ منه فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير . فإذا كان عقاب المقصرين فيه عظيما ، فإن ثواب المضحيِّن فيه كذلك عظيم وعظيم . فدرجة المجاهدين عند الله أعظم درجة ، وثوابهم أجزل ثواب ، وفوزهم ما وراءه فوز . فلهم رحمة من الله ، وعليهم رضوان منه ، ولهم في الجنة خلود أبدي ونعيم مقيم ﴿ **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها ابدا ، إن الله عنده أجر عظيم** ﴾[1] .

قال ﷺ (ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا)[2] .

وقال ﷺ (يوشِك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعىٰ الأكلة الى قصعتها . قالوا أو من قلة نحن يا رسول الله يومئذ ؟ قال : لا أنتم يومئذ

---

١ ـــ سورة التوبة (٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) .
٢ ـــ تقدم تخريجه سابقاً .

كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعنَّ الله من قلوب عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوَهنَ ، قالوا وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت)[1] .

أيها المسلمون :

ليس المجاهد الذي يخوض المعارك بدون معرفة للشؤون الحربية والعسكرية ، إنما المجاهد هو الذي يتعلم الكر والفر ويلوذ بالقوات المسلحة ، فيعرف كيف يصول ويجول . يعرف كيف يضرب الهدف ، وكيف يفك قطع السلاح ويعيدها إلى حالتها الأصلية . يعرف كيف يضرب من مكانه الاستراتيجي . فليس كل مكان يصلح للنضال والقتال . إن الرصاصة الواحدة لها وزنها في حساب الحروب ، فلا يصح أن تطلق رصاصة بلا هدف ، فإن خطرها أعظم خطراً وأوسع فرحة للعدو . كنا نقاتل في الجبهات بلا تدريب ولا نظام ، فخسرنا المعركة .

أيها المسلمون :

الجهاد انواع . فمنا من يجاهد بسلاحه ، ومنا من يجاهد بقلمه ،ومنا من يجاهد بتحريضه على القتال ، بعد أن نكون قادرين على الدفاع .

أما تحريض الناس على الحرب وحثهم على الدفاع وهم عزل من السلاح ولا يعرفون شيئاً من فنون الحرب . فهذا ليس بمنطق معقول ، ولم يقل به نبي ولا رسول .

تهيأ يا أخي لحمل السلاح . تهيأ يا أخي لخوض المعركة ، ولكن بفهم وعلم ومعرفة ومقدرة . تهيأ يا أخي لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا . ليس المجاهد هو الذي يخوض المعركة بنفسه فقط . بل المجاهد أيضاً الذي

---

١ ـــ رواه ابو داود والبيهقي في دلائل النبوة عن ثوبان .

يجهز المجاهدين بماله . فيقدم إليهم السلاح وآلات الحرب حسب مقتضيات المعركة وظروف العصر ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾[1] .

إنه لواجب على كل فرد من أفراد الأمة ، أن يجاهد ويناضل عن عقيدته وشرفه وأمته ووطنه وعزته وكرامته وحريته واستقلاله ، كل حسب طاقته وقدرته ، هذا يجاهد بجسمه وروحه ، وذاك بحاله ورأيه ، والآخر بقلمه ولسانه ومقالاته . وهذا بقلبه وابتهالاته ، والطبيب بطبه ودوائه وصاحب السيارة بسيارته ، وهكذا حتى تشترك الأمة كلها .

ومن الناس من ينال درجة المجاهدين وفضيلة الجهاد وهم الذين يساعدون عائلات المجاهدين ، ويقدمون بما يحتاجون إليه من طعام وشراب ونفع ، كما كان ذلك في عهد رسول الله ﷺ .

ولا ريب أن كل من ساعد أهل المجاهدين وأحسن إليهم فله أجر المجاهدين أنفسهم ، وفضيلتهم وإن لم يخرجوا من وطنهم ، فقد ورد في الحديث المتفق على صحته ، أن رسول الله ﷺ قال (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومَنْ خَلَفَ غازياً في أهله بخير فقد غزا)[2] .

أيها المسلمون :

إن للجهاد في سبيل الله وسبيل الفضائل والمقدسات نتائج كبرى ،فقد ورد أن أبا بكر بن أبي موسى الأشعري قال : سمعت أبي رضي الله عنه وهو بحضرة العدو يقول ، قال النبي ﷺ (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)[3] فقام رجل رثُّ الهيئة فقال : يا أبا موسى أأنت سمعت النبي ﷺ يقول هذا ؟ قال : نعم . فرجع إلى أصحابه فقال أقرأ

---

١ ــ تقدمت في سورة الأنفال .

٢ ــ متفق عليه .

٣ ــ رواه مسلم وأحمد عن أبي موسى .

عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل استل سيفه وكسر غمده لأنه عزم على الجهاد في سبيل الله ، مفضلاً حياة النعيم والخلود على هذه الحياة الفانية المستوية بشتى الألوان ، مصمماً على القتال إلى أن ينال الشهادة . استل هذا البطل سيفه وخاض المعارك بقلب مفعم بالإيمان ، ونفس وثابة راغبة في الموت رغبة الجبان في الحياة ، خاض المعارك وقاتل أعداء الحق والإيمان وكفار الجهل والبهتان ، قاتل هؤلاء الذين يريدون أن يطفؤا نور الله ، ويقفون سداً منيعاً دون تقدم الإنسانية وازدهارها ، قاتل مستبسلاً غير هياب ولا وجل ، لا يبالي أوقع على الموت أو الموت وقع عليه ، فما علينا إلا نقتدي بهم ، ما علينا الا أن نؤمن إيمانهم ، ونقاتل قتالهم ، وبذلك وحده نستطيع أن نبرهن على أننا أبناء أولئك الأبطال المغاوير ، فإلى الجهاد المسلمون وإلى النصر .

قال ﷺ (الجهاد ماضٍ في امتي إلى يوم القيامة) أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

* * *

الحمد لله ، وصلى الله على رسوله وعلى آله وصحبه ، الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، فكانوا هم الغالبين والفائزين وبعد ، فاتقوا الله أيها المسلمون حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، اتقوا الله واعلموا أنه لا عزة لنا ولا نجاح ولا نصر ولا فلاح إلا بالرجوع إلى كتاب الله ، والاهتداء بهدي محمد ابن عبدالله ، والجهادِ في سبيل الله مخلصين لله ولرسوله وللمؤمنين . اتقو الله واعلموا أن الله مع المتقين ، الذين يرغبون في الخير لأنفسهم وأمتهم وبلادهم كما يحبونه لأنفسهم ويكرهون الشر لأنفسهم كما يكرهونه لغيرهم ، ويعملون على إسعاد أمتهم وأوطانهم كما يعملون على إسعاد أمم وأوطان غيرهم ، ويبذلون ما في وسعهم لخدمة الإنسانية وازدهارها والقضاء على

الهمجيَّة ومحوها. قال ﷺ (ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)[1] وبالجهاد حياة الأمم .

هنالك يرتجف الظالمون ، ويرتعد الجبارون ، فتخور منهم القوى ، وتتحلل العزائم ، ويستولى على نفوسهم الضعف والوهن . إذ ذاك يعلمون أن قوة الحق من قوة الله . وأن الباطل مهما علا فهو ضعيف مخذول . هنالك يفرح أهل الحق بالنصر والظفر ، ويقولون (**هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليما**)[2] . هنالك يحمدون الله ويشكرون ويهللون ويكبرون ، ويقولون لا إله إلا الله . والله إذا امتلأت القلوب فرحاً وسروراً ، وصفقت الأيدي جَذَلاً وحبوراً ، وتلألأت الوجوه بالبشر . الله أكبر إذا وقف الخطباء يهنؤون ويذكِّرون الناس بفضل الله عليهم ، ويمنُّون ويذكْرون المجاهدين في سبيل الله ، والمنفقين ،وينادون لهم بالحياة أمنين مطمئنين ، الله أكبر إذا غُصت المساجد بالناس ،وماجت والتجأت النفوس إلى الله ، ونادت اللهم إنا نستنزلُ نقمتك وعذابك للظالمين ، ونسألك المعونة للقوم المستضعفين . اللهم إن القوم قد بَغْوا علينا وسلبونا أموالنا وحرياتنا . اللهم أنت العليم بما في نفوسهم ، الخبير بما تكن صدورهم . فجزاؤك الحقُّ لمن بغى ونافق وداهن ومالق ، فإنك قلت في كتابك ﴿ **فأما من طغى . وأثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هي المأوى** ﴾[3] الله أكبر إذا سمع الدعاء وأجيب ، وخاب كل جبار عنيد ، الله أكبر إذا طُهِّرت الأرض من الكفرة الفجرة .

---

١ ــ أخرجه الحاكم .

٢ ــ سورة الأحزاب (٢٣) .

٣ ــ سورة النازعات (٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩) .

الخطبة الحادية والخمسون : السابعة والعشرون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

٢٦ صفر ١٣٨٥هـ

١٩٦٥/٦/٢٥

معرفة الله سبب في السعادتين ما يقع في الناس إنما هو من سوء أعمالهم

اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت (**رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون**)، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون ، اللهم أني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وسيئات أعمالي . اللهم ألهمني رشدي ، واغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن (... **رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**).

الحمد لله علام الغيوب ، مقلب القلوب ، مالكِ الملك ، ذي الجلال والإكرام ، أشهد أن لا إله إلا الله ، حذرنا من الفساد ، ونهانا عن التجبر والتبجح بالأعمال لدى العباد . فأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله قام بأمر ربه بعزم وحزم وصبر وإقدام ، وعلى آله وصحبه الذين هم بلقاء ربهم يوقنون ، فكانت لهم العزة والدولة والسيادة والإكرام ، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ، ومن تمسك بحبل الله المتين .

أما بعد ، أيها المسلمون :

فقد قال الله العليم الحكيم ﴿ **الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم ، هل من شركائكم من يفعلُ من ذلكم من شيء ، سبحانه وتعالى عما يشركون . ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون . قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلُ ، كان أكثرهم مشركين . فأقم وجهك للدين القيِّم من قبل أن يأتي يوم لا مردَّ له من الله ،يومئذ يصدَّعون** ﴾[1] .

أيها المسلمون :

إذا كنتم تحبون أحداً من الناس لأعماله وحميدِ خصاله وأفعاله ، فأحبوا أحكم الحاكمين ، الذي أتقن كل شيء خَلَقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، هو الذي رزقكم من الطيبات ، وهو الذي يميتكم ثم يحيكم ويبعثكم ،وبعده يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير .

يا شباب محمد عليه الصلاة والسلام :

إن من بيننا اليوم جماعةً من الشباب المسلم ، شبابِ المستقبل القريب ، شبابِ الدفاع عن الوطن السليب ، ينكرون وجود الله والبعثَ والحسابَ . وطبيعيٌّ أن الإنسان متى أوغل في شهواته وملذاته ، وأغرق في معاصيه وموبقاتهِ ، أنكر المنعم الأول عليه ، وخالقَه ورازقه ، أنكر بعثه وعودَه بعد موته ووقوفه بين يديه ، كما كان الحال في الجاهلية الأولى ، ولما جاء الإسلام دعاهم رسول الإنسانية والهداية محمدٌ ﷺ إلى معرفةِ معبود واحد وقبلة واحدة ، لكنهم سفَّهوا أقواله وردوا عليه

---

١ ــ سورة الروم (٤٠ ــ ٤٣) .

دعوته ، وقالوا بلا حياء أو خجل ﴿ **أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيءٌ عُجاب** ﴾[1] وردُّوا عليه نبوته ورسالته ، فقالوا ﴿ **أبشر منا واحداً نتبعُه إنَّا إذاً لفي ضلال وسُعُر . أؤلقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشِر** ﴾[2] ولقد سفَّهوا آراءه ، واستغربوا رسالته ودعوته وهو منهم ، وبُعث فيهم مع أنها دعوة خير وإصلاح ، فما كانت دعوته ﷺ لقومه إلا لينقذهم من الظلمات إلى النور ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين** ﴾[3] .

أجل أيها المسلمون :

إن النفس الإنسانية مستعدة لقبول الخير ، كما أنها مستعدة لقبول الشر ، ان كثيراً من الناس لا يعرفون الإسلام على حقيقته إلا عن طريق التقليد الأعمى ، لذلك قال الله في حقهم ﴿ **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قريةٍ من نذيرٍ إلا قال مُترفوها إنَّا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾[4] .

وهذا دليل واضح على أن التقليد في مثل ذلك ضلال قديم . وتخصيصُ المترفين المنعمين بالذكر ، لانصرافهم عن طلب الاستدلال على صحة هذا الدين القويم ، وعزيزٌ عليَّ أن أقول إن أكثر الناس اليوم هم من الماديين والملحدين ، لاقتصارهم على التعليم المدني الحديث ، وجهلهم بكل شيء من تعاليم الإسلام ، فأين هو الفقه في الدين يا مؤمنون .؟

معشر المسلمين :

إنكم تؤمنون معي بهذا كلِّه ، عندما ترون أن كل ضال ومبطل وجاهل يجد له من هذا النوع أتباعاً يقولون بأباطيله وخُرافاته ، ويتدينون بانحرافاته وميُوله ، فما أسهلَ الهدمَ والتخريبَ على نفوس الهدامين .!!

---

١ ــ سورة ص (٥) .

٢ ــ سورة القمر (٢٤ ــ ٢٥) .

٣ ــ سورة الأنبياء (١٠٧) .

٤ ــ سورة الزخرف (٢٣) .

وما أكثر القوَّالين ، وما أقل العاملين ومن يدعو إلى السبيل المستقيم . آه وألِف آهٍ[1] من هذا الإنسان المسلم ، إنه مستعد اليوم للتلون والتكيّف بجميع الألوان مع هذا الزمان ، قابلٌ لضروب الحق والبهتان ، إن إنسان اليوم يا سادة مستعد أن يكون لك ومعك وعليك ، كما أنه مستعد أن يكون ضدك وعليك أخر النهار ، في آنٍ واحد :

ولا خير في وُدِّ امرىءٍ متلونٍ

إذا الريح مالت مال حيث تميل

إنه مستعد أن يُحييك اليوم ويرفعَ الراية الكبرى لك ، ولأتفهِ الأسباب تنقلب القيم والأخلاق ، مستعد أن يخذلك اليوم وينصركَ غدا . مستعد أن يبارك جهادك ويُشيدَ بوطنكَ ويقولَ لك (مرحى مرحى) ، لكنه بعد ساعة مستعد أن يقول لك (برحى برحى) سخطاً سخطا ، فإذا كان الإنسان في عهد محمد ﷺ وفي أرض الحرم وفي بلد محمد وكنفه ورعايته ، كان ينكر ربه ويجحدُه ، وينكر البعث ويومَ الحساب . وقال الله له ﴿ **ولقد كذِّبت رسلٌ من قبلك** ﴾[2] .

فما بالك يا أخي بإنسان اليوم ،ومسلم اليوم ، ونحن في القرن الرابع عشر بعد محمد ، وهذا هو النداء الإلهي يقرع القلوب والأسماع .!!

﴿ **أيحب إنسان أن يُترك سُدىَ . ألم يكُ نطفة من منيٍّ يُمنى . ثم كان علقةً فخلق فسوَّى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يُحيي الموتى** ﴾[3] .

---

١ ـــ آهٍ بكسر الهاء منونة (القاموس المحيط) (٤/٢٨٢) .
٢ ـــ سورة الانعام (٣٤) .
٣ ـــ سورة القيامة (٣٦ الى ٤٠) .

أيها المسلمون :

إن الدول الكبرى تتبارى اليوم في ميدان التسلح ، وتتسابقُ في قوى الذرة والصواريخ والسفن الفضائية . وعندهم من العلماء الفنيين والحكماء الحاذقين من حَلَّق في السماء وغاص في جوف الماء ، وقد آمن إنسان اليوم ومسلم اليوم بهذه المخترعات الحديثة ، التي صنعتها عقول حكيمة جبارة ، وهي ولا ريبَ من صُنع الله ، أحكم الحاكمين ، وهذا القرآن الكريم والدستور الإسلامي الحكيم ينادي على رؤوس الأشهاد منذ أربعة عشر قرناً ويقول ﴿ **يا أيها الناسُ ضُرب مَثَلٌ فاستمعوا له ، إنَّ الذين تدعون من دون الله لن يخلُقوا ذُباباً ولو اجتمعوا له ، وإنْ يَسلبْهُمُ الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . ما قَدَرُوا الله حق قدره ، إن الله لقويٌ عزيز** ﴾[1] فلو أنهم عرفوا الله حقَّ معرفته ما أشركوا به شيئاً ، ولكانوا بعظمة الله وقدرته من الموقنين .

يقولون أيْهد اللهُ أين عجائبُه

وذا الكونُ سِفر واضح وهو كاتبه

يشِكُّون والإيمانُ ملْءُ قلوبِهم

ويُبدون ما تلك القلوب تكذبه

عجائبُ ربي في الأنام كثيـــرة

ولكنَّ جهل المرء لا شك غالبه

لقد جعل الله المسلم عزيزاً لا يهون ، قوياً لا يُستضعف ، حُراً لا يُستذل ولا يستعبد ، ولكن :

من يَهُن يسهلُ الهوان عليـــه

مـــا لجُـــرح بميــت إيلام

---

١ ـــ سورة الحج (٧٣ ـــ ٧٤) .

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها :

إن عهدنا في الجزائر هو عهدُ البلد العربي الأبي الصابر . كما نادينا من فوق هذا المنبر مرات ومرات بحريته واستقلاله . وقد تم له ما أراد ، ولقد أكبرنا في الجزائريين صمودهم أمام عدوهم في السنوات الخاليات ،وإننا من على هذا المنبر منبر صلاح الدين ، وباسم المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ، نناشد مجلس الجزائر الثائر ، وأبناء الجزائر ألا يُشمتوا بنا عدواً متربصاً ولا حاقداً متقمصاً ، نناشدُكم بالله خالق الخلق أجمعين ، نناشدكم بالإنسانية كلِّها بالحفاظ على حياة بن بلَّله الذي كان مثلاً في المجاهدين والعاملين ، كان صفحة مجد تُقرأ دواماً ، وسورة حمد تتلى إجلالاً وإعظاما ، عاشت في أذهاننا ، و لا تزال الجزائر بلداً عربياً إسلامياً . وهذه أنشودتك :

أنت جندي بساحات الفدا

وأنا في ثورة التحرير شاعر

أيها المسلمون :

إن الكفاح في المسلمين السابقين لم يقم إلا على أساس العقيدة . وهذه العقيدة هي التي اكسبت المسلمين في العصور الأولى الرفعة والعزة والمجد والفخار . ومكنتْ لهم في الأرض حتى صاروا بسببها قابضين على ناصية الأمور ، باسطين نفوذهم على كثير من معمور الأرض ، وهم لا يزيدون آنذاك على مائة وخمسة وسبعين ألفاً من الصحابة الأمجاد .

يا مسلمون :

لقد أصبحنا اليوم وربِّ الكعبة في حَيْرةٍ من أمرنا ، أنداوي جراحاً تنزو وتنزف من كل جانب .

وكلما ضَّمدت جُرحا سال جُرح . أم نداوي نفوساً مريضة في صفوفنا تُنكر وجود الخالق الأكبر .؟ أم نعالج المتبرجات المائلات المميلات الذاهبات بالعقول والألباب .؟ المطالبات بأن يكنَّ قواماتٍ على الرجال . فينا اليوم جماعة تعمل لحساب العدو المشترك ، فينا اليوم فئةٌ من الناس تسيطر على عقول بعض المسلمين تُغريهم بالأصفر الرنان ، لتستولي على ما بقي من أراضينا ، حتى لا يبقى لمسلم رُقعة في وطنه يعيش عليها بعد النكبة الأولى التي لا تزال ماثلة في الأذهان . إي وربي إن هذا الزمان زمان الزعبرة والتهريج ، وليس لعاقل فاهم مكان بين أهله وذويه ، إنا لله وإنا إليه راجعون ﴿ ... **ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله** ... ﴾[1] .

يا أمة الإسلام :

حذارِ حذارِ ، دراكِ دراكِ ، دينُنا يحاربَ من كل جانب ، كما قال العالم المقدام الشيخ محمد عبده (ما أخاف على الإسلام إلا من أهله) . لقد أصبحت عقائد أبناء هذا البلد في خطر داهم ، قامت حفنة من أعداء ديننا ، تطالب بالقضاء على تدريس الدين في المدارس الخصوصية . لكنَّ وزارة التربية حَرَصت على هذه النواحي الهامة ، ووقفت بالمرصاد لمدبري هذا الرأي ، وقررت تدريس الدين في كل مدرسة خصوصية أهلية بلا استثناء ، فهنيئاً للعاملين على رفع شأن هذا الدين . ولذلك قال سبحانه وتعالى تكميلاً للآيات السابقة ﴿ **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون** ﴾[2] .

قل لي بربك أيها المسلم ، أي فساد أعظم من تفشيِّ الموبقات المهلكات والمنكرات الواضحات .؟ وأي فساد أعظم من ارتياد الملاهي والحانات .؟

---

١ ــ سورة الانعام (١٥٣) .
٢ ــ تقدمت قريباً

وما ذلك إلا ليذيقهم الله عقاب بعض الذي عملوه ، لعلهم بهذه النذر إلى ربهم يرجعون ، لعلهم يتوبون ، وأما العقاب الأخروي فهو أدهى وأمر .

قال ﷺ (بادروا بالأعمال الصالحة فتناً كقطع الليل المظلم ، يُصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينَهُ بعَرَض من الدنيا)[1] أو كما قال ، ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد لله العزيز الذي لا يغلَب ، الجبار الذي لا يُقهر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، حذرنا من الذنوب والمعاصي ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

اما بعد : فإن الله تعالى يدعونا إلى التوبة من الذنوب والمعاصي . قال تعالى ﴿ ...، **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾[٣] فالتوبة النصوح هي المكفرة للسيئات وهو يقول ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾[٣] ويقول ﷺ (خمس تعاجل لصاحبها العقوبة : البغي يعني (الظلم) والجور ، والغدر ، وعقوق الوالدين . وقطيعة الرحم ، ومعروف لا يُشكر)[٤] .

---

١ ـــ رواه مسلم واحمد والترمذي عن أبي هريرة .

٢ ـــ سورة النور (٣١) .

٣ ـــ سورة هود (١١٤) .

٤ ـــ رواه ابن لال في المكارم والديلمي عن زيد بن ثابت .

اتقوا الله وصلوا على رسوله ومصطفاه ، قال تعالى ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، والعلماء العاملين رب العالمين ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، ونسألك اللهم أن تشمل بتوفيقك ورعايتك وعافيتك وعنايتك الحسين بن طلال أيده الله ، اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ولا تسلط علينا بذنوبنا مَن لا يخافك ولا يرحمنا ، يا رب العالمين .

* * * * *

* * *

*

الخطبة الثانية والخمسون : الثامنة والعشرون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

١٨ ربيع الأول ١٣٨٥هـ
١٩٦٥/٧/١٦

(من هو الله ؟ القرآن فيه سياسة الدنيا والدين)

يا أمة الاسلام والمسلمين وشباب الاسلام
ويا رجال محمد وانصاره

اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه، لا إله إلا أنت ، (**رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون**) ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وسيئات أعمالي ومن شر غيري، (أحمدك) اللهم بجميع محامدك كلها ما علمت منها وما لم أعلم، حمدا يوافي نعمك ويكافىء مزيدك ، اللهم ألهمني رشدي، واغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ، لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم يا أرحم الراحمين، يا غياث المستغيثين أغثني، يا ذا الجلال والاكرام ، (**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**) .

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدّر فهدى ، الحمد لله مبدع السموات والأرض، موجد الكائنات ، أشهد أن لا إله إلا الله خالق كل شيء ومقدره، وهو العليم بكل شيء، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الذي أحاطه مولاه بعنايته ورعايته حتى قام لعبادته وتبليغ دعوته، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين

الطاهرين، العاملين الذين قالوا كلمة الحق، لاعتقادهم بأنها أفضل الجهاد، وسبيل إلى العزة والاسعاد .

(أما بعد) أيها المسلمون : فقد قال الحكيم العليم، سبحانه وتعالى ﴿ **قل مَنْ يَرزقكم من السماء والأرض ، أَمَّنْ يملك السمع والأبصار، ومَن يُخرجُ الحيَّ من الميت ، ويخرج المِّيتَ من الحي ، ومَن يدبرُ الأمر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون (٣١) . فذلكم الله ربّكم الحقُّ، فماذا بعد الحق إلا الضلال، فأنىَّ تُصرفون ؟؟(٣٢) كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون (٣٣) قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يُعيده ؟ قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنَّى تؤفكون ؟ (٣٤) قل هل من شركائكم من يهدي للحقّ ؟ قل الله يَهدي للحق، أفمَنْ يهدي إلى الحق أحَقُّ أن يُتبَّع أمَّن لا يَهدِّي إلاَّ أنْ يُهْدى، فما لكم كيف تحكمون (٣٥) وما يتبعُ أكثرهم إلا ظناً، إن الظنَّ لا يُغني من الحق شيئا، إن الله عليم بما يفعلون** ﴾ (٣٦) من سورة يونس .

أيها المسلم :

سأذكر لك اليوم عَرْضا شاملاً لأهم الأدلة والبراهين الدامغة للمنكرين وجود الخالق الأكبر، وأنه هو وحده المتصرف في ملكوت السموات والأرض، لا رب غيره، ولا معبود سواه .

أنه وحده رازق المخلوقات ، يُحييهم ويُميتهم وهو الذي يدبر الأمور على وجهها الأكمل، كما قال سبحانه ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يَعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنةٍ مما تعدون** ﴾[1] .

أي أخي المسلم :

ماذا بعد ظهور الحق وعدم التصديق به إلا الوقوع في التهلكة والضلال .؟ كيف تُصرفون عن الايمان بالحق إلى الكفر والالحاد .؟ من أجل ذلك (حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون)

---

١ ـــ سورة السجدة آية (٥) .

ولتوغلهم في الإنكار، قال سبحانه لرسوله العظيم، قل لهؤلاء يا محمد ﴿ **هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده** ﴾ فأجاب الرسول عنهم بما علمه ربه ، وقال (الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) قل لهم (**هل من شركائكم من يهدي إلى الحق .؟** فأجاب (**الله يهدي للحق**) قل لهم ﴿ **أفمن يَهدي إلى الحق أحقُّ أن يُتبع أمَّن لا يَهدّي** ﴾ حتى قال لهم ﴿ **فما لكم كيف تحكمون** ﴾ ما الذي دهاكم ما الذي اصابكم كيف تحكمون على ما سبق ؟ فلم يأبهوا بقوله حتى أخبر الله عنهم في كتابه ﴿ **وما يتبع أكثرهم إلا ظنا** ﴾ مستنداً الى خيالات فاسدة وأقيسة موهومة واهية، لا تنهض حجة ولا برهانا. لهذا كان تذييل الآية بقوله تعالى ﴿ **إن الظن لا يُغني من الحق شيئا** ﴾ فلا ينفعكم الظن للدفاع عن سيئاتكم وأعمالكم. وقد توعدهم بقوله ﴿ **إن الله عليم بما يفعلون** ﴾ إشارة إلى أنه سبحانه يُمهل ولا يهمل، وإنه لبالمرصاد لمن أعرض عن دينه وذكرِه ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** ﴾[1] ؟

أيها الناس : أيها المسلمون معشر الشباب الواعي : إن من يمعن نظره في هذا الكون المترامي الأطراف، ويتأمل في مبدئه ومعاده، يرجع إلى إلهٍ مبدع واحد قدير (... ، **ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير**)[2] . قال عليٌّ بن أبي طالب كرم الله وجهه (لو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة، لرجعوا الى الطريق وخافوا عذاب الحريق ، ولكنَّ القلوب عَليلة، والبصائر مدخولة، فيها حقد وفساد، وليست ليوم النشور على استعداد ، فالنجاءَ النجاءَ والصبرَ الصبر على ما تلاقون (**ولتعلمُنَّ نبأه بعد حين**)[3] .

---

١ ــ سورة فصلت (٥٣) .
٢ ــ سورة الشورى (١١) .
٣ ــ سورة ص (٨٨) .

يا مسلمون :

إن الاسلام نشأ عزيزاً كريماً، برسوله ورسالته، بدعوته ودعاته، لقد قامت دعوة الاسلام الصحيحة على كواهل سيدنا محمد ﷺ وأصحابه، وحملوا علم الدعوة، فانتشر الاسلام هذا الانتشار السريع، في جميع أنحاء المسكونة، حملوا تلكم الدعوة بصبر وحزم وثبات، وتلقاها العلماء العاملون من بعدهم، أمروا بالمعروف، ونَهوْا عن المنكر، عِلماً منهم بأن الدين الحقَّ لا يقوم على الدعاية والكلام، وإنما يقوم بالدعاة والموجهين الناصحين المخلصين.

إذاً فما بالك يا أخي في زماننا هذا، الذي كثُر فيه خصوم الإسلام وأعداؤه وأدعياؤه، تنكر وجود الخالِق الأعظم .؟!!

أيها الناس :

قد استفحل واللهِ خطر الجهل والجاهلين بالدين، وكثر الملحدون والهدامون . إن الناس اليوم لا يمكنهم أن يعودوا إلى سيرتهم الأولى إلا بما صَلَح به الأولون، بالدعوة إلى الخير والنُصح القويم، إي وربي زمان تشعّبت فيه الأهواء، وعَزَّت فيه الأدواء، وتعاظم فيه البلاء ، وتلاطمت فيه أمواج الفساد، زمان أصبح فيه الباطل حقاً والحقُّ باطلاً ، وأصبح فيه العالم جاهلاً مردوداً عليه قوله، والجاهل عالماً مقبولاً قوله وفعله.، زمان أصبح فيه الخيرُ شراً والشر خيراً ، أصبح فيه الصدق كذباً والكذب صدقاً ، أصبح فيه النفاق رائجاً وعاملاً فعَّالاً ، والإخلاص شبَحاً مخيفاً دجَّالا ، زمان أصبحت فيه العواطف الجنسية مسيطرةً على العقول والأفكار ، زمان واللهِ ذابت فيه قيم الصادقين العاملين، ونجحت فيه أبواق الملحدين والهدامين ، زمان إذا أمر فيه العالم بمعروف ونهى عن منكر، رُمي بالسياسة. مع أن الدين فيه سياسة الدنيا والدين، وعبادات ومعاملات، إذ نبَّه الناس إلى أمور واقعية، قيل أنها

غير مرضية، إذا تأملنا على مؤمن مخلص عامل غابت شمسُه وأفل نجمه، قيل إنه بكى وتباكى، والرسول ﷺ يقول: (ثلاث أعين لا تمسُّها النار: عينٌ بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)[1] وإن من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظِلُّه (رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)[2] دلَّني بالله عليك أيها المسلم على الطريق الصحيح حتى نسير فيه جميعاً. فما أجمل النقد البناءَ وما أحسنه.

متى يبلغ البنيانُ يوما تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

أيها المسلم :

إذا كنت يا أخي تسأم من دينك، وتَسرَّبَ اليك الملل من قرآنك وقولِ ربك وهَديِ رسولك، فذلك دليل على رقة دينك وتدهور عقيدتك، لما ورد أن المسجد جَنَّة المؤمن وسجنُ الكافر .

لماذا يا أخي تصبر على روايات التمثيل وحفلاتَ الرقص، في دور السينما والتلفزيون والملاهي ساعاتٍ طويلة بلا ملل ولا سآمة ، ولا تصبر على دقائق بين يدي ربك، والجمعة لا تجب على المرضى والمعذورين والعجزة المُرهَقين .

أيها المسلمون :

لا تظنوا أنه سينالنا نصرٌ من عند الله ما دمنا مختلفين حاقدين متباعدين عن النهج القويم، يقول ﷺ (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا)[3] فأين هو الحب في الله بينكم .؟ وأين هو قول نبيكم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[4] .

---

١ ــ رواه الطبراني ، ورواته ثقات .
إلا أنه على الترتيب الآتي : « ثلاثة لا ترى أعينهم النار : عين حرست في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، وعين كفت عن محارم الله » .

٢ ــ متفق عليه .

٣ ــ رواه مسلم عن أبي هريرة .

٤ ــ رواه مسلم في باب الإيمان عن أنس وفي رواية : عن خالد القشيري عن ابيه عن جده قال لي رسول الله اتحب الجنة قال قلت نعم، قال أحب لأخيك ما تحب لنفسك رواه عبدالله والطبراني ورجاله ثقات.

يا قومنا أجيبوا داعي الله :

قلوب متنافرةٌ متباغضة متحاقدةٌ متحاسدة، فهل هذا يدل على شيء من الإيمان يا رباه ؟! ويا سيداه يا غاية مبتغاي . كيف الخلاص أم كيف الوصول إلى نصر مؤزر .؟ فأين السبيل إلى ذلك يا مسلمون .؟

وصدق الله العظيم ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع مِلَتهم، قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعتَ أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من وليٍّ ولا نصير** ﴾[1] .

وعن عبادةَ بن الصامتِ، رضي الله عنهما، أنه قال (بايعنا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة في العُسر واليُسر، والمنشَطِ والمكرَه، وعلى أثَرة علينا، وعلى ألاَّ ننازع الأمرَ أهله، إلا أن تروْا كفرا بَواحا (أي جهاراً وحمى مستباحاً) عندكم من الله فيه برهان، بايعنا رسول الله أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)[2] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

* * * *

الحمد لله ذي الفضل والكرم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ذوي المكارم والشيم، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته والتابعين .

عباد الله : هذه هي الحياة الدنيا ، هذه هي نتائج غفلتكم عن الحق ، اتقوا ربكم، خالفوا أنفسكم، راقبوا مولاكم، ولا تتبعوا الهوى فيضلكم عن سبيله، استمسكوا بدينكم، واعتصموا بربكم تفوزوا بالسعادة والسيادة في الدنيا والآخرة، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه تشريفاً وتكريما، قال تعالى

---

١ ــ سورة البقرة (١٢٠) .

٢ ــ متفق عليه .

ولم يزل قائلاً عليما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين امنوا صلّوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه عدد كل معلوم لك .

اللهم أعزنا برسول الهداية والإنسانية، سيدنا محمد النبي العربي الهاشمي ، اللهم أعزنا بالإسلام، الذي ارتضيته لنا دينا، اللهم الف بين قلوبنا أجمعين، واجمع بين كلمتنا على الحق المبين، وجنبنا مزالق الفتن والهوى ربَّ العالمين ، اللهم كما صُنت وحفظت وجهنا عن التذلل والسجود لغيرك، فصُنه عن ذل السؤال، والعبودية لغيرك، برحمتك يا أرحم الراحمين .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسينَ بن طلال ، اللهم باعد بينه وبين الحاقدين على دينك وشرعك رب العالمين . واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء ، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

أَلخطبة الثالثة والخمسون :التاسعة والعشرون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

٨جمادى الأولى ١٣٨٥هـ

١٩٦٥/٩/٣

« الحث على طلب العلم بمناسبة العام الدراسي الجديد »

أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، أعوذ بالله من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت (اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير . اللهم إني اتوسل إليك بجاه رسولك المصطفى ﷺ أن تكف عني شر شياطين الإنس والجن ، وأن تحفظني من مكرهم وخداعهم ، يا رب العالمين ، (... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**) .

الحمد لله الذي أحيا قلوب عباده المؤمنين بنور العلم والعرفان ، وأنقذهم من الجهالة وسوء الأفهام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أعد لأولي العلم أعلى المراتب ما داموا عاملين ، ومنح المخلصين منهم أقصى الغايات والمآرب ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إمامُ المهتدين ، وقدوة السالكين ، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ المبعوثِ رحمةً للعالمين ، وعلى آله وصحبه أولي العلم والحلم واليقين .

أما بعد . فقد قال عزَّ من قائل ﴿ **يا أيها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بَلَّغتَ رسالته ، والله يعصِمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾[1] .

---

١ ــ سورة المائدة (٦٧) .

أيها المسلمون :

إن الله تعالى بصريح قرآنه يقول لعبده محمدٍ ﷺ بلِّغ الناس ما أوحيناه إليك من القرآن وتعاليم الإسلام ، وإن ضعُفتَ أو توانيْتَ ، أو كتمت شيئاً منه كنت كأنك لم تبلغه ، يا محمد إنك بأعيننا لا تخشَ في الحق لومة لائم ، فإن الله حافظُك ، وهو الواحد الذي لا يَهدي الكافرين إلى طريق مستقيم ، إن الله سبحانه أمر نبيه الكريم تبليغ ما أنزله عليه ، وحذره من كتمان شيء منه ، أخذ على رسوله عهداً أن يقول الحق أينما كان ، كما أخذ على العلماء عهداً أن يقولوا الحق ويجهروا به ، ولو كان مرَّ المذاق صعبَ القبول والتلاق ، فإن لم يفعل بما أمره به ربه كان كاتما ، والرسل عليهم الصلاة والسلام يستحيل عليهم كتمان ما أمروا بتبليغه ، إذ الواجب في حق الرسل الصدقُ والأمانة ، والتبليغ والفطانه . ولا ريب أن للحق عقباتٍ يصطدم بها ، وعثراتٍ يتعثر بها ، ولكن الله العليَّ القدير تكفل بالداعين إلى الحق حفظاً ورعايةً وحمايةً ، من أجل هذا قال لرسوله ﷺ (**والله يعصمك من الناس**) .

لقد كان ﷺ يقول كلمة الحق ، وهي أفضل الجهاد ، لا يبالي بما يصيبه ، ولذا كان دائماً محفوفاً بعناية ربه ، ينصره ويرعاه ، وفي الحكم والآثار (أَن رتبته العلم أعلى الرتب ، ولماذا يا ترى ؟ أجل لما يتمتع به العلماء من الصراحة في الحق ، دون محاباة أو مواربة أو مداجاه) .

لعمرك أيها المسلم : أن الصراحة في الحقُ سبيل إلى نجاح الأمم وسيادتِها ، سبيل إلى نجاح الأفراد والجماعات ، لأن فيها بيانَ الحقائق والوقائع الجارية ، وذلك دليل على نصح الناس وإرشادهم . والدينُ النصيحة ، فما خرج من القلب فهو واصل إلى القلوب لا محالة ، وما خرج من اللسان فإنه لا يتجاوز الآذان والرسول ﷺ يقولها بصراحة

لتحفظها الأجيال على التعاقب مدى الحياة وصرُفِ الزمان إذ يقول (الدين النصيحة . قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولرسوله ولكتابه ، ولأئمة المسلمين وعامتهم)[1] .

أيها المسلمون :

لقد أصبح العلم الدينيُّ في هذا الزمان بضاعةً كاسدةً ليس له راغب ولا طالب . بل صار طلبه عاراً وشناراً ، فإذا ما أنهى الطالب دراسته الثانوية وأراد أن يلتحق بالمعاهد والكليات الدينية ، وجد في سبيله عقبات وعقبات من أهله وذويه وأصدقائه وزملائه . يقولون له مالك وللعلم الذي يُفقر ولا يغني ويؤخر ، ولا يقدم . إلى غير ذلك من كلمات التعويق والتنفير .

إعلموا أيها المعوقون المانعون من طلب العلم ، أنكم بعملكم هذا تعتبرون هادفين لدين الإسلام ومبادئه ، صادِّين الناس عن طريق الحق والنجاةِ يوم الزحام . ألم تؤمنوا بوعد ربكم في الأرزاق حينما قال : ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون . فوربِّ السماء والأرض إنه لحق مثلَ ما أنكم تنطقون** ﴾[2] .

أيها المسلمون :

إن مراتب العلماء العاملين تلي مراتبَ الأنبياء والمرسلين ، إذ هم نُوَّابهُم ووزراؤهم قال ﷺ (يَشفعُ يوم القيامة ثلاثةٌ : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء)[3] .

أجل : إن العلم الذي يُستضاء به هو علم الشريعة الإسلامية . فلقد كانت هذه العلوم والمعارف في صدر الإسلام دستوراً وقانوناً جامعاً لخيري الدنيا والآخرة .

---

١ ــ متفق عليه .

٢ ــ سورة الذاريات (٢٢ ــ ٢٣) .

٣ ــ رواه ابن ماجة عن عثمان بن عفان بسند ضعيف .

إذا أردتم تكريمَ أبنائكم ، فأكرموهم بالتعاليم الدينية ، واجعلوها في مقدمة العلوم الكونية ، فإنها لا تخالف طبيعة الحياة ، ولا تصادم مصلحة اجتماعية أو فردية ، بل تُثبِّت المعاني الروحية العليا في النفوس ، وتَرْمِز إلى أسمى المشاعر والعواطف ، وتعمل على إحياء الضمير والوِجدان ، إنها تقوي مراقبة العبد لربه .

فاتقوا الله أيها الآباء والأمهات ، اتقوا الله في أبنائكم وفلَذَات أكبادكم ، تالله لتُسأَلن عما تعملون ، إنهم أمانة بين أيديكم . علموهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، ولا تصرفوهم عن دينهم إلى حياة فانية زائلة (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) ؟ يقول الرقيب الكبير سبحانه ﴿ **وما أُوتيتم من شيء فمتاعُ الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خيرٌ وأبقى ،...** ﴾[1] .

أيها الناس :

إن العلوم الشرعية هي المقصودة من الحياة الاجتماعية الواسعة ، لأن فيها تنظيم الروابط والعلائق بين الخالق والمخلوق ، وبين الفرد والجماعة ، وبين الحاكم والمحكوم ، وبين السيد والمسود ، وبذلك يتم الهناء ، وتتوفر أسباب السيادة والسعادة في كل زمان ومكان .

وحبَّذا لو جمع أبناؤنا وجيلنا بين علوم الشريعة والعلوم الكونية الأخرى ، لأن العلوم الشرعية قِوام الأرواح ، وتلك مِلاك الأشباح ومادتها .

أيها الشباب أيها العاملون في حقل التعليم . لقد جاء وقت الدراسة ، بعد فترة من صيف هذا العام . إنكم اليوم تستقبلون عاماً جديداً ، فاستقبلوه بهمة ونشاط ، واستعدوا لمراحِلِ الدراسة على اختلاف

---

١ ــ سورة القصص (٦٠) .

أنواعها . لقد أمرنا الله بالعمل الدائب ، وحذَّرنا من الخمول والكسل ، قال تعالى لنبيه يحيى عليه الصلاة والسلام ﴿ **يا يحيى خذِ الكتاب بقوة ،...** ﴾[1] أي بجد واجتهاد ، واعمل به . خذ كتابك أيها الطالب بهمة وحزم ونشاط ورحابة صدر ، وأقم الصلاة في أوقاتها طالباً إرضاء ربك ووالديك ، لتحظى بالسعادة الأبدية .

أيها الطالب :

أقْبل إلى مدرستك ومعهدك وكليتك بشوق وسرور وارتياح ، كي تتهيأ لمستقبل فاخر زاهر .

واصل أعمالك ودراستَك ، فالوقت من ذهب ، ولا تؤخر عملك ودراستك إلى الغدِ . ما يمكنك أن تعمله اليوم حذارِ التهاونَ من أولِ الأمر لئلا تندم على ما مضى . أما أنت أيها المدرس والعامل في حقل التربية والتعليم ، تذكر أن بين يديك جيلاً صاعداً جديداً ، عليه مدارُ مستقبلِ أمةٍ بأسرها ، تذكر بأن نجاحه هو عين نجاحك ، وإخفاقه هو عيُن إخفاقك ، فالوطن لا يكون وطناً حياً إلا بأبنائه وأعضائه ، متماسكاً بأجزائه .

أيها الشاب المسلم :

لا يذهبْ بك الظنُّ بعيداً ، أني لا أبغى لك التقدم ، بل أدعوك للعمل ، وأحثك عليه بهمةٍ لا تعرف الكلل ، ومَضاءِ عزيمة لا تعرف الملل ، أضف إلى معلوماتك الكونية الحديثة علوماً دينيةً شرعية حيوية ، تلكم العلوم التي تُنير البصائر ، وتذلل لكم سبُلَ الحياة ، قال ﷺ (قوام الدنيا وحياتُها بأربعةِ أشياء (علم العلماء ، وعدل الأمراء ، وسخاوة الأغنياء ، ودعوة الفقراء ، وقال ﷺ : (من يُرد الله به خيراً

---

١ ــ سورة مريم (١٢) .

يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي ، ولن تزال هذه الأمةُ قائمةً على أمر الله لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله)[1] . أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد لله الذي علَّم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، أشهد أن لا إله إلا الله وليُّ النعم وباعثُ الهمم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من سار على نهج وقدم ، وعلى آله وصحبه ذوي المجد والكرم .

أما بعد ، فإن هذه الدنيا التي تحيط بكم من كل ناحية دارُ غرور ، وما هي إلا ساعة ، فلا تضيعوها إلا في عمل خيِّر نافعٍ وطاعة ، واعلموا أن العلم خير ذخيرةً ، فاتقوا الله وعلموا أولادكم ، فإنهم خلقوا لزمان غيرِ زمانكم .

اتقوا الله وراقبوه ، وهو معكم أينما كنتم ، اتقوا الله وصلوا على رسوله إجلالاً له وتقديراً وتكريما ، مصداق قوله تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي . يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** . اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم) وارض اللهم عن ساداتنا الخلفاء الراشدين ، والصحابة والتابعين ، ومن سار على نهجهم القويم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم ألف بين قلوبنا ، وجمع بين كلمة الأمة العربية الإسلامية وسائر المسلمين ، اللهم شتت شمل عدونا ، وانصرنا على القوم الكافرين والظالمين .

---

١ — رواه البخاري .

اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر الغنى . اللهم كما لطفت بعظمتك دون اللطفاء ، وعلوت بعظمتك على العظماء ، وعلمت ما تحت أرضك لعلمك بما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك ، وعلانية القول كالسر في علمك ، وانقاد كل شيء لعظمتك وحدك ، اجعل لنا من كل هم وغم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا .

ونسألك اللهم مالكَ الملك أن تشمل بعنايتك وتوفيقك وهدايتك ورعايتك الحسين بن طلال أيده الله ، اللهم وفقه وعلى الخير أعنه . اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين .

اللهم يا أول الأولين ويا آخر الأخرين ، ويا ذا القوة المتين ويا راحم المساكين ، ويا أرحم الراحمين أصلح فساد قلوبنا وسائر المسلمين ، إنك على كل شيء قدير .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

* * * * *
* * *
*

الخطبة الرابعة والخمسون : الثلاثون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

٢٩ جمادى الأولى ١٣٨٥هـ

١٩٦٥/٩/٢٤

(الحب في الله والبغض في الله)

أعوذ بالله من شرور نفسي ، وسيئات أعمالي ، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم نجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامّة ، اللهم ألهمني رشدي وأذهب غيظ قلبي ، وأعذني من شر نفسي ،وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، (**رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**) .

الحمد لله ، الذي أكرم المخلصين المتحابين من عباده بنعمتي الرضا والتسليم ، ليكون لهم في ذلك الراحة والطمأنينة والسعادة والهناء ، (أحمده) سبحانه وتعالى حمداً ملؤه الطاعة والرضا ، وأشكره شكراً ملؤه التفويض والاستسلام . أشهد أن لا إله الا اللهُ المحبوب للمؤمنين الصادقين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، حثنا على مودة الصابرين ، وحذرنا من مصاحبة الأشرار والفاسقين ، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله ، واصحابه مصابيح الهدى لمن بهم اقتدى واهتدى ، وسلم تسليماً كثيرا .

(أما بعد) فقد قال رسول الله ﷺ (إنما مَثَل الجليسِ الصالح والجليسِ السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن

يُحذيَك برائحته ، وإما أن تبتاعَ منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخُ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة)[1] .

أيها المسلمون :

إعلموا أن للبيئة التي تحيط بالإنسان تأثيراً كبيراً على النفوس ، وسلطاناً مهيمناً على القلوب . فكم رأينا من نفوس صالحة خيِّرة أفسدتها البيئة الفاسدة ، وكم رأينا إخوة كانوا متحابين متواضعين أفسدهم إخوة أنانيُّون متدابرون ، لا صلةَ لهم بشرع ولا يقين .

وفي هذا الحديث الشريف اللامع ، يقرر الرسول العظيم ﷺ اختيار الأصحاب والأصدقاء والجلساء ، فبعضهم قد يُرشدك ويدلك على مواضع الخير ، ومثَلَهُ كحامل المسك إن جالسته استفدت عطره وشذاه الطيِّبَ الفواح ، وإن لم تأخذ منه شيئاً استفدت الرائحة الزكية من مجالسته ، ومَثَلُ الأصحاب والجلساء المضللين المستكبرين على عباد الله كنا فخ الكير في مناجم الفحم ، فالجلوس بجانب مثل هذا إما حَرْق الثياب وأذى العيون ، أو شمُّ رائحة منتنةٍ خبيثة من خَبث الحديد والفحم بعد إطفائه في الماء .

فعلى كل مسلم عاقل أن يكون بصيراً بمن يتخذه صاحباً أو خليلاً ، فلا تصحب يا أخي مَن لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله فعله ومقاله ، قال رسول الله ﷺ حكمته الخالدة (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم مَن يخالل)[2] .

وإذا صاحبت فاختر صاحباً
ذا حيـــاء وعفاف وكرم
قائلاً للشيء لا إن قلت لا
وإذا قلت نعم قـــال نعم

---

١ ــ متفق عليه عن أبي موسى الأشعري .

٢ ــ أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم من حديث أبي هريرة ، وقال صحيح إن شاء الله .

أيها المسلمون ، أيها الشباب :

لينظر أحدكم مَنْ حوله من الناس ، فلا يتخيَّر من الإخوة والأصحاب والأصدقاء إلا أربابَ النفوس الطيبة العالية المجيدة ، والخصال النبيلةِ الشريفة الحميدة ، فأمثال هؤلاء إن استنصرهم نصروه ، وإن احتاج إليهم أعانوه ، وإن كبابه الدهرُ آزروه ، وإن ضلَّ الطريق أرشدوه ، وإن اعوَّج قوَّموه .

وعلى المسلم أن يختار لأُسرته وبيئته ، فلا يتركهم يتخبطون في صِلاتهم ومصادقتهم مع الناس ، فرُبَّ أخ سوء جرَّه صاحبه إلى مباءة شر وفساد ، فقطع عليه سبيل الحياة السعيدة ، ولربَّ أُسرة باختلاطها زيَنت أساليب الغواية والاعوجاج لأسرة أخرى فأفسدتها ، ورب شاب داعر مُغرقٍ في شهوته وخيالاته أفسد شاباً أخر بصداقته . ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكُم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تُنصرون** ﴾[1] (هود) وقال تعالى ﴿ **الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ (الزخرف) آية (٦٧) .

أيها المسلمون :

إذا كان حقاً على كل قائم على عمل أو جماعة ، أن يتخيَّر أصحاباً وأصدقاء وأعواناً على الخير ، ويصطفى خاصته وأهل مشورته ، فإن على هؤلاء المصطفيْنَ واجباً هم عنه أمام الله مسؤولون ، فهي أمانات قد حُمِّلوها وعليهم أن يراقبوا ربهم ، وأن يخلصوا الله في أعمالهم وفي نصحهم ومشورتهم ، ولا يلبسوا الحق بالباطل ، ولا يكتموا الحق وهم يعلمون ، وليكونوا عُدة صالحة لمن اختارهم ، وليجدْ منهم ريحاً طيبة كرائحة المسك ، يشرح الله بها صدره . وبذلك تسعد الأمة ، وترفرف عليها أعلام السكينة وظِلالُ الحرية .

---

١ — سورة هود (١١٣) .

إن اتخاذ الإخوة المخلصين يُعين على فتح أبواب الخير والسعادة ، ولولا ذلك لما كان للناس أمل في هذه الحياة الشاقة . يقول سيد الحكماء ﷺ (المرء كثير بأخيه)[1] من أجل هذا فقد بسطت المحبةُ رِواقها على أصحاب رسول الله ، حتى قال هذا الرسول (ما تحابَّ اثنان في الله تعالى إلا كان أفضَلَهما أشدُّهما حباً لصاحبه)[2] إذاً فلا بد للإنسان في هذهِ الحياة القاسية من صديق مخلص صادق أمين ، يعرف الله ويخشاه ، ولا يتعدى حدود الله ، يبادله حباً بحب ، ومودة بمودة ، ووفاء بوفاء ، وإخلاصاً بإخلاص ، يُفزعَ إليه عند الشدائد والملمات ، يتذوَّق في ظلال أُخوَّته لذة التعاون والنُصرة ، يُفضي إليه بذات نفسه ومكنون سره ، يشعر إلى جانبه بالطمأنينة والرَّوْح والراحة ، ولكن أينَ هذا يا أخي هيهات هيهات .

فاذا الصديق وكان الكيمياء معـــاً
لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

أيها المسلمون :

لولا أصحاب محمد ﷺ وقد أحاطوا به إحاطة السِّوار بالمعصم ، نصروه في الشدة والرخاء ، ووقفوا بجانبه عند الفداء ، كما كان للدعوة الإسلامية أثرها الفعالُ المُشرقُ في سنوات معدودات ، إن الأخوَّة لا تدوم إذا لم يكن الحب في الله والبغض في الله ، فما كان لله فهو الدائم المتصل ، وما كان لغير الله فهو المنقطع المنفصل ، ولقد أخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، وكثير من أصحابه ، واسمع ماذا قال رسولك عن صفوان بنِ قدامة أنه قال ، هاجرت إلى النبي ﷺ فأتيتُه ، فقلت : يا رسول الله ناولني يدك أبايعْك فناولني يده فقلت يا رسول الله إني

---

١ ــ المرء كثير بأخيه رواه ابن أبي الدينا في الاخوان عن سهل بن سعد والديلمي والقضاعي .
٢ ــ أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الاسناد .

أُحبك ، فقال ﷺ (المرء مع مَن أحب)[1] وروي أن النبي ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين فقال ، من أحبَّني وأحبَّ هذين وأباهما وأمَّهما كان معي في درجتي يوم القيامـــة . وخرَّج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (مِن أشدِّ الناس لي حُبّاً ناس يكونون بعدي ، يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله)[2] وسئل عليُّ بنُ أبي طالب كرم الله وجهه (كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ) قال (كان والله أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ، ومن الماء البارد على الظمآن)[3] ويقول الرسول المحبوب (من آخى أخاً في الله ، رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيءٍ من عمله)[4] .

أيها المسلم ، أيها الشاب المسلم :

تعلَّم يا أخي من رسولك محمد ﷺ كيف تختار الإخوة والأصدقاء ، لا من بطون الكتب المغلوطة في معناها ومغزاها ، ولا من الروايات والتمثيليات المشيرة إلى الأدب المكشوف .

تعلم يا أخي . تدبر : إن الذي يصادقك ويؤاخيك في الرخاء ، ويتطلع إلى مافي يدك من مال وجاه ، أو لِعَرَض من أعراض الدنيا الفانية ، إنما يصادقك على دَخَنٍ أي على غشٍ وفساد ، لأنه إنسان باحث عن غرض ومصلحة ، فلا خير فيه. إذا الريح مالت مال حيث تميل .

كان أولُ صاحب لرسول الله ﷺ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، آمن به حين كذبه الناس ، هاجر معه حين تخلَّى عنه بعض الناس ،

---

١ ــ رواه مسلم .

٢ ــ رواه أحمد في سنده عن أبي ذر باختلاف في بعض الألفاظ : أشد امتي لي حباً قوم يكونون بعدي يود أحدهم أنه فقد اهله وماله وأنه رآني .

٣ ــ وهو مستمد من قوله ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين .

٤ ــ أخرجه ابن أبي الدينا في الاخوان من حديث أنس .

فداه بنفسه وماله ، وظلَّ وفيّاً له في حياته وبعد مماته ، ولم تُزلزله الفتن والعواصف ، ولم تُرعبه صناديد قريش ، ولم تفسده دنيا عن صاحبه وسيده لإيمانه به ويقينه وإخلاصه . لذلك سمَّاه ربه صاحباً في الملأ الأعلى ، وسجل صحبته على مسمع الدنيا بأسرها ، حين قال في كتابه ﴿ ... **إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ،... ﴾[٤] وما ظنكم يا قوم باثنين الله ثالثهما .؟

هذه والله هي الصحبة الصادقة ، وهذه هي الأُخوَّة في الله . وإذا تصفحنا التاريخ وجدنا بجانب كل مصلح وكل مرشد وكلِّ داع إلى الخير إخواناً له في الله ، لولا موآزرتهم إياه لم تنجح دعوته، ولولا إخلاصهم له ولدعوته ، لم يُكتب لهم الفوز والفلاح .

أيها الناس المتصادقون :

ليس من الحب في الله أن تصادق إنساناً مادام على متن جواده، فإذا قلبت الحياة له وجهها تخلَّيت وتعاميت عنه .

ليس من الحب في الله أن تحترم صاحبك مادام الزمان معه والأيام في ركابه ، فإذا ماغاب سعده وأفل نجمه فريت جلده ، وأكلت لحمه ، ونهشت عرضه .

ليس من الحب في الله أن يجتمع الأصحاب على معصية الله ، ويتآزروا على سرقة مال فلان أو قتله ، أو على هتك حرمات الله وإضاعة حقه ﴿ **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتىٰ ليتني لم أتخذ فلاناً خليلا . لقد أضلَّني عن الذكر بعد إذ جاءني، وكان الشيطان للإنسان خذولا** ﴾ الفرقان الآيات (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩).

---

١ ــ سورة التوبة (٤٠) .

﴿ يوم يفر المرء من أخيه (٣٤) وأمه وأبيه (٣٥) وصاحبته وبنيه (٣٦) لكل امرئٍ منهم يومئذ شأن يُغنيه (٣٧) وجوه يومئذ مسفره (٣٨) ضاحكة مستبشرة (٣٩) ووجوه يومئذٍ عليها غبرة (٤٠) ترهقها قَتَره (٤١) أولئك هم الكفرةُ الفجرة ﴾[١] .

قال ﷺ (إن أحبكم إلى الله عز وجل الذين يألفون ويُؤلفون ، وإن أبغضكم إلى الله عز وجل المشّاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الإخوة)[٢] وقال ﷺ قال الله تعالى ، في الحديث القدسي (وجبت محبتي للمتحابين فيَّ ، والمتجالسين فيَّ ، والمتزاورين فيَّ ، والمتباذلين فيَّ)[٣] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه ، وعلى آله وصحبه المتحابين في الله . أما بعد ، فيا أيها المسلمون : اتقوا ربكم وراقبوه ، تمسكوا بأسباب المودة والمحبة بينكم ، اتقوا الله في يوم لا ينفع فيه بيع ولا خلال .

أفشوا السلام بينكم ، أَخرجوا الغِل والحقد من قلوبكم ، بالاستغفار والتوبة إلى الله ، تباعدوا عن أسباب الفرقة والمشاحنة والاختلاف ، إعملوا على جمع كلمتكم ، وحب نبيكم ، وحب بعضكم بعضاً بأحسن ما طلبه الدينُ والشرعُ منكم ، واعلموا أنكم مجزيون بأعمالكم إن خيراً فخيرٌ ، وإن شراً فشر ، واعلموا أنه تعالى أمرنا بالصلاة على نبيه تشريفاً وتكريما ، قال تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد النبيِّ الأميِّ ، وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين المتحابين في الله ، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين ، إلى يوم الدين .

---

١ ـــ الآيات ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ من سورة عبس .
٢ ـــ أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .
٣ ـــ أخرجه أحمد من حديث عبادة ابن الصامت ، ورواه الحاكم وصححه ، ولكن بدل وجبت حقت .

وارض اللهم عن الصحابة والتابعين ، والعلماء العاملين والصديقين والشهداء والصالحين ، ومن نهج منهجهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم ألف بين قلوب المسلمين والحاكمين ، واجعل هدفهم الأسمى ورائدهم الأعلى العمل بكتابك وسنة نبيك ، واكتب لهذه الأمة العربية وسائر المسلمين في كل مكان نصراً مؤزراً . اللهم لا تجعل بأس المسلمين بينهم . اللهم ارفع سيف الأعداء عن رقابهم ، واجعله في رقاب أعداء شرعك ودينك ، يا أكرم الأكرمين . اللهم من أراد بالمسلمين سوءاً فاشغله عنا بنفسه ، يا رب العالمين .

ونسألك اللهم يا جامع الشمل ومصلح القلوب ، أن تشمل بعنايتك وتوفيقك الحسينَ بنَ طلال. واجعله وأخاه الحسن وليَّ عهده عاملَيْن بدينك وشرعك وسنة نبيك ، اللهم كن لنا ولا تكن علينا ، وأعنا ولا تُعن علينا ، وانصرنا ولا تنصر علينا ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين . وارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا وقبيح أعمالنا من لا يخافك ولا يرحمنا .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي . يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(... **وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الخامسة والخمسون : الحادية والثلاثون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

١٣ جمادى الآخرة ١٣٨٥هـ

١٩٦٥/١٠/٨

(التفاؤل بالمستقبل والعبرة بالأعمال)

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وسيئات أعمالي ، ومن شر الشيطان وشركه وهمزه ونفثه ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، اللهم اغفر لي ذنبي وعمدي وخطأي وإسرافي في أمري ، اللهم كن لنا ولا تكن علينا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، (... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**) .

الحمد لله الخبير بخفايا النفوس وما تنطوي عليه من صدق وإيمان ، العالم بما في الضمائر وخفيِّ الأسرار . أشهد أن لا إله إلا أنت علامُ الغيوب ، ارتضيتَ لدينك المخلصين العاملين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، دعا الناس إلى وحدة القلوب وتحسين نواياهم . اللهم صلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، ومَن سار على هداهم .

أما بعدُ ، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعةِ شيءٌ عظيم . يوم ترونها تذهَلُ كل مرضِعةٍ عما أرضعت وتضع كلُّ ذاتِ حَمل حَمْلها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد** ﴾ من سورة الحج الآيتان (١ ــ ٢) .

أيها المسلمون :

لقد بدأت علامات الساعة في الظهور فعلاً ، فأحداث القتل والاعتداءات القائمة ، والفتن المضطربة ، وترك الصلوات ، وإيتاء الملاهي والمنكرات في كل مكان ، كل ذلك يدل على اقتراب قيام الساعة . يؤيد ذلك قوله تعالى ﴿ **فهل ينظرون إلا السَّاعةَ أن تأتيهم بَغتةً ، فقد جاء أشراطها ، فأنَّى لهم إذا جاءتهم ذِكراهم** ﴾[1] ومعنى ذلك فهل ينتظر أولئك الذين اهتدْوا إلا القيامة أن تأتيَهم فجأةً .؟ فقد جاءت علاماتها ، أما الذين لم يؤمنوا ولم يهتدوا ولم يتبعوا رسالة محمد ، من أين لهم أن يتعظوا إذا جاءتهم ؟ فاعلم يا محمد أنه لا إله إلا الله ، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ، والله يعلم ما أنتم عليه ، ويعلم مُتقلَّبكم ومثواكم ، ولأبي داود والترمذي إنها ستكون فتِنةٌ اللسانُ فيها أشدُّ من وقع السيف .

وقيل يا رسول الله ، مَنْ خيرُ الناس في الفِتنة ؟ قال (رجل أخذ برأس فرسه يخيف العدوَّ ويُخيفونه) .

وجاء في خطبة أمير المؤمنين عمرَ بنِ الخطاب ، رضي الله عنه ، يوم قال عليكم بالجماعة وإياكم والفُرقةَ ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعَدُ . من أراد بحبوحةَ الجنة فليلزم الجماعة : ﴿ **اقترب للناس حسابُهم وهم في غفلةُ معرضون . ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم مُحدثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهيةً قلوبُهم ...** ﴾[2] .

لقد أخبر رسول الله ﷺ بأن الفتن بدأت منذ القرون الأولى في صدر الإسلام وفتوَّته ، وهكذا ستبقى مرةً بالحسام ومرةً بالكلام ، ما دامت السموات والأرض ، ومنها أن تضرب الأمة رقاب بعضها البعض.

---

١ — سورة محمد (١٨) .
٢ — سورة الأنبياء (١ — ٢ — ٣) .

﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمةً واحدةً ، ولا يزالون مختلفين . إلا مَنْ رحم ربُّك ، ولذلك خلقهم ﴾[1] .

نعم : هذه هي الحكمة الإلهية ، اقتضت أن يكون الناسُ في هذه الحياة بين بَسط وقبض ، وغضبٍ ورضا ، وغنى وفقر ، وعِزٍّ وذُل ، وحرب وسلام ، وحب وبغض إلى غير ذلك ، من الأعراض والعادات الطبيعية في دنيا الغرور . كل ذلك تحقيقاً لضعف الإنسان أمام الربوبية ، وامتحاناً للصابرين المخلصين ، وتمييزاً لعبَّاد المادة والمال ، من المنافقين البعيدين عن دنيا الشريعة والإسلام. وهذه سُنَّةُ الله في خلقه وكونهِ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ومن الناس من يتظاهر بالقوة والثبات ورباطة الجأش ، يتحدث عن الجهاد والصبر ، ما دام في خيرٍ وطُمأنينة وسلام ، حتى إذا ما طرقت الأحداث بابَه ، تبدَّلت قوتُه ضعفاً ، وثباتُه خَوَرا ، وصبره جزعا ، وجهادهُ فرارا ، ومن العجيب أن هذا النوع من الناس لا يبالي من إذاعة الإشاعات المضللة المغرضة ، وبلبلة الرأي العام ، وإشاعةِ الفوضى والفُرقةِ والانقسام ، وهذا معنى قوله تعالى **﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أُذيَ في الله جَعل فتنة الناس كعذاب الله ... ﴾**[2] يعني أنه يتحول عن إيمانه حالاً ، لتلاعبه بالإيمان ، وعدم صدقه ، مع الله والناس أجمعين .

أيْ أخي المسلم :

إن الإسلام دينُ القلوب المخلصة ، والنوايا الصالحة ، والاستقامةِ الصادقة، لا دينُ المظاهر والعناوين الخادعة، والأقوال اللامعة البراقة.

يقول ﷺ (إنما الأعمال بالنيَّات وإنما لكل امرىء ما نوى)[3] يا قادة الأمة ، أيها المسؤولون عنا أمام الله ، قلنا من على هذا المنبر وفي كل

---

١ ــ سورة هود (١١٨ ــ ١١٩) .
٢ ــ سورة العنكبوت (١٠) .
٣ ــ متفق عليه .

مكان صالح للوعظ والإرشاد . سبعة عشر عاماً خلت والعرب في نزاع وتناحر وضعفٍ وتأخر . سبعة عشر عاماً مضت ، ونحن في خلافات ومُهاترات وشتائم ومباريات ، وما تبقى من فلسطيننا الحبيب في قلب الأردن ، والأردن بجيشه وشعبه يكتوي بنار الفرقة والاختلاف ، ويصطلي بنار العدوّ وعدوانه .

سبعة عشر عاماً ونحن ننظر إلى عدونا ، يسكن بيتنا ، ويحرث أرضنا ، ويقسو على أبناء العرب منا ، في قلب وطننا فلسطين السليب .

هذه إسرائيل تحت السمع والبصر ، هذه الدولة المصطنعة هي العدو الساهر الماكر ولا تزال تتهددنا وتتوعدنا ، فماذا فعلتم وماذا أعددتم .؟ إن إسرائيل المستحدثة اللقيط ، قليلة الكلام كثيرة الإنتاج والأعمال ، وهذا كله بسبب الفرصة السانحة ، التي منحتها لها خلافات الدول العربية وانقساماتها .

لقد بدأنا نستيقظ اليوم ، والأردن واقف بجيشه وخيله ورجاله على طول ستمائة وخمسين كيلو مترا ، أي على أطول خط من خطوط النار منذ النكبة ، والنار تحرق بنا من كل مكان . إننا لا نزال نسمع اجتماعاً وتفرقا ، وأمراً مُرًّا لا كراً ولا فرًّا .

أيها المسؤولون في كل بلد عربي :

لسنا والله في حاجة إلى بلبلة الرأي العام . نحن في حاجة إلى جمع الشمل ووحدة القلوب ، في حاجة إلى وحدة الصف والهدف ، في حاجة إلى جمع الكلمة ، إلى العمل السريع المنتج ، كما طلبنا ذلك مراراً وتكرارا ، لقد مرت بنا أحداث جسام منذ سنة ثمانٍ وأربعين ، ولعلكم سمعتم ما أصاب العرب من تفكك وتخاذل وانشقاق ، لكننا اليوم والحمد لله أصبحنا أمة واحدة ، وجيشاً واحداً ، وهدفاً واحداً ، ومؤتمر القمة العربي الثالث أصدق شاهد على ما ذكرنا . دعونا بالله عليكم من الماضي

البغيض ، دعونا من دسائس المستعمرين وخفاياهم . وإنهم ما زالوا يضعون الأسافين لعرقلة القضايا العربية والقضية العربية الفلسطينية الإسلامية بصورة خاصة . انهم يضعون أسافينهم وجرائمهم في كل بلد من بلاد العرب والمسلمين . دعوا الأردن في تفكيره وتدبيره وإعداده .

أيها الناس :

إن إسرائيل تريدنا مختلفين لا متفقين ، متفرقين لا متحدين ، متباعدين لا متقاربين ، ونحن لا نزال نسلط الأبواق على بعضنا في كل مكان . إننا كفلسطينيين نعلق آمالنا على الله ، ثم على كل رجل مخلص أمين يريد إنقاذ فلسطين من براثن الصهيونية الغادرة الماكرة . وهذا لا يتحقق الا بوحدتنا وتفاهمنا وجمع شملنا ، ولنعمل بصمت وإخلاص وهدوء ، بوحي من الضمير الحي والنوايا الطيبة الصافية ، وبلدنا والحمد لله في أيد أمينة ساهرة مرابطة بكل يقظة وحذر ، والحسين واقف بالمرصاد لكل من يدعو إلى التفرقة والاختلاف .

قولوا بالله عليكم : أليس ديننا يعمل على دعم التآخي ونشر الحرية والوئام ، وتأسيس قواعد الشورى ، وجمع الصفوف ، وتشابك الأيدي ، وتلاقي القلوب .؟ نعم : إذاً اعملوا والله مع العاملين ، ولا تيأسوا ، بل أبشروا واستبشروا ، ما دمتم مع الله والحق المبين .

قال ﷺ (مَن فارق الجماعة شِبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)[1] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد لله الكريم الحليم ، واهب الفضل العظيم ، أشهد أن لا إله إلا الله الحكيمُ العليم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

---

١ ــ رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح .

أيها الناس : اعتبروا بماضيكم ، واعملوا ، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، فقد ولَّت أيام الفرقة والاختلافات . اتقوا الله ظاهراً وباطناً ، واعلموا أنه تعالى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

اتقوا الله حق تقواه ، واعتمدوا على ربكم ، وتقربوا إليه بالأعمال الصالحة النافعة ، يحفظْكم ويرعاكم .

راقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه ، واعلموا أنه تعالى صلى على رسوله ومصطفاه ، قال تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صلِ وسلم وبارك ، على سيدنا محمد النبي الأمي . وعلى آله وصحبه وسلم .

وارض اللهم عن أصحاب رسول الله أجمعين ، وتابعهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، اللهم ألف بين قلوب القادة والحاكمين ، وأيدهم بنصر من عندك مبين ، واجعلهم بكتابك وسنة نبيك من العاملين ، اللهم أيد الإسلام والمسلمين ، واجمع شملهم على الحق والتوفيق رب العالمين ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال أيده الله وسدد خطاه .

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا وسوءِ أعمالنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا ، سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين آمين رب العالمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(... **وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، واتقوا الله ، ...**﴾[1].

---

١ ــ سورة الحشر (١٨) .

أَلخطبة السادسة والخمسون : الثانية والثلاثون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

٥ رجب ١٣٨٥هـ

١٩٦٥/١٠/٢٩

(الرشوة ومضارها ومفاسدها في المجتمع)

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، **(رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون)**، اللهم إني أعوذ بك من الشيطان ولمزه ونفثه ، أعوذ بك من شر نفسي وسيئات أعمالي ، اللهم اغفر لي جدي وهزلي ، وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ذنوبي وإسرافي في أمري وجهلي ، اللهم ألهمني رشدي ، وأعذني من شر نفسي، اللهم كن لي ولا تكن علي، وأعني ولا تعن علي (... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**) .

الحمد لله فتح لعباده أبواب الأرزاق ، ريسر سُبُلها . وجعل مفاتيحها بالعمل ، سبحانه جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه ، وإليه النشور ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، جعل في الرزق الحلال الفوز والنجاح ، وجعل في كسب الحرام الفشل والخسران ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله ، أرسله ربُّه رحمةً للعالمين ، وحجة على الخلق أجمعين ، صلوات الله وسلامُه عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهدْيه القويم إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد قال سبحانه وتعالى في مُحكِم كتابه ﴿ **أهُم يَقْسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم**

فوق بعض درجاتٍ ليتخذ بعضُهم بعضاً سُخريًّا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾[1] .

أيها المسلمون :

إن الله جلَّت حكمته ، قد قسَمَ أرزاقكم وحدَّد آجالكم ، فلن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأَجلها ، كما اقتضت مشيئته تعالى أن يُفَضِّلَ بعضكم على بعض في الرزق ، فمنكم من يأتيه رزقُه كفافا (على قدر حاجته) ومنكم من يأتيه رزقُه رغَدا واسعا ، ولكن لم يكن هذا التفاضُل في الرزق بزيادته أو نقصانه عن سُخط أو رِضاً أو حبٍ و بُغضٍ من الله جلَّ وعلا ، فقد يرزق الله الكافر على كفره وجحوده ، والضالَّ على ضلاله ونُكرانه للمنعم الحقيقي ، ويرزق المنافِقَ على نفاقه وتلونه وإغراقِه في النفاق . كلُّ ذلك يا أخي المسلم لحكمةٍ من حكم ربك العليم بما في نفوس الناس وأحوالهم ، وما يستحقونه من قبض وبسط في المال والرزق ﴿ ... **ليبلوكم أيُّكم أحسن عملا ، وهو العزيز الغفور** ﴾[2] ، فكم من شخص ورَّطه ماله فيما أدِاهُ وأشقاه وأشمت به حسَّادَه وأعداءه ، واستنزل به سَخَطَ مولاه ، فذهب من الدنيا مُتحسراً آسِفا ، وكم من قانع أُوتيَ الكفافَ من العيش في هذه الحياة الدنيا ، فعاش سليمِ الجسم قريرَ العين هادىء البال مرتاحَ الضمير ، وقد رجع إلى ربه راضياً مرضيا . ونعم عُقبى الدار .

أيها المسلمون : أيها الأغنياء الحريصون ، أيها الفقراء المكرمُّون .

إعلموا أن كلَّ مافي أيدينا من خيرات وأموال وأنعام وأهلٍ وبنين ، إنْ هو إلا وديعةٌ ومتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خيرٌ للأبرار ، ﴿ ... ، **قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين** ﴾[3] .

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

---

١ ــ سورة الزخرف (٣٢) .
٢ ــ سورة الملك (٢) .
٣ ــ سورة الجمعة (١١) .

إذاً فما بال أقوامٍ باعوا الآخرةَ الباقية الدائمة بالحياة الدنيئة الزائلة الفانية .؟! اشتَروْا الضلالةَ بالهدى ، والعذابَ بالمغفرة ، والخبيثَ بالطيب ، فلم يطلبوا الرزق الحلال من طريقه المشروع ، بل تعدَّوْهُ إلى الحرامِ طمعاً وحرصاً على الحياة ، ظَنّاً منهم بأن في ذلك مُتْعةً لهم ، وزيادةً في رزقهم ، وهم يسمعون قول الله فيهم بعدم الاغترار بمظاهرهم ، لأن قلوبهم خالية من الحق ، خالية من الإيمان الحقِّ ، فيحذرُنا منهم بقوله ﴿ **وما مَنَعهم أن تُقْبَلَ منهم نفقاتُهم إلاَّ أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتونَ الصلاةَ إلا وهم كُسالَى ولا يُنفقونَ إلا وهم كارهون (٥٤) فلا تُعجبْك أموالُهم ولا أولادُهم ، إنما يريد الله ليعذبَهم بها في الحياة الدنيا وتَزْهَقَ أنفسُهم وهم كافِرون (٥٥)** ﴾ سورة التوبة .

ألم يَعلمْ آكلو الحرام أن أكْلَه يولِّد الحرام وأولاد الحرام ، ورسولُ الله ﷺ يقول (كل جسم نبت من حرام فالنار أولى به)[١] .

أيها المسلمون :

تداركوا ما بقي من أعماركم في هذه الحياة ، تعلموا العلم واغتنموا فرص الحياة ، لتعرفوا الله وتعبدوه . تعلموا أيها الأُميّون لتعرفوا ربكم ودينكم ، فأبواب مدارس الأمين مفتحَّةْ ترحب بكم ، أطلبوا العلمَ ولو في أخر نقطة في الدنيا (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد)[٢].

إرجعوا إلى ربكم ، توبوا إلى خالقكم ، لأنكم إليه راجعون . رُوي أن سلمانَ الفارسيَّ رضي الله عنه ، لما سمع قوله تعالى ﴿ **وإن جهنم لموعدهم أجمعين** ﴾[٣]خرج باكياً هائماً على وجهه هارباً من شدة

---

١ ـــ الحديث كل جسد ، وفي رواية لحم رواه الطبراني وابو نعيم في الحلية عن أبي بكر .
٢ ـــ الحديث ضعيف .
٣ ـــ سورة الحجر (٤٣) .

الخوف ، لا يعقل شيئاً ، فجيء به إلى النبيَّ ﷺ فسأله فقال يا رسول الله قد قطعتْ هذه الآيةُ نياط قلبي ، فأنزل الله تعالى على نبيه ﴿**إن المتقين في جنَّات وعيون (٤٥) أدخلوها بسلام آمنين(٤٦)**﴾سورة الحجر .

أنظروا كيف كانوا يخافون الله تعالى . كيف كانوا يخافون من الوعيد والتهديد ، وهم من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فما بالكم فينا ونحن مُذنبون ؟ .

ألا وإن من شر أنواع الحرام ، الموجبةِ لعذاب الله ، الرِّشوة : وهي ما يدفَعه صاحب القضية أو المصلحة أو الحاجةِ لحاكمٍ يتساهل في حكمه وقضائه ، وكلِّ مسؤول عن عمله لمقصد من المقاصد الدنيئةِ ، ليحكمَ له في قضيةٍ وهو مبطلٌ في دعواه ، أو يمنحَهُ عملاً أو وظيفةً وغيرُه أحقُّ بها منه وأولى ، فكل شيء يُقَدَّمُ لمن بيده سُلطةُ عملٍ في هذا السبيل ويقبله ، فهو خيانةٌ لله ولرسوله ، وغِشٌّ وخداعٌ وَنَذالةٌ تدل على خُبث النيَّة في الأعمال . والله تعالى يهدد ويتوعد أمثال هؤلاء بقوله ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتُدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون** ﴾ سورة البقرة .

أيها الناس :

إن التعاملَ والتقاضيَ بالرِّشوة فساد النظام ، واختلال موازين الأعمال ، وهضمُ حقوق الفقراء ذوي الكفاءات ، وسترٌ على الجرائم وتشجيعٌ على الكسل والفوضى والتواكل ، وفي ذلك فِتنة في الأرض وفساد كبير ، ألا وإن الناس في غفلة عن هذه الآفةِ المهلِكة ، التي استشرى داؤها وعظم بلاؤها في كل زمان ومكان . فلا حول ولا قوة إلا بالله . كيف يصح الإقدام عليها والرسولُ ﷺ يقول (كل المسلم على المسلم حرام ؛ دمُه وماله وعرضه)[1] ؟؟؟ .

---

١ ـــ متفق عليه .

نعم : لو فكر هؤلاء المحترفون بالرِّشوة قليلاً ، لعلموا أن في هذا العمل إهانةً لأوطانهم من حيث لا يشعرون : هبْ يا أخي أن المسؤول عنك لا يراك ﴿ **ألم يعلم بأن الله يرى** ﴾[1] واسمعوا قول ربكم .

﴿ **وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقى ، أفلا تعقلون** ﴾ [2] .

إن الذين يتعاطون أكل الشبهات والمحرمات نظير متاع زائل ، وعرض ذاهب ، يُفسد عليهم دينهم ، ويمحق الخير والبركة من بين أيديهم ، إنهم لو علموا العواقب الوخيمة ، لو علم هؤلاء — وهم قلةٌ — في المجموعة الانسانية ، ما يترتب على ذلك لرضوا بمال حلال قليل من عرق جبينهم ، وما قل وكفى خيرٌ مما كثر وألهى وطغى . وصدق الله العظيم ﴿ **فلما نسُوا ما ذكرِّوا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مُبلِسون** ﴾[3] (أي حائرون واجمون) .

أيها المسلم :

إن هذا النداء موجه لكل من تعامل أو يتعامل بالرِّشوة . إنه خطاب عام شامل لكل من اتصف بهذه العادات السيئة الأليمة في كل مكان وزمان ، وهو شاهد على نفسه ، والله خير الشاهدين ، والذكرى تنفع المؤمنين) .

جاء في الكتب الصحيحة المعتبرة ، أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوما وقال (أما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول هذا من عملكم وهذا أهدي إليَّ : أفلا قعد في بيت أبيه وأمه ، فنظر هل يُهدى اليه ، أم لا .! كان الرسول يؤنبهم ويقول (أنىَّ لك هذا ؟ فوالذي نفس محمد بيده لا يقبل أحدٌ منها شيئاً إلا

---

١ — سورة العلق (١٤) .
٢ — سورة القصص (٦٠) .
٣ — سورة الأنعام (٤٤) .

جاء يوم القيامة يحمله على عنقه ، إن كان بعيراً جاء به وله رُغاءٌ (أي صوت مزعج مقلق) وإن كان بقرة جاء بها ولها خُوار ، وإن كان شاةً جاء بها تيعر فقد بلغت)[1] إن هذا الحديث جاء مثلاً حياً رادعاً لأولئك المرتشين ، آكلي الحرام ، كيف يأتي كل واحد منهم يوم القيامة يحمل معه ما يزعجه ويفضحه على رؤوس الاشهاد ، يوم الجمع الأكبر . ويقول أبو هريرة رضي الله عنه (لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي وزاد في رواية والرائش[2] (يعني الذي يسعى ويتوسط بينهما) أو كما قال ادعو الله وأنتم موقنون بالاجابة .

* * *

الحمد لله . أمر عباده بتناول الطيبات من الرزق ليطهرهم بها ، وأشهد الاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له ، أَحَبَّ من عباده العاملين والمُجدِّين ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

وبعد فيقول سبحانه ﴿ **يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين . إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾[3].

أيها الناس :

إن الشيطان يُسوِّل للانسان أن في أكل الحرام غناءً وادخاراً وتوفيراً ، والله أعلم أن ما يجمعه الانسان من حرام ، إنما يكون عليه حسرة وعاراً ودماراً ، واعلموا أيها المسلمون : ان مالاً قليلاً يبارك الله فيه ، خير من حرام كثير ، ينزع الله البركة منه ﴿ **قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبتك كثرة الخبيث ، فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون** ﴾[4].

---

١ ــ متفق عليه من حديث أبي حميد الساعدي .

٢ ــ رواه أحمد والبزار والطبراني عن ثوبان .

٣ ــ سورة البقرة (١٦٨ ــ ١٦٩) .

٤ ــ سورة المائدة (١٠٠) .

على أن أكل الحلال شرط أساسي لقبول العبادات وقبول الدعاء ، يقول ﷺ (إن أحدكم يمد يديه إلى السماء يا ربُّ يا ربُّ ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذي بالحرام ، فأنَّى يُستجاب له)[1] .

عباد الله : اتقوا الله وارقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه ، وصلوا وسلموا على رسوله ومصطفاه ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين ، وأصحاب رسول الله أجمعين ، وتابعيهم بإحسان الى يوم الدين ، اللهم ألف بين قلوب المسلمين ، واجمع على الحق والتأييد قلوب الحاكمين وقادة الأمة ، ربَّ العالمين ، وألهمهم العمل بكتابك وسنة نبيك يا أكرم الأكرمين ، اللهم اجمع شمل الأمة العربية الاسلامية وسائر المسلمين ، اللهم اجعل لنا من كل ضيق فرجا ، ومن كل هم مخرجا ، وارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا وسوء أعمالنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، ونسألك اللهم ياذا الجلال والاكرام ، أن تشمل بالتوفيق والعناية والرعاية والسَّداد الحسين بن طلال ، أيده الله ورعاه ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء ، وسائر بلاد المسلمين . عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء ، والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

---

١ ـــ هذا الحديث رواه مسلم بدون ذكر إن أحدكم ، وأوله أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلاّ طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسول كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اي بما تعملون عليم ، وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء .. الحديث .

الخطبة السابعة والخمسون : الثالثة والثلاثون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

٢٦ رجب ١٣٨٥هـ

١٩٦٥/١١/١٩

(ذكرى معجزة الاسراء والمعراج)

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم اغفر لي ذنوبي واذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم فارج الهم والغم مجيب دعوة المضطرين ، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، أن ترحمنا إرحمنا برحمة تغنيا بها عن رحمة من سواك ، اللهم أطلق لساني في الخير ، وقو حجتي وبياني ، اللهم إني ضعيف فعلى طاعتك قوِّني وإني فقير فأغنني ، واغفر لي ذنوبي واسرافي في أمري ، وجهلي وعمدي وخطئي ، وكل ذلك عندي ، اللهم أعذني من الكبر والعجب والرياء والخيلاء ، واغفر لي ما قدمت وما أخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت ، وما أنت اعلم به مني . أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير . لا إله إلا أنت ، أنت رب المُستضعفين **(... رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي)** .

الحمد لله رافع السموات بغير عمد ترونها ، سبحانه وتعالى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، أشهد أن لا إله إلا الله عَرج بنبيه محمد إلى السموات العلا ؛ إلى سدرة المنتهى ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق المصدوق فيما بلَّغ وأخبر ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد ، أيها المسلمون : فقد قال الله جل وعلا ﴿ **سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير** ﴾[1] . في هذه الآية الكريمة يحدثكم ربكم عن عظيم فضله على رسوله ، واكرامه له وتقديره إياه ، لقد أولاه ربُّه شرفا ليس بعده شرف ، ونعمة ليس فوقها نعمة ، ذلك هو شرف الاسراء ، ونعمة المعراج ، وحلاوة الوصال ، ولذة المناجاة ، وذلك بعد أن أطلعه سبحانه على كثير من آياته ونفحاته ، وأوقفه بين يديه على بساط أنسه وهباته ، وبعد أن هيأ له السموات والأرض ، وجمَّل له المُلك والملكوت ، وبعث له الانبياء والمرسلين ، وأخدمه الملائكة المقربين ، وسخر له البُراق والمعراج ، ومهَّد له العرش والكرسيَّ ، وأدناه منه ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، أفاض عليه من أسرار علمه ، وغوامض قدرته ، وبديع حكمته ما شاء الله أن يُفيض ﴿ **ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾[2] .

أيها المسلمون :

إن ذكرى الاسراء والمعراج تُشرق علينا كلَّ عام في مثل هذا الشهر الحرام . لا تمر بنا عابرة ، بل جاءت لتحرك منا القلوب ، وتهزُّ منا الجُنوب، نعم جاءت لتكون مصدر الحرارة الدائمة، ومنبع القوة الدائبة.

إن حادث الاسراء والمعراج واضح في الملة وضوح الشمس في رابعة النهار ، تحدَّث عنه القرآن الكريم والسنة المطهرَّة ، رواه نحو خمسة وأربعين صحابيا ، بلغوا حدَّ التواتر والاجماع .

معشر المسلمين :

ليست معجزة الإسراء بأول نعم الله على رسوله ﷺ، بل لله على رسوله نِعم الانسانية كلِّها، وصفوة البشرية بأسرها، ورحمة للعالمين.

---

١ ــ سورة الإسراء (١) .

٢ ــ سورة النجم (١٧ ــ ١٨) .

أقسم بحياته ، وامتدحه في كتابه بالخلق العظيم ، وصلى وملائكته على ذاته ، أنطق له الجماد والحيوان ، وأجرى على يديه كثيراً من الآيات والمعجزات العظام ، طاعته عين طاعة الله ، وهو بعد ذلك كلّه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، آتاه الله الوسيلة والفضيلة ، يتوسل به المتوسلون ، وبه يستشفعون ، وحسبنا دليلاً على إكرام الله لرسوله ، أنَّه جعله نائباً عن ذاته في أخذه البيعْة له ، من عباده المؤمنين ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم** ﴾[1] اختاره الله رسولاً لخير أمة أخرجت للناس ، فاستجاب لأمر ربه ، وتلقى رسالته بالجد والصبر والثبات ، ووطن نفسه على الموت في سبيل الله ، واجه المشركين بدعوته ، وجاهرهم برسالته ، يغشى قريشا في المجامع والأندية منددا بهم ، يرفع صوته عالا مدوِّيا (يا معشر قريش (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) فلا صنم ولا وثن ، ارتجفت قريش وارتجت مواطنها ، من زحف الدعوة الى احياء العرب ، فوقفوا في وجهه متكاتفين مبهوتين ، وتفننوا في صنوف الفتك والأذى به ، وبأصحابه ، فثبت الله روعه وقلبه ، وأنزل عليه ﴿ **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم** ،... ﴾[2] فصبر وصابر ، وتحمل فوق ما تحمل إخوانه من الرسل ، ومع هذا فلم تضعف عزيمته ، ولم تَلِنْ قناته ، ولم يتأوه ، ولسان حاله يقول :

تعوَّدتُ مَسَّ الضُرِّ حتى ألفته
وأسلمني طُول العزاء إلى الصبرِ

لكنَّ الذي حَزَّ في نفسه وآلمه ، أن أصحابه يُعذبون بين يديه ، فتوجه فريق منهم إلى الحبشة ، وتوجه الرسول الى الطائف ، لعله يجد هنالك مساغا للدعوة ، أو يجد رفدا ، أو مساعدا ، أو معيناً يوآزره . وإذا بأهل الطائف آنذاك أشد بأساً وتنكيلاً رجع من هناك بقلب مضطرم ،

---

١ ـــ سورة الفتح (١٠) .
٢ ـــ سورة الاحقاف (٣٥) .

وأعصاب تلتهب ، وجسم يتقد ، ويتحرك ، فدعا الى الله (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إن لم يكن لك غضب عليّ فلا ابالي)[1] .

فأيُّ بلسم يواسي ذلك القلب الرحيم المكلوم ، وأيُّ علاج يَشفى ذلك الصدر الرحيب .؟ وبينما هو في طريقه يسير ممثلا أمر العليِّ القدير ، إذا به في نجدة إلهية ملائكية سماوية ، حيث قال عليه الصلاة والسلام (وبينما أنا (بين مكة والطائف) رفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبرائيل ، فناداني ، فقال : إن الله قد سمع كلام قومك لك ، وما ردُّوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمرَه بما شئت فيهم فناداني ملَكُ الجبال فسلَّم عليَّ ، ثم قال يا محمد ، فقال ذلك : فما شئت ؟ إن شئت يا محمد أطبق عليهم (أي على أعدائك) الأخشبين (يعني الجبلين العظيمين فلا يبقى لهم أثر) قلت له : بل أرجو أن يخرج الله من اصلابهم (أي ظهورهم) من يعبد الله وحده ، ولا يشرك به شيئاً)[2] اللهم إنك تعلم أن الأرض كلَّها عاجزة عن جزاء هذا الرسول عن امته . فلتمنحه السماء . وسَرْعان ما انجز الله وعده ، وأكرم عبده ، فدعاه الى ضيافته ومكافأته في اجازة ملائكية ملكوتية فزويت له الأرض ، وطويت له السماء ، ورحَّب به العرشُ ، وازدهى به الكرسي ، فكافأه ربه وجازاه ، بما يليق به من مكارم وتكريم ﴿ **إنه من يتق ويصبْر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾[3] .

---

١ ــ مختصراً هكذا رواه الطبراني عن عبدالله بن جعفر بسند حسن .

٢ ــ متفق عليه في الصحيحين .

٣ ــ سورة يوسف (٩٠) .

أيها المسلمون :

لقد كان الاسراء والمعراج للرسول ترفيها روحانياً ليستعد للمستقبل الشاق ، شاهد في رحلته الى بيت المقدس في جزء من الليل صورا عديدة ، من الفضائل الانسانية ، وأخرى للسجايا الرادعة البشرية ، كان الاسراء المعجز بالروح والجسد ، والنص حجة قائمة ، لا يصادمه ويعارضه إلا مرضى القلوب .

يا لها من ليلة فوَّاحة عطرة ، سَعدت بها الدنيا ، وأشرق لها الوجود ، طابت بها الحياة ، واهتز لها الكون ، فلن يُدركَ هؤلاء المشركون المعارضون حقيقة هذه الَّمِنة ، وسِرَّتلكم المعجزةِ الإلهية ، وكُنَه ذلك الإنعام الفِيّاض ، لا يدركُ معناها إلا من ذاقها وعَرفها ، ألا وهو (محمدُ بنُ عبدالله) ﷺ ، يعقلها العالِمون ، الذين أدركوا مغزى قوله تعالى ﴿**فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾[1].

سريت من حرمٍ ليلاً إلى حرمٍ
كما سرىٰ البدرُ في داجٍ من الظُّلَمَ

وأنت تخترق السبعَ الطباق بها
في موكب كنت فيه صاحبَ العَلَمِ

أيها المسلمون :

كان الرسول في رحلته مشاهداً دارساً ، ليرى ويسمعَ ويُلاحظ ويجمع ، يطأ بركابه السريعِ ، وهو البُراق العجيب ، أرضاً بعيدة المدى . هذا وفي ليلةٍ من ليالي الزمن المشرقِ بطلعته ، جمع الله له النبيين والمرسلين

---

١ ــ سورة النجم (١٠ ــ ١١) .

في (كوكبةٍ) من الملائكة المقربين ، يقدمه الأمينُ جبريل ليصلّيَ بهم إماماً ، تقديراً لشأنه وعلّو مكانته ، وليعرف المسلمون مَزية الصلاة في المسجد الأقصى ، أحد المساجد الثلاثة التي تُشد إليها الرحال ، وليحافظوا عليها ، حيث كانت فريضةُ الصلاة هديةَ محمدٍ في تلك الليلة تكريماً لأمته ، التي هي خير أمة أخرجت للناس .

أيها المسلمون :

أيها الحاكمون أجمعون ، أيها العلماء العاملون : في هذه الذكرى الغالية إرشاد واضح إلى حكام المسلمين وقادتهم ، أن يجعلوا بيت المقدس وما فيه من الأماكن المقدسة مكانَ الروح من الجسد ، لأن هذه الديار هي مهابط الأنبياء والمرسلين ، وكثير من قادة جيوش أصحاب رسول الله الفاتحين .

أجل : إن فلسطين هي قلب العالم الإسلامي الممتد في دنيا الأمة العربية الإسلامية بل هي جزء لا يتجزأ من الوطن الإسلامي العربي الكبير ، إذاً فالتفريط في شبر منها ، أوفي شيء من مقدساتها ــ لاسمح الله ــ جُنوح عن الحق وخيانةٌ كبرى للضمير الإنساني العالمي ، ومسؤولية جماعية يُسأل عنها أمام الله والتاريخ ، كلُّ من له حْولٌ وطوْلٌ وقوةٌ ومَنَعةٌ ودفاع وكفاح .

إنها أمانةٌ في أعناق الحاكمين قاطبةً ، بلا استثناء . فلسطينُ الثكّلى الجريح يهتز لها عرش الله الأدنى ، يهتز لها مسرى الرسول العظيم . إنها تناديكم يا أبطال محمد ، يا قادة الغزوات الإسلامية المظفرة أيام الفتوحات الإسلامية الخالدة ، نريد أبطالاً أمثال عمرَ بنَ الخطاب ، أمثال خالد بن الوليد أمثال أبي عبيدة عامر بن الجراح ، لينقذوا ويستردوا ، هذا الجزء الغالي من الوطن العزيز .

وفي هذه الذكرى نداء عام شامل إلى التعاون ، إلى وحدة القلوب وجمع الكلمة والشمل ، إلى ربط قلوبنا بمقدساتها وقدسيتها ، وإنقاذِها من براثن الصهيونية الماكرة العاتية .

إننا نستلهم من هذه المعجزة الإلهية التاريخية تجنبَ المهاترات ونسيانَ الماضي البغيض ، لنكون يداً واحدة وقلباً واحداً أمام أعداء الله والإسلام ، وبذلك يتم لنا النصر المبين ، والتأييد المطلق الخالد .

يقول ﷺ (لما كذَّبَتْني قريش قمت إلى الحِجر) (أي حجر إسماعيل عند البيت الحرام) واشتد كربي ، فجلَّى الله ليَ بيت المقدس فطفقتُ أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه)[١] وقال ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضا)[٢] أو كما قال : ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

* * *

الحمد لله على نعمه وآلائه ، وأصلي وأسلم على أشرف رسله وأصفيائه ، أشهد أن لا إله إلا اللهُ ، الذي خلق فسوّى وقدر فهدى ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، الذي لا ينطق عن الهوى . اللهم صلِ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

عباد الله : اتقوا الله في أنفسكم ، خذوا من عبرة الإسراء والمعراج ما ينفعكم ، تذكروا اليوم الآخر الذي تُرجعون فيه إلى ربكم ، واعلموا أنه تعالى صلّى على نبيه تعظيماً له وتكريما ، فقال سبحانه (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صلِ على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلِّم .

---

١ ــ رواه البخاري ومسلم .

٢ ــ تقدم ذكره .

وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين ، وأصحابِ رسول الله أجمعين ، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين . اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأعلِ بفضلك كلمة الحق والدين ، واجمع بين قلوب القادة والحاكمين ، وانصرنا فإنك خير الناصرين ، اللهم خالف بين كلمة الكافرين والمستعمرين والمشركين ، واجعل الدائرة والطَّامة الكبرى عليهم يا أحكم الحاكمين ، ونسألك اللهم ياذا الفضل والكرم ، أن تشمَل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال ، الساهرَ على هذه الديار المقدسة ، أيده الله ، اللهم انصره وانصر جيشه المظفَّر ، وسائر الجيوش الإسلامية العربية الموحدة ، يا أكرم الأكرمين .

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء ، محفوظاً من أيدي المعتدين الغاصبين ، محفوفاً بالعناية والرعاية الإلهية ، وسائر البلاد الإسلامية ، يا أرحم الراحمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الثامنة والخمسون : الرابعة والثلاثون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

٩ رمضان ١٣٨٥هـ

١٩٦٥/١٢/٣١

(صيام الأولين والمبادىء الأساسية لصيام شهر رمضان)

اللهم إني أتوسل إليك بحبيبك محمد ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر ، وأحب الناس إليه ، أن تلهم قلبي الخير والصواب وتلهمني وترشدني الى ما فيه رضاك ، ورضاء رسولك ، اللهم لا سهل الا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، يا فتاح يا عليم افتح لنا فتحا قريباً ، اللهم أعنا على صيام هذا الشهر وقيامه ، وارزقنا فيه حسن القول والنصح والعمل ، وجنبنا مواطن الضير والزلل ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كلَّه ، لا إله إلا أنت ، عملت سوءاً وظلمت نفسي ، فاغفر لي ذنوبي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ، واحفظني واولادي ومن يحبني بما حفظت به عبادك الصالحين ، **(رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي)** .

الحمد لله أذاق المطيعين لـذة مناجاته ، وطيِّب منادمته ، ووفق العاملين للصيام ، والقيام ، والطاعة في أوقاته ، سبحانه من اله حكيم ، جعل السعادة للصائمين الصادقين ، أشهد أن لا إله الا الله ،هدى من شاء للتجارة معه ، فكانوا هم الرابحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله إمام العاملين الخاشعين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، (أما بعد) فقد قال الله العليم الحكيم ،

﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانيةً يرجون تجارة لن تبور . ليوفِّيَهم اجورهم ويزيدهم من فضله ، إنه غفور شكور** ﴾ . فاطر (٢٩ ــ ٣٠) .

معشر المسلمين :

إن تجار الدنيا يغتنمون مواسم الربح ، لما فيها من الكسب والرواج ، فإذا ما علموا بها ، تأهبوا لمواجهتها رجاء ربح بسيط ، يتحملون أخطار الأسفار جواً وبراً وبحراً ، كل ذلك في سبيل ربح دنيوي عاجل زائل مشكوك في حصوله ، ومن ذاق طعم المرابح والمكاسب ، هانت عليه المشاقُّ والمتاعب .

فكما أن للدنيا تجاراً شرهين منهمكين ، فإن للآخرة تجارا امناء رحماء واثقين ﴿ ... **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ... ﴾[١] عدَّلوا على تجارتهم مع ربهم بخالص الأعمال وحميد الخصال ، لأنها مضمونة رابحة لن تبور ، ومن واسع كرمه أنه يجازي من راقبه واتقاه ، ﴿ **جنَّةٍ عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضرَّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين** ﴾ آل عمران (١٣٣، ١٣٤). قال الحسن رضي الله عنه ، (إذا رأيت الناس منكبين على جمع الدنيا ينافسونك فيها ويتسابقون إليها ، فنافسهم في الآخرة الباقية ﴿ **ولكلٍ وجهة هو مُوليها ، فاستبقوا الخيرات ، أين ما تكونوا يأتِ بكم الله جميعاً ، إن الله على كل شيء قدير** ﴾ البقرة (١٤٨) .

يقول ﷺ (عُرى الاسلام وقواعد الدين ثلاث ، عليهن اسس الاسلام ، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر ، حلال الدم ، شهادة أن لا إله أن لا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان)[٣] وقال ﷺ (من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصةٍ ولا مرض ، لم يقضِهِ صومُ الدهر

---

١ ــ سورة النور (٣٧) .

٢ ــ بداية الآية : وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ...

٣ ــ رواه ابو يعلي عن ابن عباس والديلمي . قال الذهبي هذا حديث صحيح .

كلّه)[1] فالصيام لله ، وهو سر بين العبد وربه ، تولّى الله جزاءه بنفسه لأنه تعالى هو الذي قدَّره حق قدره ، وقال (الصوم لي وأنا أجزي به)[2] . فيا عجباً من جريءٍ على ربه ،أفطر جهاراً دون ما خجل أو حياء ، وأسفاه على سفيهٍ في ثوب حكيمٍ آثر الحظوظ الفانية الخسيسة ، على الباقي النفيس ، باع جنةً عرضها السموات والأرض ، بسجن ضيق بين أرباب الشهوات والملذات (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)[3] باع مساكن طيبة في جنات عدْن تجري من تحتها الأنهار ، بأعطانٍ ومواخير تافهةٍ مصيرُها الخراب والبوار . ﴿**يومئذ يتبعون الداعي لا عِوجَ له ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا** (١٠٨) **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن الرحمن ورضي له قولا** ﴾ (١٠٩) طه .

يا عجباً لهذا الجرىء على حدود الله ، المنتهك لحُرماته ، كيف باع أبكاراً عُربا أترابا كأنهن الياقوت والمرجان في حُسنهن وجمالهن بنساءٍ مومسات خالعات .؟ راقصات فاسدات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدانٍ بالفسق والمجون متجاهرات ، باع حُوراً مقصورات في الخيام يتزينَّ ويتهيأن للصائمين في جنة الخلد إكراماً لشهر رمضان ، باعهن هذا المضطرد بنساء خبيثات كاسيات عاريات مائلاتٍ مميلات يُفسدن العبادة والصيام بين الأنام ، ليس عليهن يا حسرتاه رقيب ، ولا صولة سَوْط ، أو حسام .

أي وربي ﴿ **أزفت الآزفة** (٥٧) **ليس لها من دون الله كاشفة** (٥٨) **أفمن هذا الحديث تعجبون** (٥٩) **وتضحكون ولا تبكون** (٦٠) **وأنتم سامدون** ﴾ (٦١) النجم ــ أي تضحكون أيها الغافلون ، وأنتم ساهون لاهون ، بالملاهي والموبقات والمسكرات مشغولون .

---

١ ــ رواه الترمذي واللفظ له وجميع : اصحاب السنة .

٢ ــ متفق عليه .

٣ ــ رواه مسلم عن أبي هريرة .

أيها الناس :

ها نحن أولا في العشر الأوائل من شهر رمضان ، أوله رحمة ، والعشر الأواسط فيها المغفرة ، والأواخر عتق من النار . شهر يا أخي الصائم أجلّه الله وعظمّه رسول الله ﷺ وقدسه المسلمون الأولون ، منذ أربعة عشر قرنا ، خصّه الله بخلال الخير ، وخصال البر ، والمعروف ، شهر الجود والكرم والإحسان . وأكثر ما كان فيه الرسول ﷺ يُحسن وجوده، فيه أنزل القرآن ، فيه كان بدء الرسالة المحمدية والنعمة السرمدية ، وفي العشر الأواسط وقعت غزوة بدر الكبرى ، التي أعز الله بها الاسلام والمسلمين . فيه كانت البشارة العظمى بنزول القرآن الكريم ، الدستور الشرعي السماوي للمسلمين ، بل للناس كافة ، نظمّ علائق العالم كلِّه ، وأقام صرح العدالة الاجتماعية والمساواة ، ولولاه لبقيت البشرية بأسرها تحت وطأة القوانين الوضعية ، الماسة لصميم الشريعة الاسلامية ، فيه كانت ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، شهر تذوب فيه مفاسد الشياطين ، ولكنّ شياطين الإنس لا يزالون منتشرين .

ليْت المسلمين يقدِّرونه حق قدره ، ليتهم يحققون غاياته السامية وفضائله وتوجيهاته . إنهم لو فعلوا ذلك لدانت لهم الشعوب ، وخضعت لهم الرقاب ، ولرجونا لهم شأناً وواقعا أفضل مما اتجهوا اليه ، في شتى أقطار الاسلام وديار السلام ، ولكن هيهات هيهات أن يعودوا الى سالف مجدهم ، وماضي عزّهم (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

أيها المسلم :

كمْ مرّ رمضان ورمضان ، وكم مضت أمثاله وأمثاله ، ونحن نعلل النفوس بالآمال . وما أضيق العيش لولا فسحة الامل .

كم مضى يا سادة من رمضانات . سبعة عشر رمضاناً فأكثر ، والمسلمون وقوف في نقطة ارتكاز ضيقة ، واقفون في أماكنهم ، إن لم يتأخروا ويتقهقروا ، خلاعة ومجون ، وتهتك واستهتار ، استغلال للدّين واستهلاك ومتاجرة واحتكار ، إباحية مطلقة في الأخلاق ، لا حدود لها ، اعتداء على الأعراض والأشباح ، وقتلٌ للنفوس وازهاقٌ لكثير من الأرواح ، واستهانةٌ بشريعة سيد المرسلين ، كما تمر بكم الأخبار يومياً في جرائد المساء والصباح إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد . هذه فواجع التبرج والخلاعة ، التي يندى لها جبين الإنسانية خجلا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

حَدَث ذلك كلُّه ويحدث والعالمُ سادرٌ في سكراته مُغْرقٌ في غفلاته وتُرهَّاته ، والناسُ في غيِّهم وجهالتهم يعمهون ، وفي لهوهم ودنياهم يسرحون ويمرحون ، حتى أظلمت أرواحهم ، وجَمَدت عيونهم ، وانطمست بصائرهم ، وضَعف وازع الدين فيما بينهم ، وتمكنت منهم الشهواتُ ، فانهارت أخلاقهم وأصبح الإسلام على شفا جُرُف هار .

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم

فأقم عليهـــم مأتماً وعويـــلا

إذاً ، كان ولا بد أن يجيء رمضان الإسلام ، ليبعثَ العالم من رقدته ، ولينصحَ ويهذب ، وينقذَه من مادتيه العمياء ، التي انغمس فيها إلى الأذنين ، ولقد كثر مقلدو الإسلام والسلام ، ولكنّ الحقيقة الدامغة لا يعلمها إلا الملكُ القدوس السلام .

أيها المسلم :

نعم كان لا بد للعالِم من مجيء رمضان ، ليصهرَ هذه القلوبَ القاسية الجاحدة المتحجرة بنارٍ وحرارة الجوع والعطش في الصيام ،

وليعالجَ هذه الصدورَ الحاقدة ببرد الإيمان ، وليطهر هذه الألسنة الأثمة بحلاوة القرآن ، وتهديده ووعده ووعيده ، وليغسل تلك الأيدي الظالمة الآثمة بماء البِّر والصدقة والإحسان ، ولينهض بالإنسان كلِّه ، حيث غفرانُ الذنوب وتكفيرُ الخطايا والآثام .

ياله من شهر ملؤه الجلال والكمال . وكيف لا يكون كذلك وقد احتفل الله به في السموات العلا ، ونادى فيه من أول ليلة من لياليه (يا باغيَ الخير أقبل ، ويا باغيَ الشر أقصر) ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان ،...** ﴾[1] .

أجل ، احتفل به المسلمون أيضاً في مشارق الأرض ومغاربها ، فأُحكمت لأجله المراصد ، وأطلقت المدافع ، وفُتحت المساجد والتكايا والمعابد ، وبَشَّرت الصحف والمجلات والإذاعات من كل جانب . ولكن ليت شعري أيُّ رمضانَ هذا الذي احتُفل به ؟ أرمضانُ القلوبِ والأرواح ومعالجةِ النفوس ؟ أم هو رمضان الموائد والبطون والأجسام والشهوات والخلافات .؟!!

جديرٌ بالمسلمين أن يعرفوا الغاية التي من أجلها كان رمضان ، إن رمضان شهر يربط العالم الإسلاميَّ كلَّه برباط واحد وثَيقٍ ، يجمع صفوفهم ويوحد كلمتهم وقلوبَهم وأعيادهم تحت لواءٍ واحد ، ألا وهو لواء الإسلام ، إنه رسالة روحية عالمية ، فيها من سعادة الفرد والمجتمع مالو علمناه وعملنا به لقادنا جميعاً إلى السلام المنشود ، ولأرشدنا جميعاً إلى جهاد كفيل بالنصر والإعزاز .﴿ **...يجاهدون في سبيل الله...** ﴾[2].

إن سلفنا الصالح عرفوا كيف يصومون رمضانهم . فصاموا عن الأحقاد والأضغان ودواعي الحسد والشقاق والخصُومة ، عن المنكر

---

١ — سورة البقرة (١٨٤) .

٢ — من سورة المائدة (٥٤) .

والخداع عن الطمع والشرور ، وشهادة الزور ، عن الغيبة والنميمة والكذب والنظر إلى أعراض الناس والمحرمات . صاموا عن فاحش الكلام والسيئات ، عن السعي إلى الملاهي والبارات والحانات ، والسِّعاية والوشايات وحفلات الرقص الموجعات المؤلمات . من أجل ذلك قال ﷺ (إذا صُمت فليصُم سمعُك وبصرُك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار . وليكن عليك سكينةٌ ووقار . ولا تجعل صومك وفِطرك سواء)[1] روي هذا عن جابر بنِ عبدالله الأنصاري ، أو كما قال ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة .

* * *

الحمد لله الذي أنعم على أحبابه بلطائف أنسه، وأعد لهم موائد كرمه في حظيرة قدسه، أشهد أن لاإله إلا اللهُ، أترع قلوبهم كؤوساً من حياض الرضا، فأرضاهم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صفوةُ الأصفياء الأخيار وأولاهم، وعلى آله وأصحابه الأخيار وبعد، فيا أيها المسلمون اغتنموا فرصة الحياة لعمل الخير وخير العمل. ولعمري إن صيامنا اليوم لا يعالج أرواحاً ولا يقوِّم أخلاقا، فإن كنتم مسلمين حقاً فجاهدوا أنفسكم وعدوكم، فذلك الرباط، وها هي ذى فُرص الساعة ، فاتخذوا من هذا الشهر موسماً للعبادة والطاعة، ومرتعاً لحضور الصلوات مع الجماعة.

اتقوا الله في صيامكم ، تجنبوا موطن الريبة والتُهم ، تمسكوا بحبل الله ذي الفضل والجود والكرم ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه وحبيبه ، وأمرنا بالصلاة عليه فقال تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا**

---

١ ــ لم أجده بهذا اللفظ وانما له شواهد تؤيده منها قوله عليه الصلاة والسلام في الصحيحين إنما الصوم جنة ، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم ، وقوله : خمس يفطرن الصائم : الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة أخرجه الأزدي في الضُّعفاء . وقوله كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش . أخرجه النسائي وابن ماجة ، وانظر مجمع الزوائد للهيثمي (١٤٤/٣) .

أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وارض اللهم عن ساداتنا الخلفاء الراشدين ، وسائر أصحاب رسول الله أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم نور بالصيام والقيام قلوبنا ، واغفر به ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، واشرح به صدورنا ، ويسر أمورنا ، أَللهُمَّ ألهم حكامنا ورؤساءنا رشدهم وسدد خطاهم ، وجنبهم مواطن الزلل والشطط في القول والعمل ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، واسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين .

ونسألك اللهم يا هاديَ الضمائر ، ومنيرَ البصائر ، أن تنير بصيرة عبدك وابنِ عبدك الحسين بن طلال ، واشمله بعنايتك وتوفيقك ، ورعايتك ، رب العالمين .

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا وسوءِ أعمالنا من لا يخافك ، ولا يرحمنا ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون)** .

(... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة التاسعة والخمسون : الخامسة والثلاثون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

١٦ رمضان ١٣٨٥هـ

١٩٦٦/١/٧

كما ألقيت مرة ثانية من على منبر دار الفقه والحديث بعمّان في ١٥ رمضان سنة ١٤٠٤هـ وفق ١٩٨٤/٦/١٥ .

« أحداث شهر رمضان التاريخية »

اللهم لا سهل إلا ما جعلته لنا سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، يا فتاح يا عليم افتح لنا فتحاً قريبا ، أحمدك اللهم بجميع محامدك كلها ، ما علمت منها وما لم أعلم ، متوجهاً إليك بسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، نبى الرحمة وهادي الأمة ، متوسلاً إليك به ، وبكل رسول أرسلته وبكل ولي أيدته ونصرته ، أن تعينني على الجهر بالحق ، ولو على نفسي ، وأن تستعملني بجميع حواسي في طاعتك ورضاك ومحبتك ، التي لا أبغى سواها ، فإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلا برحمتك ، فاجعل لي عندك عهداً توفينيه يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد . رب اغفر لي ذنوبي كلّها ، ما علمت منها ومالم أعلم (**رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**) .

الحمد لله واسع الفضل ، تفضّل علينا برسول الهداية ، هدانا لشريعته العادلة ، أنعم علينا بنعمة الصيام والقيام ونزول القرآن ، وكثير من الهبات والخيرات والفتوحات ، في شهر رمضان . أشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، حذرنا من الفُرقة والاختلاف ، ودعانا إلى

الوحدة والائتلاف ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، حثنا على العبادة في فضائل الأيام . ذلكم الرسول العظيم المؤيدُ في غزوة بدرٍ الكبرى ،فكان خيرَ نصرٍ وإتحاف . اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا سبيله ، وتباعدوا عن كل جفاء وخلاف .

« أما بعد » فقد قال سبحانه ﴿ **شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآنُ هدى للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان ،...** ﴾ البقرة (١٨٥) .

أيها المسلمون :

إذا كانت الأشهر والأعوام تتفاضل بما يقع فيها من أحداث تاريخية هامة ، فلشهر رمضانَ فضائلُ كبرى ومزايا عظمى ، لا توجد في غيره من الشهور ، فمن أبرز أحداث هذا الشهر التاريخية وأنعمِها على الأنام رسالةُ محمد عليه الصلاة والسلام إلى الناس كافةً ، شاهداً ومبشراً ونذيرا ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا . فهو دعوة إبراهيمَ المستجابةِ يوم قال ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتِك ويعلمُهم الكتابَ والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيزُ الحكيم** ﴾[1] وهو بشرى عيسى بن مريمَ المستطابة ﴿ **وإذ قال عيسى بنُ مريمَ يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مُصَدقاً لما بين يديّ من التوارة ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين** ﴾ الصف آية (٦) .

على أن أهل الملل الكتابيين يعرفون محمداً ﷺ قبل بعثه للعالمين ﴿ **الذين آتيناهمُ الكتابَ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحقَّ وهم يعلمون** ﴾ البقرة آية (١٤٦) .

---

١ ـــ سورة البقرة (١٢٩) .

أيها المسلم الكريم :

في زمننا هذا لقد حقق الله المعجزةَ الإلهية ، ففي السابعَ عشَر من شهر رمضان سنة ثلاث عشْرة قبل الهجرة النبوية ، وفق عَشْرٍ وستِمائةٍ ميلادية من شهر يوليو (تموز) ، كانت هذه البَعثةُ المشرقةُ الوهاجةُ في مكةَ المكرمةِ . فقام هذا الرسول في دعوته معتمداً على خالقه في تأدية رسالته ، وبعد كفاح شاق مرير ، وعقبات كؤود ، وصعوباتٍ عارمة ، هاجر إلى المدينة المنورة إلى دار الهجرة ، حيث الأنصارُ الذين نصروه وآزروه ، فاستحقوا مِدحة ربهم في كتابه ﴿ **والذين تبوَّؤا الدار والإيمان من قبلهم يُحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ الحشر آية (٩) .

نعم هاجر إلى أرض مليئة بوافر العزة والعطف والكرامة ، حيث تنبت الدعوة الإسلامية من جديد .

فكل امرىءٍ يولي الجميل محبَّبٌ ، وكل مكان ينبت العز طيب . وفي السنة الثانية للهجرة بعد بزوغ شمس الدعوة الإسلامية هناك ، أوجب الله على المؤمنين صيام شهر رمضان . ولما كان الإنسان مجبولاً بفطرته وطبيعته على حب نفسه وماله ، غافلاً عن حاجة غيره من الفقراء والمستحقين ، أوجب الشارع الحكيم صدقة الفطر ، ليكون صوم رمضان سليماً مقبولا ، لقوله ﷺ (صومُ شهر رمضان معلق بين السماء والأرض ولا يرفع إلا بزكاة الفطر)[1] قطع المسلم شوطاً بعيداً أثبت كفاءته وصبره واحتماله الصعاب في الصوْم ، وفي نفس السنة الثانية للهجرة نفسها فرض الله على المسلمين زكاة أموالهم ، لأنها قنطرة الإسلام ، وليجمع المسلمُ بين عبادتي المال والبدن ، ذلك لأن زكاة المال

١ ـــ رواه أبو حفص بن شاهين ، وهو جيد الاسناد .

نظام بيت المال الأساسي ، الذي يتم به إصلاحِ المجتمع الإسلامي . وقد بين الله إصناف المستحقين الثمانية ، كما بين زمانَ ومكان الاستفادة من هذه الزكاة ، ذلك كله ليكون التضامنُ الاجتماعيُّ ، والتكافلُ الأخويُّ ، وليديَّ العقيدة الإسلامية الحقة ، ومن هنا يرتفع صرح المجتمع الإسلامي ، وتثبت دعائم الأمانِ والاستقرار دون ما حاجةٍ إلى الماركسية الشيوعية . ومن هذا النظام الإسلامي تنبع الرحمة من قلوب المزكين والمحسنين ، وينتشر التراحم والتعاطف بين الناس أجمعين .

أيها المسلمون :

لا أذهب بكم بعيداً لمَّا طبق المسلمون الأولون أحكام الإسلام وتعاليمِ جزيئاتِه وكلياتِه ، وأشرق نوره في الأرض ، أصبح لديهم آنذاك طاقاتٌ إيمانيةٌ واسعة ، تؤهلهم للكفاح والجهرِ بالدعوة والصمود أمام هزات المشركين العنيفة . يومِ وقفوا في وجه محمد ﷺ وأصحابه منذ أربعة عشر قرنا ، ليعرقلوا سير الحركة الإسلامية ، وظنوا أن شهر الصيام فرصة كافية للانتقام من محمد ﷺ ومؤيدي رسالته ، وظنوا أن قوى المؤمنين لا تصمدُ أمام جحافل الشرك من أثر الصيام ، فتحرشوا بالمسلمين وكانت غزوةُ بدرٍ الكبرى ، في السابع عَشر من شهر رمضان . فبها تغير وجه التاريخ ، وتطورت الدعوة الإسلامية ، وكانت نتائج النصر المظفَّرِ ساطعةً في أفق الوجود الإسلامي ، تصبحُ بالفتوحات والتأييد .

أيها المسلمون :

إنه لا يهمنا من غزوة بدر الكبرى الكمُّ ، أي العدد والعدُد ، يوم التقى الجمعان ، وإنما يَهُمنا منها الكيفية ، الا وهي دستورية القائدِ الأعلى المجَّرب محمد بن عبدالله ، وحكمتُه وسياستُه واستشارة أصحابه في كل موطن واجهوه . فمن أسباب فوزها إخلاصُ الجند ، وثقتُهم بالنصر ، ومن اسبابها اعتماد القائد الأعلى محمدٍ ﷺ على ربه ، ولما تراءى الفريقان ، ورأى

رسول الله قلة عدد المسلمين ، التجأ إلى ربه في هذه الأزمة الهائلة ، والمعركةِ الفاصلة ، فوقف في عريشه ضارعاً إلى خالقه ، هاتفاً قائلاً (اللهم إنَّ هذه قريشاً قد أدت بفخرها وخيلائها لتحادك ورسولك ،[1] اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلِكْ هـذه العصابةُ من أهل الإسلام فلن تعبد في الأرض)[2] .

ونزل بأصحابه ميدان المعركة ودارت رحى الحرب ، وكان أسطولُ محمدٍ البريُّ آنذاك مجهزاً بما أمكن من السلاح ،تؤيده وتُعززه طاقات الإيمان الصحيح ، نعم كان الأسطولَ الذي لا يُغلب ، لا كأساطيل الكفر والبغي والطغيان المتوعِّدةِ لكل حركة إسلامية عربية ، لكنها تقف بالمرصاد لمن يعتدى على ركيزتها إسرائيل ، طَعام الصهيونية العالمية الماكرة الغادرة .

أجل أيها المسلمون :

لقد أيقن جيشُ محمد الإسلاميُّ بنصر الله . وقوةُ الواثق بربه لا تهِنُ ولا تلين ، وروحُ الواثقِ بربه لا تقاوم ، والذي زاد في حماس المحاربين وبسالتهم ، وقوفُ القائد الأعلى محمدٍ ﷺ على رأس المعركة .

إنَّ أبر، شيء تجلَّى في غزوة بدر آنذاك هو المدد الروحيُّ الإلهي الملائكيُّ النُّورانيُّ . بشر الله المؤمنين به ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلةٌ ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون . (١٢٣) إذ تقول للمؤمنين أَلَنْ يكفيَكم أن يُمدَّكم ربكم بثلاثة آلافٍ من الملائكة مُنْزَلين (١٢٤)** ﴾ ثم قال تعالى ﴿ **بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يُمدْدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين** ﴾ (١٢٥) آل عمران .

---

١ ــ جامع البيان (١٠/١٧) .
٢ ــ رواه مسلم (١٢/٨٤) .

يا مسلمي زماننا اليوم :

إن قوة الملائكة الهائلة لا تحيط بها العقول البشرية . واسمع يا أخي قولُ ربك العليِّ الكبير ﴿ **فكلاً أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم مَن أخذته الصيحة ومنهم مَن خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمَهم ولكن كانوا أنفسَهم يَظلمون** ﴾ العنكبوت آية (٤٠) ومن أسباب النصر العجيبة ، القاءُ الرعب في قلوب اعدائهم ، لقوله ﷺ (نُصِرت بالرعب مسيرة شهر)[1] كل ذلك كان بسبب وحِدة قلوبهم وفيض إيمانهم ، ولعلَّ قادتنا وحكامنا ورؤساءنا يتلقوْن دروساً ناجعةً من جهاد محمد ﷺ وأصحابِه ، ليُجمعوا أمرهم على استرداد وطن منهوب مسلوب . ولعلَّ شعبنا يصحو من غفلته وكبونه ، فلا يفرطَ في أرضه لدخيلٍ أو مغتصِب ، لئلا تكررَ الكارثة ، وتعود الفاجعةُ والمصابُ الجلل.

أيها المسلمون :

من أحداث رمضان التاريخية الهامةِ المتواليةِ ، التي وقعت عبر التاريخ ــ ولكل حادثة تاريخها ــ والسنةُ الهجرية التي وقعت فيها ، من ذلك : فتحُ مكة المكرمةِ سُرَّةِ الدنيا بأسرها ، وواقعةُ القادسية ، وفتحُ جزيرة رودس ، وفتحُ الأندلس . وفيه أسس العرب مدينة (كانديا) بجزيرة كريت (اليونان) ومنها استيلاء أحمدَ بنِ طولون على مصر ، وفي شهر رمضان سنة أربع وثمانين وخمسمائةٍ قاتلَ صلاح الدين الأيوبيُّ الظافرُ جيوشَ الصليبيين الغاشمين في سوريا ، وهزمهم ، وعادت إلى الشام صبغة الإسلام : وفي سنة خمسٍ وتسعين وخمسمائة رد صلاح الدين الأيوبي نفسه جموع الصليبيين عن مدينة (صور) في لبنان . وهناك أحداث خطيرة جسام وقعت في شهر رمضان ، لا يتسع لها هذا المقام ، عادت على الأمة العربية الإسلامية والمسلمين جميعاً بالنصر والوئام .

---

١ ــ البخاري (٣٣٥) .

أيها المسلمون :

هذا هو رمضانكم ، فصححوا فيه صيامكم ، فما صام من كذب أو اغتاب وسعى في الأرض بالفساد . وأنتظروا بحسن النية ليلة القدر ، فإنها سريعة غريبة وعجيبة ، وإياكم وأنتم عاكفون في المساجد ، إياكم والنظرة إلى المحرمات وفضولِ الكلام والشَغْب ، لأن الكلام في المساجد يأكل الحسناتِ كما تأكل النارُ الحطب ، وإلاّ فإحياءُ ليلة القدر وصلاةُ النافلة في المنازل أفضل . قال ﷺ (لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني أدم ، لنظروا إلى ملكوت السموات) وقال ﷺ من صام رمضان وعرف حدوده وتحفَّظ ما ينبغي له أن يتحفظ ، كفَّر ما قبله ، وقال عليه الصلاة والسلام (استحيوا من الله حق الحياء) ، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ (من حَفظ الرأس وما دعى ، والبطنَ وما حَوى ، وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء)[1] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

* * *

الحمد لله الكريم المعطاءِ ذي الفضل والنوال ، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد والصحب والآل .

عباد الله :

نحن الآن في العشر الأواسط من رمضان ، وبعده العشرُ الأواخر ، فتأهبوا لتلقيه ، واعملوا من الصالحات لليوم الأخر ، أين اللائذون بالجنات .؟ اين الواقفون على أبواب الملك العلام .؟ لينالوا الخيرات .؟ أين الهُجَّدُ والركعُ السجود .؟ هذا عشر يتم فيه الإسعاد والتكريم ،

---

١ ـــ رواه الامام احمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود باسناد ضعيف .

ويتفضل الله فيه بجزيل الإنعام ، ويعافي فيه مريض الذنوب السقيم . اتقوا الله عباد الله وراقبوا ربكم واستغفروا لذنوبكم ، يغفرْ لكم ويزدكم إيماناً إلى إيمانكم . واعلموا أنه تعالى أمرنا بالصلاة على رسوله ، بدأ فيه بنفسه ، وثنَّى بملائكة قدسه وأنسه ، قال تعالى ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم . وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ إبي بكر وعمرَ وعثمانَ وعلي ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم إنا ندعوك دعاء من يرجوك ويخشاك ، ونبتهل إليك ابتهالَ من لم يخطر بباله عند سؤاله أحدٌ سواك ، ورحمتُك يا مولانا تسع من أطاعك منا وعصاك ، اللهم فتداركنا هنالك برحمتك الواسعة ، ونسألك اللهم أن تجعل لنا من غزوة بدر عبرةً وعظة نافعة . ولا تردَّنا خائبين محرومين، اللهم اجمع كلمة حكامنا على القول العادل ، واكتب لهم النصر الشامل ، وادفع عنهم عزة التشاحن وذِلة التخاذل ، واغمد فيما بينهم سيف الفساد والفتنة بالباطل ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وأصلح ذات بيننا ، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغنيُّ ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين . اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ونسألك اللهم ياذا الفضل والمنة يا جامعاً بين القلوب المتنافرة المتباعدة نسألك أن تشمل الحسين بن طلال بعنايتك وتوفيقك ، وأن تجعل له السبيل النيِّر الأقوم الخيِّر تُسدد فيه خطأه يا أكرم الأكرمين .

واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء ، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي . يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

الخطبة الستون : السادسة والثلاثون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

١٤ شـوّال ١٣٨٥هـ

١٩٦٦/٢/٤

(عودة المسلم إلى المعاصي بعد صيام شهر رمضان)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه ، اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت ، اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن (... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**) .

الحمد لله الدائم الباقي ، فلا يزول ولا يتغير ، الحكيمِ الذي جعل في انقضاء الشهور وتقلُّبِ الليل والنهار ، عبرةً لمن تذكر وتدبر ، الحليم الذي لا يعجَل بالعقوبة على من عصاه ، ولو أنه بالتوبة تأخر ، لا إله إلا هو جعل الفلاح لمن عمل بأحكام دين رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ فتحَ أبواب رحمته لمن داوم على طاعته ، وحجب نبراسَ هدايته عمن انقاد لشهوته ، وانغمس في حمأة رذيلته ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله ، إمامُ المرشدين والمصلحين ، سيد الأنبياء والمرسلين ، اللهم فصلِ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، ومن تمسك بالدين ما توالت الأعوام والشهور .

أما بعد ، فقد قال جلت حكمته ﴿**واستمع يوم يناد المنادِ من مكان قريب(٤١)يوم يَسمعون الصيحةَ بالحق، ذلك يومُ الخُروج(٤٢)إنا نحن نُحيي ونُميتُ وإلينا المصير(٤٣)يوم تَشقَّقُ الأرض عنهم سِراعا، ذلك حَشرٌ علينا يسير(٤٤)نحن أَعلمُ بما يقولون، وما أنت عليهم بجبَّارٍ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد**﴾(٤٥) سورة ق .

أيها المسلمون :

إن الله جلت حكمته ، جعل لكل بداية نهاية ، ولكل وسيلة غاية . فنهاية حقائق الأشياء بما يُصيبها من تلف وعطب ، وما يمر عليها من أيام وليال ، ونهاية العالم هي دماره وتخريبه ، بتقدير العزيز الحكيم ﴿ **ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً** (١٠٥) **فيذرُها قاعا صَفْصَفاً** (١٠٦) **لا ترى فيها عِوجا ولا أمتا** ﴾ (١٠٧) طه . ﴿ **ألم يأنِ للذين أمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أُوتوا الكتاب من قبلُ فطال عليهمُ الأمَدُ فقست قلوبُهم ، وكثيرٌ منهم فاسقون** ﴾ (١٦) الحديد . وفي القرآن كثير من هذه الدلائل والبينات ، وفي الحديث ، من أراد أن يعرف أهوال يوم القيامة فليقرأ السُّوَر الثلاث وهي التكوير والانفطار والانشقاق . فمن ذلك قولُه تعالى ﴿ **واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب** ﴾ سورة ق : الآية (٤١) .

بعد أن بيَّن الله سبحانه وتعالى بأنه خلق السمواتِ والأرضَ في ستة أيام دون تعب أو مشقة أو لغوب ، قال سبحانه لمنكري البعث على لسان نبيه ، يا محمد (استمع يوم ينادي المنادي ، يوم صيحة البعث ، وهي النفخة الثانية بعد الصيحة الأولى بأربعين عاما ، والمنادي يومئذ هو إسرافيل ، وجبريل ينادي بالحشر (أيتها العظام البالية والأوصالُ المتقطعة ، ويا عظاماً نخرة ، ويا أكفانا ممزقةً فانية ، ويا قلوباً خاوية ، ويا أبداناً فاسدة ، ويا عُيوناً سائلة ، قوموا الفصل القضاء . قوموا العَرض رب العالمين) أليس الله بأحكم الحاكمين (يوم يسمعون صيحة البعث حقا وصدقا ، لا حَدْسا ولا تخمينا ولا ظنا وذلك من فوق صخرة بيت المقدس لما ورد أنها وسَطُ الأرض وأقرب أرض إلى السماء بثمانية عَشَرَ ميلا ، والخروج هو الاجتماع ليوم الحساب ، وهناك يقول الحق سبحانه وتعالى بنفسه ﴿ **إنا نحن نحيي ونُميت وإلينا المصير** ﴾ نميت الأحياء ونحيي الموتى ، يقع ذلك (يوم تشَقَقُ الأرض عنهم سراعا) وذلك الحشر هيِّن سهل علينا لا تعبَ فيه ، ففي الحديث عن النبي ﷺ (عندما يَنفخ إسرافيل تخرج أرواح الخلائق

كأمثال النحل أو الجراد المنتشر ، وقد ملأت ما بين السماء والأرض ، فيقول الله تبارك وتعالى ﴿ **وعزتي وجلالي ليرجعنَّ كلُّ روح إلى جسده** ﴾ يعني ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنَّا كنا فاعلين** ﴾ قال فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد ، ثم تدخل في الخياشيم ، (أي الأُنوف) فتمشي في الأجساد مشْيَ السُّم في اللديغ وهذا هو النشر ثم تنشق الأرض عنكم (يعني وهو الحشر) وأنا أول من تنشق عنه الأرض[1] فتخرجون منها ، ثم أراد سبحانه أن يُسلِّيَ نبيه ﷺ فقال (نحن يا محمد أعلم منك ومن غيرك بما يقوله الناس عنك ؛ من تكذيبك ، وشتمك وما يبِّيتونه لك ولأصحابك يا محمد ، لستَ عليهم بمسيطر ولا متسلط ولا جبار ، يا محمد ذكرٌ بهذا القرآن من يخاف وعيدي وتهديدي وبطشي وتأنيبي ، ذكر بالقرآن من يحسب حساباً للآخرة ، ويخاف مما أعددتُه للعُصاة من قصفي وتعذيبي ، قال قتادة رضي الله عنه ، عند ذكر هذه الآية ، (اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدَك ويرجو موعدك وعفوك) .

أيها المسلمون :

إن كان شهر رمضان قد مضى كأنه طيْفُ خيال ، وعزمتم على العود إلى التفريط والضلال في شوال ، فالله حيٌّ أبديٌّ سرمَدي ، لا يُدركه زوال ، ولا يُفنيه تداول الشهور والأيام ، لا تقولوا ذهب رمضان بما فيه ، وتستغلُّوا ما بعده من الشهور ، في اللهو واللعِب والفسوق والآثام ، إذ لا يعزُبُ عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، من أحوالكم وأعمالكم .

أيها الشيخ الكبير الفاني : ألم تعتبر بمرور الأيام والليالي .؟ لِم لمْ تنزجر بمرور الساعات والثواني .؟ وهي قائلة ومذكِّرةٌ لك :

---

١ ــ رواه مسلم .

دقّات قلب المرء قائلة لــــه إن الحيـــــاة دقائـــق وثوانِ

أيها الشاب المغرور بشبابك وقدِّك وطولِك ونضارتك ، يا من كنت تدعي الإسلام في شهر الصيام ، وفي بيوت الله أطلقتَ لنفسك العِنان ، وأسنانَ اللسان في تجريح أعراض الناس وأكلِ لحومهم ، فكيف بك اليوم وأنت في شوالٍ وبعد رمضان : أما آن لك يا مسكين أن ترجع لمولاك ، إلى الملِك العلاَّم ، بادر بالمتاب إلى مَلِك الملوك ، قيوم السموات والأرض ، الذي يأخذ بالنواصي والأقدام ، وكلَّ يوم هو في شأن ؟

لا تتكل أيها العاصي على سَعَةِ رحمته ، فذلك من ضعف الدين وقلة اليقين ، لا تجحد أيها القاسي فضلَ ربك عليك ، إذ كنت لا تُحسِنُ التدبير ، يا مغروراً بحلمه وكرمِه وإمهاله ، والله يُملي له بسيِّيء أعماله . تذكر أيها العاصي لطفَه بك في ظلمات الأرحام ، ألم يأنِ لمرتكبي الموبقات والجرائم أن يكفوا عماهم فيه مغرقون .؟ ألم يأنِ لمرتكب كبيرة الزنا أن يستحيي من العزيز الرقيب العلاَّم .؟ ألم يأنِ للمنافق المتزلف لأهل الدنيا حرصاً عليها ، أن يُسالم ربه الذي هو على أعماله حفيظ ورقيب ، ألم يأنِ للحاقدين الحاسدين المشتغلين بعيوب الناس ، أن يتركوا هذه المخازي والفضائح ويشتغلوا بنقائصهم وعيوب أنفسهم .؟ ويسمعوا قول رسول الله ﷺ (طوبى لمن ذل نفسه و طاب كسبُه ، وحسنت سريرته ، وكرُمت علانيته ، وعَزَلَ عن الناس شرَّه ، طوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله)[١] وهو الذي يقول (طوبى لمن شَغَله عيبه عن عيوب الناس)[٢] .

أين الذين كانوا في رمضان يذكرون الله ويعبدونه .؟ تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفاً وطمعا، ومما رزقناهم يُنفقون . أين الذين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون .؟ وبالأسحار هم يستغفرون .؟ وفي آيات الله يتفكرون ويتدبرون .؟

---

١ ــ رواه الترمذي والطبراني في الكبير عن ركب المصري وسنده ضعيف .

٢ ــ رواه الديلمي في الفردوس .

رحم الله عبداً عرف ربه ، فأقبل على الحياة الباقية ، وأعرض عن الحياة الذاهبة الفانية .

رحم الله عبداً عرف مساوىء لسانه ، فأمسكه عن الغمز واللمز والطعن في الأعراض والأنساب . يقول الرسول ﷺ (إن الفُحشَ والتفحُّشَ ليسا من الإسلام في شيء ، وإن أحسن الناس إسلاما أحسنُهم خُلُقا)[1] .

أيها الناس :

إن الله أوجدكم في دار لا تخلو من المصاعب والكوارث ، أنوارها ظلمات ، إن أضحكت أبكت ، وإن صَفَت سقت صاحبَها شرابَ المتاعب ، متاعُها قليل ، وصحيحها عليل وآخرُها زوال ورحيل ، إلى دار ذات عقبات ونوائب ، تنبهوا لدسائسها ، واحذروا من نفائسها ، وتأملوا في العواقب فالذنوب لا تُنسى ، والديَّان لا يموت ولا يفنى ، وعمل البر لا يزول ولا يَبْلَى ، والكرام الكاتبون لا يهملون شيئا من سواء أعمالكم ، فوالله ما ضيَّع قوم حقوق ربهم إلا صُبَّتْ عليهم الرزايا والمصائب ، وما تعامل قوم بالمحرمات والمنكرات ، إلا ظهرت فيهم أنواعٌ من العذاب ، وما شرب قومٌ خمُوراً أو شهدوا زوراً ، إلا شاهدوا من ربهم العَجب العجاب ، وما أطمأنت قلوب قوم بذكر الله ومجالسِ علمه ومعرفته ، إلا حفتهم الرحمات من كل جانب .

أيها الشباب :

إلى متى .؟ تلهو تلعب وتشرب وتطرب ؟ وحتَّامَ تفِرُّ من الله إلى الشهوات والملذات وحفلات الدنس والرقص .؟ ويحك تتحايل على رزقك بشتى الوسائل والأمال ، وقد حقق الله لك جميع أمالك ، أفيقوا أيها الناس من سكراتكم . فقد ذهبت بلادكم لليهود شبراً شبرا قبل نكبة

---

١ ــ رواه الحافظ العراقي باسناد صحيح .

فلسطين ، وستذهب منكم بالسمسرة والبيع مرة أخرى . ويالها من فضائح ونوائب ولسنا معتبرين ..! خطب رسول الله ﷺ خطبتَهُ الأولى في مكة بعد حمد الله والثناء عليه ، فقال (إن الرائد لا يكذبُ أهله ، والله لو كذبتُ الناسَ جميعاً ما كذَبتُكم ، ولو غررتُ الناسِ جميعاً ما غررتُكم ، والله الذي لا إلهَ الا هو ، إني لرسول الله إليكم خاصةً ، وإلى الناس كافةً ، والله لتموتنَّ كما تنامون ، ولتبعثنَ كما تستيقظون ، ولتحاسبُون بما تعملون ، ولتجزَوْنَ بالإحسان إحسانا ،وبالسوء سوءاً ،وإنها لجنة أبداً ،وإنها لنار أبدا) .

أيها المسلم :

عهدناك في شهر الصيام محافظاً على إقامة الشعائر الدينية ، حريصاً على شهود الجمعة والجماعات ، مقبلاً على استماع القرآن ومجالس العلم والإحسان ، أتُراك بعدما ذقت حلاوةَ الطاعة تعود إلى مرارة العصيان.؟! أتراك بعدما حُسِبتَ في عِدادِ المصلين ، تَتركُ صلاتك وهي عماد الدين وشعارُ المؤمنين ؟؟ .

أيها المسلم :

الدنيا مزرعة للآخرة ، الدنيا عمل ولا حساب ، والآخرة حساب ولا عمل ، فخذ من دنياك لآخرتك ، ومن حياتك لموتك ، ومن صحتك لمرضك ، ومن غناك لفقرك . اشتغل يا أخي بعيوب نفسك لا بعيوب غيرك ،تزود لسفر طويل،ولمنزل عميق غير منزلك الدنيوي،واستعدَّ للحساب الأخروي ﴿**...يوم ينظر المرء ما قدمت يداه...**﴾[1] ، ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ،...** ﴾[2] ، ﴿ **ويوم يَعض الظالم على يديه ...**﴾[3] ﴿ ندما وتحسُّرا على ما فرَّط في جنب الله ، وما جنته يداه ﴿**ويوم تُبدل الأرض غير الأرض والسموات،وبرزوا لله الواحد القهار**﴾[4].

---

١ ــ سورة النبأ (٤٠) .
٢ ــ سورة آل عمران (١٠٦) .
٣ ــ سورة الفرقان (٢٧) .
٤ ــ سورة ابراهيم (٤٨) .

يقول ﷺ (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإنْ قل)[1] ويقول عليه الصلاة والسلام (يُبعث الناس حفاةً عراةً غُر قد ألجمهم العرق ، وبلغ شحومَ الآذان ، قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضُنا بعضا فقال ﷺ قد شُغِل الناس لكل امرىءٍ منهم يومئذٍ شأن يُغنيه)[2] أو كما قال ، ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة .

* * *

الحمد لله ﴿ **غافرِ الذنب وقابل التوب شديدِ العقاب ذي الطول ، لا إله إلا هو ، إليه المصير** ﴾ غافر آية (٣) أشهد أن لا إله إلاَّ هوَ اللطيف الخبير وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله البشيرُ النذير ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الأطهار ، الذين فازوا بتقوى الله تعالى فكانوا هم السادةَ الابرار .

وبعد ، فاتقوا الله عباد الله . عودوا إلى سالف مجدكم وماضي عزكم . عودوا إلى تراثكم الخالد . الذي ورثتموه عن محمد وأصحابه ولا تهملوه ، فإن الله سائلكم عما استرعاكم ، حفظتموه أم ضيعتموه ؟ داوموا على طاعتكم وعبادتكم ، وتأدبوا في مساجد الله ، واعلموا أن الله مع المتقين .

لا تغتابوا الناس ، لا سيما وأنتم في المساجد ، فإن الله كان عليكم رقيبا . أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا . وآعلموا أنه تعالى صلى على نبيه تعظيماً وتكريما ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ اللهم صلِ وسلم وبـارك على سيدنا محمـد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

---

١ ــ متفق عليه عن عائشة

٢ ــ رواه ابن جرير عن أبي عمار المروزي .

كثيرا ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمرَ وعثمان وعلي . وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت ، إنك على كل شيء قدير .

اللهم اجمع على الحق شمل الأمة العربية الإسلامية وسائرِ المسلمين ،وألِّفْ بين قلوب القادةِ والحاكمين ، وألهمهم العمل بما يرضيك رب العالمين .

إلهنا وسيدنا ، هذا حالُنا لا يخفى عليك ، وهذا عجزنا ظاهر بين يديك نسألك الهدى والتوفيق ، فالفضل منك وإليك ، اللهم أصلح ذات بيننا واهدنا سبل السلام ، ونجنا من الظلمات إلى النور ، اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك ، ونعوذ بعفوك من نقمتك ، اللهم واهبَ الفضل والرحمة نسألك اللهم أن تشمل الحسينَ بن طلال بهدايتك ورعايتك ، اللهم ألهمه عمل الخير الموصِّلِ إلى وحدة القلوب وجمع شملها ، يا رب العالمين .

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

الخطبة الحادية والستون : السابعة والثلاثون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

٦ ذو القعدة ١٣٨٥هـ

١٩٦٦/٢/٢٥

(الصدق حلية المؤمنين وزينة العاملين)

اللهم لك الحمد والشكر أولاً وآخراً ، عدد الائك ونعمك كلها ؛ ما علمت منها وما لم أعلم ، مُصلياً على رسولك المصطفى ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعدد كل معلوم لك ، اللهم اجعل في خطبي وخطبتي هذه قبولاً وصلاحاً وانشراحا ، وارزقني الصدق والاخلاص يا أرحم الراحمين ، اللهم اني أعوذ بك من شرور نفسي وسيئات أعمالي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت ، وما أنت أعلم به ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير ، اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن . اللهم صَلِّ وسَلِّمْ وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي ، الحبيب العالي القدر ، العظيم الجاه ، وعلى اله وصحبه وسلم ، (... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**) .

الحمد لله الذي أمر خلقه بالصدق ، وجعله مفتاح الخير والنجاح ، وعنوان التقدم والفلاح ، وحذَّرهم من الكذب ، الذي هو سبب المذلة والعار ، وموجبُ التأخر في الأمم والدمار ، وجرثومة الفساد والاضمحلال . (نحمده) سبحانه ونشكره ، ونتوب إليه ونستغفره ، ونسأله أن يجنبنا الكذب والكذابين . ويحببنا الى الصدق والصادقين ، أشهد أن لا إله إلا الله شهادةً تُكسِبنا عند الله منازل الصديقين والصادقين . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، سيدُ العرب والعجم وحامل لواء الصادقين ، يوم تفزع إليه الشعوب والأمم ،

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه المتخلقين بأخلاقه ، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، أيها المسلمون : فقد قال جلت حكمته ﴿ **وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنكَ ومن نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظاً** (٧) **لِيسألَ الصادقين عن صدقهم ، وأعدَّ للكافرين عذاباً أليماً** ﴾ (٨) الأحزاب .

أيها المسلمون :

لقد أمرنا الله سبحانه بالصدق ، ونهانا عن الكذب ، وفي كل من الأمر والنهي خيرٌ لنا وللعالم أجمع . فالصدق فرع الاخلاص ، الذي هو أساس العبادة لله ، وهو من الأخلاق الاسلامية العالية ، والنواحي التربوية الهامة السَّامية ، يتصف به الأوفياء من المؤمنين ، وبقيادة المخلصين من الناس ، ولا يتجمل به إلا أولئك العاملون ، الذين صفت أرواحهم من الكدر والأنانيَّة وحب الذات ، وطهُرت قلوبهم من الرَّيْن ، وسلِمت صدورهم من الإحَنِ ، والغش والمكرِ والخداع ، يقولون حقا ويبرمون عدلاً وصدقاً ، رجفت قلوبهم من وعيد الله وتهديده فَزَعاً وفرقا ، في قوله جل وعز ﴿ **ويلٌ يومئذ للمكذبين** ﴾[1] فقدَّموا رضاء الله على رضاء الناس ، عَرفوا أنفسهم فلم يجاوزوا قدرهم ، اختاروا طاعة رسولهم على طاعة شيطانهم ، خضعوا لعقولهم ، فلم يخضعوا لعواطفهم وأهوائهم ، آثروا محبة خالقهم على محبة عباده المشوبة بالمصالح والمآرب . فما أكثر يقين الصادقين بالله ، وما أجمله ، وما أشدَّ ثِقتهم بما عند الله ، وما أكثر فزعَهم وخوفَهم من مكر ربهم وعقابهِ وتهديده ، يوم سمعوا قوله الحكيم ﴿ **أفأَمِنَ أهلُ القُرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون** ﴾(٩٧) و ﴿**أو أَمِنَ أهلُ القُرى أن يأتيهم بأسُنا ضُحىً وهم يَلعبون** ﴾ (٩٨) ﴿ **أفَأَمِنوا مَكرَ الله ، فلا يأمَنُ مكرَ الله الا القومُ الخاسرون** ﴾ (٩٩) الأعراف .

---

١ ــ سورة المرسلات : الآية (١٥) .

أجل أيها الناس :

لقد عَرَف هؤلاء الصادقون خِسَّة هذه الدنيا ودناءَتها ، عرفوا قيمتها وقدرها عند خالقها ، سَبَروا غورها وعرفوا ما فيها ، فوجدوها أمانيَّ وأحلاماً ، عندما سمعوا قول الرسول الحكيم ﷺ (والله لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتمْ قليلاً ولبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون الى الله)[1]وصدق الله العظيم إذ يقول عن هؤلاء المُترفين المُغْترِّين بدنياهم وامتدادها معهم ﴿ **فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون** ﴾ التوبة (٨٢) . قال أهل اللغة إنما سميت الدنيا بهذا الاسم . لخستها وسرعة ذهابها وزوالها . نعم لقد علم هؤلاء الصادقون ، أن هذه الدنيا الماكرة البَّراقة ، أقلُّ من أن يُعصَى الله فيها برذيلة الكذب الممقوت ، الذي يُهين كرامة الانسان ، ويَذهبُ بشرف الرجال والنساء ، ويسيىء إلى سمعة الاسلام والمسلمين ،ويكون سبباً في فشل الأعمال وضياع الحقوق ، ويورث صاحبه في الآخرة العذاب المهين ﴿ **ويوَم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مُسودَّة ، أليس في جهنمَ مثوى للمتكبرين** ﴾ (٦٠) ﴿ **ويُنجِّي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسُّهمُ السُّوء ولا هم يحزنون** (٦١) الزمر .

معشر المسلمين :

الصدق من أجل الوسائل التي تُحبب الانسان للناس ، وتجعله موضع ثقتهم ، ومستقر ودائعهم ، ومهبط أسرارهم ، ومطمح أنظارهم . الصدق يخفف عن الانسان مرارة الفقر ، وغضاضة الأيام ، وكيف لا يكون الصادق كذلك وهو الحكم ، إذا اشتدت الخصومات والخطوب .؟ والشاهد اذا ضاعت الحقوق ، والمصباح إذا أظلمت

---

١ ــ رواه مسلم عن أبي ذر .

المشاكل وتعذّر الصواب وكذلك التاجر والصانع والعامل ، والحاكم والمحكوم والرئيس والمرؤوس ، والموظف والمعلم والطالب ، إذا عرف كلٌّ منهم بالصدق وعامَل الناس بالاخلاص ، وقدَّر مواقف الناس وحاجاتهم وظروفهم ، فلم يستغلَّ جهالة الجاهل ولا سذاجة المغفَّل ، ولا ضعف المحتاج ولا إغراء النساء . جَعل الناس عنده في حاجاتهم سواء ، وكذلك الطبيب الحاذق ، فإنه إذا كان مستقيماً نيراً معروفاً بالصدق والاخلاص ، أمينا قانعا بما يأتيه ، غير مَادي ولا أناني حَجَّ إليه الناس من كل مكان ، حيث صار موضع ثقتهم وإكبارهم .

أيها العباد :

تبيناً مما تقدم أن الصدق رأس مال الفقير ، ومنبع ربح التاجر ، وسبب شهرة الصانع ، وسرُّ نجاح الطبيب ، إذ لا ثقة بأحد من هؤلاء ، ولا بمسؤول ولا محام إلا بمقدار صدقه وإخلاصه ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . لو تصفحنا يا أخي تاريخ الأمم الراقية وأسباب نهوضها ، لوجدناها نتيجة حتمية للصدق . والصدق تتولد منه الطاقات القوية الناجحة .

لقد حثّ الرسول ﷺ على الصدق قولاً ومعاملة . قال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ التوبة (١١٩) . أما الرسول فما أحلى عظاته ونفحاته ، فهو يقول (أربع إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة مطعم)[١] . يعني أنك إذا كنت أمينا صادقاً عفيفاً كريماً قانعاً بما يأتيك من حِلّة ، فكأنما حيزت إليك الدنيا بحذافيرها .

---

١ ــ رواه الامام أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي ورجاله رجال الصحيح .

ولقد أرشدنا الرسول العظيم أيضا في حديث طويل قال في غرة صدره (اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة ، وأول هذه الخصال (اصدقوا إذا حدَّثتم ، وغضوا أبصاركم عما حرَّم الله ، وكفوا أيديكم والسنتكم عن أذى الناس ، وأكل أموالهم بالباطل)[1] أيها المسلم ، أيها التاجر والصانع ، أيها السائق .

أيها الطالب :

إن الكذب يتنافى مع الايمان . إذاً ففي ايمانك شكٌّ واضح ، لأن الايمان يتحرى الحقيقة الناصعة . يا أخي لا يجتمع نفاق وإيمان ، للتعارض بينهما ، كما لا يجتمع خداع وإيمان . الا بعذر مقبول ، انظر كيف امتدح الله أحد أنبيائه ؛ اسماعيل عليه الصلاة والسلام ﴿ **واذكر في الكتاب اسماعيل ، إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيّا . وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيًّا** ﴾ مريم الآيتان (٥٤ ـــ ٥٥) .

حقا أيها المسلم : أولئك هم الذين يرثون الفردوس ، هم فيها خالدون . أولئك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . أولئك قوم نصروا الله فنصرهم ، وصدقوا الله فأعانهم وأيدهم بنصره ، وما بدلوا تبديلا . إذاً يا أخي فالقضاء على (الصادق في إيمانه أحمد أوبلوُّ) رحمه الله لم يكن انقلابا على حكم ، وإنما كان انقلابا على عقيدة صادقة وإسلام ممتد في اصوله وإشعاعاته في افريقيا ، وهكذا يقاوم أنصار العقيدة الاسلامية الصادقون ، الذين صدقوا وعملوا لتكون كلمة الله هي العليا ، ولتكون كلمة الكفر والاستعمار والالحاد هي السفلى . حقا لا يجتمع خداع وإيمان . لهذا يقول ﷺ (يُطبع المؤمن على كل خلق ليس إلا الخيانة والكذب)[2] لانهما

---

١ ـــ رواه الامام احمد والحاكم والبيهقي عن عبادة بن الصامت ولكن على الترتيب الاتي اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا ايديكم .

٢ ـــ رواه البيهقي عن ابن عمر باسناد حسن .

صفتان حاقدتان منافيتان للايمان . نحن في زمان يصدق علينا قول عليٍّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه ، لا في زمانه هو (والله لم يبق من الاسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن الا رسمه ، فلا حول ولا قوة الا بالله) .

إن الصدق أيها المسلم لطريق مأمون يسوقك الى رضوان الله ويهديك لأحسن العواقب ، تخلقوا بالصدق والصبر ، فإنهما عنوان البطولة وطريق النجاة وهذا الرسول ﷺ يقول (تحرَّوا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة ، واجتنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة)[1] .

ذلك لأن الكذب يقلب ميزان العدالة الاجتماعية ، ويغير وجه الحق ،فالكذب هو شهادة الزور بعينها .

تلكم الصفات العاتية التي اختلعت جذور المحبة من النفوس ، وانتشرت اليوم بين المسلمين ، فضاعت بينهم الحقوق . فأكل الأخ مال أخيه ، واعتدى الجار الأثيم الطاغية على جاره . حتى صارت حقوق الناس سلباً ونهباً بالكذب والتلبيس . وحتى ارتكبت الجرائم والمظالم . وإنها لمن أكبر الكبائر عند الله .

إن الاسلام يا أخي يوجه المسلم الى الصدق في الجد والهزل مع الكبير والصغير . فلا ينبغي أن يشوِّه المسلم جمال إيمانه بالكذب ، ولو كان في ضحك أو مزاح ، يقول عليه الصلاة والسلام (لا يؤمن العبد الايمان كلَّه حتى يترك الكذب في المزاح)[2] حتى المزاح مع الأطفال لا بد فيه من الصدق ، كي يتعودوه وكي لا يتعلموا الكذب . لهذا قال ﷺ (من قال لصبيٍّ تعال هاكَ : أي تعال لأعطيك شيئاً ، ثم لم يعطه فهي كذبةٌ)[3]

---

١ ـــ هناد عن مجمع بن يحيى مرسلا باسناد حسن .

٢ ـــ فقد ورد عن النبي ﷺ في الصحيح انه يمزح ولا يقول الا حقا .

٣ ـــ والاصل في ذلك عن عبدالله بن عامر قال دعتني أمي يوماً ورسول الله قاعد في بيتنا فقالت تعال أعطيك فقال ما اردت أن تعطيه قالت اردت أن اعطيه تمراً ، فقال لها اما انك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة (رواه ابو داود) .

ومن هذا القبيل كذبةُ نيسان ، التي هي من صنع الأوروبين والمستعمرين وصنع الشيطان . فكم خربت بهذه الكذبة في أول نيسان من بيوت ، وكم ضاعت حقوق ووعود ، وكم هُتكت أعراض وزهقت أرواح . إنَّ المجتمع الاسلامي مجتمع صدق وحق ، لا يشيع فيه الكذب ، ولا تروج فيه الاشاعات ، ولا ينتشر فيه زور . إذ أن ذلك هدم للايمان وإشاعة للفوضى والفساد . ولا يروج ذلك إلا المغرضون من الملحدين والفاسقين ﴿ **إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم الكاذبون** ﴾ النحل (١٠٥) .

يقول ﷺ (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يَصدق ويتحرى الصدق ، حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب ، حتى يكتب عند الله كذابا)[١] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد إمام المتقين وعلى آله وصحبه والتابعين ، أشهد الاَّ إله إلا الله جعل لكل شيء سبباً ، فجعل سبب السعادة الصدق في الأقوال والأفعال ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه ومن تمسكوا بحميد الخصال .

عباد الله : اتقوا الله وراقبوا ربكم في جميع الأحوال ، تباعدوا عن الغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور ، قبل أن يأتي يوم لا تنفع فيه الندامة ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، تعظيماً له وتكريماً ،

١ ـــ رواه البخاري ومسلم والترمذي واحمد .

فقال سبحانه ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آل محمد وصحبه في الأولين والآخرين ، وفي الملأ الأعلى الى يوم الدين .

وارض اللهم على الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين . ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا واجعلنا من عباده الصادقين ، وباعد بيننا وبين المنافقين الكاذبين الخائنين ، إنك على ذلك قدير ، اللهم انصر الاسلام والمسلمين ، وأعل كلمة الحق والدين وأعزَّ الأمة الاسلامية العربية وسائر المسلمين يا رب العالمين .

اللهم وحد قلوبهم ونظم صفوفهم ، واجمع على الصدق والاخلاص كلمتهم ، وأصلح شأن رؤسائهم وشعوبهم وحكامهم ، واجعلهم يداً واحدة على من عاداهم . اللهم لا تجعل فينا شقياً ولا كاذباً ولا خائناً ولا مُظاهراً لكافر أو مستعمر ، ولا ظالما واهدنا الى سواء السبيل . ونسألك اللهم يا ذا الفضل والرعاية أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال ، اللهم الهمه سبل الفوز وطريق العزة والعمل ، وانصر جيشه الباسل وسائر الجيوش الاسلامية العربية يا رب العالمين ، اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا ، من لا يخافك ولا يرحمنا ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء ، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

الخطبة الثانية والستون : الثامنة والثلاثون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

٢٧ ذو القعدة ١٣٨٥ هـ

١٩٦٦/٣/١٨

(عظاتنا من الحج وأجر الإنفاق)

اللهم يا غياث المستغيثين أغثني . احمدك واشكرك لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، مصلياً ومسلماً على رسولك وحبيبك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، عدد كل معلوم لك . (... **رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون**) اللهم إني أعوذ بك من شر الشيطان وهمزه ولمزه ، أعوذ بك من شر نفسي وسيئات أعمالي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني . أنت المقدم وأنت المؤخر . لا إله إلا أنت ، سبحان الله عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته، (... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**) .

الحمد لله الذي جعل لنا بيتاً محجوجاً وحَرَماً آمنا ، يأمنُ فيه سكان الأرض والطيرُ في جو السماء . أوحى إلى خليله إبراهيم ﴿ ... **وطهر بيتيَ للطائفين والقائمين والركع السجود** ﴾ الحج آية (٢٦) .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، الذي قال وقولُه الحق ﴿ **أوَلَم يروا أَنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولِهم ، أَفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون** ﴾ ؟ العنكبوت آية (٦٧) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله ، رسم مناسك الحج لأمة ، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه ، حَثنا على أداء هذا الركن ، العظيم والإنفاق في وجوه البر للمعوزين البائسين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الأكرمين .

أما بعد ، أيها المسلمون : فقد قال أصدق القائلين وأحكم الحاكمين ، ﴿ **جعل الله الكعبةَ البيتَ الحرامَ قياماً للناس والشهرَ الحرامَ والهدْيَ والقلائدَ ، ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم** ﴾ المائدة آية (٩٧) .

أيها المسلمون :

بالنظر لما في الحج من مزايا ومنافع ومكارمَ للدنيا والدين ، جعله ــ جلت حكمته ــ ركناً من أركان الإسلام ، ودِعامةً من أقوى دعائم الدين ، تتجلى فيه الوحدة الدينية الكاملة ، فيه يجتمع المسلمون من شتى أقطارهم يتبادلون الآراء والمودة والإخلاص ، يبحثون الوسائل النافعة والطرق الناجعة ، لرفعة شأنهم ، وعلوِّ مكانتهم أدبياً ودينياً واجتماعياً ، أجل يجتمعون فيه ليحِسُّوا بأنهم هيئة واحدة ، وكتلة واحدة ، يخشاهم الكافرون والظالمون ، فما أحوجنا إلى جمع الشمل في مثل هذه الأوقات المدلهَّمة المكفهرة ، التي ينفث العدو فيها سمومَه في المسلمين ، ليجعلهم شيعاً وأحزابا يضرب بعضُهم رقاب بعض . وقد ندَّد الله بالأحزاب وشنّع عليهم في سورة كاملة وهي سورة الأحزاب ، وفي نواحٍ متعددة من هدى السماء ونبراس الأرض ، وهذا ما كان يخشاه الرسول ﷺ على أمته يوم قال (سألت ربي لأمتي ألاَّ يهلِكها بسنَة عامة أي (قحط ومَحْل) ، وسألته ألا يُسلِّطَ عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم ، فيستَبيحُ بيضتَهم، وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يُرد إلى أن قال ﷺ (حتى يكون بعضهم يُهلِكُ بعضا يسيء بعضهم بعضا)[1] وفي رواية يَسبي بعضُهم بعضا بالأسر والمكر والخُبث والدهاء .

١ ــ رواه الامام أحمد ، ولكنه كاملاً : واني سألت ربي أن لا يهلك امتي بسنة عامة ، وان لا يسلط عليهم عدوا فيهلكهم بعامة ، وان لا يلبسهم شيعاً وان لا يذيق بعضهم بأسَ بعض . فقال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، واني قد اعطيتك لامتك أن لا اهلكهم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم عدوا ممن سواهم فيهلكهم بعامة حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وبعضهم يقتل بعضا وبعضهم يسيء بعضا هذا وللحديث عدة طرق كلها عن قوله تعالى : ويذيق بعضكم بأسَ بعض في سورة الانعام .

أيها المسلمون :

الحج فريضة على المسلم المكلف المستطيع، في العمر مرةً واحدةً ، وبعدها يكون تطوعاً، والشريعة الإسلامية ترى أن ما زاد على المرة الثالثة يعتبر إسرافاً وتبذيراً، إذ أننا في حالة استعداد وإعداد للعدو للغادر الماكر، بل في حالة طوارىء عامة ، وحاجتنا إلى السلام أشد من التطوع الزائد في الحج، فمن أدى الفريضة فقد أدى ما وجب عليه، ومن تطوع خيراً فهو خير له، وجهاد العدو المهاجم لديار الإسلام واجب. قال تعالى ﴿...، **ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إليه سبيلا،...**﴾ آل عمران آية(٩٧).

والاستطاعة هي القدرة على مال يكفيه ذهاباً وإياباً ، ويكفي عائلته مدة غيابه ، والراحلة حسبما يقتضيه الزمان والمكان ، كلٌّ بحسبه ومن الاستطاعة أن يكون الحاج صحيح البدن ، قادراً على أداء المناسك ، وذلك شرط من شروط الوجوب ، فإن عجز عنها لشيخوخته أو ما استطاع بُعدها ، أو مرض مرضاً لا يُرجى شفاؤه ، لزمه إحجاجُ غيره عنه .

الشريعة يا أخي لا تسمح للمسلم أن يستدين مالاً للحج لا يقدر على وفائه. ففي الحديث الشريف (إن الحج يكفر كل شيء إلا الدَّيْن)[1]الشريعة لا تسمح لإنسان بترك أولاده بلا مأوى ، يتكففون الناس ولا شيءَ عنده ، الشريعة لا تسمح له أن يخرج للحج اتكالاً على حساب الغير، لأن الله نهانا عن التواكل، بل أمرنا بالعمل ونبذ الكسل. قال سبحانه في حق من خرجوا بغير زاد للحج ﴿...، **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى،...**﴾[2].

---

١ ــ لم أجده هكذا ، وانما ورد في الشهيد وليس في الحج .

٢ ــ سورة البقرة (١٩٧) .

أيها المسلمون :

الشريعة لا تسمح للمرأة بالحج والسفر وحدها بلا محارمها، لاسيما الشابة. خطب النبيُّ ﷺ إبَّان الحج فقال (لا تسافرِ المرأة إلا مع ذي مَحْرم)(١) فقام رجل فقال يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجةً وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا،فقال عليه الصلاة والسلام (انطلق فحجَّ مع امرأتك)(٢).

إخواني حجاجَ بيت الله الحرام :

أنتم وفدُ الله ، قال ﷺ (وفد الله ثلاثة ، الحاجُّ ،والمعتمر ، والغازي(١) أي المجاهدُ في سبيل الله ، (إن دَعَوْهُ أجابهم وإن استغفروهُ غفر لهم)(٢) واعلموا أن للحج فوائد لا تحصى ولا تُحصر ، أهمها الفائدةُ التهذيبية التي يستفيدها الحاج من رحلته ، تُدخِلُ في نفسه شعوراً قلبياً بالقرب من الله ، وكلما اقترب من الأماكن المقدسة نما وازداد ، حتى إذا ما حلَّ تلك الرحابَ النضِرةَ والساحاتِ المطهرةَ ، واستغرق في أداء المناسك تذكر ذنوبه وآثامه ، ندم على ما اقترفه ، ندم على ظلمه وتعديه ، ندم على تجاوزه حدودَ الله ﴿... **ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه**،... ﴾ الطلاق آية (١) .

أجلْ . هناك شُعورٌ بالصمت والرهبةِ ، فيَّاض بالذكر والشكر والتلبيةِ ، نعم إنك يا أخي لتشعر بسموٍّ روحي ، وفيضٍ إلهيٍّ ، يَسْرِي في نفسك ، ينتقل بك من حالٍ إلى حال ، حتى ينتهي بك إلى احتقار عالم

١ أخرجه الشيخان .

٢ ــ أخرجاه عن ابن عباس .

٣ ــ الحديث : وفدالله ثلاثة : الغازي والحاج والمعتمر . خرجه النسائي في فضل الحج .

٤ ــ جزء من حديث آخر . الحجاج والعمار وفدالله إن سألوا اعطو وان دعوا أجيبوا ، وإن انفقوا أخلف عليهم ، خرجه تمام الرازي في فوائده .

المادة وسلطانه ، وتأثيرِه في النفوس الجامحة ، هذا الشعورُ وهذا الفيضُ تمتزج فيه العناصرُ الروحيةُ بعضُها ببعض ، وتتجاوب في النفسِ واضحةً آثارها في الإرادة والعمل ، مع تعظيمٍ لدين الله وحُبٍّ شديد لسلطان الشرع والمشرِّع الأعظم .

استمع يا أخي ، ولا تضِق ذرعا :

إنك يا أخي لتشعر بغيْرةٍ مؤثرة على المجتمع الإسلامي الفاسد، المملوء بشتى المغريات والمعاصي والموبقات ، عندما تشعر بذلك ستندم على ما سبق منك من التفريط في جنب الله ، على ما فاتك أيام غِرَّة الشباب هذه هي الرياضة النفسية ، التي هي ثمرة الحج الكبرى ، وذلكم هو الحج المبرور كما قال ﷺ (الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة) .

أيها الحجاج المسلمون :

الحج المبرور المقبول عند الله هو الذي لا يخالطه غِش ولا خِداع ولا مداهنة ، لا يخالطه إثمٌ ولا فسوقٌ ولا رياءٌ ولا ضجرٌ ولا سمعة ، هكذا كان الحج ولا يزال دعامةً قويةً من دعائم الإسلام ، وفريضةً بل قربةً من أجلِّ القرُبات بين الله وعباده المخلصين .

أيها المعتزم على حج بيت الله : استمع لهذه الأمور الهامة . الحُجاج أنواع ثلاثة ، قارِن ، ومُفرد ، ومتمتع ، فمن أحرم من الميقات بالحج والعمرة سمي قارناً ، ومن أحرم بالحج وحده سُمي مُفرداً ومن أحرم بالعمرة وحدها ثم أدخل عليها الحج يوم الثامن من ذي الحِجة وهو يوم التروية ، سمي متمتعاً ، وعليه الفدية ، لاستفادته بالتحلل من العمرة ورجوعه إلى لباسه الأول ، وذلك أسهل من المفرِد والقارن لاستدامتهما بالإحرام طيلة أيام الحج .

أيها الحاج الكريم :

لدى مشاهدتك البيت الحرام ستنسى الأهل والمال والولد ، والعظمة والجاه ، وستستولي عليك رهبة ربِّ البيت ، الأعظم من كل عظيم ، فإذا

دخلت الحرم من المكان المقرر ﴿ ...، **ومن دخله كان آمنا** ،... ﴾[1] فكن يا أخي خاشعاً متواضعاً ، متذكراً عظمة ربِّ البيت ، بادئاً بطواف القدوم وهو تحية البيت ، وعليك بعد ذلك طوافان آخران ؛ طوافُ الإفاضة ، هو المسمى بطواف الزيارة بعد عرفة ، وطواف الوداع بعد انتهاء المناسك . ما عدا الطواف المكرر أيام الإقامة هناك .

استقبِل كعبة ربك يا أخي بقلبك وروحك . استحضر عظمة الله ، وقبل الحجر الأسود والأسعد ، الذي سودته ذنوب بني آدم ، وهو الذي تُسكبُ عنده العبراتُ ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يمين الله في الأرض يصافح بها عباده ، ويشهد لمن وافاه يوم القيامة[2] .

في الحج يؤمن الناس بحقيقة المساواة ، ينزلون جميعاً على حكم الله ، فيتجردون من ملابسهم التي أَلِفوها ، ويلبَس كلٌّ منهم إزاراً ورداء للستر ، فلا مكان هناك ولا مجال للمباهاة والمفاخرة بمال أو جاه ، أتوْا جميعاً خاشعين مهللين مكبرين ، مُهلِّين بالتلبية (لبْيك اللهم لبْيك ، لبْيك لا شريك لك ، لبْيك إنَّ الحمد والنعمةَ لك والمُلك ، لا شريك لك) .

أيها المسلمون :

إن النفقة في الحج لها وزنها وقيمتها عندالله ، قال رسول الله ﷺ (النفقةُ في الحج كالنفقة في سبيل الله الدرهمُ بسبعمائة ضعفٍ)[3] .

---

١ ــ سورة آل عمران (٩٧) .

٢ ــ الحجر الاسود يمين الله في الأرض يصافح بها عباده ، هو حديث عن رسول الله ﷺ ، وليس قولا لعمر رضي الله عنه . رواه الخطيب وابن عساكر عن جابر ، وفي رواية : الحجر الاسود يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله . رواه الديلمي في الفردوس ، عن عكرمة موقوفاً .

٣ ــ رواه احمد والطبراني والبيهقي باسناد حسن .

إن النفقة من المال الحرام والكسبِ الحرام مردودة على صاحبها ، لأن الله تعالى طيب ولا يقبل إلا طيبا ، يقول الرسول العظيم (من يمم ، أي قصد هذا البيت بالكسب الحرام شخَصَ في غير طاعة الله . أي خرج من منزله في غير طاعة ربه . فإذا أهلّ ونَوى الحج ووضع رجله في الركاب وبعث راحلته أو وضع رجله في سيارة أو قطار أو باخرة أو طائرة ، وقال (لبْيك اللهم لبْيك) ناداه مناد من السماء ، لا لبْيك ولا سعديك ، كسبك حرام وثيابك حرام ، وراحلتك حرام ، وزادك حرام ، إرجع مأزوراً غيرَ مأجور وأبشر بما يسوءُك . وورد أن الله عز وجل يقول لمن حج بمالٍ حرامٍ (لا لبيك ولا سعديك حتى ترْدَّ مافي يديك)[1] .

أما إذا كان كسبه حلالاً ناداه منادٍ من السماء (لبْيك وسعديْك أُجِبتَ بما تُحب ، إرجع مبروراً مقبولاً غير مأزور ، واستأنف العمل) .

أيها المسلمون :

إن للدين الحنيف كلمة معكم وعِظةً يُسديها إليكم ، بمناسبة الإنفاق في سبيل الحج . إن الله تعالى يقول ﴿ ...، **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله**،... ﴾ البقرة آية (١١٠) وقال تعالى ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، ألم تسمعوا بالأمس القريب ماحل بإخوانكم في معان ؟ ألم تسمعوا بغرق الشيب والشبان والصِّبيان ، ألم يشرَّدوا .؟ ألم يصبح أكثرهم بلا مأوى ولا مكان .؟ بين عشيةٍ أو ضحاها ، أليسوا عُضواً من جسم الأمة إذا اشتكى ، تداعت له سائر الأعضاء بالحمّى والسهر ، ألم تهزَّكم النخوة الإسلامية العربية الأصيلة والأريحية الجليلة ، أين أنتم من الإسلام وأين الإسلام منكم .؟

---

١ ــ الحديث عن أبي هريرة إذا خرج الحاج حاجاً بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور وغير مبرور ، رواه الطبراني مرسلا .

وهل الإسلام تبجح وكلام ورتوش .؟ أم هو عمل وهمة ونظام وسلام . يا للّهِ للمسلمين فما أسعد المنفقين في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله ، ليس هذا مِنَّةً من أحد على أحد ، وإنما هو واجب إنساني ديني ، وهذه آفةٌ سماوية تهدد كل بيت ، وتنذر كل مجتمع وكل صرح في الوجود ، والذين استُشهدوا فيها ﴿**يبشرهم ربُّهم برحمة منه ورضوان وجنَّاتٍ لهم فيها نعيم مقيم**﴾ التوبة آية (٢١).

يقول ﷺ (كل مؤمن يُفتن في قبره إلا الشهيد)[١] وقد أُلحق بالشهداء في الأجر والثواب الغرقى الهدمى الحرقى ،وهؤلاء شهداءُ عند ربهم.

قال ﷺ (الدنيا عَرَض حاضر يأكل منها البَرُّ والفاجر ، والآخرة وعدٌ صادق يحكم فيها مَلِك[٢] عادل يُحِقُّ الحقَّ ويُبطل الباطل ، فكونوا أبناء الآخرة ولا تكونوا أبناء الدنيا ، فإن كلَّ أمٍّ يتَّبعُها ولدها)[٣] ثم قال (ومن اكتسب فيها مالاً من حِلِّه وأنفقه في حقِّه أثابه الله عليه) أو كما قال أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

أيها المسلمون : أيها الحجاج .

لا تتساهلوا في رمي الجمار بمنى ، ولا تهملوها ، فإهمالها موجب للدم . ولا تتساهلوا في الفدية والضحايا هناك ، ولا تبخلوا بما آتاكم ﴿ **لن ينال الله لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ،** ... ﴾ الحج آية (٣٧).

---

١ ــ لم أجده بهذا اللفظ وانما بلفظ كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر رواه ابو داود والترمذي والحاكم عن عقبة بن عامر وقوله عليه الصلاة والسلام . كفى ببارقة السيوف على راسه فتنة رواه النسائي .

٢ ــ وهو الله سبحانه وتعالى .

٣ ــ مشكاة المصابيح (٥٢١٧) بدون الزيادة .

قال ﷺ (كل عرفة موقفٌ ، وكل مزدلفة موقفٌ ، ما عدا بطن مُحَسِّر . وكل فجاج مِنىً منحر ، وكل أيام التشريق ذبحٌ)[1] .

أيها الحجاج :

لا تنسوا زيارة قبر رسول الله ﷺ سيد الكائنات فإنها ، من أوجب الواجبات . فعن ابن عمرَ رضي الله عنهما ، قال قال رسول الله ﷺ (من حجَّ فزار قبري بعد وفاتي ، فكأنما زارني في حياتي)[2] وقال ﷺ (من زار قبري وجبت له شفاعتي)[3] (ومن زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة)[4] (ومن حج ولم يزرني فقد جفاني)[5] واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه تعظيماً له وتكريما ، فقال (**إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**). اللهم صلِ على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته ، عدد ما في علمك صلاة دائمةً بدوام ملكك .

وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين ، وعن سائر أصحاب رسول الله اجمعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم اغفر لأمة محمد ﷺ .اللهم ارحم أمة سيدنا محمد . اللهم انصر أمة سيدنا محمد ﷺ . اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا . اللهم ألف بين قلوب الحاكمين ، واجمع بين كلمتهم على الحق المبين ، والعمل بكتابك وسنة رسولك رب العالمين ، واحفظنا أمة إسلامية عربية وسائر المسلمين ، ونسألك اللهم ان

---

١ ــ لفظ الحديث : عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف ، وارتفعوا عن بطن عرفة والمزدلفة كلها موقف ، وارتفعوا عن بطن محسر الخ ...

٢ ــ اخرجه الدارقطني عن الامام احمد .

٣ ــ أخرجه البزار .

٤ ــ أخرجه صاحب مثير العزام .

٥ ــ أخرجه الحافظ التميمي .

تشمل الحسين بن طلال برعايتك وعنايتك وتوفيقك ، وألهمه الصواب في كل عمل أراده يا ارحم الراحمين ، اللهم انصر جيوشنا العاملة في حقل الأمة الإسلامية العربية يا أكرم الأكرمين .

عباد الله :

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون) .

(... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الثالثة والستون : التاسعة والثلاثون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

٢ محرم ١٣٨٦ هـ

١٩٦٦/٤/٢٢

(من عبر الهجرة المحمدية والمثابرة على العمل)

اللهم أنت الأبدي الأول ، وعلى فضلك وجودك وكرمك المعول ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الأخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء . أغننا من الفقر ، واقض عنا الدين ، اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، أعوذ بك من شر نفسي وسيئات أعمالي ، اللهم اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ، أسألك يا قوي يا عزيز يا معين بقوتك وبعزتك يا متين أن تكون لي عوناً ومعيناً ، في جميع أحوالي وأقوالي وأفعالي وخطبي ومحاضراتي (... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**) .

الحمد لله مجدد الأعوامِ عاماً بعد عام ، تبصرةً وذكرى للأنام ، أشهد أن لا إله إلا اللهُ المعبودُ في كل زمان وأوان ؛ فلا يُبليه الجديد . ان كل يوم هو في شأن ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله البشيرُ النذير ، الداعي إلى المحبة والوئام ، اللهم فصلِ وسلم وبارك عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين ، وآل كلٍ وصحب كلٍّ أجمعين ، ما تعاقبت الشهور والأعوام .

(أما بعد) فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **هو الذي جعل الشمسَ ضياءً والقمر نورا وقدَّره منازل لتعلموا عدد السنينَ والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصِّلُ الآياتِ لقوم يعلمون (٥) إنَّ في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السمواتِ والأرض لآياتٍ لقوم يتقون** ﴾ (٦) يونس .

أيها المسلمون :

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى قُبيل هذه الآيات ، بدءَ خلق الإنسان وإعادته إلى الحساب مرة أخرى ، أراد سبحانه عز من قائل ، أن يبرهن للمنكرين على عظيم قدرته ، فأبان لهم ومن شاكلهم أنه هو وحده مالكُ المُلك ، الذي جعل الشمسَ ذات ضوء وهَّاج ، وجعل القمر ذا نورٍ ساطع كما جعل لكلٍ من هذين الكوكبين العظيمين عدة منازل يسيران فيها بإرادته ومشيئته ، وما ذلك إلا ليعرفَ عبادُه حسابَ الأوقات والأشهر والأيام ، ولتعرفوا مواقيت أعمالكم وتصرفاتكم ، لحكمة بالغة يعلمها الله ، الذي خلق كلَّ شيء فقدَّره تقديرا ، ثم بيّن سبحانه أن في تعاقب الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرضِ من أنواعِ الكائنات والموجودات ، لآياتٍ بالغةً على وجود الصانع الحكيم ، الذي أتقن كلَّ شيء ، ودلائلَ واضحاتٍ على وحدته ، وكمال علمه وقدرته ، وماهي إلا ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾[1] ممن عرفوا ربهم ، واتقوْا خالقهم ، وأخلصوا دينهم لله ، وهُم لآياتِ الله يعقلون ، وليسوا عن الحق بغافلين ، فالذين لا يعقلون ولا يتقون رضُوا بالحياة الدنيا من الآخرة ، واطمأنوا بها ، وكانوا عن آيات الله غافلين .

أيها المسلم :

لقد مضى العام الهجريُّ بيومه وأمسه ، بخيره وشره ، بأفراحه وأتراحه بآماله وآلامه ، مضى بدواهيه ومآسيه ، بحسناته وسيئاته ، في

---

١ ــ سورة ق (٣٧) .

غُرة المحرم كلَّ عام اختبارٌ وامتحانٌ لما عَمِلَه كل إنسان عامَه الماضي ، ودينُنا الخالصُ نظر إلى الزمن نظرةً فاحصةً ، والزمنُ ماضٍ لا يَقرُّ ، متجددٌ لا يقف ، وهو سجل الأعمال ، وعنده أبناء العظماء ، وفيه تخليدٌ لِحسنات المحسنين وأعمالِ العاملين . فأقسم سبحانه وتعالى في محكم كتابه وقال : ﴿ **والعصر . إن الإنسان لفي خُسرٍ . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...** ﴾[1] أليس في هذا القسمِ ما يُشعر بجلال المُقْسمَ بِه ، وعظِمَ شأنه ، ووجوبِ الحرصِ عليه ، وأن الخسران شامل للعاطلين ، لاصِق بالعالة الساكنين خسرانَ أنفسهم وأممِهم ، أما الذين يعملون ويدأبون ويَبْنون ويُصلحون ولا يَفْتُرون ، فأولئك هم عناوينُ فخار ومصابيحُ رشاد ، أولئك هم حماة الأمم ودُعاة النهوض ، أولئك هم المسلمون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرةٌ ورزق كريم ، فالذي ملأ صفحاته في العام الماضي بالعزة والفخار جدير بالتقدير والإعجاب والإكبار ، والذي ملأها بالفسوق والعصيان ، فذلكم هو الذي سوّد تاريخ صفحاته بيده ، وسيء أعماله .

أيها الناس :

أين هي الوحدة بين الأشقاء التي تحدثتُ عنها العام الماضي ؟ أين هي الوحدة الحقيقية النابعةُ من صميم عقيدتنا وقرآننا ﴿ **... ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصْبِروا إن الله مع الصابرين** ﴾ الأنفال آية (٤٦) .

كلماتٌ رددتها الأجواء فتبخَّرت ، وعفا عليها الزمن ، وبددتها الأهواء ، ومزقتها المطامع . كان عندنا في مستهل العام الماضي ومضة أَمِلٍ ، وبارقةُ رجاء ، كانت تباشير النصر باديةً ، ولكل نفس ثقة ، وعلى كل وجه بسمةٌ وإشراقه . إي وربي : لقد أفلح المستعمرون في دسائسهم وخداعهم ، بعد ان عرف العالم كلُّه قضيتنَا ، بعد أن عرف العالمُ أن الأيديَ الباغيةَ من هؤلاء المستعمرين جعلتنا فرقاً وأحزابا ، يضرب بعضُنا

---

١ ـــ سورة العصر .

رقاب بعض ، ويكيد كلٌّ منا للآخر ، ومن وراء الاستعمار مكرُ إسرائيل الجبار : إن المستعمر الغاشم لا يزال يَضع الأسافين المدمرةَ بين الإخوة ، ساعياً في إيقاع الفتن والمحن والقلاقل ، يشوه الحقائق ويُغذِّي الأحزاب المعادية لدين الله والوطن ، إنكم تلاحظون أن الاستعمار محظيته إسرائيل كلَّما ألَّمت بالمسلمين ، مُلمَّةٌ أو حَلَّت بهم مدلهمة ، أو أحسوا بفُرقة واختلاف ، أعلنوا رضاهم وشماتتهم ، وإذا علموا بالوحدة والتكاتف والتآلف وجمعِ الشمل ، قامت قيامتهم ، وأصابهم الخَبَل والجنون ؛ بما كان ويكون ، ولكن ﴿ ...، **وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** ﴾[1] ﴿ ...، **كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله** ،... ﴾[2]إن عداء هؤلاء المستعمرين أصيلٌ قديم ، والشركُ والإيمان لا يجتمعان .

أيها المسلمون :

لقد كان من حِكَم الله تعالى ، أَن يرسل لكل أمة رسولها بلغتها ، وقد جاء رسول الله ﷺ قومَه بلسانٍ عربي مبين . فما كان منهم إلا أن عارضوه وأعرضوا عنه ، وتصدَّوْا لأذاهُ ، والنِّكاية بِه ، ولم يجِدِ الرسول مُسوِّغاً حقيقياً لهذه الدعوةِ ، مع أنه كان يستعذب التعذيب ، في رضاء ربه الحبيب ، ويستمرىء السفاهة ، ويتغاضى عنها ، في سبيل إعلاء كلمة الله، ومن هنا كانت الهجرةُ امتحاناً لإيمان المهاجرين، أمام المنكرين الجاحدين.

أيها المسلمون :

لما دعا محمد ﷺ قومَه إلى اعتناق دينه ، أصابهم الفزع ، وهالهم الأمر ، وأعلنوها صراحة في بطحاء مكة ، قائلين (والله إنه الهلاك ،فإن لم نغلِب محمداً غَلَبَنا ، والله لنأخذن عليه الطريق ، ولنسُدَّنَّ عليه المسالك ، ولنحمينَّ منه قريشا وسُلطانها) .؟ ولكنْ أَين مكر الإنسان من مكر الله ووقايته لحبيب اصطنعه لنفسه ، وما أعجز الإنسان أمام

---

١ ــ سورة آل عمران : (١٢٦) .

٢ ــ المائدة : (٦٤) .

حكم الله النافذ ، فقد استطاع محمد ﷺ أن يخترق أسوار الكفر والإلحاد ، ويسيرَ إلى دار الأنصار ؛ طيبةَ المنوَّرة ، بصاحبه ورفيقه في الغار أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ﴿ **وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرُهم وإن كان مكرُهم لِتزولَ منه الجبال** ﴾ (٤٦) (ابراهيم) .

أجل أيها المسلمون :

لقد كان من نتائج هذه الهجرة التاريخية ، تجديدُ الطاقات البشرية الإيمانية ، وإعدادُ القوة لفتح مكة فتحاً جديداً مظفراً مقبولا ،وكان وعد الله مفعولا .

ولقد تم لمحمد ﷺ ما أراده له ربه ، فعاد إلى مكة ناصعَ الجبين موفور الكرامة ، وحطَّم الأصنام التي عبدوها من دون الله ، مُعلناً كلمته التاريخية الخالدة التي هزَّ فيها أركان المسكونة بأسرها (لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، اللهم منزل الكتاب ومُجريَ السحاب وهازم الأحزاب ، إهزم الأحزاب وزلزلهم ، وانصرنا عليهم ، إنك على كل شيء قدير)[1] .

ومن هنا أعز الله دينه الحقَّ ، ونصر نبيه وجُنده ، وارتفعت راية الحق . ومن هذه الذكرى النبوية والهجرة المحمدية ، يعلم العالم كلُّه أن هذا الدين الذي ارتضاه لنا خالق الأرض والسماء ، بقوله ﴿ ... **ورضيت لكم الإسلام دينا** ،... ﴾[2] سيظل قائماً حتى نهاية العالم كلِّه وخرابه ولكنْ ﴿ ...، **يومَ يأتي بعضُ آيات ربك لا ينفَع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيرا** ،... ﴾ الأنعام آية (١٥٨) .

نعم سيبقى الدين الإسلامي عزيزاً إلى قيام الساعة ، يوم الملتقى في صعيد واحد ، أمام رب واحد ، يحكم بيننا وبينكم ، وهو خير الحاكمين .

١ ــ كان ذلك من دعائه عليه الصلاة والسلام .

٢ ــ سورة المائدة : الآية (٣) .

﴿ **يومئذٍ لا تنفع الشفاعةُ إلا مَن أذِنَ له الرحمٰنُ ورضيَ له قولا** ﴾ طه آية (١٠٩) .

رباه ويا مولاه ويا سيداه ويا غاية مبتغاه :

لقد تنكَّب المسلمون طريقاً غيرَ طريقهم ، وسلكوا سبيلاً غير سبيلِ المؤمنين ، وقرآنك العظيمُ ينادي على رؤوس الأشهاد ﴿ **لا يتخذِ المؤمنون الكافرينِ أولياءَ من دون المؤمنين . ومن يفعلْ ذلك فليس من الله في شيء إلاَّ أن تتقوا منهم تُقاةً ، ويُحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير** ﴾ آل عمران آية (٢٨) .

رباه ويا مولاه :

إن الروابط الأخوية التي حث عليها الدين الحنيف قد انحلَّت وانفصمت عُراها ، حتى لقد تحلَّلت الأكثرية الساحقة من الناس من كل فضيلة ، ومن كل خُلُق حميد نبيل ، ولقد سادت الرذيلة في مجتمعنا في كل طريق وفي كل مكان وزمان . وقد أصبح كتاب الله معطلا والوعظ والإرشاد لا يفيد ما دامت النفوس ماديةً سادرة في غيِّها وضلالها . وما دامت الحياة إباحيةً لا خلقية ، وما علينا إلا أن نعمل ولا نيأس .

فالإيمان واليأس لا يجتمعان ﴿ **قل يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ،...** ﴾[1] ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال ﷺ (ما من يوم يُشَقُّ فجره إلا وينادي فيه منادٍ يا ابنَ آدم اغتنمني ، فإني لا أعود ، وأنا على ما تفعله شهيد) أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واستغفروه يغفر لكم ، وسلوه يعطكم .

★ ★ ★

الحمد لله الواحد الأحد الباقي على الدوام ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد ان سيدنا محمداً رسول الله ، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه الكرام .

---

١ ــ سورة الزمر (٥٣) .

وبعد فيا أيها المسلمون : إعلموا أن في تجدد الأعوام عبرةً لأولي الألباب ، فخذوا من عامكم الجديد عظة وذكرى ، واخلصوا لربكم ، وجددوا عزائمكم ، ووفروا جهودكم للحياة الكريمة ، واعلموا أن عظائم الأمور لا تنال إلا بالجد والعملِ ليوم المعادِ ، استقبلوا عامكم بتوبة نصوح صادقةٍ ، ونيّةٍ خالصة . استقبلوا عامكم بقلب جديد ، وشعور جديد ، وعزم جديد ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما ، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) .

اللهم صلِ على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته ، عدد مافي علمك صلاة دائمة بدوام ملكك ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، اللهم من آذى المسلمين بمكره وخداعه ، فامكر له وآذه يا رب العالمين ، اللهم انشر سابغ رحمتك على البلاد والعباد ، واقمع أهل الشرك والزيغ والإلحاد والفساد ، اللهم انصر دين محمد ، وأعلي قدره وشأنه ، وأعزَّ أهله يا أكرم الأكرمين ، واجعل هذا العام الجديد عام يُمن وبركة وإصلاح .

اللهم إنا نسألك أن تشمل بعنايتك ورعايتك وتوفيقك الحسين بن طلال . اللهم انصره وجيشه المؤمن الظافر ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء ، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي . يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

أَلخطبة الرابعة والستون : الأربعون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

٩ محرم ١٣٨٦هـ

١٩٦٦/٤/٢٩

(كيف نكون أوفياء أقوياء الوفاء من الإيمان)

باسمك يا أرحم الراحمين أبدأ ، ومن حولي وقوتي وأتبرأ ، وأصلي وأسلم على رسوله وحبيبه ، سيد الأوفياء والأصفياء ، أعوذ بك من شرور نفسي وسيئات أعمالي ، رب اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، وما أسرفت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير ، لا إله إلا أنت ، اللهم إني ضعيف فقوِّ في رضاك ضعفي ، وخذ بناصيتي إلى الحق والجهر به ، (... **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**) .

الحمد لله جعل الوفاء من آداب الدين تكريماً للمسلمين ، وتشريفاً للصادقين (أحمده) سبحانه وتعالى على سلامة دينه من النقائص والعيوب ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الكبيرُ العظيم المتعال ، جعل دينه مصدرَ كل جلال وكمال ، وأشهد أن سيدنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسوله سيدُ المواصفين الأوفياء ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وكانوا أهلَ همة ووفاء .

« أما بعد » فيا أيها المسلمون يقول أحكم الحاكمين ﴿ **وأوفُوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأَيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إنَّ الله يعلم ما تفعلون** ﴾ النحل آية (٩١) .

أيها المسلم الكريم :

بعد أن وصَّى سبحانه وتعالى عباده اجمعين بالعدل والإحسان في قوله تعالى ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ النحل (٩٠) .

أراد بعد ذلك سبحان أن يبين للناس أحكاماً أخرى ، لها صلة بالمجتمع كلِّه فقال تعلى ﴿ **وأَوفوا بعهد الله** ﴾ لفظه عام شامل لجميع الطبقات ، ولجميع ما يُعقد باللسان ، ويلتزمُه الإنسان من بيعٍ أو صلةٍ أو معاملةٍ أو مواثقة ، وهذا بعمومه يتناول ما عاهد عليه العبدُ ربَّه من إيمانٍ وسمعٍ وطاعةٍ وإذعان ووفاءٍ ، بل لكل ما جاء به الدين الحنيفُ من الأوامر والنواهي ، من اعتقاداتٍ وعبادات ، فكل ما وافق الدينَ الإسلاميَّ الحنيف يدخل تحت العهدِ والوعدِ والوفاءِ ، لأن معنى الآية (افعلوا العدل والإحسان ، الآية ، وانتهوا عن الفحشاء والمنكر ، وتباعدوا عن البغي والظلم . وفي ذلك أمر صريح واضح بالوفاء بالعهود والوعود ، التي عاهدنا الله بها وأشهدناه عليها ، ثم إنه سبحانه حذَّرنا من نقض الأَيْمان ، ومن التلاعب بها ، بعد تشديدها وقوتها وتأكيدها . بعد أن حلفتم أَيمانكم ، وجعلتم ربكم الذي خلقكم كافلاً وضامنا لتنفيذ ما حلفتم عليه ، مع العلم بأنه هو سبحانه الذي نهاكم عن الحلف به ، فقال ﴿ **ولا تجعلوا الله عُرضةً لأيمانكم أنْ تبرّوُا وتُصلحوا بين الناس، والله سميع عليم** ﴾ البقرة آية(٢٢٤).

أيها المسلمون :

لقد كان من سماحةِ الإسلام ونظامهِ الدقيق ، أَنْ فَرضَ على المسلمين الوفاء ، حتى لأعدائهم ، ولقد جَعلَ دينُنا الوفاء دليلاً على منزلة الدين ومكانته وسماحته . حتى وصف الله نفسَه بالوفاء فقال ﴿ **....، ومن أوفى بعهده من الله ،...** ﴾ ؟ التوبة آية (١١١) ﴿ **...،ومن أصدقُ من الله قيلا** ﴾ أي قولا وحديثا . النساء آية (١٢٢).

أيها المسلمون :

الوفاء خُلُقٌ كريم يَحتاج إليه كل إنسان ، تُوجِبُه جميع الأديان ، ويَحتمِهُ كل قانون ، إذ بدونه لا يمكن لأمة أن تنهض ، ولا لمجتمع أن يسعد ، ولا لوطنٍ أن يستقل ، ولا لشريعة أن تسود ، بل لا يستتب الأمْنُ ، ولا يستقر النظام ، ولا تُفرَج الأَزَماتُ ، إلا إذا ساد الوفاءُ جميعَ الطبقات ، من أجل هذا جعل الله شأنَ الموفين بالعهود في الدنيا عالياً كبيراً ، وفي الآخرة جعل لهم نعيماً مقيما ، قال تعالى ﴿ **جناتُ عدنٍ يَدخُلونها ، ومن صَلَح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، والملائكةُ يدخلون عليهم من كل باب . سلامٌ عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار** ﴾ الرعد آية (٢٣ ــ ٢٤) .

وهؤلاء هم الذين استجابوا لربهم فامتدحهم في كتابه ، وجعل لهم نعم عقبى الدار ، وقال في حقهم ﴿ **والذين صبروا ابتغاءَ وجه ربِّهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سِراً وعلانيةً ويدرؤن بالحسنة السيئة أُولئك لهم عقبى الدار** ﴾ الآية (٢٢) من سورة الرعد .

ورغبةً في هذه المنزلة العُظمى ، دُنيا وأُخرى ، وفي السابقين الأولين بعهدهم مع ربهم وأُمتهم ، فلم يخادعوا ولم يكذبوا ، ولم يماطِلوا ولم يراوغوا ، ولم يغدِروا ، ولو كان ثمن ذلك الأموالَ والأنفسَ والمهج .

إن فضيلة الوفاء لو تمكنت من النفوس ، لما قامت بينهم فِتن ولا حروب ولا ملاحم ، ولما قطَع الإخوة والأصدقاء فيما بينهم حبل المودة . نعم لو وفت الزوجة لزوجها ، وقامت بما طلبه منها الدين ، ولم تخرج عن منهج آدابه وسلوكه الخُلقي القويم ، لما كان هناك طلاق ولا نزاعٍ ولا شقاق ، لو وفَى الاخُ حقَّ أخيه ، لما كان هنالك قطيعةٌ ولا جفوةٌ ولا جفاءُ ، لو وَفى الولد لأبيه وسار على مِنهاج الشريعة الغراء ، لما كان

هنالك عقوق ولا شحناءُ ولا خُسران ، لو وفى الصديق لصديقه ما بينهما من مودة وآصرة وثيقة ، لما كان هنالك انقطاعٌ ولا تحاقُد ولا بغضاء ، ولو وفىَّ الجار حقَّ جاره وراعى شعوره وأحسن كلٌ منهما معاملة الآخر ، وتغاضى كل منهما عن هفوة جاره ، لما كان هنالك تأفف ولا ضجر ولا هُجران . لو وفى الغني للفقير وقدم إليه زكاة ماله ، لما كان هنالك حَسَدُ ولا تحاسدُ ، لو وفىَّ الحاكمون والرؤساء والقادةُ عهودهم ووعودهم ، وصدقوا الله ورسوله وأخلصوا لأمتهم وأوطانهم ، لما كان هنالك احتلال ولا استعمار ولا انقسام .

فالذي يقول هذا القولَ هو شرع الله ودينه ودستوره ، لا يقوله واعظ ولا خطيب ، فالأمة على اختلاف أفرادها وجماعاتها وأهدافها في أشد الحاجة إلى الوفاء في جميع مرافق الحياة ، ولكن يا للأسف ، ويا للقطيعة لقد تمكن الغدر من النفوس ، ونسي الناس خالقَهم ، نَسوا الله فنسيهم ، نسوُا الله فأنساهم أنفسهم ، نسوُا قبورهم ومصيرهم بين يدي أحكم الحاكمين . اتخذتم أيمانكم غِلاًّ وخداعاً ومكرا . ولذلك قال سبحانه مُحذراً مُنبهاً من مغبة ذلك ﴿ **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دَخَلا بينكم** ... ﴾[1] إلى أن قال سبحانه معلناً انكشاف أمرِهم يوم العرض عليه ﴿ ...، **إنما يَبْلُوكم اللهُ به وليبيننّ لكم يومَ القيامة ما كنتم فيه تختلفون** ﴾ النحل آية (٩٢) نزلت هذه الآيات في القبائل العربية التي كانت تتباهى وتتفاخر بعصبياتها وكثرتها ، والرسول ﷺ يقول (لا عصبية في الإسلام ولا قبليَّة في الإسلام)[2] أي لا تعاظم ولا تفاخر (كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربيّ على عجمي إلا بالتقوى)[3] . إنَّ عدم الوفاء قد تمكن من

---

١ ــ سورة النحل (٩٢) .

٢ ــ لم أجده هكذا .

٣ ــ سبق تخريجه .

أخلاق الناس ورسخ في أذهانهم ، ونشأ عن ذلك الغدرُ وهذه الصفات قضت على فضيلة الوفاء ، وإن تعجبْ من ذلك فشأنُ أرباب الحِرَفِ والصناعات والسيارات أعجب وأغرب . تذهب إلى هؤلاء وهؤلاء فلا تجد للصدق والوفاء سبيلا ، ولكنَّ الناس لا يفقهون ولا يسمعون ، ولاهم يذَّكرون ، إلا إذا كانوا بين يدي أحكم الحاكمين .

أيها المسلمون :

لقد ثبت عدم الوفاء تربوياً وأدبياً ، كما جاء في علم النفس بأنه ناشيء عن الكِبر والإعجاب بالنفس وحب الذات ، والله تعالى يقول ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ...** ﴾ الأعراف آية (١٤٦) . وكما قال تعالى ﴿ ...، **كذلك يطبع الله على كل قلبِ متكبر جبار** ﴾[١] وفي الحديث يقول ﷺ قال تعالى في الحديث القدسي (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ، أي أنهما صِفتان لازمتان من صفاتي الكمالية ، فمن نازعني فيهما قصمته[٢] ولأبي نَعيمٍ أو نُعيم على حسب الروايات (جالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله ، وتخرجوا من الكِبر) واقرءوا قوله تعالى ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيِّ يريدون وجهه** ،... ﴾[٣] فالله سبحانه أمر عباده أن يتواضعوا ، فلا يظلِمْ بعضهم بعضا ، ولا يستكبرُ بعضهم على بعض ، وبذلك تتحقق الأُلفة والمحبة بينهما .

وورد في الوفاء أن عمرَ بنَ الخطاب أميرَ المؤمنين ، رضي الله عنه ، وقع في يده (الهرمزان) وكان أعدى أعدائه ، فأمر بقتله ، فقال يا أمير المؤمنين أُريد أن أشرب الماء ، فقُدِّم له الماء ، فطَلَب منه الأمانَ حتى يشرب ، فأعطاه ، فأراق الماء على الأرض ، وامتنع عن شربه ، فقال

---

١ ــ سورة غافر (٣٥) .

٢ ــ رواه الحاكم دون ذكر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم ، وباللفظ المذكور أعلاه رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبّان عن أبي هريرة .

٣ ــ سورة الكهف (٢٨) .

(الهرمزان) لعمر يا من أنزل الله على نبيه ﴿ **طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾[1] أين الوفاء من الاسلام ؟ الوفاء نور أبلج : فما كان من عمر رضى الله عنه ، إلا أن عفا عنه ، وخلى سبيله ، حتى قال الهرمزان (أشهد أن لا إله إلا الله وان محمد رسول الله) فقال له عمرُ ويحك أسلمت خيرَ إسلام . فما أخرّك ؟ قال خشيتُ يا أمير المؤمنين أن يُقال إن اسلامي كان جَزعاً وخوفاً .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال (إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ، يُرفع لكل غادر لواء ، وهو من أعطى عهدا بي ثم غدر ، فيقال هذه غدرة فلان ابن فلان)[2] أو كما قال : اذكروه يذكرْكم وسلوه يُعطكم ، وادعوه وأنتم موقنون بالاجابة .

* * *

الحمد لله الذي عز جلاله وسما كماله ، فلا تُحيط به العقول والأفهام ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة من قال ربِّي الله ، ثم وفَى بوعده واستقام ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، جاهد في الله بحد الحسام فأردى الكفرة الطَّغام ، وأرضى الملك العلام ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام .

أما بعد ، فيا أيها المسلمون :

إن الوفاء بالعهود بقاءٌ للعمران ، بدوام الثقة ، وتبادل المنافع ، فما فقدت أمة الوفاء الذي هو ركن الأمانة وقوامُ الصدق في المعاملات ، الا وحلَّ بها من أنواع العقاب الالهي ، ما لم يكن في الحسبان . وضرب الله الأمثال بالأمم السابقة التي استهانت بدينها ووفائها ، كيف كان مصيرها ،

---

١ ـــ سورة طه (١ ـــ ٢) .

٢ ـــ متفق عليه .

وكيف كانت نهايتها ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديماً ، قال تعالى ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلو عليه وسلموا تسليما** ﴾ اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم . وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين ، وعن أصحاب رسول الله أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا .

اللهم اجعلنا من المؤمنين الصادقين ، الموفين بالعهود ، الركع السجود ، الآمنين يوم الفزع الأكبر ، يوم الوعيد . اللهم أصلح ذات بيننا ، وألف بين قلوبنا ، واجمع بين كلمة الحاكمين على أمرك ونهيك والعمل بكتابك وسنة رسولك . اللهم نجنا من الظلمات الى النور ، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، اللهم بارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وازواجنا وذرياتنا واجعلنا شاكرين لنعمك ، مؤمنين بعهدك قابلين لها ، وأتمَّها علينا يا رب العالمين ، اللهم اجعل حبَّك أحبَّ الأشياء إلى نفوسنا ، ونسألك اللهم يا عالماً بالسرائر والضمائر ، أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك مليكنا الحسين ، أيده الله ، اللهم انصره وجيشه الباسل ، وسائر الجيوش الاسلامية العاملة لاعلاء كلمة الله ، ونصرة دينه .

اللهم أعزنا بالاسلام واجعله منتهى غاياتنا وآمالنا ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين . عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

أخطبة الخامسة والستون : الحادية والأربعون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

٣٠ محرم ١٣٨٦هـ

١٩٦٦/٥/٢٠

(تشاؤم الضعفاء من الشهور والأيام وخوفهم من العدوى)

أحمدك اللهم بجميع محامدك كلها ، ما علمت منها وما لم أعلم ، كما وأني أشكرك على ذلك مصلياً ومسلماً ومباركاً على رسولك وحبيبك الصادق الأمين ؛ سيدنا محمد ، وسائر الأنبياء والمرسلين ، وآل كلٍ وصحب كل أجمعين ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وسيئات أعمالي ، اللهم ألهمني رشدي ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كلَّه ، اللهم اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله ، عمده وخطأه ، أوله وآخره ، ما علمت منه وما لم أعلم ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما اسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير ، (... **رب اشرح لي صدري . ويسر له أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**) .

الحمد لله ، الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كلِّه ، أرسله بشيراً ونذيراً ، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيرا ، أشهد أن لا إله إلا هو ، هدانا النجدين . وبين لنا الطريقين ، حذرنا من التشاؤم ، لا سيما من الشهور والأيام ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، الذي قضى بدعوته ورسالته على الخرافات والخيالات والأوهام ، أرشدنا إل أن كل شيء بقضاء وقدر ، اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، ذوي النفوس الخيِّرة المؤمنية ، المليئة بالذكريات والعِبر .

(أما بعد) فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **ولقد أرسلنا إلى ثمودَ أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هُمْ فريقان يختصمون (٤٥) قال يا قوم لِمَ تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ؟ لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ؟ (٤٦) قالوا أطيَّرنا بك وبمنْ معك ، قال طائركم عند الله ، بل أنتم قوم تُفتنون** ﴾ النمل (٤٧) .

أيها المسلمون :

هذه الآيات الكريمة ، ترشدنا إلى ما كانت عليه الأمم الغابرة الزائلة ، من عناد وإصرار على الباطل ، وتشاؤم من الحق ، كانوا إذا دعُو إلى جمع القلوب تفرقوا ، واختصموا وتخاذلوا ، كانوا إذا نصح لهم ناصح من الرسل أن يثوبوا الى رشدهم ، أو يرجعوا الى خالقهم ، أعرضوا عنادا واستكبارا ، وأصرُّوا واستكبروا استكبارا ، وإذا نهاهم غيورٌ عن منكر فعلوه ، تشاءموا وتنكرَّوا له ، وصارحوه بكل وقاحة ، لقد تشاءمنا من دعوتك ودينك . وإذا طالبهم بالعودة إلى الله والاستغفار ، تذمرَّوا وتربصوا به الدوائر ، وإذا قال لعصاتهم ومجرميهم استغفروا ربكم : يا قوم عودوا إليه ، ثاروا عليه وكادوا له . عن عبدالله بن مسعود ، رضي الله عنه قال (في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر الله عز وجل ، إلا غفر الله له الأولى ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسَهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومَنْ يغفر الذنوب إلا الله ولم يُصرِّوا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ آل عمران (١٣٥) .

الثانية ﴿ **ومن يعمل سوءاً أو يظلِمْ نفسَه ثم يستغفر الله يَجد الله غفورا رحيما** ﴾ النساء (١١٠) .

ويقول ﷺ (ما أصرَّ من استغفر)[1] ، ويقول أيضاً (من أكثر من الاستغفار جعل الله من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا) أما

١ — رواه ابو داود والترمذي عن أبي بكر وبقية الحديث وان عاد في اليم سبعين مرة .

نحن مسلمي اليوم فمن أي شيء نستغفر ؟ من الكذب أم من النفاق ، أم من كشف الحجاب عن نسائكم ، وخروجهن متبرجات ، بزينة غير مباليات .؟ فوالله ما يصدق علينا ، إلا قول من قال من العارفين بالله (استغفارنا يحتاج إلى استغفار) لأننا والله نستغفر بألسنتنا ، لا من قلوبنا .

أيها المسلمون :

تشاءم قوم صالح عليه السلام من دعوته ، وتطيّروا منه ، فرد عليهم ﴿ ... **طائركم عند الله ، بل أنتم قوم تُفْتنون** ﴾[1] ، فالله وحده الذي يسجل عليكم أعمالكم السيئة ﴿ **كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ، كذَّبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم ، والله شديد العقاب** ﴾ آل عمران (١١) . يحدثكم ــ سبحانه وتعالى ــ عن مجتمع من المجتمعات البشرية ، التي عاشت على الأوهام ، يوم كانت الانسانية بدائية والعقل طفلا ، والعلم وليدا لا يعرف مصادر الخير ولا منابع الشر . ذلكم المجتمع هو مجتمع ثمود ، وثمود أمة من الأمم التي كانت تسيطر عليها الخرافات والأباطيل ، دون الرجوع إلى العقل الحكيم والمنطق السليم ، فندد بهم القرآن وقال ﴿ **وأما ثمودُ فهديناهم فاستحبُّوا العمى على الهُدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهُون بما كانوا يكسبون** ﴾ فصلت (١٧) وبيّن حال المتقين منهم فقال ﴿ **ونجَّيْنا الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ (١٨) وبيّن حال أعداء دينه الظالمين ، فأقام عليهم الحجة والبرهان ، وقال ﴿ **ويومَ يُحشر أعداءُ الله إلى النار فهم يوزعون**(١٩) يتفرقون خوفا ، فيجمعون في مكان ضيق سحيق ، ثم أقام عليهم شهوداً من أنفسهم ، فقال جل وعلا ﴿ **حتى إذا ما جاءوها شَهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون**﴾(٢٠) فصلت .

---

١ ــ رواه أحمد والحاكم عن ابن عباس .

٢ ــ سورة النمل (٤٧) .

أيها المسلمون :

إي وربي مضت الانسانية تَهيمُ في أودية الضلال ، وتتخبط في جهالتها العمياء ، حتى بعث الله موسى عليه السلام إلى فرعون وملأه . فرعون المتأله الجبار ، الذي طغى وبغى ﴿ **فقال أنا ربكم الأعلى** ﴾[1] فحصل مع موسى كما وقع لأخيه صالح عليه السلام ، فمنعهم الله بركات السماء وخيرات الأرض وضخامة الانتاج ، وسلط عليهم القحط والآفات الزراعية ، حتى قال الله فيهم ﴿ **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، وإن تصبهم سيئة** (أي قحط وجدب) **يطيَّروا بموسى ومن معه ، ألا إنما طائرهم عند الله ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون** ﴾ الأعراف (١٣١) .

أيها المسلمون في هذا الزمان .

طوى التاريخ في سجله فراعنة وجبابرة ، وأقواما أكاسرة ، وجاءت من بعدهم أمم وأجيال ، والسماء أثناء ذلك تتعهد بتعاليمها الأرض ، وتثقف الخليقة ، وتربي العقول ، وتهذب بآدابها الأخلاق ، لعلهم يرجعون ، لعلهم يبصرون ، لعلهم يتحررون من الخرافات والخزعبلات ، حتى جاء عهد عيسى عليه الصلاة والسلام ، وجاءت رسالته ، فأرسل لقومه رسلاً ثلاثة ﴿ **إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فَعزَّزنا بثالث فقالوا إنا اليكم مرسلون** ﴾ ياسين(١٤) فوقع معه كما وقع لأخويه موسى وصالح ، فقال قوم عيسى لرسله ﴿ **إنا تطَّيرنا بكم ، لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسَّنكم منا عذاب أليم** ﴾ (١٨) ورد عليهم رسل عيسى ، بقولهم ﴿ **... طائركم معكم ، أئن ذكرتم ، بل أنتم قوم مسرفون** ﴾ ياسين (١٩) .

أيها المسلم الكريم :

لقد ظلَّت الانسانية تسبح في خيالاتها ، حتى اختار الله لهذه الانسانية المتحيرة صفوة الرسالات ، وخلاصة الشرائع ، على يد محمد بن

---

١ — سورة النازعات (٢٤) .

عبدالله ، فكانت نوراً لامعاً ، ونبراسا وهاجاً ساطعاً ، ودواء ناجعاً ، فأقام دينه القويم العقل على قدميه ، ونادى القرآن في البشرية كلِّها ، ان العقل زعيمُ الحق ، والمنطق السليم رائدُ البحث ، وأن العلم إمام الدين ، فلا دين ولا إرشاد بلا علم ، ولا علم بلا دين ، ولا عبادة بدون فقه وفهم في الدين ، ولا سعادة بلا عزة وكرامة . ثم نادى صارخاً ، هزَّ جوانب المعمورة كلِّها (ألا فليعلم الناس أنه لا كهانة ولا عرافة ولا سحر ولا دجْل ولا أصنام ولا أوثان ، ثم نادى رسول الانسانية عليه الصلاة والسلام إلى أمر رشدْ (لا عدوى ولا طِيرَةَ ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم ، كما تفرُّ من الأسد)[1] نعم بين لهم ان العدوى أمر يمكن حصوله ، ويمكن تخلفه ، فقد يُعدى المريض السليم ، وقد يجاور السليم الصحيح المريض المصاب أياما وشهوراً فلا يُعدى ولا يصاب ، وإن كان الطبيب الحديث ، اليوم يتحدث في المناعة والاستعداد . إذاً فالعدوى ليست ذاتية ، بل يحصل ذلك بفعل الله وإرادته . فإذا أراد شيئاً كان وقع ، وما لم يشأ لم يكن . وهذا طبعا لا ينافي ولا يمنع من الاحتياط والوقاية من العدوى في الأمراض السارية ، والأخذ فيها بالاسباب ، لأن الرسول ﷺ قال لضعيف الايمان (فِرَّ من المجذوم كما تفر من الاسد) .

أيها المسلمون :

لا يضيق صدركم ذرعاً بما تسمعون ، فإنكم اليوم في الأوهام والتشاؤم واقعون ، فلا تشاؤم من الأيام ولا من الليالي ، ولا من المساكن والمنازل ، فشهر صفر الذي سيأتينا هو كغيره من الشهور ، فلا نرى فيه إن شاء الله تعالى إلا خيرا ونصرا ، تأكدوا تماما وثقوا بالله ربكم ، بانه لا يوجد في الكتب الصحيحة المعتبرة حديث (بشروني عن امتي إذا مرَّ شهر صفر) فهذا الحديث مكذوب على رسول الله ، وهو من وضع

---

١ ـــ رواه البخاري (٥٧٠٧) .

الكذابين ، فلا عبرة بحديث لا تثبت روايته ولا سنده ، واعلموا أن كل متشائم من الحوادث والأصوات والألوان وغيرها ،، وكلّ معتقد بذلك فقد أشرك بالله ، الذي يقول ﴿ ...، **ما لهم من دونه من وليٍّ ولا يُشرك في حكمه أحدا** ﴾ آية (٢٦) الكهف . ﴿ ...، **ومن يُشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخْطَفه الطيرُ أو تهوى به الريحُ في مكان سحيق** ﴾ (٣١) الحج . والشرك أخفى دبيب النمل في الانسان ، ولولا ذلك ما كان ﷺ يعلم أصحابه ويقول (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك) . انظروا كيف قضى ديننا الحنيف على أكبر خرافة تاريخية عرفتها الأمم . منذ قرون خلت ، كانت الفرعونية تؤمن بأن نيل مصر لا يفيض ماؤه إلا بتقديم ضحية من البشر ؛ بأحسن عروس وأجمل فتاة ، فلما فتح عمر بن العاص مصر ، وجاء أوان فيضان النيل ، طلبوا من الفاتح العظيم أن يوافقهم على ذلك ، فلم يجد لخرافتهم أصلاً في الشريعة ، واستطلع رأي الخليفة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين آنذاك فثارت ثائرته من النبأ المفزع ، وكتب هذه العبارة وأرسلها لعمر بن العاص ليلقيها في النيل هذا نصها (بسم الله إلى نيل مصر أما بعد ، إن كنت تجري بأمر الله فأهلاً بك ، وإن كنت تجري بغير أمر الله فلا حاجة لنا بك) ﴿ **أفرأيتم الماء الذي تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون** ﴾ (٦٨ ــ ٦٩) من سورة الواقعة فجرى النيل أكثر من السابق ، وبهذا العمل الاسلامي الخالد ، نجت مصر من ضحايا كثيرة ، ومصائب شتى .

أيها المسلمون :

لقد انقضت تلك الأزمان ، ومضت على الأوهام سنوات ودهور . وعلى حين غفلة من الدين ، وفترة من الحق ، انتكست العقول ومرضت

الأفهام ، وارتد المسلمون على أعقابهم خاسرين ، وعادت لنا اليوم الجاهلية الأولى ، لما تركوا دينهم وراءهم ظهريا ، وعادت الانسانية مرة أخرى إلى الوراء ، في هذه الأيام ، التي هي عصر العلم والنور كما يزعمون . ومع ذلك يسألون عن شؤم صفر ، وَما سبب توقف الأعمال فيه ، أهكذا يا ناس ونحن في القرن العشرين .؟ أهكذا قال ربكم ؟ أهكذا علمكم قرآنكم ونبيكم .؟ تشاءم يا أخي من أعمالك وأفعالك ، من معاصيك ، من دَجْلك وكذبك على ربك ، من خداعك ونفاقك وضررك وضرارك للناس . وقفة ساعة في دين ، خير من عبادة سنة . قال ﷺ (ثلاثة لا يخلو منهن أحد : الحسد والظنُّ والطِيرة (أي التشاؤم) فإذا حسدتم فلا تبغوا ، وإذا ظننتم فلا تحققوا ، وإذا تطيرّتم فلا ترجعوا)[1] أو كما قال :

* * *

ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة ، الحمد لله الذي جعل لكل شيء قدرا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سراً وجهراً ، وعلى آله وصحبه ، فهم أعلى منا شأنا وقدراً . اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد ،وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فإن الاسلام لا يؤمن إلا بالرجولة الناضجة ، والانسانية الكاملة الواعية ، والأفاق الواسعة ، إن الأيام والشهور لا تحلل ولا تحرم ، ولا تضر ولا تنفع ، لا تشقي ولا تُسعد ، لا تعز ولا تذل ، ﴿ **...، إن الحكم إلا لله ، أمر ألاَّ تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (٤٠) يوسف .

---

١ ــ لفظ الحديث عن الحسن البصري : ثلاث لم تسلم منها هذه الامة : الحسد والظن والطيرة : ألا أنبئكم بالمخرج منها ؟ اذا ظننت فلا تحقق ، واذا حسدت فلا تبغ ، وإذا تطيرت فامض .

فاتقوا الله عباد الله ، وأحسنوا ظنكم بالله ، ولا تشركوا به فتنقلبوا خاسرين ، واعلموا أنه تعالى صل على نبيه قديماً ، قال تعالى تكريماً لنبيه وتعظيماً ، (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صل وسلم وبارك ، على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم .

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن سائر اصحاب رسول الله أجمعين ، وعن التابعين لهم بإحسان الى يوم الدين . اللهم ألف بين قلوبنا واجمع بين كلمتنا ، واجمعنا على الحق حيث كان وأينما كان ، وجنبنا العقائد الفاسدة والأوهام الكاذبة ، اللهم هب لنا حقيقة الايمان ، وثبت قلوبنا عليه ، وارزقنا العمل به يا رب العالمين ، اللهم اجمع قلوب حكامنا على الحق والعمل به ، اللهم سدد خطاهم ، وصفِّ قلوبهم من الأحقاد والأغيار يا أرحم الراحمين . ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال ، أيده الله ، اللهم انصره وجيشه وسائر الجيوش الاسلامية رب العالمين .

واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا ، سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين . وارفع مقتك وغضبك ، عنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا . عباد الله (**ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون**) (**... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

* * * * *

* * *

*

الخطبة السادسة والستون : الثانية والأربعون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

١٤ صفر ١٣٨٦هـ
١٩٦٦/٦/٣

« خطران كبيران يتهددان الأمة »

الغيبة والنميمة

الفساد في المجتمع سبب في تخلفه عن ركب الحياة

احمدك ربي وأشكرك واستغفرك ، وأثني عليك ولا أكفرك ، مصلياً ومسلماً على سيدنا محمد حبيبك ورسولك ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، وآل كلٍ وصحب كل أجمعين ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفسٍ لا تشبع ، ومن دعاء لا يرفع ، اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، وقلباً خاشعاً ، ونوراً ساطعاً ، أسألك يا حي يا قيوم ، يا رحمن يا رحيم ، ياذا الجلال والإكرام ، أن تلهمني رشدي وتعيذني من شر نفسي ، اعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، أنت كما أثنيت على نفسك لا أحصي ثناء عليك ، رب اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، (**... رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**) .

الحمد لله الذي أمرنا بالتأكد والتثبت من الأخبار ، ونهانا عن استماع حديث المغتابين والنمامين الفجار ، حذرنا من الفساد والشقاق والنفاق ،والخوف من يوم التلاق ، أشهد أن لا إله إلا الله العليمُ بأحوالنا ، المطلعُ على سرائرنا ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي

حثنا على التأني في الأمور ، والتحقق من صحتها أو فسادها ، قبل أن تزلَّ قدم بعد ثبوتها . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ومن سار على نهجهم القويم ، إلى يوم الدين .

أما بعد ، فقد قال العليم الحكيم ﴿ **يا أيها الذين أمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيَّنوا أَن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (٦) واعلموا أن فيكم رسولَ الله ، لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكنَّ الله حبَّبَ إليكم الإيمانَ وزينه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفرَ والفسوق والعِصيان ، أولئك هم الراشدون (٧) فضلاً من الله ونعمةً ، والله عليم حكيم** ﴾ سورة الحجرات (٨) .

سبب نزول هذه الآيات : أن النبي ﷺ أرسل الوليدَ بنَ عُقبةَ إلى بني المصطلق ليعرف حال هذه القبيلة ، هل هي ثابتة على الإسلام تقيم الشعائر الدينية ، أم ارتدت عن الإسلام ، وفسقت عن أمر ربها ؟ فلما ذهب إلى هناك وأبصروه أقبلوا نحوه ليستقبلوه ويرحبوا به ، فلما رآهم الوليد مقبلين عليه ، هرب منهم ، لأنه كان بينه وبينهم عِداء قديم وحزازات في النفوس ، فعاد وقال (يا محمد إن القوم قد ارتدوا عن دينهم ، ولا يقيمون شعائر الله ، فجمع النبي ﷺ كبار أصحابه فوراً وشاورهم في الأمر ، فمنهم من قال نرى القتال ، وتهيأ الرسول له ، لأن المرتدين عن الإسلام يُقاتلون شرعا ، ومنهم من قال نرسل لبني المصُطَلِق رسولا آخر ، ليتأكدَ صحة الخبر ، فأرسل رسول الله ﷺ رسولا حكيما هو خالدُ بنُ الوليد ، رضي الله عنه ، البطل المغوار والأسد الكرَّار ، بطلُ معارك مؤتة واليرموك وغيرها .

لئن كان سيف الله خلَّى مكانه

لما كان سيفاً في الكريهة نابيا

وإن تكن الأيام أفنينَ خالدا

فإن له ذكراً سيفني اللياليا

ذهب خالدٌ إليهم ، فوجدهم على أحسن حال ، وعلى جانب كبير من التقوى والصلاح ، وإقامة الشعائر الدينية ، حتى إنه سمع الأذان عالياً مدوياً من أبعد مكان . فعاد خالد إلى رسول الله ﷺ وقال له أبشر : يا رسول الله فإن بني المصطَلق هم المسلمون حقا ، فقال ﷺ الحكمة التاريخية الخالدة (التأني من الله والعجلة من الشيطان)[1] .

أيها المسلمون :

هناك قراءة أخرى في الآية . فتثبتوا بدلاً من فتبيَّنوا . فلو تسرع رسول الله ولم يتثبَّت من الأمور والأخبار ، لقاتل المسلمين قتالاً عنيفا ، ولكانت حرباً شاملة بين المسلمين أنفسهم ، لا هوادة فيها ، أتت على الأخضر واليابس . كلُّ ذلك بسبب كلمة فاسق واحد لا يتقي ربه ، ولكنَّ الله سلم ، وفي ذلك أنزل الله وحياً من السماء على محمد ﷺ ليعلم الناس جميعاً والأمة بأسرها ، أنه لايجوز الإقدام والتسرعُ إلى الشيء والحكمُ على الآخرين من غير دليل ولا برهان ، لئلا يقعَ الندم . لذا قال سبحانه ﴿ **فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾ ثم قال لهم ، والخطاب عام شامل ﴿ **واعلموا أن فيكم رسولَ الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم** ﴾ فلو أطاعكم واستعجل في القتال لذهبت منكم ضحايا بريئة ، بسبب كلمةِ فتنةٍ وفساد ، وتسلية للرسول وأصحابه قال لهم ﴿ **ولكنَّ الله حبَّب إليكم الإيمان وزيَّنه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفرَ والفسوق والعصيان** ﴾ إذا فأنتم الراشدون المهديُّون ، ألهمكم الله رشدكم ، فلم تتسرعوا في أعمالكم ، وإذا كان هذا الإيمان مضيئاً ومنِّوراً لقلوبكم ، فلا تخرجوا عن أوامر ربكم ورسولكم ، حافظوا على وحدة صفوفكم ، فلا تجعلوا للمفسدين والنمامين والهدامين المفرقين بين الأحبة سبيلا ، قال

---

١ ـــ رواه البيهقي عن أنس بن مالك ، ورجاله رجال الصحيح . وروى عن ابن عباس : اذا تأنيت اصبت أو كدت ، وإذا استعجلت اخطأت أو كدت تخطىء .

سبحانه بعد ذلك ﴿ **فضلاً من الله ونعمةً ، والله عليم حكيم** ﴾ إنه سبحانه عليم بما يُصلح شأنكم ، حكيم في صنع هذا الكون وتدبيره .

أيها المسلمون في هذا الزمان :

إن الصِّراع الماديَّ القائم في العالم كلِّه اليوم صِراع أنانيٌّ بحت ، وتهافتٌ على بلوغ الغايات والشهوات والمصالح الخاصة ، والاستئثار بالنفوذ والتحكُّم في كل مكان ، فهذا الصِراعُ اللا حقيقيُّ ، لا يعترف بحقائق الأمور ، ولا يسلم بالكفاءات الخُلقية والضمائر الإنسانية ، ولا يخضع للمنطق السليم ، فالإنسان الفرد الذي لا يبلغ غايته ، ولا ينال بغيته وحاجته ، يتذرع بأَتفهِ الأسباب وأضعفِها ، شأنَ الضعفاء من وراء جدار ، يتذرع باغتياب الآخرين والطعن في كرامتهم ، والسعي بالنميمة والوشاية لينال عَرضاً زائلاً من الحياة الدنيا ، أو يتبوأ مركزاً ومكانة يتملق بهما إلى الحكام والمسؤولين ، من أجل هذا كانت الغيبة والنميمةُ من أخطرِ المعاولِ الهدامة لصروح الأخوة والقرابة والصداقة .

أيها الناس :

خطران كبيران يهددان المجتمع بأسره ، أحدهما الغيبةُ ، وثانيهما النميمة . ولذلك قال سبحانه في آيات أخرى من هذه السورة ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنِّ إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضُكم بعضا ، إيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقوا الله ، إن الله تواب رحيم** ﴾ آية (١٢) الحجرات .

نزلت هذه الآية في رجلين من الصحابة اغتابا رفيقهما ، وذلك أن النبي ﷺ لما سافر ، ضم سلمان الفارسي إلى هذين الرجلين الموسرين ليخدمهما ، فتقدم سلمان إلى المنزل فنام ، ولم يُحضِّر لهما طعاما ، فلما عادا إلى منزلهما لم يجدا شيئاً ، فأرسلاه لرسول الله ليحضر لهما طعاما ، فلم يجد عنده شيئا ، فأرسله النبي إلى أسامة بن زيد ، خازنِ النبي ﷺ

فلم يجد عنده شيئاً ، فرجع إليهما فأخبرهما فقال الرجلان ، قد كان عند أسامة ، ولكنه بخل به ،ثم أرسلا سلمان إلى جماعةٍ من الصحابة ، فلم يجد عندهم شيئاً ، فقالا له لو بعثناك إلى (بئر سُمَيْحة) لغار ماؤها ، يعني لو أرسلناك إلى عين جارية لنشفت على وجهك يا سلمان . ثم انطلق الرجلان يبحثان عن الطعام عند أسامة فرآهما النبي ﷺ في الطريق ، فقال لهما (مالي أرى خُضْرة اللحم في أفواهكما) فقالا (يا نبيَّ الله والله ما أكلنا في يومنا هذا لحماً ولا شيئاً غيره . فقال ﷺ (ولكنَّكما ظللتما تأكلان لحم سلمانَ وأسامة) فنزل قرآن في حقهما[1] .

أيها المسلمون :

إن الله تعالى يقول (**إن بعض الظن إثم**) وخطيئة ، والظنُّ هو تهمة الناس الأبرياء ، والرسول ﷺ يقول (إياكم والظنَّ ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث)[2] فإذا كان يا أخي بعض الظن ، أي القليل منه ، يعتبر إثماً

---

١ ـ انظر الجامع لأحكام القرآن في سورة الحجرات ولكنها وردت في سياق آخر عن سلمان وحده كما ذكرها ابن كثير في تفسير هذه الآية ، ان سلمان كان مع رجلين من أصحاب النبي ﷺ في سفر يخدمهما ويخف لهما وينال من طعامهما ، وان سلمان لما سار الناس ذات يوم وبقي سلمان نائماً لم يسر معهم ، فجعل صاحباه يكلماه فلم يجداه فضرب الخباء ، فقال ما يريد سلمان أو هذا العبد شيئاً غير هذا ، أن يجيىء الى طعام مقدور وخباء مضروب ، فلما جاء سلمان ارسلاه الى رسول الله يطلب لهما اداماً فانطلق ، فأتىٰ رسول الله ﷺ ومعه قدح له فقال يا رسول الله بعثني اصحابي لتؤدمهم ان كان عندك ، قال ما يصنع اصحابك بالأدم ، قال قد ائتدموا ، فرجع سلمان يخبرهما بقول رسول الله فانطلق حتى اتيا رسول الله فقالا ، لا والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاماً منذ نزلنا قال رسول الله انكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما ، قال فنزلت (أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً) .. تفسير ابن كثير (٢١٥/٤ ـ ٢١٦) .

وفي رواية : قالا بأي شيء ائتدمنا فقال بلحم أخيكما والذي نفسي بيده أني لأرى لحمه بين ثناياكما . قالا يا رسول الله استغفر لنا ، قال مراه فليستغفر لكما .

٢ ـ جزء من حديث وبقيته : وتجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا. رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

وخطيئةً والإنسان لم يبُح به ، ولم يتكلم به ، فما بالك بالظنون المنتشرةِ في الناس اليوم بجميع نواحيها .؟ والمعاصي في كل مكان .؟

يا أخي المسلم :

كل شي لا تعرف حقيقتَه ، ولم ترهَ بعينك ، ولم تسمعه أذنك ، وليست له علامةٌ صحيحة ولا سبب ظاهر واضح ، كان حراماً صريحا ، ووجب عليك اجتنابُه . والقضاء في الإسلام لا يُصدر حكماً على آخر ، إلا إذا كان مبنياً على غلبة الظن ، وذلك علم اليقين ، وهذا هو الحق . أما من عرف واشتهر بين الناس بالمجاهرة ، وتعاطي الخبائث ، ومواطن التهم ، فلا إثم في الظنِّ به .

أما التجسس على عورات الناس فلا يجوز بحال ، قال ﷺ (أيها الناس لا تتبعوا عورات الناس ، فإن من تتبَّعَ عورتهم فضحه الله على رؤوس الأشهاد ، ولو في جوف رحله)[1] أي بيته . أيها الناس (إن الله حرَّم من المسلم دمه وعرِضَه ، وأن يُظَنَّ به ظنَّ السَّوْء)[2] أما التجسس لمصالح الدولة الإسلامية العامة ، ومعرفةِ مواطن العدو ، وتحركاته وتنقلاته ، فذلك من الدين ولا إثم فيه . والحرب خدعة . أما المتجسس لمصالح الأعداء ، فهو خائن لدينه ووطنه وبلاده .

أيها الناس :

انظروا كيف استُعمل أكلُ اللحم مكان الغيبة في الشعر على عادة العرب :

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم

وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

---

١ ــ رواه ابن ماجه والحديث كاملاً : يا معشر من آمن بلسانه لوم يفض الإيمان الى قلبه لا تغتابو المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله .

٢ ــ الحديث بكامله كما رواه ابن ماجه : عن ابن عمر قال رايت رسول الله يطوف بالكعبة ويقول : ما اطيبك واطيب ريحك ما اعظمك واعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن اعظم عند الله تعالى حرمة منك ماله ودمه وان يظن به الا خيراً .

قال ﷺ منفراً من الغيبة ، (من ظلَّ يأكل لحوم الناس ما صام)[1] فشبه الوقيعة في الناس يأكل لحومهم ، فمن تنقَّصَ مسلماً ، أو ثَلَمَ عرضَه فهو كالآكل لحمه حيّاً ، ومن اغتابه فهو (كالآكل لحمه ميتاً) وقال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه (إياكم وذكر الناس فإنه داء ، وعليكم بذكر الله فإنه شفاء) وقال رجل للحسن البصري ، رضي الله عنه (بلغني أنك تغتابني) فقال الحسن (لم يبلغ قدرُك عندي أن أُحَكِّمكَ في حسناتي) . فالغيبة هي أن تذكر أخاك بما يكره في غيبة . سواء أكان بالكتابة أو الإشارة أو بالهاتف إلا على سبيل التحذير من بطشه وظلمه ومكره ، بعد التحقق من أذاه ، أما غيبة الفاسق المعروفِ بين الناس بالفسق والفجور ، المجاهر بالنفاق والعصيان ، المستخف بدينه وقرآنه فلا يقيم صلاة ولا يصوم فرضاً ، فقد جاء في الخبر (من أَلقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبةَ له)[2] وقال الحسن رضي الله عنه ، ثلاثة لا حرمة لهم : صاحب الهوى المتبِّع ، والفاسق المعلنُ ولو بترك الصلاة وشعائر الإسلام ، والإمام الذي منع بجوره إقامة الشعائر الدينية . وقال علماء الشريعة الغيبة ثلاثة أنواع ،كلُّها في كتاب الله تعالى (الغيبة والإفك والبهتان) . ونادى رسول الله ﷺ يوما (أيها الناس من كانت لأخيه عنده مظلِمَه فليتحللها منه ، فليطلب منه السماح قبل أن يأتي يوم لا درهم فيه ولا دينار) ، ولقد قالت عائشة أم المؤمنين بحضرة النبي

---

١ ــ انظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبي وقد وردت هذه القصة بطرق اخرى ايضاً منها : في عهده عليه الصلاة والسلام أنه أمر الناس أن يصوموا يوماً ، وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له ، فصام الناس ، فلما أمسوا جعل الرجل يجيء إلى رسول الله فيقول ظللت منذ اليوم صائماً فائذن لي فأفطر ، فيأذن له ويجيء الرجل فيقول ذلك فيأذن له ، حتى جاء رجل فقال يا رسول الله أن امرأتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين فائذن لهما فليفطرا ، فأعرض عنه ، ثم أعاد فقال رسول الله ، ما صامتا ، وكيف صام من ظل يأكل من لحوم الناس . ؟ اذهب فمرهما إن كانت صائمتين أن يستقيئا ، ففعلتا ، فقاءت كل واحدة منهما علقة ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال رسول الله ، لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار ، رواه ابو داود الطيالسي في مسنده باسناد ضعيف وله عدة طرق بألفاظ مختلفة .

٢ ــ أخرجه ابن عدي باسناد ضعيف عن أنس .

ﷺ (إن أم سلمه ضَرَّتَها قصيرة ، وأشارت بيدها فقال رسول الله (والله يا عائشة لقد قلت كلمةً لو امتزجت بماء البحر لخاضته وعكّرته)[1] فاستغفرت ربها ، وطلبت منها السماح .

أما الخطر الثاني الذي يفتك في جسم الأمة والمجتمع الإسلامي رويداً رويدا ، فهو النميمة ، والنميمة هي نقل الكلام من شخص لآخر ، أو من امرأة لأخرى على وجه الدسِّ والتفرقة والإفساد ، فقد قال الرسول فيهم : (الهمَّازون واللمَّازون والمشاءون بالنميمة الباغون للبرآء العَيْبَ ، يحشرهم الله يوم القيامة في وجوه الكلاب (أي مع زمرة الكلاب) وقال أيضاً : (من مشي بالنميمة بين اثنين ، سلَّط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة) .

أيها الناس :

الغيبة فتنة ، والنميمة فتنة ، والله تعالى قالها في آيتين من سورة البقرة ﴿ ... ، **والفتنة أشدُّ من القتل** ، ... ﴾ ، ﴿ ... ، **والفتنة أكبر من القتل** ، ... ﴾ آية (١٩١) وآية (٢١٧) .

إن كنت صادقاً يا أخي في إيمانك ، فلا تُشغل نفسك بذلك ، ولا تضيِّع وقتك الثمين في تَسمُّع أخبار السفهاء ، فذلك كلُّه جالب للشر والمفسدة . أما أنت أيها المغتاب أيها النمام :

فخيـــر لك أن ترجع الـــى ربك ، وتتوب من اثمك ، وتسترضي خصماءك قبل أن يفجأك الموت ، فتنزَّل قدم بعد ثبوتها ، إرجـــع إلى ربك فقـــد بلغت من الكبـــر عِتِيًّا ، إعمل ما فيـــه الألفـــة والمودة والصلـــة ، تباعـــد عن الفتنـــة من بيـــن الناس

---

١ ــ انظر الجامع لأحكام القرآن فقد وردت أن المذكورة أم سلمة ، أما في رواية ابي داود فإن المذكورة هي صفية .

عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية ــ تعني ضرتها ــ كذا وكذا ، قال عن مسدد تعني قصيرة فقال ﷺ لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته رواه ابو داود .

عُرى الاخاء، إذ كلما اطلقت لسانك كلما زادك الله بغضاً بين الله وعباده، ويكفي أن تُعرف بين الناس بالمفرِّق بين الأحبة . وبالمغتاب والنمام .

من جعـــل النمام عيناً هَلكا

مبلغـك الشـرَّ كباغية لـكا

واسمع ماذا يقول سيد الأنام ﷺ لك ولأمثالك وأقرانك (تجدون من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)[1] وما أجمل قول الصحابي الجليل قتادة (والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الآكلة التي ترعى الجسد). فالسلف الصالح رضى الله عنهم، يرون أن العبادة هي الكفُّ عن أعراض الناس .

أما السعاية إلى الحكام والمسؤولين، فهي أشد خطراً وفتكاً بالأمة. روى عن الخليفة أمير المؤمنين، عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رجلا سعى إليه برجل آخر، فقال له : (يا هذا نحن نسأل عما قلت لنا، فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أقلناك، أي أخرجناك من عملك معنا. فالدين الحنيف لا يرضى بالنمام، فقال الرجل (أقلني يا أمير المؤمنين). فعلى الحاكمين والمسؤولين أن يحذروا النمامين والساعين، لأن قبول الوشاية منهم شرٌّ من السعاية نفسها. احذروهم ولو كانوا صادقين، وفي الحكم (ومن نمَّ لك نمَّ عليك). أيها المسؤولون حاجات الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوهًا، فتعود نقماً عليكم هكذا قال. الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إحذرو النمامين ايها المسؤولون بالله عليكم. فكم من صاحب حاجة لم يتمكن من قضاء حاجته.

أيها المسلمون :

هذان الخطران على المجتمع من الأمراض الإجتماعية من الكبائر، أما الفاجر المجاهر بالفسوق، فيقول الرسول في حقه (اذكروا الفاجرَ بما فيه، كي يحذره الناس)[2] .

---

١ ــ رواه البخاري .

٢ ــ الحديث بلفظه وكماله : أترعوون عن ذكر الفاجر ، اهتكوه حتى يعرفه الناس ، اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس . اخرجه الطبراني وابن عدي .

حقاً لقد تخلل النمامون صفوف الناس، وقد شاع بلاؤهم، واستفحل خطرهم، فلا تجد أخاً مع أخيه ولا صديقاً مع صديقه، ولا والداً مع ولده، ولا جاراً مع جاره، ولا قريباً مع قريبه، ولا رئيساً مع مرؤسه، وذلك من آثار إفساد غراب البيْن فيما بينهم. والرسول يقول (ألا وإن فساد ذات البيْن هي الحالقه)[1].

أيها الناس:

كلكم تشعُرون بما أقول، وكلكم واقعون في حمأة هذين الخطرين. نرى الناس اليوم يجتمعون، ويا ليتهم لم يجتمعوا، يتفكهون في مجالسهم بحُسن زيد وقُبح عمرو، ولكن يكفيهم ماهم فيه من مرض خُلقي، ومكر وحقد وحسد وفساد. قال ﷺ (إياكم والغيبةَ فإن الغيبة أشدُّ من الزنا)[2] وقال ﷺ (مَن أشاع على مسلم كلمة ليَشينَه بها بغير حق، شانه الله بها في النار يوم القيامة)[3] أو كما قال، أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

★ ★ ★ ★

الحمد لله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم ظاهر الإثم وباطنه، وما ربك بغافل عما يعملون، اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد، فإن الله تعالى يريد منا عملاً صالحاً. يريد منا أن نُفرغ جهدنا وقوتنا في عدونا الرابض على القلوب، يريد أن يستبيح حمى بلادنا، ونحن عن آيات الله غافلون. واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**).

---

١ ــ رواه ابو داود والترمذي بسند صحيح.

٢ ــ أخرجه ابن ابي الدنيا وابن حبّان في الضعفاء.

٣ ــ الحديث بلفظه: من اشاد على مسلم عورة يشينه بها بغير حق، شانه الله بها في النار يوم القيامة رواه البيهقي باسناد حسن ومعنى أشاد، أشاع أصله من أشدت البنيان وشيدته اذا طولته راجع فيض القدير (٦/٦٢).

اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وارض اللهم عن أصحاب رسول الله أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم ألف بين قلوبنا، وباعد بيننا وبين الحاقدين والنمامين. اللهم ألف بين قلوب القادة والحاكمين، واجمع كلمتهم على كتابك وسنة رسولك ياذا الجلال والإكرام. اللهم اجمع بين صفوف الأمة العربية الإسلامية وسائر المسلمين على بساط من المحبة والأُلفة رب العالمين. اللهم أصلح ذات بيننا، وطهر قلوبنا من الغل والحقد والمكر والحسد يا أرحم الراحمين .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك وتوفيقك، الحسين بنَ طلال أيده الله. اللهم انصره وجيشه المقدام، وسائر الجيوش الإسلامية المحاربة لإعلاء كلمة الله يا أكرم الأكرمين. اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا .

(عباد الله) : (**إن الله يأمرنا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي. يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(... **وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة السابعة والستون : الثالثة والأربعون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

٦ ربيع الأول ١٣٨٦هـ
١٩٦٦/٦/٢٤

« درس وعظة وذكرى من ميلاد الرسول وحياته »

أحمدك يا من له الحمد والثناء الجميل على كل حال ، وأشكرك وأستغفرك واستهديك، يا من بيده الفضل والنوال، مصلياً ومسلماً على رسول الله صاحب المولد الشريف والفطنة والذكرى، وعلى آله وصحبه الذين لهم السعادة والبشرى ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم . أعوذ بك من شر نفسي وسوء خلقي وسيئات أعمالي، رب اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم أظهر الحق على لساني، وقو حجتي وبياني، فإني ضعيف فقوني برضاكَ عنّي، وفقير فأغنني، وذليل فأعزني ، اللهم الهمني رشدي، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه، لا إله إلا أنت، (... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**) .

الحمد لله اصطفى محمداً لرسالته ، أمد أحبابه وأصفياءه من فيضه وفضله، شرف الذات المحمدية، فكانوا بقدوتهم وهديهم من الأمة الراضية المرضية، (أحمده) سبحانه أن هدانا لهذا الدين الحنيف ، وأشكره أن جعلنا خير أمة أخرجت للناس، تعمل بالهدى ولا تحيف ، أشهد أن لا إله إلا الله الرؤوف الرحيم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، بالمؤمنين رؤوف رحيم ، اللهم صلِ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ذوي النفوس الطاهرة الزكية .

(أما بعد): فقد قال سبحانه وتعالى ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودينِ الحقِ ليظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون**﴾ التوبة آية (٣٣).

أيها المسلمون:

في مثل هذا الشهر المبارك، شهر ربيع الأول، كان ميلاد محمد ﷺ وعينُ الله تحوطه وترعاه، انحدر من أُسرةٍ زاكية المعدن، نبيلةِ النسب جمعت خلاصة مافي المقربين من فضائل، وترفَّعت عما يشينهم من أوضار، قال عليه الصلاة والسلام حاكياً عن نفسه (إن الله اصطفى كِنانة من وَلد إسماعيل، واصطفى قُريشا من كِنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)[1].

لقد نشأ محمد نشأة كريمةً سريعة. اتصف بالآداب السامية، والأخلاق العالية المرضيَّةِ الكريمة، وهو كما قال مُبيناً للناس أجمعين سلوكَه الخاصَّ (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[2].

أيها المسلمون:

إن رسولكم محمداً نشأ بين أمة جاهلية أميَّةٍ، لا تؤمن إلا بعبادة الأصنام والوثنية، دعا الناس كافةً إلى عبادة إله واحد، أنقذ الناس من جاهليتهم الجهلاء، إلى فضاء نور الهداية الشهباء، أنقذهم من الظلمات إلى النور، بإذن ربه، دعا الناس إلى عبادة الملك العلام، وحطَّم براسخ إيمانه عبادة الأصنام والأوثان، اختاره الله ن أشرف البُطونِ والظهور، كما قال عليه الصلاة والسلام (خرجتُ من نكاح ولم أَخرج من سفاح من لدنْ آدمَ إلى أن ولدني أبي وأمي. ولم يُصبني من سِفاح الجاهلية شيء).

---

١ ـ رواه الترمذي وقال حديث صحيح.

٢ ـ رواه السمعاني وسببه: قدم بنو فهد بن زيد على المصطفى ﷺ، فقالوا أتيناك من غور تهامة وذكر خطيبهم وما أجابهم المصطفى ﷺ قال فقلت يا نبي الله نحن بنو اب واحد، ونشأنا في بلد واحد، وأنك تكلم العرب بلسان لا نفهم أكثره، فقال عليه الصلاة والسلام أَدَّبني ربي فأحسن تأديبي.

أيها المسلمون :

إن الأمم المتحضرّة تُعنَى وتهتمُ بذكرى عظمائها تقديراً لأعمالهم، ووفاءً بحقهم عليها، وتذكيراً للحاضرين بأعمال الماضين، ليكونَ لهم قدوة وعِظةُ ذكرى، وليعلموا أن الحياة الحرة الكريمة دروس، والذكر الجميل للإنسان عمرٌ ثانٍ ﴿...، **كل امرىءٍ بما كسب رهين**﴾ سورة الطور آية(٢١).

أما سيدنا محمدٌ ﷺ صاحبُ الذكرى فهو غنيٌّ عن تكريم لا قدوة فيه، واحتفاءٍ لا عمل فيه . فماذا يستفيد الرسول العظيم من الحفاوة المجردةِ من الأعمال الصالحة، وهو الحريص عليها، الذي يقول (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم)[1] والله تعالى يقول ﴿ **النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجُه أمهاتُهم،...** ﴾ الأحزاب آية (٦) .

إنه ﷺ لا يأمر المؤمنين ولا يرضى منهم إلا ما فيه نُجحهم وصلاحهم، والواجب على المؤمن أن يُحبَّ رسوله أكثر من نفسه وماله وولدِه والناس أجمعين. ذلك لأن نفس الإنسان تأمره بالسوء والفحشاء. ألم تسمع قول الله تعالى على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام .؟ ﴿ **وما أبريء نفسي، إن النفس لأمَّارةٌ بالسوء إلاَّ ما رحم ربي، إن ربي غفور رحيم** ﴾ يوسف آية (٥٣) .

فالرسول ﷺ أشفقُ منا على أنفسنا، وأرحم بنا من أنفسنا، لأن نفس الإنسان قد تُطغيه وترديه ، أما الرسول فيرشده ويهديه، بل هو أشفق وأرحم من الوالد بولده .

ولما أراد غزوة تبوك، أمر الناس بالجهاد، فقال أناسٌ من أصحاب رسول الله نستأذن آباءنا وأمهاتنا، فنزلت هذه الآية ﴿ **النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ .

---

١ ــ الحديث بلفظه : ما من مؤمن إلا وانا أولى الناس به في الدنيا والآخرة . رواه البخاري ، وعند ابي داوود : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ....

لقد رفع الله ذكره، وأعلى قدره، لأنه النور الإلهي والمدد الرباني ، سِفرُ الوجود والخلود، جعله محلَّ إحاطته ورعايته . ولما اجتمع وتألَّب عليه أعوان الباطل وأدعياءَ الحق، قال له سبحانه في سورة الطور ﴿ **فذرهم حتّي يلاقوا يومهم الذي فيه يُصعقون (٤٥) يوم لا يُغني عنهم كيدُهم شيئاً ولاهم يُنصرون (٤٦) وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون (٤٧)** ﴾ كأن الله يصبِّر حبيبه محمداً ويطمئنه بقوله (يا حبيبي محمد) لا تهتمَّ بمن يكيد لك، ويتحامل عليك، فإن لهؤلاء وهؤلاء عذاباً فوق عذابهم في الآخرة، كعذاب القبر، وإزهاق أرواحهم، ولكن أكثر هؤلاء لا يعلمون ولا يفقهون، ثم زاده إيمانا وتطمينا وتثبيتاً، فقال له يا محمد ﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ، ... ﴾[1] نعم فإن من أحب آخر في الله جعله فكره وذكره في قلبه بين جنبيه وأمام عينيه. إنك يا محمد في حفظنا، بحيث نراك ونكلؤك .

هذا هو محمد خير الخليقة، وسيدُ الوجود . صفحة مجد وتأريخ مترعةٌ بالعزة والبطولة، تُذكر دواماً، وسورةُ محمدٍ تُتلى وتُقرأ إجلالاً وإعظاما . هذه صفحة من حياة صاحب الميلاد، والذكرى تنفع المؤمنين ﴿ **وإنك لعلى خلقٍ عظيم** ﴾[2] إذا كنا نحن المسلمين نحب محمداً وسيرته وميلاده وصحبه وآل بيته، فعلينا أن نقتديَ بأقواله وأعماله، ونتأدبَ بآدابه، ونسير على نهجه وآثاره، بإحياء سننه والاستمساك بهديه وشريعته .

أمرنا بالعمل، وحذرنا من الضعف والذلة والكسل، دعانا إلى العمل للدنيا والآخرة، حذرنا من الفساد في الأرض، قال تعالى ﴿ **وابتغ فيما آتاك اللهُ الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسِنْ كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المفسدين** ﴾ القصص آية (٧٧) .

---

١ ــ سورة الطور (٤٨) .

٢ ــ سورة القلم (٥) .

ولقد كان القرآن صريحاً واضحاً، في قمع المتاجرة بالعقائد، للإثراء والغِنى على حساب العقيدة، والاستكبارِ في الأرض ، حاسماً هذا النوعَ في قوله الصُّراح ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبخسون (١٥) أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النَّارُ، وحبط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون** ﴾ (١٦) هود .

أيها المسلمون في زماننا هذا :

لقد أعان الله حبيبه محمداً، وهيأ لهذا الدين من أصحاب محمد ﷺ وأتباعِه ومحبيه ــ رضي الله عنهم ــ الذين آزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي بين يديه، بدلاً من أهله وأقاربه وذويه، الذين أعرضوا عن الحق، وكانوا له معارضين، فلم ينصروه، فنعم الأصحاب أصحابه، ونعم المهاجرون والأنصار .

معشر المسلمين :

لقد تمسكنا اليوم بمظاهر الذكريات والحفاوات، بقشورها دون لُبابها ، خُدعنا بمدنياتٍ زائفة ومظاهرَ خلاَّبةٍ خادعةٍ ، أنستنا ذكريات الماضي المجيد والعهد السعيد، أيامِ عزةِ الإسلام والمسلمين . ليلةُ المولد الذي كان للدينِ سرورٌ بيومه وازدهاءُ .

وتوالت بشرى الهواتف أنْ قد

ولد المصطفى وحَـــقَّ الهناءُ

أيها الناس :

إن التفرق ضعف وذلة وقلة ، ولكنَّ الدين الإسلامي عزيز لَن يذلَّ بإذن الله، قوي لا يضعف ولا يلين، أمام شوكة المستعمرين الطاغين وربيبتهم إسرائيل .

أيها الناس : أيها المسلمون :

خبروني بالله عليكم هل ترك محمد ﷺ أهل الإسلام وشبابه، على مثل ما نحن عليه اليوم، من انحلالٍ خلقي وانحرافٍ عقائدي كلي ؟ هل كان في عهد محمد ﷺ مخنثون وخنافس مارقون، كمخنثي وخنافس اليوم ، يلبَسون لباس النساء ويحلقون كما تحلق النساء .؟

أولئك الذين أَخبر رسول الله عنهم، في قوله (لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء بالرجال)[1].

إذا كنا نحب صاحب الذكرى، فلنسر على أقواله، ولنعمل بأعماله الخالدة، فمن أقواله المأثورة (إن لكل دينٍ خُلقا، وخلق الإسلام الحياء)[2].

نعم : الحياء خلق كريم يبعث في النفوس بُغضَ المنكرات والموبقات. ولذلك قال ﷺ (لا إيمان لمن لا حياء له) هل من الحياء تركُ الحبل على الغارب للنساء متبرجاتٍ متبهرجات مائلات مميلات كاسيات عاريات .؟!!

أهكذا كانت النساء في عهد محمد وأصحابه، وأيام رسالته ودعوته ، أم هذا من المدنية الفاجرة الماجنة، والتقدمية المفجعة.؟ فالويلُ كلُّ الويلِ لمن لم يخْشَ الوعيد الشديد .

أما والله ما في العيش خيرٌ
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
إذا لم تخْشَ عاقبة الليالــي
ولم تستحيي فاصنع ما تشاء

أيها الناس :

كانت دعوة رسولنا مصدر خير وسلام وأمنٍ وأمان، ترمي إلى أهداف ساميةٍ وإصلاح أمة. بل أُممٍ في مجتمعاتها .

---

١ ــ البخاري في الأدب والترمذي عن ابن عباس .

٢ ــ رواه ابن ماجة عن أنس وابن عباس باسناد ضعيف .

مولاي الرسول الكريم :

هذه أمتك تدعي أنها منك وإليك، ولكنها لم تعمل بما أمرت . تركتها مؤمنة مخلصةً فأعرضت ، تركتها متحابةً متوادة فتباغضت .

يا سيد الوجود، يوم الفزع الأكبر المرتعب :

تركتَ أمتك موحدةً فتمزقت ، قويةً فضعُفت ، عزيزة الجانب فذلَّت. وما ذلك إلا بسبب التزامها طريقاً غيرَ طريقك، وانحرافِها عن خير المقاصد ﴿ ... ، **ومن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشدا** ﴾ الكهف آية (١٧) .

سيدي رسول الله :

نظرةً من نظراتك، ونفحةً من نفحاتك، يحيا بها مَيت القلب وفاقدُ الضمير . هؤلاء يا رسول الهداية حملةُ شريعتك، وحاملو دعوتك قد انصرفوا عن طريقك وهديك، فلم يأمروا بمعروف، ولم ينهوْا عن منكر .

صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، بقدر ما أفضتَ وأضفيت على الدنيا كلِّها من خير، وما خلَّفتَ وراءك من قانون سماوي عادل .

قال ﷺ (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان) (أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرءَ لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يلقى في النار)[١] وقال ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه ومالِه وولِده والناس أجمعين)[٢] أو كما قال، ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

الحمد لله المنعم على عباده برسالة نبيه الكريم، أشهد أن لا إله إلا الله العظيم الحَليم، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، أرسله الله رحمةً للعالمين .

---

١ ــ متفق عليه .

٢ ــ متفق عليه .

تمسكوا بهدي نبيكم، خذوا من تاريخ ولادته، ومن سيرته، ومن مبادئه وأخلاقه دروساً وعظاتٍ وعبرا، دروساً غاليةً من حياته، تأدبوا بآدابه، تبصروا ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النار ، أعدوا لعدوكم ما استطعتم من قوة ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه وأمرنا بالصلاة عليه تعظيماً وتكريما، فقال (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صلِ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، اللهم ألف بين قلوب المسلمين .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الثامنة والستون : الرابعة والأربعون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

٢٧ ربيع الأول ١٣٨٦ هـ
١٩٦٦/٧/١٥

(المؤمن الصادق تكفيه العظة والذكرى من الأحداث)

الحمد لله رب العالمين، مصلياً ومسلماً على سيدنا محمد، أشرف الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم القويم. اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه، لا إله إلا أنت اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت ، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير، لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه. رب اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن إن الله هو الذي ليس كمثله شيء، وهو الواحد القهار ، اللهم اجعل موعظتي سارية مؤثرة في قلوب العالمين، هادية للمريدين والسالكين، مقربة لمحبة الله ورسوله والمؤمنين ، (**... رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**) .

الحمد لله، أحيا قلوب المؤمنين بآيات ربهم، ودلائل قدرته، وأعيا أفهام الضالين عن درك حقيقتها. الحمد لله فتح للعارفين به طريق الوسائل، وأجرى على أيديهم أنواع المكارم والفضائل، أشهد أن لا إله إلا الله خلق كل شيء فقدره تقديراً، وأشهد أن محمداً رسول الله أرسله الله للخلق

داعياً ومُذكراً ومبشراً ونذيراً. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، الذين علموا أن الدنيا محنة وفتنة، فاتخذوا صالح الأعمال زاداً وخير الزاد التقوى .

أما بعد ، فقد قال الله الكريم الحليم ﴿ **إنما أمرتُ أن أعبدَ ربَّ هذه البلدةِ الذي حرَّمها وله كلُّ شيء، وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾ (٩١) **وأن أتلوَ القرآن، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضلَّ فقُلْ إنَّما أنا من المنذرين** (٩٢) **وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها، وما ربك بغافل عما تعملون** ﴾ (٩٣) النمل .

أيها المسلم :

هذه الآيات الواضحة، جاءت مبشرةً، فالرسول ﷺ المنزل عليه هذا الكلام يقول لقومه المعرضين عن دعوته، إنني أمرتُ بعبادة الله الواحد القهار، الذي هو مالك السموات والأرض ، ولقد أمرني ربي وخالقي ورازقي، إن أكون من المستسلمين لأحكامه وقضائه وقدره، تالياً لكتابه، منفذاً لأحكامه ، وإقامة حدوده ، هذا ما يقوله محمد ﷺ للأمة بأسرها. وفي هذه الآيات ما فيها من الوعيد والتهديد للمخالفين لأوامر الله ، الخارجين على أحكامه وحدوده ﴿ ... ، **ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه** ، ... ﴾ ، يبين لهم فيها بياناً واضحاً مكشوفاً، فمن اهتدى واتبع شريعتي، فهدايته لنفسه، ومن أعرض عنها، فما عليَّ إلا التبليغ والتحذير ، وقد بينت لكم السبيل السَّويَّ والصراط المستقيم لعلكم تتقون، وإنني أحمد الله الذي أعانني على تبيان طريق الهداية لكم، وما على الرسول إلا البلاغ المبين. يا قوم يا من وقفتم في طريق دعوتي، سيريكم ربكم دلائل قدرته وعظمته وجبروته، وأنه وحده يحصي لكم أعمالكم . سيريكم أيها المنكرون نصرَ المؤمنين عليكم، ونشرَ دينهم بينكم، وبين

---

١ ــ سورة الطلاق (١) .

سائر الأمم ، يا قوم إن للساعة علامات، وللقيامة آيات قاصمات قاطعات مُريبات، وستندمون على ما فرط منكم ولات ساعة مندمٍ، فهو سبحانه وحده المحيط بكم، ليس بغافل عما تعملون .

وفي مثل هذا المقام، يقول جلت عظمته ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم الحق ، أولم يكفِ بربك أنه على كل شيء شهيد** (٥٣) ﴿ **ألا إنهم في مِريةٍ من لقاء ربهم، ألا إنه بكل شيء محيط** ﴾ (٥٤) فصلت .

ففي هاتين الآيتين يقول سبحانه لنبيه، قل لقومك سيريكم الله أيها الغافلون عن آيات الله ما تفزع له النفوس. سيريكم دلائل عظمته وصدق رسالة نبيه، وما أخبر عنه من الفتوحات الاسلامية، التي سيجريها الله على يديه ويدي أصحابه . سيريكم أيها المنكرون المتجبرون يوم قيام الساعة، ويوم الفزع الأكبر، واشتداد الحر والكرب ، يوم دُنوِّ الشمس من رؤوس الخلائق قدر جرَّةِ قلم، يوم تكون القدم الواحدة فوقها ألف قدم ، ﴿ **والتفت الساق بالساق. إلى ربك يومئذٍ المساق** ﴾[1] ، ﴿ **يوم يُكشف عن ساقٍ ويُدعوْن إلى السجود فلا يستطيعون** ﴾ القلم الآية (٤٢) .

أجل : سترون يا أعداء الكتاب والسنة، وأعداء دين محمد عليه الصلاة والسلام ما سينزل بكم، حتى تعتقدوا أن القرآن حق ، وأن الرسول حق ، وأن الموت حق ، وأن الله هو الحق المبين ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور .

وإذا كنتم تنكرون ذلك ﴿ ...، **أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** ﴾[2] .

---

١ — سورة القيامة (٢٩ — ٣٠) .

٢ — سورة فصلت (٥٣) .

أيها المسلمون في هذا الزمن :

كان خطباء المساجد الكبرى، من قبل أيام المحن والشدائد والخصومات، يقتصرون على تلاوة الاحاديث والآيات، ففيها العظات الواضحات، لمن اراد أن يذكر أو أراد شكورا .

وهأنذا أسوق إليكم خطبة من خطب رسول الله ﷺ لتأخذوا منها العظة والذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين :

خطب رسول الله يوما في مكة وقال :

أيها الناس :

كأن الموت على غيرنا قد كتب ، وكأن الذي نشيِّع من الأموات سَفْرٌ يعني مسافرين عما قليل، إلينا راجعون، نُبوؤهم أجداثهم ، ونأكل من تراثهم، وكأناَّ مخلدون بعدهم ، نسينا كل واعظة ،وأمنّا كلَّ جائحه ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن أنفق مالاً اكتسبه من غير معصية ، وجالس أهل العفة والحكمة ، طوبى لمن زكت نفسه وحسنُت خليقته وطابت سريرته، وعزل عن الناس شرَّه .

طوبى لمن انفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من لسانه ، طوبى لمن وسعته السنة، ولم تستهوه البدعة .

وقال ﷺ في خطبة أخرى بعد حمد الله والثناء عليه، (ألا وإن أحسنَ القصص هذا القرآن، وشرَّ الأمور مُحدثاتها ، وأحسنَ الهدى هدْيُ الأنبياء ، وأشرف الموت موت الشهداء، ألا وإن خير الأعمال ما نفع ، وإن شر العمى عمى القلب. (فإنَّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)[1] سورة الحج (٤٦) .

---

١ ــ من حديث طويل رواه ابن ابي شيبة موقوفاً .

ألا وإن شرَّ الندامة يوم القيامة، ألا وإن أعظم الخطايا اللسانُ الكذوب، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، ألا وإن الخمر جماع الاثم، والنساء حبائل الشيطان، وشر المكاسب كسب الربا ، وشرُ المآكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره:(١)

أيها الناس :

إنما يصير أحدكم الى موضع أربعة أذرع في الأرض، والتي : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾(٢) والقبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، وسِباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه، إلى أن قال ﷺ ومن يغفرْ لأخيه ذنبه، يغفر الله له ذنبه ، ومن يكظم الغيظ يأجرْه الله ، ومن يصبرْ على الرزية والبلية، يعوضْه الله. ثم استغفر الله ثلاثاً :(٣)

استغفر الله العظيم، الذي لا إله له الا هو الحيَّ القيوم، وأتوب إليه ثلاثاً.

قال ﷺ :

أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يُستحلف، ويشهد ولا يُستشهد. ألا يخلونّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان. عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد. من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، ومن سرَّته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن)(٤) .

وعن مالك رضي الله عنه، أنه بلغه أن النبي ﷺ قال :

(تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما. كتاب الله وسنة رسوله)(٥) أو كما قال :

ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★

---

١ ـــ البيهقي في الدلائل عن ابن مسعود .

٢ ـــ سورة طه (٥٥) .

٣ ـــ البيهقي في الدلائل عن ابن مسعود موقوفاً .

٤ ـــ رواه الامام أحمد والترمذي والحاكم عن عمر وقال الترمذي حسن صحيح .

٥ ـــ رواه مالك في الموطأ مرسلاً .

الحمد لله الذي هدانا لدينه القويم، وبينَّ لنا صراطه المستقيم ، وأنه قرآن ناطق وسنة نبيه قائمة ، الحمد لله يهدى إليه من أناب ، انما يتذكر أولوا الألباب . أشهد أن لا إله إلا الله، عليه توكلت وإليه أنيب، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهديه واتبعوا النور الذي بين يديه .

عباد الله : يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتاب ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم، وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون** ﴾ (٢٤) انفال . (**ان الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، عدد ما أحاط به علمك وجرى به قلمك، ونفذ به حكمك في خلقك، وأجر لطفك في أمورنا والمسلمين اجمعين .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وألف بين قلوب الرعاة والرعية، وردهم جميعا الى العمل بكتابك المبين، والسنة المصطفوية ، اللهم إنا نرفع إليك أكف الضراعة، بان تشمل بعنايتك ورعايتك عبدك الخاضع لعزتك وعظمتك وجلالك، الحسين بن طلال أيده الله .

اللهم انصره وجيشه وسائر الجيوش العربية الاسلامية، ومن عمل على إعلاء كلمة الحق المبين، وتخليص فلسطين من أيدي الطغاة الظالمين .

اللهم إنا نتوسل إليك برسول الهداية الانسانية، سيدنا محمد خير البرية، أن ترفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك، ولا يرحمنا ، واجعل هذا البلد أمنا سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

(... وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون) .

الخطبة التاسعة والستون : الخامسة والأربعون بعد عودة الشيخ من . السعودية ومصر .

١٨ ربيع الآخر ١٣٨٦هـ
١٩٦٦/٨/٥

(التحذير من الجدل والخصومة بالباطل)

أحمدك اللهم حمدا يوافي نعمك ويكافىء مزيدك. أحمدك على آلائك ونعمك ما علمت منها وما لم أعلم. مصلياً على رسولك المصطفى، وعلى آله وصحبه ذوي القرب والاختصاص والاصطفا، ومن سار على نهجهم القويم بإحسان إلى يوم الدين ، اللهم اذهب غيظ قلبي، واغفر لي ذنبي، وأجرني من مضلات الفتن ، أسألك برضاك وأعوذ بك من سخطك، اسألك جنتك وأعوذ بك من نارك، أسألك الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله، اللهم ثبتني على الهدى والصلوات، واجعلني راضياً غير ضال ولا مضل ﴿ **ويذهب غيظ قلوبهم** ،... ﴾[١] اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت ، (... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**) : أعوذ بك من شر نفسي وسيئات أعمالي : أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، وعين لا تدمع، ونفس لا تشبع، إن الله هو الذي ليس كمثله شيء، وهو الواحد القهار، الحمد لله جعل الدين رباطا متينا بين قلوب المؤمنين، أمر بالمحبة والمودة والوئام، وحذر من اللَّددِ في الخصومة بالباطل بين الأنام، أشهد أن لا إله إلا الله القويُّ المتين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده

١ ـــ سورة التوبة : الآية (١٥) .

ورسوله، ذو القلب الرحيم، والخلق الكريم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الذين تحابُّوا في الله، اجتمعوا عليه وتفرقوا عليه، فكانوا هم السادة السابقين الأولين .

أما بعد ، فقد جاء عن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها، قالت قال رسول الله ﷺ (إن أبغضَ الرجال إلى الله الألدُّ الخَصْمُ) أخرجه البخاري ومسلم .

أيها المسلمون :

الألدُّ الواردُ في الحديث، هو الأكثر معاندة وتعنتاً ، واللدَّدُ معناه الخصومة الشديدة، والتنازع في غير حق ، والخصمُ هو الشديد المنازعة، الذي يغلب خصمه بالفجور ، فالرسول ﷺ يرشدنا في حديثه هذا أن أبعد الناس من رحمة الله ومحبته ومعونته، بل أخْلَقَهم وأحقَّهم بغضبه وعقابه هو المخاصم والمجادل، والمراد به هنا من يخاصم ويحاول بغير علم، مصداق قوله عز من قائل ﴿ **ومن الناس مَن يُجادلُ في الله بغير علم ويتبَّع كلَّ شيطان مريد** ﴾ آية (٣) الحج. ومصداق قوله سبحانه ﴿ **ومن الناس مَن يجادلُ في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** ﴾ (٨) **ثاني عِطفهِ ليُضلَّ عن سبيل الله ، له في الدنيا خِزيٌ، ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** ﴾ (٩) **ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد** ﴾ (١٠) الحج . وهذا حال من يدافعون عن العقائد الزائفه والآراء الباطلة الفاسدة، لتضليل العامة، وذوى العقول البسيطه . فعن أبي أُمامةَ رضى الله عنه، قال قال رسول الله ﷺ (ما ضلَّ قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا الجدل)[1] .

أما الدفاع عن الحق، وعن كتاب الله وسنة رسوله، والدفاع عن العقيدة والأموال والأعراض والأوطان، فذلكم أمراً وجبه الشارع

---

١ ــ لفظ الحديث : ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه ، إلا أوتوا الجدل رواه احمد والترمذي وابن ماجة والحاكم عن أبي امامة حسن صحيح .

الحكيم ، أما الخوض في الباطل، فهذا ما لا يرتضيه عقل ولا دين. روى عن قتادة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال (أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرها خوضاً في الباطل)[1] .

أيها المسلمون :

هذا هو الهدْيُ النبوي الكريم، من منطوق الحديث ومفهومه ، فما أحوجنا اليوم الى العمل به، والعضِّ عليه بالنواجد . لا سيما في هذا الزمن المكفهر المظلم، الذي خُضنا فيه كلَّ مخاض، وتجرَّ عنا كؤوس التفرق والخلاف ، لقد أصبحنا وأيمُ الحق شيعا وفرقا وأحزاباً، (كل حزب بما لديهم فرحون) .

واسمع يا أخي قولة ربك الحكيم في محكم كتابه، مُندداً مهدداً أمثال هؤلاء، إذ يقول ﴿ **ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو الدُّ الخصام** ﴾ (٢٠٤) ﴿ **وإذا تولَّى سعى في الأرض ليُفسد فيها ويُهلكَ الحَرث والنسلَ، والله لا يحب الفساد** ﴾ (٢٠٥) ﴿ **وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم، فحسبه جهنم، ولبئس المهاد** ﴾(٢٠٦) البقرة. نزلت هذه الآية في الأخنس بن شُريق الثقفيّ ، فقد كان هذا الرجل حسن المنظر، فصيحاً بليغاً ، مُواليا لرسول الله ﷺ يسير في ركابه في ذهابه وإيابه، يجتمع به ويتمسح في اهابه، مُدعياً حقيقة الايمان، وهو منه براء . سترى يا أخي المسلم. ستعتريك الدهشة والعجب غداً يوم القيامة، يوم ترى هؤلاء الذين كذبوا على الله وجوههم مُسودة، يوم تراهم محشورين مع الضالين المنافقين، مع فرعون وهامان وجنودهما فلا خصاصة ولا بلاغة ولا منطق هناك ﴿ ... ، **لا يتكلمون إلا من اذن له الرحمن وقال صوابا** ﴾[1] .

---

١ — ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ، لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً** ﴾ سورة النبأ (٣٨) .

يا مسلمي زماننا هذا :

إن الأمم والجماعات لا تسعَدُ ولا تُنْتِج ولا تستقيم أمورها، إلا إذا تضافرت على الحق جهودها ، أمام عدوها، وتوحدت قلوبها قبل كلامها، وكانت قوة واحدة، وطاقةً إيمانية قرآنية محمديةً ، متفجرة نابعة من صميم القرآن والسنة المطهرة، تُصْدِرُ عن رأي واحد، وعزَم واحد، وتعبد الهاً واحداً. يحدثنا تاريخ الاسلام أن العرب الأولين كانوا أشتاتاً متفرقين وأوزاعا مختلفين. على القليل والكثير يقاتلون، ويتسابون ويتنازعون ، كانوا أمة مستضعفة مبددة في الصحاري والقفار، مقبورة المواهب ، بعيدة عن المشاركة العملية في شؤون الحياة ، حتى جاءهم محمد النبيُّ العربي الهاشمي على فترة من الرسل، فجعل قُصاراهُ وأكبر همه أن ينتزع من نفوسهم الأضغان والأحقاد، وأن يجمعهم على كلمة سواء، فلا عصبية ولا قبلية ولا تفاخر بالباطل، ألف بين قلوبهم بالتوحيد، وربط عواطفهم بأخوة الايمان ونادى فيهم :

أيها الناس : إن ربكم لواحد ، وإن أباكم لواحد كلكم لآدمَ وآدم من تراب[1] ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون** ﴾ (١٠) الحجرات .

أيها المسلمون :

لقد جلجلت هذه الدعوة في العرب جميعاً آنذاك، وارتجَّت لها أرجاء الجزيرة العربية، والتفوا حولها بعد فتور وجفاء، فإذا هم أمة مهيبة ذات دولة وشوكةٍ وعزةٍ وسيادةٍ وصولة. نعم إذا هم قادةٌ في البطولة والرأي، أساطين في العلم والبحث دهاقنة في السياسة الدينية والدنيوية ، إذا هم بناة مجد وأعلام حق، رعاة للخلق، السنة وأقلام للعلم والأدب: ظلوا كذلك في بحبوحة من العيش، وفي عزة وسيادة وقوة ومنعة، حتى بدَّلوا

---

١ ــ الجامع لأحكام القرآن وقد ورد هذا الحديث من عدة طرق منها : كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب . رواه البزار في مسنده .

نعمة الله كفراً، وأحلوا قومهم دارا البوار . وبينما نحن في المنازعات والخصومات، وإذا الذل والشقاء، وإذا الانحلال والتفكك والفناء ﴿ **ذلك بأن الله لم يكُ مغيِّراً نعمةً أنعمها على قوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم، وأن الله سميع عليم** ﴾ (٥٣) الأنفال .

لقد نهانا الرسول الحكيم عن أسباب التفرق، وعوامل التقاطع والتدابر، بين لنا أن هذه الظاهرة المفجعة، إنما تفشو في الأمم التي ضلَّت سواء السبيل ، وجانبت خِطة الرشد والفلاح، وصدق الله العظيم ﴿ ... ، **وكان الانسان أكثر شيء جدلا** ﴾ الكهف الآية (٥٤) . ولقد وصف الكافرين بأنهم قوم خَصِمون ﴿ **يجادلونك في الحق بعدما تبين ...** ﴾ [١] وعندما يُسألون يوم القيامة من قِبل ملائكة العذاب وهم فيها يضطربون ﴿ **ما سلككم في سَقر** ﴾ (٤٢) ﴿ **قالوا لم نكُ من المصلين** ﴾ (٤٣) ﴿ **ولم نك نُطعم المسكين** ﴾ (٤٤) ﴿ **وكنا نخوض مع الخائضين** ﴾ (٤٥) المدثر .

أيها الناس :

اليوم في كل بقعة من بقاع العالم جَدَل وخِصام. ففي الصحف والمجلات جدل وخصام، وفي النوادي جدل وخصام ، والشوارع العامة والسيارات ، وفي المساجد جدل وخصام ، وفي الكتب والمؤلفات والبيوت والاذاعات جدل وخصام. واسمعوا أيها الناس قول ربكم أحكم الحاكمين، يا قوم يحكم الله بيننا وبينكم، وهو أرحم الراحمين، اسمعوا إن كنتم مؤمنين : ﴿ **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقةٍ أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعلْ ذلك ابتغاءَ مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً** ﴾ (١١٤) النساء .

---

١ ـــ الأنفال (٦) .

ويقول ﷺ (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى قال « إصلاح ذات البيْن، فإن فساد ذات البيْن هي الحالقه، لا أقول تحلق الشعر، ولكنْ تحلق الدين)[1] أو كما قال :

ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة .

★ ★ ★ ★

الحمد لله أمرنا بالاصلاح والتوفيق، ذلك هدى الله يهدي من يشاء، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أجزل الأجر للمصلحين، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلىّ الله عليه وعلى آله وصحبه العاملين بتعاليم هذا الدين، وبعد، فإننا لو تأملنا قليلاً فيما يجري من حوادث وآلام ، لوجدنا ذلك كلَّه يرجع الى إهمال الاصلاح بين الناس، ولا أكون متجنياً على الحق، إذا ما قلت إن جميع مشاكلنا الاجتماعية ترجع في جملتها إلى إهمال الاصلاح بين الناس. فما استعرت الفتن والقلاقل، ولا اشتعلت الحروب، ولا مُزقت الجماعات إلا بالشقاق والانشقاق والخصومات، وإهمال الاصلاح والتوفيق بين الناس، فاتقوا الله عباد الله، وصلوا على نبيه، كما أمركم بقوله **(إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه، وسلم، وارض اللهم عن خلفاء نبيك الراشدين، وسائر أصحاب رسول الله أجمعين .

اللهم أصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا وقلوب حكامنا وقادتنا، اللهم اجمع بين كلمتهم، وسيِّرهم بأحكامك نحو شريعتك، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، ربنا ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم :

---

١ ــ هذا الحديث من حديثين لرسول الله ﷺ فقوله ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام ... الى قوله هي الحالقة .. رواه ابو داود والترمذي بسند صحيح وقوله : لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين . فهو من حديث رواه البزار والبيهقي باسناد جيد أوله : ربّ اليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، والبغضاء هي الحالقة . أما أني لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين .

ونسألك اللهم أن تشمل برعايتك العظمى، وتوفيقك الأسمى، الحسينَ ابن طلال ، اللهم انصره وجيشه المظفر، وسائر الجيوش الاسلامية العاملة على إعلاء كلمة الحق والدين . واجعل هذا البلد آمنا مطمئناً سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله (**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون**) (... **وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

أَلخطبة السبعون : السادسة والأربعون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

١٠ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ

١٩٦٦/٨/٢٦

(**المؤمن عزيز لن يذل لغير الله**)

أحمدك يا رب حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، لا أحصي ثناء عليك. أنت كما أثنيت على نفسك، مصلياً ومسلماً على رسولك الحبيب المحبوب، وعلى آله وصحبه الذين وقفوا حياتهم على خدمة كتابك وشريعتك، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، وسيئات أعمالي. اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ، (... **رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون**) اللهم أني اعوذ بك من شر الشيطان وجنوده، ومن شر السلطان واعوانه، يا رب العالمين ، أعوذ بك من شر الشيطان وشركه، ومن شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها. إن ربي على صراط مستقيم ، اللهم إني ضعيف فقوِّ في رضاك ضعفي، وإني مريض فعافني، واعف عني، وفقير فأغنني، وذليل فأعزَّني (... ، **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهو قولي**).

الحمد لله ذي العزة والجلال والاكرام ، بيده الخير وهو على ب شيء قدير ، أشهد أن لا إله إلا الله، أعز المطيعين، وأذل العصاة والمنافقين وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، ما خضع إلا لله، وما اعتز إلا بالله ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، وعلى آله وصحبه أعزاء النفوس والهمم، كبراء القلوب والشيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه الذين اعتزوا بربهم، فلم تزلَّ بهم قدم .

أما بعد، فقد قال الله تعالى في تنزيله ﴿ **من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد، ومكر أولئك هو يبور** ﴾ آية (١٠) فاطر.

أيها المسلمون:

العزة خلق كريم من أخلاق المسلم، يحدد بها اتجاهاته في حياته، ويُعرف بها سلوكه، بين أهل زمانه، يُعرف بها إيمان المؤمن، وشدة بأسه، ورباطة جأشه، وصلابة قلبه مع ربه، فالمسلم الصادق لا يكون ذليلاً مُسْتضعَفاً ولا مَهينا، لأن دينه الحق يأبى عليه ذلك كلَّه، لا يرضى له عيشة الذل والهوان. إنه سبحانه جعل العزة والقوة والغلبة له وحده، وبمعنى الكرامة، جعلها لرسوله وللمؤمنين، جعلها حقاً من حقوقهم، وصفةً لازمة لهم، فالمؤمن بغير عزة وكرامة كشجرة لا ورق عليها ولا ثمرة لها، ومن أصدق من الله قيلا؟ ﴿ ...، **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكنَّ المنافقين لا يعلمون** ﴾ المنافقون آية (٨).

أيها المسلمون:

إن العزة هي النتيجة الحتمية لعقيدة المسلم، التي تجعله موقنا بأن الكون كلَّه من مُلْكٍ وملكوت إنما هو في قبضة الله، الذي بيده ملكوت السموات والأرض. إن العباد كلَّهم إخوة، لكنهم يتفاضلون بما يمتاز به أحدهم عن الاخر؛ كالايمان والاخلاص، والتقوى والتضحية، يتمايزون بالجهاد والدفاع عن العقيدة والحمى المستباح والأوطان.

أيها المسلمون:

إن كل ما يسعى إليه الانسان في هذه الحياة المزوجة بالآلام وشتى العجائب والموبقات، إنما هو للمثل العليا والاخلاق الفاضلة الكريمة، والعزة والعفة والكرامة. والنواحي المادية شيء آخر.

وقوله تعالى ﴿ **والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد، ومكر أولئك هو يبور** ﴾ يرشدنا الله في هذه الآية إلى أن الذين يراءوون الناس بأعمالهم وعباداتهم، متظاهرين بالأعمال الصالحة، وهم عنها مبعدون، يوهمون الناس أنهم في طاعة ربهم، وهم في الحقيقة والواقع بُغَضاءُ إلى الله عز وجل، يراءون بأعمالهم، ولا يذكرون الله إلا قليلاً، فرياؤهم وتضليلهم فيه البوار والخسران والوبال، يظهر زَيْفُهم لأولي البصائر والعقول، لأنه ما أسرّ أحدٌ سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه، وفلتاتِ لسانه، وما أسرَّ أحدٌ سريرة إلاّ كساه الله تعالى رداءَها، إنْ خيراً فخيرٌ، وإن شرا فشر، فالماكر في الدنيا لا يروج أمره، ولا يدخل إلا على غبي، أما المؤمنون المنغرسون فلا يروج ذلك عليهم، ولا يُخدعون، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية.

أيها المؤمنون في زماننا هذا:

متى عرف الانسان نفسه عرف ربه، ومن جهل نفسه كان أجهل بربه، ومن اعتز بغير الله ذَل، ومتى تحقق أن الأمر كلَّه لله، فاه بالحق ونطق به، وهو سبحانه وحده الذي يقول ﴿ **...فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾ آل عمران (١٧٥).

إن كلَّ ما يحرص عليه الانسان في حياتنا هذه لهو الحقُ الصُّرَاح، ولكن ليس في مقدور أي إنسان أن يعرف الحق ويجهر به، لأنه مُرَّ المذاق وفيه غصةٌ لبعض النفوس المصابة بالأمراض المعنوية.

إن قول الحق يُثلج الفؤاد، ويهدي إلى سبيل الرشاد، وما أجمل الحق وكلمة الحق تصدر من أفواه العلماء الخائفين من الله، يقولونها للمسؤولين، ولكنَّ العالم العامل في زماننا هذا قليل، وقليل ما هم.

أخي المسلم الكريم :

المؤمن الصادق ذو العزة والكرامة لا يخضع لسيطرة عدوٍّ دينه وعقيدته ، بل لا بد أن تكون إرادته من إرادة الله. في سبيل الله يجاهد ويكافح حتى ينتصر، لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

أيها الناس :

لقد رضينا وسلمنا للساحة والسياحة لزيارة الأماكن المقدسة، وذلك لنقتل الدعايات الصهيونية المضللة للرأي العالم العالمي، رضينا بالسياحة لزيادة الدخل المادي للبلاد، لكننا لا نسلم أبداً أن تدخل السائحات من الأجانب خالعات ثيابهن، ليس عليهن ما يسترهن في الأماكن العامة والأسواق، دون رقابة أو حياء، يا قوم هذا بلد والله مقدس، يقدسه العالمون. أقول العالمون بقدره وقيمته، فقد شاهدنا كثيراً من القادمين عندما يقتربون من المسجد الأقصى ومهد عيسى عليه السلام، يمشون حفاة تقديساً وتكريماً وتقديراً منهم، وبالأمس القريب، شاهد بعض الناس نساءاً عاريات لا شيء على ابدانهن يسترهن، وسيراجعون المسؤولين في مثل هذه الشواذ. إذاً: أين هي العزة والكرامة لنا، إذا كنا نحن المسلمين نختلط بالنساء العاريات حتى في مساجدنا، أثناء صلواتنا، وفي دور عباداتنا، أما يكفي أن الكثير من شبابنا تميَّع وذاب، وعاد الى الشعور بالجاهلية الأولى التي درسها في تاريخه، لكنها وأيمُ الحق جاهلية القرن العشرين، بل أقول إن جاهلية القرن العشرين أكثر وادهى وأظلم من الجاهلية الأولى لرجوعها الى الانسان الأول. أين أنتم أيها المسؤولون من هذه الأعمال.؟ نعم. نكون ذوي عزة وكرامة إذا كنا أعزةً على الكافرين، كما وصف الله المؤمنين بقوله ﴿ ... **أعزَّةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم،...** ﴾ المائدة آية (٥٤) .

إننا نعلم ونفهم أن الحرية اللاأخلاقية لا تُقرها الشريعة الاسلامية، ولا الشرائع السماوية الأخرى . إن هذا الانحلال الخلقي قد صادف هوى كبيرا في نفوس بعض الشباب والشابات، واستساغوه. لأنه حرَّر عقولهم من التقيد بتعاليم القرآن، وتعاليم محمد عليه الصلاة والسلام، فظنوا أن هذه الاباحية الجامحة الجانحة من صميم المدنية والحضارة ، وما أسرعهم إلى التقليد، إلى الاقتداء بهؤلاء . والله إن محمداً وموسى وعيسى وسائر الأنبياء والمرسلين، لا يرضوْن بهذه الموجة اللاأخلاقية العارمة، التي بدأت الزحف والتدمير في البلاد الأوروبية الاباحية، ومن هناك تسربت إلى بلادنا وتكدست في بيت المقدس، والأرض التي بارك الله فيها للعالمين. يقول تعالى : ﴿ **هذا نذير من النذر الأولى (٥٦) أزفت الآزفة (٥٧) ليس لها من دون الله كاشفة (٥٨) أفمن هذا الحديث تعجبون (٥٩) وتضحكون ولا تبكون (٦٠) وأنتم سامدون** ﴾ (٦١) أي ساهون لاهون ، وعن آيات الله معرضون مستكبرون .

أيها الناس :

إن قدسية هذه البلاد كقدسية مكة والمدينة، وتشد لها الرحال، ما لكم، ما الذي دهاكم ما الذي حل بكم وأصابكم ..؟! ما لكم تركتم كتاب ربكم وسنة نبيكم، تركتم فتيانكم وفتياتكم فوضى بلا رادع ولا وازع.؟ كأنكم عمي أو صمّ وقد جاءكم النذير :

أيها المسلمون :

حينما تستقر حقائق العزة التربوية، والمعاني السامية الخلقية في قلب المسلم الحقيقي، لا يستكين ولا يذلّ لغير الله، بل لا يؤثر فيه إغراء، ولا وعد ولا وعيد، ولا ترهبه قوّة ﴿ **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا، وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ التوبة (٥١) .

---

١ ــ الآيات من سورة النجم .

قال عليّ بن أبي طالب، كرم الله وجهه، (أيها الناس: إن أول وقوع الفتن أهواء تُتبع وأحكام تُبتدع يخالف فيها حكم الله، إلى أن قال: وعند ذلك يستولي الشيطان على أوليائه ومُتبعيه، وينجو الذين سبقت لهم منا الحسنى).

قال ﷺ: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً، ولما ساغ لكم الطعام ولا الشراب)[1] أو كما قال، أدعو الله وأنتم موقنون بالاجابة.

★ ★ ★ ★

الحمد لله يُحق الحقَّ ويبطل الباطل ولو كره المنافقون، الحمد لله يمد من أطاعه بالنصر المبين، ويجازي من جاهد في سبيله بالفوز العظيم. أشهد أن لا إله الا الله الكبير المتعال، وأشهد أن محمداً رسول الله، ذو العزة والكمال. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه.

يا أمة فقدت شعارها، وتركت كتابها، وقلَّدت غيرها هُبيِّ من هذه الغفلة، وأفيقي من هذه السكرة. ﴿ **ولقد جاءكم من الأنباء ما فيه مزدَجر** ﴾[2] واتقوا الله لعلكم تفلحون. وصلوا على من جاء بالحق، وصدَّق المرسلين. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي الصادق فيما بلَّغ وأمر، وعلى آله وصحبه وسلم. وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، وسائر أصحاب رسول الله أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم اصلح فساد قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، اللهم من آذى المسلمين فآذه. ومن كادهم فكده. واكتب النصر والعون والتأييد للمتحابين والعاملين على إعلاء شأن هذا الدين. واجمع بين حكمة الحاكمين على العمل بشريعة سيد المرسلين.

---

١ ــ مرَّ تخريجه.

٢ ــ سورة القمر (٤).

اللهم أيد بنصرك وتوفيقك ورعايتك وهدايتك، الحسين بن طلال وفقه الله . اللهم حبب إليه وإلى أخيه ولي عهده الحسن القرآن والايمان، وزينه في قلبيهما، وكره إلينا وإليهما وإليكم جميعاً الكفر والفسوق والعصيان، يا أحكم الحاكمين. ربنا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا. ربنا إنك رؤوف رحيم ، يا لطيفا بالعباد، يا رحيماً بالعباد، ارحمنا فإنك خير الراحمين. واجعل هذا البلد أمناً مطمئناً سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي. يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون** .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الحادية والسبعون : السابعة والأربعون بعد عودة الشيخ من السعودية ومصر .

١ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ
١٩٦٦/٩/١٦

(الجد والاجتهاد في العلم بمناسبة العام الدراسي الجديد)

(الحث على طلب العلم)

أحمدك ربي حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، مصلياً ومسلماً على رسولك المصطفى ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين . أعوذ بك من شرور نفسي وسيئات أعمالي ، لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه ، اللهم اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن (ويذهب غيظ قلوبكم) أعوذ بك من شر الشيطان وشركه ، ومن شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها . إن ربي على صراط مستقيم (... ، **رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون**) اللهم إني أعوذ بك من شر الشيطان وجنوده ، ومن شر السلطان وأعوانه ، يا حي يا قيوم برحمتك استغيث ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت يا ذا الجلال والاكرام ، يا أرحم الراحمين ، اللهم إني ضعيف فقوِّ في رضاك ضعفي . ذليل فأعزني ، فقير فأغنني ، مريض فعافني ، واعف عني ، لا سهل الا ما جعلته سهلا (... ، **رب اشرح لي صدري . ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي**) .

الحمد لله أحيا قلوب عباده المؤمنين بنور العلم والعرفان ، أنقذهم من الجهالة وسيىء الأفهام. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، منح أولي العلم أسمى الغايات والمآرب ، ما داموا بالشريعة عاملين ، وعلى الحق سائرين ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله إمام المهتدين وقـــدوة السالكين . اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين . وعلى آله وصحبه ذوي العلـــم والحلم والجد واليقين .

أما بعد ، فقد قال رب العالمين ، وهو أصدق القائلين ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ﴾ آل عمران آية (١٨) .

أيها المسلمون :

لما ظهر رسول الله ﷺ بالمدينة ، قدم عليه حِبران (أي عالمان) من أحبار وعلماء الشام ، فلما أبصر المدينة قال أحدهما لصاحبه : ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان ، فلما علما بالنبي ﷺ أنه موجود فيها ، دخلا عليه وعرفاه ، بالصفة والنعت اللتين يعرفانهما عنه ، من التوراة والانجيل ! فقالا له فوراً : أنت محمد ؟؟ قال ﷺ نعم . قالا وأنت أحمد ؟؟ قال (نعم) قالا يا محمد إنا نسألك عن شهادةٍ : فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك . فقال لهما (سَلاني) فقالا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب ربك ، فأنزل الله تعالى على نبيه (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ، ...) وهذا هو سبب نزولها . فأسلم الرجلان ، وآمنا برسول الله ﷺ[1] .

---

١ ـــ الجامع لاحكام القرآن (٤١/٤) .

وروى في فضل هذه الشهادة ، أنه ﷺ قال (يجاء بصاحبها يوم القيامة ، فيقول الله جل وعز (إن لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحقُّ من وفَّى بالعهد ، أدخلوا عبدي الجنة)[1] .

أيها المصدقون بآيات الله . في هذه الآية دليل على فضل العلم ، وشرف العلماء ، فإنه لو كان احد أشرف من العلماء ، لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته ، كما قرن اسم العلماء . لذا قال سبحانه في شرف العلم ﴿ **وقل رب زدني علما** ﴾[2] فلو كان شيء أشرف من العلم ، لأمر الله تعالى نبيَّه وحبيبه ﷺ أن يسأله المزيدَ منه كما أمره أن يستزيده من العلم . ولذا قال عليه الصلاة والسلام (العلماء أمناء الله على خلقه)[3] وهذا شرف للعلماء عظيم ، ومحل لهم في الدين خطير .

أيها الناس :

ليست الغايـــة من العلم أن نعلَم فحسب ، ونتزَّيا بزيِّ العلماء فحسب ، بـــل الغاية أن نعمل بمـــا نعلم من الخير ، وأن نُعلِّمَ الناس الخير .

العلماء سِراج العباد ، ومنار البلاد ، وقِوام الأمة ، وينابيع الحكمة ، نعم . إذا عملوا بما يعلمون ، إنهم غيظ الشيطان ، وبهم تحيا قلوب أهل الحق ، وبهم تموت قلوب أهل الزيغ والالحاد ، إذا كانوا عاملين بما يعلمون ، فهؤلاء هم العلماء الذين ورد الترغيب في حبهم ، والتمسك بهم ، والسير على نهجهم ، هم الذين قال في حقهم رسول الله ﷺ (إن مثل العلماء في الأرض كمثل نجوم السماء ، يُهتدى بها في

---

١ ـــ الجامع لاحكام القرآن عن غالب القطان .

٢ ـــ سورة طه (١١٤) .

٣ ـــ رواه القضاعي وابن عساكر عن أنس .

ظلمات البر والبحر ، فإذا انطمست النجوم يوشِك أن تضلَّ الهداة)[1] ، فؤلاء هم العاملون حقا ، الأمرون بالمعروف ، الناهون عن المنكر ، هم الذين سمت درجاتهم على من سواهم ، وامتدحهم الله في كتابه وسنة رسوله ، عليه الصلاة والسلام ، واسمع يا أخي الوعيد الشديد في حق الأمم التي تحكمت في الأنبياء والمرسلين ، وفي العلماء العاملين ، الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر فاعتدوا عليهم بالأذى والقتل . قال تعالى منذداً بهم ﴿ **إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم** ﴾ (٢١) **أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين**﴾ (٢٢) آل عمران. ورُوي عن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال قال النبي ﷺ (بئس القوم قومٌ يَقْتلون الذين يأمرون الناس بالقسط من الناس ، بئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهْون عن المنكر)[2] ، (بئس القوم قوم يمشي المؤمن بينهم بالتقيَّة)[3] أي مختفيا لا يستطيع إظهار إيمانه . وروى أبو عبيدة بن الجراح ، أن النبي ﷺ قال (قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار ، في ساعة واحدة . وفي رواية سبعين نبياً . فقام مائة وأثنا عشر رجلاً من مسلمي بني اسرائيل وعلمائهم وعُبادِهم ، فأمروا بالمعروف ، ونهوْا عن المنكر ، فقتلوا جميعا آخر النهار ، من ذلك اليوم ، وهم المذكورون في هذه الآية)[4] .

---

١ ـ رواه أحمد في مسنده عن أنس باسناد ضعيف .

٢ ـ الجامع لاحكام القرآن (٤/٤٦) .

٣ ـ رواه الديلمي في الفردوس باسناد ضعيف بزيادة والكتمان .

٤ ـ رواه ابن جرير عن ابي عبيد الوصابي .

حقاً أيها المسلمون : إن العلم شرفه عظيم ، وفضله عميم ، فكم رفع أقواما الى ذروة المجد في الدنيا ، وأسكنهم حظيرة قدسه في عليين ، فكانوا في الدنيا سادة وقادة ، وفي الآخرة سُفناً وسقفاء .

لأن العلم غذاء الأرواح ، وحياة القلوب ، ومصباح العقول ، وصَقِال الأذواق ، ومهذب الأخلاق .

أيها الناس :

إن الأكابر يحكمون على الورى ، وعلى الاكابر تحكم العلماء ، أعودُ فأقول ليت شعري ، أي علماء هؤلاء ، أهم الذين يُعرفون بشارات مخصوصة .؟ ويتخرجون من جامعات مخصوصة ؟ كلا والله ثم كلاّ : إن لفظ (عالم) أوسع وأشمل من ذلك بكثير ، وأجلُّ من أن تُطلق على مثل هذه الصفات ، كما أشار إلى ذلك مفخرة الاسلام والمسلمين الأمام الغزالي ، في كتابه إحياء علوم الدين . إن العالم الصحيح في نظر الدين ، هو الذي يضيف الى ما يعرفه من العلوم علمه ومعرفته بالله ، وبحقوق الله ، شارته التقوى والصلاح ، وشهادته العمل والاصلاح ، ومدرسته القرآن ، وغايته إصلاح الناس جميعا ، وإرضاء الله ، فهو من أجل ذلك يخاف الله ويخشاه كما قال جل ذكره ﴿ ... ، **انما يخشى الله من عباده العلماء** ، ... ﴾[1] فهو الذي يبلغ الرسالة ، ويقول الحق ولو كان مُرا ، ويقتل الباطل ولو كان جباراً ، ويقتلع الخرافة ، ولو كانت متمكنة من أذهان الناس ، ويدافع عن دينه وشرعه ، ولو كان دون ذلك الموت والفناء .

ومن تكنِ العليـاء همـة نفســه
فكلُّ الـذي يلقــاه فيها محبــب

---

١ — سورة فاطر (٢٨) .

أيها المسلمون :

لقد تعلم هؤلاء المتعلمون من شباب اليوم العلوم الكونية ، لا ليؤمنوا بربهم ، بل ليصيبوا عَرض الحياة الدنيا ، دون تفكير فيما يؤول إليه أمرهم . وذلك لتغلب الشهوات ، والاندفاع وراء الأهواء . وهم الذين عناهم الله في كتابه ﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ الروم آية (٧) .

أيها الأباء والأمهات :

إن أبناءكم أمانة في أعناقكم ، وسيسألونكم أمام الله عما فرطتم في حقهم وابعادهم عن دين الله ، وستعلمون من هم الخاسرون يومئذ ﴿ ... ، **قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو الخسران المبين** ﴾ الزمر آية (١٥) .

وآسفاه . بل وآحسرتاه . لقد اصبح العلم الديني في هذا المجتمع الفاسد ليس له راغب ولا خاطب ، بل صار عبئاً ثقيلاً على النفوس ، بل عارا وشنارا ، قلت لشاب يحمل شهادة الدراسة الثانوية ، ألا تطلب العلم الشرعي ؟ فقال لا ، لأني لا أريد أن أكون شيخاً فقيراً ، فأجبته لقد تكفل الله بأرزاق عباده ، لا سيما طالب العلم . يا قوم انقذوا حياة أبنائكم ، أكرموهم بالعلوم الشرعية ، فإنها لا تخالف طبيعة الحياة ، ولا تصادم مصلحة اجتماعية أو فردية ، اتقوا الله في دينكم الله الله في شرعكم ، في فلذات أكبادكم ، ليس من الانصاف توجيه أبنائكم الى متاع قليل ﴿ **وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقى ، أفلا تعقلون** ﴾القصص آية (٦٠) . أيها الشباب أيها العاملون في حقول التعلم . ها هو ذا العام الدراسي الجديد قد أقبل ، فاستقبلوه بهمة ونشاط ، وحزم وإقدام.

خذ كتابك أيها الطالب الكريم ببشاشة ورحابة صدر . حاول فهم ما يُمليه عليك استاذك بقدح زناد فكرك وثاقب وعيك وفهمك . كن مقداماً جريئا واعياً وطودا وصرحا عاليا لأمتك ، أقبل إلى مدرستك ومعهدك وكليتك بشوق وإقبال ، لا تؤخر عملك للغد ، ما يمكنك ان تعمله اليوم فذلك نوع من التواكل .

وإنما رجــل الدنيــا وواحدهـا
من لا يعول في الدنيا على رجــل

أما أنت أيها المدرس العامل في حقل التربية والتعليم ، فكن عاملا على رفع مستوى بني امتك . تذكرَّ أن بين يديك جيلا صاعداً عليه آمال أمة بأسرها .

فعلينا جميعاً أن نقبل على العلم والتعليم بهمم كبيرة عالية ، وذلك ما يجعل أوطاننا تنبت عبقرية فائقة ، ومطلعَ حياة علمية رائعة ، وما نبتت العبقرية في وطن ماًّ نباتا حسناً ، إلا كانت أرضه كرامةً ، وسماؤه عزةً ، وجوانبه حصانة ومنعة .

أما أنتم أيها المسؤلون :

لماذا لا تعملون على غرس العلوم والفضائل ، في نفوس أبنائنا ، من طريقه الصحيح العملي ؟ لماذا لا تهيئون لطلاب المدارس والمعاهد والكليات الفرص الكافية لاقامة الشعائر الدينية .؟ لماذا لا تصدرون أوامركم لمدارس البنات مطلقا كي يلبسن لباس الأدب والحشمة والوقار داخل المدارس وخارجها .؟ طبعا هذا لا يكون ولا يتحقق إلا إذا كانت أنظمتنا اسلامية حقيقية ، مستمدة من روح الدين الصحيح .

عن أبي الدرداء قال ، قال رسول الله ﷺ (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب)[1] ، (العلماء ورثة الأنبياء)[2]، (ان الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورَّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[3] أو كما قال :

ادعو الله وأنتم موقنون بالاجابة .

* * * *

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، وعلى آله وصحبه اجمعين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وليّ النعم ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خير من سار على نهج وقدم ، وعلى آله وصحبه ذوي الفضل والهمم .

وبعد فإن الأيام والأعوام تدور الى الأمام كعقارب الساعة ، فلا تضيعوها الا في عمل نافع ، واعلموا أن العلم ذخيرة خالدة ، فاتقوا الله ، وعلموا أولادكم ، فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم .

عباد الله : اتقوا الله وراقبوه ، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه تعظيماً وتكريماً ، فقال (**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنو صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي العربي الهاشمي ، وعلى آله وصحبه وسلم ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي ؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم القويم ، بإحسان الى يوم الدين .

---

١ ــ رواه ابو داود والنسائي وابن ماجة .

٢ ــ رواه ابن النجار في تاريخه وابو نعيم والديلمي .

٣ ــ رواه ابو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان والبيهقي وأوله : من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة .

اللهم ألف بين قلوبنا ، واجمع بين كلمة الحاكمين على كتاب الله ورسوله الأمين ، اللهم شتت شمل عدونا ، وانصرنا على القوم الكافرين والظالمين ، اللهم إنا نسألك من الرفق أحسنه ، ومن الطريق أسهله ، ومن العلم أنفعه ، ومن العمل أصلحه ، ومن المكان افسحه ، ومن العيش ارغده ، ومن الرزق اطيبه واوسعه ، اللهم اجعل لنا من كل ضيق فرجا ، ومن كل هم مخرجا .

ونسألك اللهم يا سامع الدعاء ، يا من تعلم بما في السر والنجوى ، أن تشمل بعنايتك ورعايتك الحسين بن طلال ، أيده الله . اللهم وفقه ، وعلى عمل الخير والصالح العام أعنه ، يا رب العالمين . واجعل هذا البلد آمنا مطمئناً سخاء رخاء ، وسائر بلاد المسلمين . عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(... **وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الثانية والسبعون :

٢٢ جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ
١٩٦٦/١٠/٧

(عظـات من الماضـي)

أحمدك اللهم بجميع محامدك كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، مصلياً على نبيك ورسولك، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، **(رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون)**، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن عين لا تدمع، ومن نفس لا تشبع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع[1]، رب اغفر لي ذنوبي وإسرافي في أمري ، لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين، عملت سوءاً، وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وجنوده، ومن شر السلطان وأعوانه، أعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأعوذ بك من شر الشيطان وهمزه ولمزه ونفثه وشَرَكه وشِرْكه، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها. إن ربي على صراط مستقيم ، **(... رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي)** .

★ ★ ★ ★

الحمد لله الرؤوف الرحيم، الحليم الكريم، الغفور الشكور، الذي بحمده تُستَفتح أبوابُ المزيد.(أحْمَده) حمداً جزيلا ، وأشكره شكراً جميلا. إنه هو الغنيُّ الحميد ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ الذي لا تبلغ العقولُ كماله،

١ ــ رواه الترمذي بسند حسن ولكن لا توجد عين لا تدمع وانما لفظه: اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع. أعوذ بك من هؤلاء الأربع. ورواه أيضاً النسائي والحاكم وابو داود وابن ماجه . وعند مسلم : اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، نجوم الهدى وأئمة العدالة والتوحيد (أما بعد) فيا أيها الناس ما هذه الحياةُ الدنيا إلا لعبٌ ولهو وآلامٌ وآمال وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأولاد والأموال ، وقد تحققتم أنكم راحلون زائلون عنها، من غير شك ولا ترديد . فلماذا انهمكتم في محبتها انهماكَ من تيقّن الخلود ، وانتهكتم حرماتِ الله ، وغرِقتم في بحار الهوى وتعديتم الحدود ، وعدلتم عن الصواب، ولمْ تتدّبروا ما في الكتاب العزيز من الوعد والوعيد ، ونسيتم عظائم الذنوب ، كأنكم لا تعلمون أن الله على كل شيء قدير ، وأنه على كل شيء شهيد ، وتجرأتم حقاً على مخالفته وعصيانه ، وكِدتم تزعمون أنكم لستم لربكم بعبيد .؟ أما أنذركم بطشه في محكم قرآنه .؟ أما طرق مسامعكم قوله سبحانه وتعالى ﴿ **ألم تر أنَّ الله خلق السمواتِ والأرضَ بالحق، إن يشأ يُذهبْكم ويأتِ بخلق جديد (١٩) وما ذلك على الله بعزيز** ﴾ (٢٠) إبراهيم .

فما هذا التفريطُ في جنب الله .؟ ولا بد من الحساب، ولا محيد . ما هذه القسوةُ والجفوةُ وقد ضاع العمر المديد .؟

ليت شعري . أهذه القلوب من حديد أو أحجار .؟ وإن من الحديد لما يلين، ومن الحجارة لما يصَّدَعُ ويتشقق فيخرج منه الماء، من خشية الواحد القهار[١] ، فيا ويح قلبٍ، الحجرُ أعلمُ منه بجلال الله ، وما اجمل قولك هنا .

هنا يا أبا عبيدة عامر بن الجراح، يا رُبَّ مُكرمٍ لنفسه في الدنيا، مُهينٌ لها في الآخرة، وما هو من الرحمن ببعيد[٢] .

---

١ ـــ مأخوذ من قوله تعالى : ﴿...، **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله، وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ سورة البقرة (٧٤) .

٢ ـــ أخرج يعقوب بن سفيان بسند مرسل أن ابا عبيده كان يسير في العسكر فيقول: ألا ربَّ مبيضٍ لثيابه وهو مدنس لدينه ، ألا ربَّ مكرمٍ لنفسه وهو لها مهين غداً، ادفعوا الحسنات القديمات بالحسنات الحادثات أ هـ . انظر الاصابة (٢/٢٥٤) .

عباد الله ، معشر المسلمين في زماننا هذا، تداوَوْا من حبكم لهذه الدنيا ، عالجوا أنفسكم من سَكراتها، لتلقوْا ربكم بقلب سليم ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر (١) وإن يروْا آيةً يُعرضوا ويقولوا سِحر مُستمِر (٢) وكذَّبوا واتَّبعوا أهواءهم، وكلُّ أمر مُستقِر (٣) ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدَجَرُ (٤) حِكمةٌ بالغة، فما تُغْنِ النُّذُر (٥) فتولّ عنهم يوم يدعُ الدَّاعِ إلى شيء نُكُر (٦) خُشَّعاً أبصارُهم يخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ منتشر (٧) مُهطعين إلى الداعِ، يقول الكافرون هذا يوم عسِر** (٨) القمر .

أيها المسلمون :

اسمعوا وعُوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، لا تُضَيِّعوا فُرَص هذه الحياة فتُحشروا غداً مع الخاسرين الهالكين ، واستبقوا الخيرات، قبل أن يأتي يومُ التنكيل والتشديد ، يوم تُردُّ الأعذار، وتنعدِم الأنصار ﴿**يوم نقول لجهنم هل امتلأتِ وتقول هل من مزيد**﴾ ؟[1] .

فاتقوا الله أيها العباد واحذروا بطشه وغضبه قبل يوم الرُّقاد ، وتوبوا إليه توبة نصوحا تنالوا رضاه وقربه ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾ ق آية (٣٧) .

إن الخطباء يخطبون الناس أيام الجمعة، الخطبة بعد الخطبة، والموعظة تلو الموعظة، ولكن ــ ويا للأسف ــ فلا مُغيث ولا مجيب ولا سميع ولا بصير، ولا منفذَّ لكتاب الله وسنة رسوله ومصطفاه، حتى صارت خطب اليوم ودروسُ اليوم ومواعظ اليوم روتينيةً، أي أنها شيء عاديٌّ، يسمعها الناس، ثم ينصرفون، فالمنكرات هي هي، باقية على حالها، وتبرجُ النساء قد عمت به البلوى، فلا وازع ولا رادع ولا سامع .

---

١ ــ سورة ق : (٣٠) .

أما علمتم أن المقصود الأعظم من الجمعة هو الخطبة.؟ ليسمع المسلمون الوافدون، ويتعظوا، وليكونوا على حذر شديد من يوم الوعيد، ﴿...، **ذلك يومٌ مجموعٌ له الناس وذلك يوم مشهود (١٠٣) وما نؤخره إلا لأجلٍ معدود (١٠٤) يومَ يأتِ لا تَكلَّمُ نفس إلا بإذنه، فمنهم شقيٌّ وسعيد**﴾ (١٠٥) هود .

أيها الناس، أيها التجار الغافلون :

إن بعضكم يأتي الجمعة بعد بيعه وشرائه، وبعضكم يأتيها في الخطبة الثانية، وبعضكم يأتي الجمعة والصلاة قائمة. أين أنتم يا مسلمون من قول الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوْا إلى ذكر الله وذروا البيْع، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾[1] .

أما خطيب الجمعة نفسه، فمن السنة أن يتأخر، ويأتي أخر الناس. ويجوز له أن يتخطى الناس ـــ إن لم يجد له طريقاً لذلك ـــ لأن الملائكة تطوي صُحُفَ المصلين بمجرد دخول الخطيب المسجد، ومن حضر بعد جلوس الخطيب على المنبر، لا يكتب مع المصلين في صحف ملائكة يوم الجمعة، لأن الملائكة أنفسهم يجلسون في المسجد، ليستمعوا إلى الخطبة والدعاء . هكذا ورد في الشريعة الغراء[2] .

---

١ ـــ سورة الجمعة (٩) .

٢ ـــ في هذا المعنى وردت أحاديث كثيرة منها عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال : إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد، فيكتبون مَنْ جاء مِنَ الناس على منازلهم ، فرجل قدَّم جزوراً ورجل قدَّم بقرة ، ورجل قدّم شاة، ورجل قدّم دجاجة ، ورجل قدّم بيضة ، قال فاذا أذن المؤذن ، وجلس الإمام على المنبر طويت الصحف ، ودخلوا المسجد يستمعون الذكر . رواه احمد باسناد حسن .

ومن حديث أبي أمامة : قلت يا أبا أمامة ليس لمن جاء بعد خروج الإمام جمعة ـــ إلى المنبر ـــ قال بلى، ولكن ليس ممن يكتب من الصحف . رواه أحمد والطبراني .

يا مسلمون : يامن تستطولون عشر دقائق في الخطبة، ولا تتضايقون من ساعات من أماكن الفجور. في يوم الجمعة يخرج بعض المترفين المرفهين للنزهة والراحة والاستجمام، ولارتياد الملاهي وأماكن الفسوق والعصيان. وهذا رسول الله ﷺ ينذر هؤلاء ويتوعدهم، ويدعو عليهم، وعلى من ترك صلاة الجمعة بغير عذر شرعي، فيقول (واعلموا أن الله افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا، في يومي هذا، في شهري هذا، من عامي هذا، إلى يوم القيامة ، فمن تركها في حياتي أو بعدي وله إمام عادل أو جائر، استخفافاً بها وجحوداً بها، فلا جمع الله له شمله، ولا بارك له في أمره ، ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له ، ألا ولا حجَّ له ، ألا ولا صوم له ، ألا ولا برَّ له حتى يتوب، فمن تاب، تاب الله عليه) [1] .

أما النساء فليس عليهن صلاة جمعة، بل عليهن صلاةُ ظهر عوضاً عنها، لا سيما في هذا الزمان العجيب الفاسد، فإنهن يخرجن إلى المساجد بزينتهن كاسياتٍ عاريات، مائلات مميلات، يكشفن عوراتِهن أمام المصلين ليفسدوا عليهم صلاتهم وعبادتهم، حتى إن هذه الحالة واقعة في المسجد الأقصى هذا، الذي تشد إليه الرحال .

ولا يُعترض علينا بحالة الحج، فإنها حالة عامة، تستدعيَ كشف الوجه واليدين بغير زينة .

أيها المسلمون :

رضي الله عن خطباء المسجد الأقصى السابقين. فمن هؤلاء الخطيب اللامع العالم العامل محمد الواسطي، ومحيي الدين أبو المعالي، وغيرهما : كان هؤلاء سنة سبع وثمانين ومائةٍ وألفٍ، يخطبون الناس بآيات الله، وأحاديث

---

١ ــ رواه ابن ماجة والطبراني الأوسط من حديث ابي سعيد الخدري ، وروي عن جابر بن عبدالله .

رسوله ومصطفاه، وبآثار السلف الصالح، لأنها خير ما تقرع به القلوب ، كانوا رضي الله عنهم، أخلص منا عملاً، وأقوى إيماناً، وأعظم بياناً، إذا وعظوا الناس أبكوْهم وأدمْوا قلوبهم، لأنهم كانوا على جانب كبير من التقوى، متجملين بالعفة والزهد والورع ، متسمين بمكارم الأخلاق. اللهم ارزقنا السير على طريق العاملين ﴿ **إن هذا لهُوَ الفوز العظيم** (٦٠) **لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾ (٦١) الصافات.

يا مسلمي هذا الزمان. يا من غرتكم الدنيا بزخارفها وأحلامها .

هذا هو أبو بكر الصديقُ، رضي الله عنه، يقول (إياكم والعمل بالمعاصي ، إياكم وكفرانَ النعمة ، فقلما كفر قوم بنعمة ولم ينزعوا إلى التوبة إلا سُلِبوا عِزَّهم، وسُلِّطَ عليهم عدوُّهم ، وهذا عبدالله بنُ عمر، رضي الله عنه يقول لما حضرت الوفاةُ أباه عمر بن الخطاب، غُشِيَ عليه، فأخذتُ رأسَه فوضعتها في حِجري، فقال: ضع رأسي يا عبدالله في الأرض، لعل الله يرحمني ، فمسح خديه بالتراب، وقال: (ويلٌ لِعمرَ إن لم يُغفَرْ له، فقلت يا أبتاه وهل فخذِي وحِجري والأرضُ إلا سواء .؟ فقال عمر لولده ضع رأسي في الأرض، لا أمَّ لك، كما آمرك : يا ولدي عبدالله (إذا قضيتُ، أي مِتُّ) فأسرعوا بي في حفرتي، وإنما هو خير تقدموني إليه ، أو شرٌّ تضعونه عن رقابكم، ثم بكى، فقيل له : ما يُبكيك يا عمر ؟ قال: (خبرُ السماء لا أدري إلى جنةٍ يُنطلقُ بي، أو إلى نار) .

وكتب عمر رضي الله عنه، إلى سعد بن أبي وقاص، أحدِ العشرة المبشرين بالجنة، يا سعدُ سعدَ بني وُهيْب (إن الله إذا أحبَّ عبداً حبَّبَه إلى خلقه، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس) .

ودخل عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه المقابر، فقال : (أما المنازل فقد سُكِنت ، وأما الأموال فقد قُسِّمت ، وأما الأزواج فقد

نُكحت، فهذا خير ما عندنا، فما هو خير ما عندكم أيها الأموات؟ ثم قال علي رضيَ الله عنه بعد أن بكى كثيراً، (والذي نفسي بيده لو أَذِن الله لهم في الكلام، لأخبرونا أَن خير الزاد التقوى) قال ﷺ (أربعة من الشقاء جمودُ العين، وقسْوةُ القلب، وطولُ الأمل، والحرص على الدنيا)[1] أو كما قال:

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

الحمد لله الذي لا يغير ما بقوم من الخيرات، حتى يغيروا ما بأنفسهم من شعائر الطاعات، (أَحْمَدُه سبحانه) هدانا وما كنا لنهتدي، لولا أن هدانا، وأشكره وأتوب إليه، وأسأله أن يعاملنا معاملة أهلِ محبته ووداده ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، واله وصحبه اجمعين .

وبعد، فيا عباد الله : لقد فشا في الناس اليوم التباغض والتحاسد، وعم جميع البقاع ، وتسرَّب سوء الظن إلى نفوسهم، وقد كثر الإعراض والإدبار، حتى أصبحنا كأنْ لم يكن بين المسلم وأخيه أدنى ارتباط واجتماع ، فيا خسارة مَن أفنى زهرة شبابه فيما لا طائل تحته ولا فائدة، ويا ضيعةَ من ذهب عمره النفيس سُدىً بغير فائدة ، ويا حيرةَ من استقبل بغير زاد سفره الطويل ، ويا فضيحة من شهدت عليه أعضاؤه يوم العرض على الجليل ، ويا ندامةَ من لأخراه خرَّب، ولدنياه بنى وشاد .

عباد الله : اتقوا الله، وصلوا على نبيه تعظيماً له وتكريما، إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، عدد مافي علم الله، صلاة دائمة بدوام ملك الله .

---

١ ــ رواه ابن عدي وابو نعيم في الحلية عن انس بلفظ أربع وعن الجزار أربعة بسند ضعيف .

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين .

اللهم ألف بين قلوبنا، واجمع بين كلمتنا ، اللهم ألف بين قلوب الحاكمين، والهمهم رشدهم وما فيه عزهم ونصرهم يا رب العالمين. اللهم لا تشمت بنا أعداءنا، واختم بالصالحات أعمالنا، وبالسعادة والتوفيق آجالنا، وكن لنا ولا تكن علينا .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، يا أكرم الأكرمين .

ونسألك اللهم ان تشمل بعنايتك ورعايتك وهدايتك الحسين بن طلال. اللهم أيده بالتوفيق والعمل، وجنبه مواطن الزيغ والزلل . واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الثالثة والسبعون :

١٤ رجب ١٣٨٦هـ
١٩٦٦/١٠/٢٨

(الرحمة بخلق الله ومعونة الشتاء)

أحمدك ربي بجميع محامدك، ما علمت منها وما لم أعلم، مصلياً ومسلماً على رسولك المصطفى، الحريص علينا الرؤوف الرحيم بنا، وعلى آله وصحبه، المستمسكين بشرعه المتين، استغفر الله واستعينه ، أعوذ بالله من شر نفسي وسيئات أعمالي، من يهد الله فلا مضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له ، رب اغفر لي ذنبي، واستر لي عيبي، وفرج عني كربي، واجعل مخرجاً من حيث أحتسب ولا أحتسب ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، لا إله إلا أنت ، (... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني .يفقهوا قولي)** اللهم اغفر لي ذنوبي، وجهلي وعمدي، وخطئي وإسرافي في أمري .

الحمد لله، أمرنا بالتذكر والتدبر والإحسان ، ونهانا عن المِنَّةِ على بني الإنسان ، وأشهد أن لا إله إلا الله، ذو فضل على العالمين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، إمام المحسنين وملجأ البائسين ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، سيد الرحماء والعاملين، وسيد المرشدين والواعظين .

أما بعد، فقد قال ﷺ (من ذهبَ في حاجة أخيه المسلمِ، فقُضيت حاجته، كُتبت له حَجَّةٌ وعُمرة ، وإن لم تُقْضَ كتبت له عمرة)[1] .

---

١ ــ رواه البيهقي عن الحسن بن علي بسند ضعيف .

أيها المسلمون :

المسلم لأخيه المسلم في كل مهمة ومُسلمة، في فرحه وترحه ، في شدته وبؤسه، ومحنته، فهو منه وإليه ، المسلم هو الواعي، لقوله ﷺ (إرحموا تُرحموا، واغفروا يُغفرْ لكم)[1] . وجاء في الحديث الصحيح أن النبيَّ ﷺ قال: (أَرحَمُ أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر)[2] . وفي صحف موسى عليه الصلاة والسلام (عجباً لمن أيقن بالموت، كيف يفرح ؟ عجباً لمن أيقن بالنار، كيف يضحك ؟ عجباً لمن أيقن بالقضاء والقدر، كيف يغضب ؟ وكيف ينصَب ؟ عجباً لمن رأى الدنيا وتقلباتها بأهلها، كيف يطمئن إليها ؟؟

أيها المسلمون في زماننا هذا :

تبينَّا من حديثنا السابق ، أن الله جعل ثواب الساعي في قضاء حاجة أخيه، وتفريج كربته ــ إذا قضاها له ــ مثل أجر الحاج والمعتمر ، وانظروا كيف جعل (سبحانه وتعالى) أجر الساعي في قضاء حاجة أخيه. إذا عَجز عن قضائها كأجر المعتمر في البيت الحرام ، والله يضاعف لمن يشاء .

قال الخليفة المنصور العباسي للفضيل بن عياض، عِظني يا فضيل، فقال: يا أمير المؤمنين: (إن خير الكرم عند الله التقوى ، والله يا أمير المؤمنين إن أقرب الناس منزلةً عند الله يوم القيامة، أرحمهم بعباد الله، وأكثرهم رأفةً بهم ، وما خرج عبد من ذل المعاصي إلى عز التقوى، إلا أغناه الله بلا مال، وأعزَّه بلا عشيرة ، وآنسه بلا أنيس) حتى بكى المنصور بكاء مراً، وقال للفضيل: حسبك .

---

١ ــ رواه الامام أحمد والبخاري في الأدب والبيهقي عن ابن عمر .

٢ ــ رواه الطبراني وابن ماجه والحاكم والترمذي عن أنس وقال الترمذي حسن صحيح وورد عن ابن عمر بلفظ أرأف أمتي بأمتي ابو بكر ، واشدهم في دين الله عمر ، وأصدقهم حياءً عثمان ، وأقضاهم علي ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبي ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل . ألا وإن لكل أمة أميناً ، وأمين هذه الأمة ابو عبيدة ابن الجراح . رواه ابن يعلى في مسنده .

يا مسلمون في عالمنا اليوم :

من الرحمة بالناس أن يحمل الوالي هومهم، وتحمل أنت همومهم، وتجوعَ وتعرى من أجلهم ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذا وقع بالناس همٌّ ومجاعة، يخلع ثيابه ويلبسُ ثوباً قصيراً، لا يكاد يجاوز ركبتيه، ثم يجأرُ إلى الله بالبكاء والتضرع والاستغفار وعيناه تذرفان الدمع، حتى يغشى عليه. رحماك يا رباه. ما أرحم هؤلاء الخلفاء بالناس، حتى دانت لهم الرقاب، وخضعت لهم الجبابرة. وفي هذا المقام يقول ﷺ (ما من باكٍ يبكي من خشية الله تعالى، حتى تسيل قطرة من دموع عينه على الأرض، إلا لم تمسَّه النار)[1] .

أيها الناس :

إن الإيمان والبخل ضدان لا يجتمعان جاء العباس رضي الله عنه، عم النبيِّ ﷺ إلى رسول الله، فقال:[2] (يا عم أمِّرني على إمارة. فقال له النبي ﷺ يا عباسُ عمَّ النبي لنفس تُحييها، خير من إمارة تُحصيها، يا عم الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة)[3] والويل كل الويل لمن بخل في سبيل الله). ولقد قال هارون الرشيد للفضيل عظني: فوعظه هذه الموعظة ، ولما سمعها بكي بكاء شديداً حتى قال هارون وهو يبكي ويصيح : الويلُ لي إن سألني ربي، والويلُ لي إن ناقشني الحساب، والويل لي إن لم يلهمني حجتي.

---

١ ــ الحديث بلفظه : من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه، لم يعذب يوم القيامة. رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد .

٢ ــ رواه الامام أحمد عن حمزة بن عبدالمطلب ايضاً .

٣ ــ رواه الإمام أحمد عن ابي أمامة :

الإمارة أولها ملامة، وأوسطها ندامة، واخرها خزي يوم القيامة. ورجاله ثقات .

ورواه مسلم عن ابي ذر قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملني ، قال فضرب بيده على منكبي ثم قال : يا أبا ذر إنك ضعيف وأنها أمانة ، وأنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها ورواه مسلم عن عبدالرحمن بن عوف فقال : يا عبدالرحمن لا تسأل الإمارة ، فانك ان اعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن اعطيتها من غير مسألة أعنت عليها .

لقد مدح الله أصحاب رسول الله ﷺ، لما كانوا عليه من التراحم والتعاطف والتوادِّ والتحابب، وهم كما وصفهم الله ﴿ ... **أشداء على الكفار رحماء بينهم** ، ... ﴾[1] .

إن النعمة موصولة بالشكر، والشكرُ متعلق بالمزيد، ولن ينقطع المزيد من الله، حتى ينقطع الشكر من العباد ، وفي دستور الحكيم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (ليس الخير أن يَكثرَ مالُك وولدُك، ولكنَّ الخيرَ أن يزداد علمك، ويَعظُمَ حِلمك، وأن تزاحِم الناس على الطاعة والعبادة، فإن أحسنتَ حمدت الله عزوجل ، وإن أسأت استغفرتَ الله تعالى) .

أيها المسلمون، أيها الأغنياء في زماننا هذا: اسمعوا وتدبروا فما قلَّ وقرَّ، خير مما كثر وفرَّ، الشكر الحقيقي : هو الرحمة الشاملة لبني الإنسان أفراداً وجماعاتٍ، بل هو الرحمة الصادقة بالحيوان الأعجم .

وها هو ذا فصل الشتاء قد أقبل علينا، وهذا هو أسبوع معونة الشتاء ، وفي الناس من لا يقوى على تحمل البرد الشديد ، وما يتطلبه الشتاء من تكاليف ولوازم وملابس ، هناك الأرامل والثَّكالى واليتامى ، هناك المُعوزون، الذين لا يجدون في بيوتهم طعاماً يسدون به رمقهم ، ولا لباساً يتدثرون به .

أليس من القسوة والجفوة أن تقبضوا أيديكم طمعاً وحرصاً على حياة زائلة فانية، لا تساوي عند الله جناح بعوضة .؟؟

أين هم المؤمنون الصادقون ؟ أين هم المخلصون .؟ أين هم المتصدقون .؟ أين هم العاملون .؟ أين الذين صدق عليهم قوله تعالى

---

١ ـ سورة الفتح (٢٩) .

﴿ **والذين تبَوَّؤا الدارَ والإيمانَ مِن قبلهم يُحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ، ومَن يوقَ شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون. والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾ الآيتان (٩ ــ ١٠) الحشر.

هل من الرحمة والعدالة أيها المترفون المترفهون، أن تتقلبوا في نعم الله بكرة وعشيا، وغيركم من الناس يتضوَّر جوعا، ويذوق مرارة القسوة والحرمان ؟؟

أيها الممسكون الحريصون على الدنيا :

إن ما تقدمونه لذوي الحاجات والعاهات، له خلفٌ عند ربكم، الذي خلقكم، وصدق الله العظيم ﴿ ... ، **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا، واستغفروا الله، إن الله غفور رحيم** ﴾ المزمل آية (٢٠) .

ألا فليعلم الأشحاء والبخلاء، والمُنعَمون المترفون، أن أموالهم لا تصلح عُدةً لعوادي الزمان، وصروف الدهر وحوادثه ، ألا فليعلموا جميعاً أنهم مهما نالوا من دنياهم، فسوف لا يجنون من ثمارها يوم القيامة سوى الحسرة والندامة ، ولو أقاموا الصروح والأبراج الفخمة المشيَّدة ، لا سيما من اتخذوا أموالهم ذريعةً لنيل المحرمات، وتعاطي المُسكرات، واقتراف الموبقات، ألا وإنهم يتظاهرون بالسخاء والكرم والإنفاق والمِنن، ولكنَّ الله سبحانه لا يمحو الخبيث بالخبيث، ولا السيء بالسيء، إنه سبحانه يمحو السيء بالطيِّب الحَسَن .

فالإحسان لا يكون إلا للمحاويج، الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، إنهم لا يسئلون الناس إلحافا ، الإحسانُ لا يُبذل لمن يتلبسون الناس في مساجد الله، وفي الشوارع والطرقات والأماكن العامة، أمام الأجانب والزائرين .

فتشوا يا قوم عن المستحقين، تجدوهم في زوايا البيوت ، فتشوا عليهم في فصل الشتاء، تجدوهم عاجزين بالفعل عن أعمالهم، عاطلين عن الحركة والسؤال، أنقذوا أيها الناس مَديناً أغرقه الدين، أعينوا مريضاً ذا فاقةٍ وحاجةٍ يعاني سكرات الموت، لفقره وعجزه عن المعالجة والدواء، لكثرة عياله وأطفاله .

أما الذين يتسولون ويسألون الناس من غير فقر ولا حاجة ويُمسكون بتلابيب الناس من الغادين والرائحين، فهؤلاء سيأتون يوم القيامة، يوم الفضيحة والحسرة والندامة ، وليس في وجوههم مزعة لحم. نسأل الله العافية والسلامة .

قال ﷺ (ثلاثة أُقسم عليهن : ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظُلِمَ عبدٌ مظلمةً فصبر عليها إلا زاده الله عزا ، ولا فتح عبد على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر)[1] أو كما قال .

★ ★ ★ ★

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الحمد لله الكريم المحسان، مصلياً ومسلماً على رسوله الداعي إلى السخاوة وكرم الأنفس، وعلى آله وصحبه ذوي الرأفة والرحمة والرضوان، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعليهم أجمعين .

---

١ — رواه أحمد والترمذي عن ابي كبشة الأنصاري بسند حسن ، وإنما هو بلفظ ثلاث لا ثلاثة .

عباد الله : (هذه أيام الخيرات والمبرات والطاعات، بادروا إلى الأعمال الصالحة، لا سيما في هذا الشهر رجب، فاتقوا الله يا عباد الله، وتقربوا إلى مولاكم بصالح الأعمال والقربات، فقد ورد عنه ﷺ (إن الصدقة لتطفيء عن أهلها حرَّ القبور، وإنما يَستظلُّ المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته)[1] واعلموا أنه تعالى أمرنا بالصلاة على نبيه ورسوله، تعظيماً له وتكريما، فقال تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، بعدد كل معلوم لك. اللهم ارض عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر. اللهم ألف بين قلوب الحاكمين، واجمع بين كلمتهم على الحق المبين يا رب العالمين. ونسألك اللهم هدايتك وعنايتك ورعايتك، للحسين بن طلال ، اللهم الهمه الحق والسداد، واهده إلى طريق الرشاد، واجعل هذا البلد أمنا مطمئنا سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

---

١ ــ رواه الطبراني عن عقبة بن نافع بسند ضعيف .

الخطبة الرابعة والسبعون :

٥ شعبان ١٣٨٦هـ
١٩٦٦/١١/١٨

« قبل موعد الخطبة بدقيقتين، فقدت مني هذه الخطبة، وانا على المنبر والمؤذن والمرقى يؤذنان، وقد ألقيتها مرتجلة، فكنت موفقاً فيها والحمد لله، مستهلة بحديث (الجهاد ماضٍ في امتي الى يوم القيامة) وكان لها أحسن الأثر في النفوس ، والحمد لله رب العالمين » .

« فضل الجهاد والمجاهدين »

الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه، حمـــداً يوافي نعمه ويكافيء مزيـــده، مصلياً ومسلماً على رسوله المصطفى، وعلى آله وصحبه، الهداة أولى النهى ، اللهم إني استغفـــرك واستعينك وأستهديك ، أعوذ بك من شر نفسي وسيئات أعمالـــي ، اللهم هيء لي من أمري رشدا، وثبتني على كلمة الهدى، وكن لي ولا تكن علي، وانصرنا ولا تنصر علينا، اللهم لا تشمت بنـــا عدونا، ولا تسوء بنا صديقنا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، يا الله ، اللهم رحمتـــك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عيـــن، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت ، اللهم علمنـــي إذا جهلت ، ويقظني إذا غفلت، وذكرنـــي إذا نسيت ، الله ربي لا أشرك به شيئـــاً ، اللهم فارج الهم والغـــم، مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخـــرة ورحيمهما أنت ترحمنا ، إرحمنا برحمـــة تُغنينا بها عن رحمة من سواك ، (... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**) .

الحمد لله على كل حال ، الحمد لله ولا يُحمد على الشدائد والكُربات سواه ، أشهد أن لا إله إلا اللهُ العليمُ الحكيم، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، سيدُ الشهداء والمجاهدين ، وعلى آله وصحبه الذين بذلوا أموالهم وأرواحهم في سبيل الله ونُصرة شرعه المبين، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه العاملين الصادقين .

(أما بعد) فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **وإذا كنتَ فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفةٌ منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأتِ طائفةٌ أخرى لم يصلّوا فليصلُّوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلةً واحدة ، ...** ﴾[1] .

أيها المسلمون :

سبب نزول هذه الآية ما جاء في قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (خرج رسول الله ﷺ فلقي المشركين بعُسفان، فلما صلى الظهر، ورأوْه يركع ويسجد هو وأصحابُه، قال المشركون بعضُهم لبعض، ما أحسن هذه الفرصة لكم، لو أغرتم وهجمتم عليهم ما علموا بكم، حتى تواقعوهم ، وقال قائل منهم، إن للمسلمين صلاةً أخرى هي أحب إليهم من أهليهم وأموالهم، فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها)[2] فأنزل الله هذه الآية على نبيه .

---

١ ــ سورة النساء (١٠٢) .

٢ ــ انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٣٦٤) .

أيها المسلمون :

اختلف علماء الاسلام، علماءِ الفقه والدين، في صلاة الخوف عند التحام الحرب وشدةِ القتال ، وخوف خروج الوقت، قال فريق منهم يصلي كيفما أمكن، وقال ابن عمر رضي الله عنهما، إن كان الخوف أكثر، يصلي راكباً أو قائماً، أو مشيرا مستقبلاً، أو غير مستقبلٍ للقبلة، وهكذا ترشدنا الآية بأن تقتدى طائفة من المجاهدين بالإمام، وهم مدججون بأسلتحهم احتياطاً ، ولتقم الطائفة الأخرى في وجه العدو ، فإذا فرغت الطائفة الأولى من صلاتها فلتأت الطائفة التي لم تصلِّ إلى مكانها، لتصلي خلف الإمام .

أيها المسلم :

أنظر بعين العظة والاعتبار، لتعلم أهمية ومكانة الصلاة من الدين الإسلامي ، إذ لا يُعفى الإنسان من الصلاة وهو في ساحة الوغى، والحربُ قائمةٌ على ساقها، ولا يعفى من الصلاة ولو كان على فراش الموت، ما دام داعياً ولم يغرغر ، فما بالُك يا أخي المسلم بمن يتركون صلاة وصلواتٍ ويتفاخرون بذلك، مع أن مصيرهم ونهايتهم إلى الممات، وإنك يا أخي لتشاهدُ هذا بنفسك ممن يحضرون رياءً وسمعةً مع الجنازات، يتركون الناس يصلون وهم يأنفون كبراً وعُجباً، بلا موجب ولا سبب معقول، فأين هم المسلمون.؟ ومتى يأتينا النصر من عند الله ؟

ثم بيَّن الله لنا حُكماً هاماً، ولكننا عنه غافلون، بيَّن للمسلمين أن عدوهم ساهر ماكر غادر، يتربص بهم الدوائر، يتحين فرص الفتك والانتقام، ويتمنى أن يكونوا دائماً غافلين، ليميل عليهم مَيْلةً واحدة، لذلك فإن الله العالِمَ بالسرائر، الذي هو على كل شيء قادر، يحذرهم من التهاون

والغفلة، والرسول ﷺ يقول: (لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين)[1] نعم يُحذرهم لئلا ينالَ العدوُّ منهم أملَه، ويدركَ فرصته ، فالطائفة التي تواجه العدو تأخذ السلاح، أما الطائفة التي تصلي يكون عليها السلاح، وإذا هاجمها العدو تهاجمه بأي اتجاه كان، فأخذُ السلاح في صلاة الخوف واجبٌ، لأمر الله به، فما أجمل المسلم، وما أجمل المجاهد يحذر عدوَّه، فيكون دائماً شاكي السلاح، كما قيل في أصحاب رسول الله ﷺ في حروبه وغزواته :

شاكى السلاح لهم سيما تُميزهم
وَالوَردُ يمتاز بالسيما من السَّلَم
كأنهم في ظهور الخيل نبتُ رُبُاً
من شدة الحزم لا من شدة الحُزمِ

أيها المسلمون في زماننا هذا ..

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال (الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليُرى مكانه فمن سبيل الله) ؟

قال ﷺ (من قاتـــل لتكون كلمة الله هي العليـــا، فهو في سبيل الله)[2] .

تبيّنا من هذا الحديث، أن كل قتال مهما تعددت أهدافه، لا يكون لإعلاء كلمة الله، فهو هيكل لا روح فيه ، فلا بد للمجاهد أن يكون حَسنَ النية، مخلصاً في جهاده، باذلاً روحه ودمه في سبيل الله، وفي سبيل نُصرة المظلومين، ودفع المعتدين الغاصبين ، فالمجاهد الذي يجاهد من أجل

---

١ ـــ متفق عليه .
٢ ـــ متفق عليه .

غايات شريفة، مدافعاً عن وطنه وشرف أمته بإيمان قوي بالله، لا تزعزعه العواصف، ولا تقف أمامه قوة، وإن عظمت، لأن الله تعالى يقول: ﴿ **إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده، وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ آل عمران آية (١٦٠) .

ويقول سبحانه ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين أمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ غافر آية (٥١) .

أجل أيها المسلمون :

كيف يُغلبَ من اعتز بربه وانتصر به، وأخذ الحيطة اللازمة، متمثلاً أوامر ربه، إذ يقول سبحانه ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...** ﴾ الأنفال آية (٦٠) .

أيها المسلم :

ليس المجاهد من يخوض المعارك بنفسه فحسب، إنما المجاهد أيضاً هو الذي يُجهز الغزاة، فيقدمُ إليهم ما يفرضه الواجب المقدس، حسب مقتضيات العصر وظروف الزمان، ما استطاع إلى ذلك سبيلا . وإنه لواجب حقٌ على كل فرد من أفراد الأمة، أن يُجاهد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، كلٌ حسب قدرته وطاقته، ومن الجهاد أيها المسلمون :

إعانةُ ذوي المجاهدين الذين استشهدوا في سبيل الله، لأن أجره كأجر المجاهد في سبيل الله والوطن .

قال ﷺ (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خَلفَ غازياً في أهله بخير، فقد غزا)[1] .

---

١ ــ متفق عليه من حديث زيد بن خالد الجهني .

أيها الناس :

إن للجهاد في سبيل الله والمقدسات والفضائل نتائج كبرى، فقد بشرنا القرآن الكريم بأن الأمة وإن كانت قليلة العدد، لكنها ذاتُ صبر وحزم وثبات وإقدام، فهي ظافرة بالنصر بعد الصبر إن شاء الله تعالى ﴿ **يا أيها النبيُّ حرِّض المؤمنين على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائةٌ يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ الأنفال آية (٦٥) .

أيها المسلمون :

لو يعلمُ الناس ما في الشهادة في سبيل الله من الأجر والنعيم، لتمنى المجاهد أن يُقتل في سبيل الله، ثم يُحيا عشر مرات، لما في ذلك من الفرح والعزة والنعيم المقيم. قال تعالى ﴿ **ولا تحسَبَنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون. فرحين بما أتاهُمُ اللهُ من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاَّ خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ آل عمران الآيتان (١٦٩ ــ ١٧٠) .

أي لا تظنوا أن الذين قتلوا في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله وهم يجاهدون العدو، لا تظنوهم أمواتا بل هم أحياءٌ قريبون من ربهم في جنته، يُرزقون فرحين، بما أنعم الله عليهم من فضله وإحسانه، ويستبشرون بل ينتظرون إخوانهم الأحياء الذين لم يموتوا، ليرَوْا ذلك النعيم الحقيقي المقيم، إنهم يحيوْن حياة لا يعتورها خوفٌ ولا حزنٌ، والله لا يضيع أجر المؤمنين . ومثل هذا المجاهد الشهيد، ينال الشهادة منشرحَ الصدرِ قريرَ العين .

أين أنتم يا أصحاب محمد.؟ أين أنتم يا رجال محمد.؟ أين أنتم يا قادة محمد.؟ أين أنتم يا تلاميذ محمد.؟ أين أنتم يامن انتصرتم على عدوكم، وفتحتم

مدناً حصينة في المشارق والمغارب، وليس لديكم من القوت والزاد سوى التمر والشعير، وليس لديكم من اللباس سوى لباس التقوى، والدرع والمغفر ..؟ تعالوا بالله عليكم، فقد تألبت علينا قُوى الشر والطغيان والعدوان من كل حدب وصوب ، إننا كما قال رسولكم سيدنا محمد ﷺ لا نزال نكيد لبعضنا البعض، فلا وحدة ولا جمع كلمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله تعالى يقول ﴿ ...، **وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين** ﴾[1] فأين هم المؤمنون حتى ينالوا النصر المبين .

قال ﷺ (الجهاد ماضٍ في أمتي إلى يوم القيامة، لا يُبطله جور جائر ولا عدل عادل، إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال)[2] أو كما قال : ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

الحمد لله ذاكر من ذكره، وشاكر من شكره، وناصر من نصره، وغافر ذنب من استغفره، أشهد الا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين .

وبعد فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أنه لا عزة لنا ولا فوز لنا ولا فلاح، إلا بالرجوع إلى الله، والعمل بشرعه المتين، وثقوا بأن الكلام المجرد عن الفعل لا فائدة منه ولا طائل تحته، قال تعالى: ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون،...** ﴾[3] .

واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه تعظيماً له وتكريما، فقال سبحانه: (**إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين أمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آلـه وصحبـه في

---

١ ــ سورة الروم (٤٧) .

٢ ــ انظر فتح المبين باب الجهاد .

٣ ــ سورة التوبة (١٠٥) .

كل وقت وحين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين الأولين المجاهدين ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وهب لنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا .

اللهم ألف بين قلوب القادة والحاكمين، وردَّهم الى شرع الله المتين، حتى يكونوا يداً واحدة على من عاداهم، يا أكرم من سُئل، وأفضل من أجاب ، اللهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، والعاملين به على حقيقته يا رب العالمين ، ونسألك اللهم أن تشمل برعايتك وتوفيقك وهدايتك، الحسين بن طلال. اللهم انصر جيشه وارحم ضحايا الإسلام وشهداءه، يا رب العالمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(... **وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الخامسة والسبعون :

٢٦ شعبان ١٣٨٦هـ

١٩٦٦/١٢/٩

(الكلم الطيب وثمرته لاستقبال شهر الصوم)

أحمدك اللهم بجميع محامدك كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، مصلياً على رسوله وحبيبه ومصطفاه، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه وسمته ودله وطريقه وهداه ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا. إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم يا من بيده مقادير الخيرات كلها، يا من إليه يرجع الأمر كله، يا فتاح يا عليم افتح لنا فتحاً قريبا ، أعوذ بك رب من شر نفسي وسيئات أعمالي. اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، لا إله إلا أنت، (... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**) .

★ ★ ★ ★

الحمد لله يمنُّ على عباده بفتح باب المغفرةِ والرضوان، يُدخل من أناب إليه حظيرةَ قدسه ، أشهد أن لا إله إلا الله الملكُ القدوسُ الأعظم، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، حبيبه المكرم، الذي كان يستقبل شهر رمضان بإخلاص كبير، واشتياق أعظم، وعلى آله وصحبه، السائرين على نهجه السويِّ الأكرم .

(أما بعد) فقد قال الله الملك الحق المبين، جل ذكره، وعلت قدرته.

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبة كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثابت وفرعها في السماء (٢٤) تؤتي أكُلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون (٢٥) وَمَثَلُ كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثة اجتثت من فوق الأرض ماها من قرار (٢٦) يُثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويُضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء ﴾ (٢٧) ابراهيم .

أيها المسلمون :

يضرب الله الأمثال للناس، ليتدبروا ويتذكروا ويعتبروا ، ليأخذوا من عبرة الماضي وعظة المستقبل ، فلا تُنال العزة والحرية إلا بقول صالح، وعمل صالح ، أما المصِرُّون على معاصي الله، فتمر بهم الأعوام والشهور، عاماً بعد عام، وشهراً بعد شهر، ولكنهم عن المعاصي لا يرجعون، وبصيام شهر رمضان لا يتأثرون ، فأولئك قوم لا يفقهون ولا يتعظون، ولا يعتبرون الكلمة الطيبة، الواردة في الآية، شاملةً كلَّ خير، عامة لكل ما فيه برٌ وطاعة، من تسبيحٍ أو فقهٍ في دين أو ذكرٍ أو قراءةِ قرآن أو صلاةٍ وسلامٍ على رسول الله، عليه الصلاة والسلام . والمراد من الكلمة الطيبة هنا (لا إله إلا الله) أو هي المؤمنُ نفسُه، أو هي الإيمان، فعن أنس بن مالك رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ (إن مثل الإيمان كمثل شجرة ثابتة ، الإيمان عُروقها ، والصلاة أصلها ، والزكاة فروعها ، والصيام أغصانها ، وتحمُّل الأذى والمصاعب في سبيل الله نباتُها، وحُسنُ الخلق أوراقها، والكفُّ عن محارم الله ثمرتها)[1] أما تشبيه المؤمن بالشجرة، فقد قال ﷺ

---

١ ــ الجامع لاحكام القرآن للقرطبي (٣٥٩/٩)

وورد في تشبيه المؤمن بالنخلة انه ﷺ قال لأصحابه : من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم . يقول ابن عمر، فأردت ان أقول هي النخلة، فنظرت فاذا أنا اصغر القوم فقال رسول الله هي النخلة .

وخرّج مالك في الموطأ من حديث ابن عمر : إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن خبروني ماهي ــ ثم قال ــ هي النخلة .

وقال عليه الصلاة والسلام : أكرموا عمتكم قالوا ومن عمتنا يا رسول الله .؟ قال النخلة .

أما لماذا شبهت بالانسان قيل : انها لما كانت اشبه الأشجار بالانسان شبهت به ، وذلك أن كل شجرة إذا قطع رأسها تشعبت الغصون من جوانبها والنخلة إذا قطع رأسها يبست وذهبت أصلاً ولأنها تشبه الانسان وسائر الحيوان في الالتقاح لأنها لا تحمل حتى تلقح .

(مَثَلُ المؤمن كالنخلةِ ، إنْ صاحبته نفَعك ، وإن جالسته نفعك ، وإن استشرته نفعك ، كالنخلة كلُّ شيء منها يُنتفع به)[1] يؤيد هذا قول الله الحكيم ﴿ تؤتي أُكُلَها كلَّ حين بإذن ربها ،... ﴾[2] وقوله ﷺ (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)[3] .

أما الكلمة الخبيثة فهي كشجرة خبيثةٍ اجتُثت (أي قُلِعت) من فوق الأرض، مالها من قرار، كشجرة الحنظل التي لا ساق لها، وهي مُرَّةُ المذاق، شبهت بها كلمةُ الكفر أو الكافر أو الباطلِ أو كلمة يقولها الإنسان من سخط الله، ولا يُلقي لها بالاً، فيهوي بسببها في النار سبعين عاماً، فالشجرة الخبيثة ليس لها قرار، ولا أصلٌ ثابت، وهكذا المشرك والمنافقُ والملحدُ في دين الله، والجاحدُ لشهر الصيام، لا حجةَ له يدافع بها عن نفسه ، ولا يرفع له كلِمٌ طيب، ولا يصعد له عمل صالح .

وقوله تعالى ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويُضِلُّ الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء**﴾[4] نزلت هذه الآية في عذاب القبر، رداً على منكريه وجاحديه، كما ينكره جهلة وملاحدة المسلمين في زماننا هذا العجيب، ففي البخاري عن جمعٍ من المحدثين، عن البراء بن عازب، عن النبي ﷺ (إذا أُقعِد المؤمن في قبره أتاه آتٍ، ثم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله)[5] وذلك قوله ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة،...**﴾ ولأن الميِّت في قبره يعتبر في الحياة الدنيا حتى يبعثه الله، وقوله ﴿**وفي الآخرة**﴾

---

١ ـــ ذكره الغزنوي انظر المصدر السابق .

٢ ـــ سورة ابراهيم (٢٥) .

٣ ـــ تقدم سابقاً .

٤ ـــ سورة ابراهيم (٢٧) .

٥ ـــ حديث البراء طويل وروايته هكذا مختصراً .

أي يثبتهم يوم العرض الأكبر والبعث الأكبر، فعذاب القبر يا منكرون: ثابتٌ بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ **النار يُعرضون عليها غُدوّاً وعشيّاً، ويوم تقوم الساعةُ أَدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ غافر آية (٤٦) .

يقول ﷺ (مفتاحُ الجنة لا إله إلا الله)[١] لكنَّ المفتاح أيها الناس لا بد له من الأسنان، حتى يُفتح البابُ ، ومن أسنان المفتاح لسانٌ ذاكرٌ، طاهرٌ من الكذب واللغوِ والغيبة وشهادة الزور ، وقلبٌ خاشع، طاهرٌ من الحسد والحقد والغِل والخيانة ، وبطنٌ طاهر، خالٍ من الحرام والشبهات وجوارحُ مشغولةٌ بطاعة الله، وذكره، وشكره. ولذلك قال سبحانه ﴿ ...، **ويُضِلُّ الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء** ﴾[٢] وفي الجامع الصغير (ما قال عبد لا إله إلا الله محمد رسول الله مخلصاً، إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتُنبَ الكبائر. يعني ان ارتكاب الكبائر والموبقات لا ينفع معه توحيد، ولا تفتح له أبواب السماء، حتى يتوب إلى الله تعالى[٣] .

أيها المسلمون :

مالكم تمر بكم الأعوام، ويأتيكم رمضان بعد رمضان، وأنتم ساهون لاهون ، وفي الفواحش والكبائر وأعراض الناس والغون، وعن آيات ربكم معرضون، ﴿ **ألا إن لله مافي السموات والأرض، قد يَعلمُ ما أنتم عليه ويوم يُرجعون إليه فينبئُهم بما عملوا، والله بكل شيء عليم** ﴾ النور آية (٦٤) .

---

١ ــ ورد ثمن الجنة لا إله إلا الله. رواه ابن عدي وابن بردويه عن انس بسند صحيح .
وأما مفتاح الجنة فقد ورد عنه ﷺ انه قال مفتاح الجنة الصلاة، ومفتاح الصلاة الطهور. رواه احمد والبيهقي عن جابر بسند حسن .

٢ ــ سورة ابراهيم (٢٧) .

٣ ــ انظر الجامع الصغير رواه الترمذي بسند حسن عن ابي هريرة .

أيها المسلم : أيها المسلمون :

ما بالكم لا تزدادون بالمواعظ، إلا فراراً ونفورا ، ومن كثرة الزواجر، إلا طُغياناً وغرورا، ها أنتم أولاء بعد أيام قلائل، يوافيكم شهر رمضان ، صيامُه جُنةٌ من النار ، من صام إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من الأوزار، ومن جدَّ فيه بهمَّةٍ وإخلاص، حالفه الفضل والتوفيق، ومن أفطر يوماً فيه من غير رخصة ولا مرض، لم يقضه صوم الدهر كلِّه ، فيه يُصفَّدُ كلُّ شيطان مريد رجيم، وتُغلق فيه أبواب الجحيم ، وتفتح فيه أبواب النعيم ، يا له من شهر..! من أقام واجباته عزَّ قدرُه، ولم يكن له من الله جزاءٌ إلا رضوانُه وبرُّه، هيئوا أنفسكم لما يجب عليكم عملُه، في العشر الأوائل فيها كان مبدأ الرسالة المحمدية والنعمة السرمدية ، وفي العشر الأواسط كانت غزوةُ بدرٍ الكبرى، التي أعز الله بها دينَ خير البريه ، وفيها كانت البشرى بنزول القرآن الكريم للأمة المحمدية، وفي العشر الأواخر كانت ليلة القدر، التي انزل فيها القرآن، وفيها ما فيها من الفضائل والمكارم، والتجليات الإلهية القدسية .

نعم أيها المسلمون : إنه لشهر تذوب فيه الأنانيات ومفاسدُ الشياطين، ولكنَّ شياطين الإنس لا يزالون منتشرين، آهِ من غفلتنا وآ أسفى ، آه من رقدتنا وآحرَّبي ، ليت المسلمين اليوم يَقْدُرونه حقَّ قدره ، ليتهم يحققون غاياتِ هذا الشهر وأهدافه السامية، وعظاته وإرشاداته ، إنهم لـو فعلوا ذلك لدانت لهم الرقاب، ذَلَّ بيـن أيديهم أعداء الحـق والصواب . ليت مسلمي اليـوم تمسكوا بدينهم. ولكن هيهات هيهات أن يعودوا إلـى ماضي عزهم، وسالف مجدهم (إنا لله، وإنا إليه راجعون) .

أيها المسلمون :

كـــم رمضانُ مرَّ ، وكـــم مضت أمثاله وأمثاله ، ونحن نعلل النفس بالآمال .

وما أضيق العيش ، لولا فسحةُ الأمل .

يا مسلمون :

كم مضت رمضاناتٌ، وجاءت بعدها أخرى، والمسلمون وقوفٌ جمود في نقطة ارتكاز..! وما أضيقها ، نعم واقفون إن لم يتأخروا ويتقهقروا ، خلاعةٌ في النساء، ومجون في الشباب، واستهتار بالحياة ، واستغلال بالدين واستهلاك، ومتاجرة واحتكار. إباحية في الأخلاق لا حدَّ لها ، استهانة بشريعة الإسلام لا في بلدنا هذا فحسب، بل في أكثر البلاد العربية الإسلامية .

حدث ذلك كلُّه أو جُلُّه، أو بعضُه والعالم العربي الإسلامي سادر في سكراته ، مُغرقٌ في غفلاته وتُرَّهاته، والناس في غيِّهم وطغيانهم يعمهون، وفي دنياهم يسرحون ويمرحون ، انطمست بصائرهم ، وضعُف وازع الدين فيما بينهم، وأصبح الدين على شفا جُرُف هارٍ، فانهار بهم في أعمق حفرة من الدمار .

أيها المسلم:

إذا كان ولا بدَّ من مجيء رمضان ليصهرَ هذه القلوبَ الصلبة المتحجرة، الجاحدة بنار حرارة الجوع والعطش في الصيام ، وليعالج هذه الصدور الحاقدة ببرد الإيمان ، وليطهر هذه الألسنة السليطة الاثمة بحلاوة القرآن ، وليغسل تلكم الأيدي الخاطئة بماء البرد والصدقة والإحسان ،

بل لينهض بالإنسان كلِّه، حيث المغفرة وتكفير السيئات والآثام، ليت شعري، ليتني أعلم أيُّ رمضانَ هذا. أرمضانُ القلوب وغذاء الأرواح ومعالجةُ النفوس والأشباح .؟ أم هو رمضانُ الموائد والبطون والشهوات .؟ ليتنا نعلم أهو رمضان التلاقي على الخير، والتصافي، وتناسي الماضي البغيض، أم هو رمضانُ المصارعات والخلافات .؟.!.

وها هو ذا (أبا إيبان) اليهود ووزيرُ خارجيتهم يقول ويصرح، لم تكن هذه الأسرة العربية في يوم من الأيام متباعدةً كما هي الآن، وهذا يناسب شعب إسرائيل، أكثر مما لو كان العرب (أسرة واحدة) . فاعتبروا يا أولي الأبصار، فليت حكامنا يتصافحون، وبكتاب الله يعملون، وبحبل الله يعتصمون .

جدير بالمسلمين في كل مكان، أن يعرفوا الغاية التي من أجلها كان رمضان، إنه ليربط العالم الإسلامي العربي برباط واحد، وإنه ليرشدهم كيف يتوحدون، وكيف يتعاونون، فأهل الحقد والضغائن لاحظ لهم من مواهب رمضان وعطاياه .

يقول ﷺ :

(إذا صمت فليصم سمعُك وبصرك ولسانك من الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك سكينة ووقار، ولا تجعل صومك وفطرك سواء)[1] وقال ﷺ (رحم الله من حفظ لسانه، وعرف زمانه، واستقامت طريقته)[2] (والرَّوْحةُ والغَدوةُ في سبيل الله (خيرٌ)، وأفضلُ من الدنيا وما فيها)[3] أو كما قال .

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

---

١ ــ تقدم سابقاً .

٢ ــ رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عباس بسند ضعيف .

٣ ــ متفق عليه عن سهل بن سعد .

الحمد لله الذي أنعم علينا بوافر الائه وأياديه . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد . وعلى آله وصحبه وسلم ، وتابعيه .

عباد الله :

اتقوا الله في أنفسكم، وفي أهليكم وذويكم وبنيكم، اتقوا ربكم واعلموا أنكم ملاقوه، استقبلوا شهر الصيام بقلوبٍ فرحة مَرِحة، ملؤها الإخلاص والإحسان، اغتنموا فرص الحياة واهْتبَلوها[1] فإن الأعمال الصالحة من الحياة. وأيامَ المعاصي والشقاوة ليس لها تقدير عند الله ولا وزنٌ، ولا حساب، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه تعظيماً له وتكريما، فقال (**ان الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، الرؤوف الرحيم، ذي الخلق العظيم، وعلى آله وصحبه وسلم .

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم نوِّر بالصيام قلوبنا، وأنِر بالقيام نفوسنا، واغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، اللهم بفضل شهر رمضان وما أنزل فيه، اشرح بفضلك صدورنا ، اللهم ألهم حكامنا رشدهم، وجنبهم مواطن الزلل والشطط في القول والعمل، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك، الحسين بن طلال. اللهم وفقه لصالح القول والعمل، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

---

١ ــ اهتبلوها من الاهتبال وهو اغتنام الفرصة وابتغاؤها وتكسبها .

عباد الله :

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون) .

(... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة السادسة والسبعون :

١٨ رمضان ١٣٨٦هـ

١٩٦٦/١٢/٣٠

(لمحات عن صيام رمضان وانتصار المؤمنين في غزوة بدر)

أحمدك اللهم بجميع محامدك، ما علمت منها وما لم أعلم ، استغفرك وأشكرك ولا أكفرك، وأخلع وأترك من يضجرك ، أنت كما أثنيت على نفسك، لا أحصي ثناء عليك ، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر لساني ومن شر سمعي، ومن شر بصري، ومن سيئات أعمالي، مصلياً ومسلماً على عبدك ورسولك المصطفى، وعلى آله وأصحابه، ذلك النبي الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، وشرح الله ببعثه الصدور، وعلى آله وصحبه هداة الأمة، وهم النجوم والبدور ، اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، واغفر زلتي وأجب دعوتي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما اسرفت، لا إله إلا أنت ، (**... رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**) .

الحمد لله الذي جعل الصيام جُنةً من العذاب والأهوال ، فضلَّه برحمته الواسعة على كثير من الأعمال ، (أحمد الله) وأشكره، وأتوب إليه ، واستغفره وأستجيره من العذاب، وأشهد أن لا إله إلا الله، المتفضل على عباده بالقبول ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، مفتاحُ الوصول والقبول . اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، خير آل وأصحاب .

أما بعد، فقد قال تعالى في محكم تنزيله ﴿ **قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم، للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةٌ، وأرض الله واسعة، إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** (١٠) **قل إني أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين** (١١) **وأُمرت لأن أكون أول المسلمين** (١٢) **قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** (١٣) **قل الله أعبدُ مخلصاً له ديني** (١٤) **فاعبدوا ما شئتم من دونه، قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين** ﴾ (١٥) الزُّمر.

أيها المسلمون :

إن الله تعالى يقول لنبيه ﷺ قل لعبادي الذين خلقتهم، راقبوا خالقكم واحذروا مخالفته وعصيانه .

هذه الآية ـــ على الصحيح ـــ عامة شاملة لكل ما يتأتى من العلم والتقوى، فالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم وشرك، وأطاعوا ربهم بامتثال أوامره، لهم في الحياة الدنيا مزيدٌ من الصحة والعافية، ما عدا الأجرَ والثواب، قل لعبادي سينالون من ربهم نصراً مؤزراً، وعزاً وخيرا .

قل لهم يا محمد، لا تعرِّضوا أنفسكم لأليم عقابه وعذابه، لأنه شديد المحال، فإذا ما قمتم بطاعة ربكم خير قيام، وكنتم إليه مذعنين، ولم تدنِّسوا فرائض الله ولا الصيام، فسيؤتيكم سعة في العيش وراحة في الضمير، ولكم في الآخرة عقبى الدار . وإذا ضاقت عليكم الأرض بما رحبت، فها هي ذى ارض الله واسعة شاسعة، فسيروا فيها، ثم انظروا واعملوا ﴿ **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه، وإليه النشور** ﴾ آية (١٥) المُلك .

وأما قوله تعالى ﴿ ...، **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾[1] فالصابرون هنا كلمة تصلح لكل صابر على مُرِّ الحياة وحلوها ، لكل صابر على الشدائد، عاضٍ على أصابعه، إلا أن قوله تعالى هنا ﴿ **إنما يوفى الصابرون** ﴾ خاصةٌ بالصائمين الذين جاعوا لله وعطشوا لله، وصبروا في الحر والبرد لله، وتحملوا مشاق الصوم وآلامه لله. دليل هذا قوله ﷺ مخبراً عن ربه في الحديث القدسي (الصوم لي وأنا الذي أجزي به)[2] ولذا قال أهل العلم (كل أجر يُكال كيلاً ويوزن وزنا يوم القيامة إلا الصومَ، فإنه يُحثا حثواً ويُغرف غرفا) وقال ﷺ (تُنصب الموازين فيؤتى بأهل الصدقات فيوفَّوْن أُجورهم بالموازين، وكذلك الصلاة والحج ، ويؤتى بأهل البلاء فلا يُنصبُ لهم ميزان، ولا يُنشَرُ لهم ديوان، ويُصَبُّ عليهم الأجر بغير حساب، حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض، مما يذهبُ به أهل البلاء من الفضل والأجر)[3] ثم قال تعالى لنبيه وصفيه، قل لهؤلاء القوم ولهؤلاء الناس حولك : مالكم لا تعبدون ربكم .؟ مالكم لا تتقون الله .؟ مالكم لا تُتقون يوماً ترجعون فيه إلى الله .؟ قل لهم لقد أمرني ربي أن اعبده وحده مخلصاً له الدين، مخلصاً في العباده وفي كل شيء، لأن قصَب السبق في الدين الحق بالإخلاص، لا بالطقوس والمظاهر .

ومن لذلك قال لقومه، وأمرني ربي لأن أكون أول الناس إسلاما. وهذا بالنسبة لقبائل العرب آنذاك، التي عُرض عليها الإسلام ، نعم إن محمداً كان أول من خالف دين آبائه ، وخلع الأصنام وحطمها، ليكون

---

١ ــ سورة الزمر (١٠) .

٢ ــ متفق عليه .

٣ ــ رواه الطبراني في الكبير مع اختلاف ببعض الألفاظ .

القدوة العظمى في الخالدين، قل لهم يا محمد إني أخاف ربي، وأخشى عقابه ، قال لهم ذلك عندما طالبوا بعبادة ما يعبدون من آلهة وأصنام. قال لهم سأداوم على عبادة ربي رغم جحودكم وإنكاركم، وأما أنتم أيها المخالفون لأوامر الله، الجاحدون لنعم الله، المنكرون لشعائر الله، ومنها الصيام فاعبدوا ما شئتم من الآلهة ومن شئتم، وافعلوا ما شئتم، كأنه سبحانه يتوعد ويهدد الذين يتجاهرون بالإفطار علناً في نهار رمضان.ولقد رأيت بأم رأسي أشخاصاً كثيرين يأكلون ويشربون في الأسواق والشوارع، والأماكن العامة والخاصة، دون ما خجلٍ أو حياء، ظناً منهم أن هذا من المدينة المزيفة الجامحة العمياء، وما علموا أنها الجهالة الجهلاء ، واحسرتاه على شباب المسلمين، الذين يدعون الإسلام ويتمذهبون به ؟ وأسفا. أهكذا كان شباب محمد عليه الصلاة والسلام.؟ أهكذا تنقلب الحال، وتتطور الأفكار لإنكار دين رضيه رب السماء والأرض.؟ ديناً قيماً لأهل السماء والأرض. إذ ما من نبيٍّ ولا رسولٍ ولا مَلَكٍ ولا إنس ولا جانٍ إلا وهو يَدين بهذا الدّين الحنيف .

أعبدوا أيها الشباب الغافلون ما شئتم. رفِّهوا عن أنفسكم. بارزوا ربكم بالفسوق والعصيان. ولكن ماذا نقول : ولقد صدق رسول الله ﷺ (إقامة حدٍّ في أرض، خيرٌ من مطرِ أربعين صباحا)[1] . افعلوا ما شئتم. طبعاً والنساء شقائق الرجال في الأحكام. وفي هذا المقام يقول ﷺ (البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت. إفعل ما شئت. كما تدين تدان)[2] .

---

١ ــ رواه ابن ماجة عن ابن عمر بسند ضعيف .

٢ ــ رواه عبدالرزاق وكذا البيهقي وابو نعيم والديلمي .

ثم قال تعالى لنبيه، قل لهؤلاء المخدوعين بدنياهم المغرورين بزخارفها وبهارجها، ليس الخاسر الذي يخسر مالاً مادياً أو دنيوياً أو عقاراً أو مُلكاً عظيماً. قل لهم إن الخاسرين الذين سيقفون بين أيدينا يوم القيامة حُفاةً عراةً بلا مال ولا ولد ﴿ **وكلهم آتيه يوم القيامة فردا** ﴾[1] وهناك يا أخي تنكشف النوايا، وتُهتك الأستار . نسألك السلام، هناك يا أخي لا يتعرف عليهم أهلوهم ولا ذووهم، بسبب عصيانهم لربهم في الحياة الدنيا. فمن عمل بطاعة ربه كان له ذلك المنزل والأهل في الجنة، ومن قصرَّ في طاعة ربه، لا حظ له ولا نصيب .

أيها الناس :

هذا رسول الله ﷺ يقول (كلُّ أمتي معافىً، إلا المجاهرين بالفسق)[2] .

أيها المسلمون :

قد علمتم أن شهر الصيام راحلٌ، ولم يبق منه إلا أيام قلائل ، مضى وانقضى كأنه ما كان، شهد على المسيء بالإساءة، وعلى المحسن بالإحسان ، أدركوا ما بقي منه بالجد والاجتهاد، لتحظوا بالقبول والإمداد. هذا شهر الفقه في الدين وتلاوةِ القرآن شهر يفتح الله فيه أبواب الجنان، يا هذا قل بربك ، كيف يصوم من يأكل بالغيبة لحوم الناس، ويسعى بالنميمة بين الإخوة والجيران.؟ أم كيف يصلي من كان قلبه جاحداً على أخيه.؟ قلبه في مكان وجسمه في مكان ، أم كيف يتصدق من كسبُه حرام.؟ فيستر غيره وهو عُريان . كلنا والله واقعون في الآثام، وإلى آذانِنا غارقون في الحرام .

---

١ ــ سورة مريم (٩٥) .

٢ ــ متفق عليه بدون كلمة بالفسق .

أيها المسلمون :

لما كانت تعاليم ديننا سائدة في الأرض، كان لدى المسلمين الأولين طاقاتٌ إيمانية واسعة، أهَّلتهم للجهاد والكفاح والجهر بالدعوة، والصمود أمام صيحات المشركين وهزاتهم العنيفة ، يوم وقفوا في وجه محمد ﷺ وأصحابه ليعرقلوا تعاليم القرآن، ويعطلوا حدوده وأحكامه، وليقفوا في وجه محمد وأصحابه، وظنوا وقد خاب ظنهم، أن شهر الصيام فرصةٌ كافية للانتقام من محمد ومؤيديه. ظن هؤلاء المغرورون أن قوى المؤمنين لا تصمد أمام جحافل الشرك والشر من أثر الصيام. فقام أبو سفيان متذرعاً بالقوافل، وقام الأخرون بإثارة الفتن والقلاقل ضد المسلمين. فكانت غزوة بدرٍ الكبرى في السابع عشر من شهر رمضان، وفيها كان نزولُ القرآن، وفيها جاء رسول الله بالهدى ودين الحق، فأظهره الله على الدين كله ولو كره الكافرون والمشركون. ومن هنا تطورت الدعوة الإسلامية، وكانت نتائج النصر المظفر ساطعةً في آفاق الوجود الإسلامي، تتوالى فيها فتوحات النصر والتأييد .

أخي المسلم الكريم :

ليس المقصودُ من غزوة بدر الكم، أي العدد والعُدد. من هنا أو من هناك، يوم التقى الجمعان ، وإنما يعنينا كيفية المعركة ، لما تراءى الجمعان وتقابلا، ورأى رسول الله قلة عدد المسلمين التجأ إلى ربه في هذه الأزمة العصيبة والمعركة الهائلة. فوقف في عريشه وهتف ضارعاً إلى ربه (اللهم فنصرك الذي وعدتني. اللهم ان تهلِك هذه العصابةُ اليوم فلا تُعبد في الأرض)[1] وما هي إلا لحظات حتى جاءه الأمين جبريل وبشره بالنصر.

---

١ ــ رواه البخاري ومسلم .

وقال محمد ﷺ لصاحبه أبي بكر، أبشر أبا بكر لقد وعدني ربي حقاً ببشائر الإمداد والنصر . نعم دارت رحى المعركة الحاسمة فكان أسطول محمدٍ البريُّ آنذاك مجهزاً بما أمكن من السلاح العادي. وقد أعدوا للأمر عدته، ولكنَّ سلاح الإيمان أكبر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون. هذا السلاح تؤيده طاقات الإيمان الثاقب الصحيح ، ولقد استبشر محمد وجيشه بنصر الله ﴿ ...، **وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** ﴾[1] وقوة الواثقِ بربه لا تهُن ولا تضعف، وروح الواثق بربه لا تقاوم .

إن أبرز شيء في المعركة الفاصلة آنذاك، هو المَدَدُ الروحيُّ الملائكيُّ، الذي بشر الله به نبيه وأصحابه .

قال ﷺ (عُرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثٌ؛ عليهن أُسِّسَ الإسلام، من ترك واحدة منهن، فهو بها كافر حلال الدم ، شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان)[2] وقال ﷺ (لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم، لنظروا إلى ملكوت السموات)[3] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

★ ★ ★ ★

الحمد لله ذى الفضل والجود والكرم، وأشهد ألاّ إله الا الله، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله واصحابه .

عباد الله : هذا هو رمضان المسلم تطهيرٌ للنفوس زيْن للقلوب، مغفرةٌ للذنوب، فاحفظوا فيه صيامكم، ولا تدنسوه بمعصية أو شهادة زور أو بُهتان . فما صام من كذب، أو اغتاب، أو سعى في الأرض فسادا.

---

١ ــ سورة آل عمران (١٢٦) .

٢ ــ تقدم قريباً . رواه ابو يعلى باسناد حسن بلفظ ثلاثة .

٣ ــ رواه أحمد عن ابي هريرة .

وإياكم والنظر إلى ما حرّم الله. إياكم واللغو وفضول الكلام ، إياكم والكلام الدنيويَّ في المساجد، لأنه يأكل الحسناتِ كما تأكل النار الحطب ، إذا كان سعيُكم للمساجد للقيل والقال، فإحياء ليلة القدر وقيامُ النافلة في المنازل أفضل. فاتقوا الله، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما تعظيماً له وتكريما، فقال (**إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم .

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وتقبل منا صيامنا وقيامنا ودعاءنا، عاملنا بما أنت له أهل، ولا تعاملنا بما نحن له أهل ، اللهم إنا نبتهل إليك ابتهال من لم يخطر بباله عند سؤاله أحد سواك. اللهم اجعل لنا من غزوة بدر عظة وذكرى، يا أرحم الراحمين . اللهم اجعل لنا من كل ضيق فرجا، ومن كل هم مخرجا .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال. اللهم وفقه وأعنه وخذ بناصيته إلى عمل الخير، يا أكرم الأكرمين . اللهم اجعل هذا البلد أمناً مطمئنا سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة السابعة والسبعون :

١٠ شوال ١٣٨٦هـ
١٩٦٧/١/٢٠

(عار على المسلم أن يعود إلى المعاصي بعد رمضان)

أحمدك اللهم على جميع آلائك ونعمك، ما علمت منها وما لم أعلم. أنت كما أثنيت على نفسك، لا أحصى ثناءً عليك، مصلياً ومسلماً على رسولك المصطفى وحبيبك المجتبى، وعلى آله وصحبه ذوي الوفا والاصطفا ، (**رب أعوذ بك من همزات الشياطين.وأعوذ بك رب أن يحضرون**) اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من سيئات اعمالي وشرور نفسي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه لا إله إلا أنت ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت (... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني.يفقهوا قولي**) .

★ ★ ★ ★

الحمد لله الدائم فلا يزول ، الحكيم في صنعه، جعل في تقلب الليل والنهار، وتعاقب الشهور والدهور، خلفة لمن أراد أن يذكر، أو أراد شكورا ، الحليم الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. إنه كان حليماً غفورا ، أشهد أن لا إله إلا اللهُ، جعل السعادة لمن تمسك بشرعه المتين ، وفتح أبواب رحمته لمن داوم على طاعته وعبادته، وحجب نور هدايته عمن انقاد لهواه وشهوته، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إمامُ المتقين.

اللهم صـــل وسلم وبارك عليـــه، وعلى آله وصحبه العامليـــن الموقنين .

أما بعدُ فقد قال جَلَّ وعلا ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) مَّا يلفظُ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق، ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونُفِخَ في الصور، ذلك يوم الوعيد (٢٠) وجاءت كل نفسٍ مَّعها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غِطاءَك فبَصَرُكَ اليوم حديد** ﴾ (٢٢) سورة (ق) صدق الله العظيم .

أيها المسلمون :

إن الله تعالى جلَّت حكمته، يَقرع بالحجة الواضحة قلوب الجاحدين ومنكري البعث والحشر، المتظاهرين بالطاعات، المرائين للناس في أيام معلومات معدودات، حتى إذا ما انقضت تلكم الأيام فترت همته ، وضعفت عزيمته. قال علماء الدين وعلماء الفقه واليقين: من علامات المرائي في طاعته، أنه يكون أمام الناس أكثر نشاطاً وأوسع همةً في العبادة، وإذا كان بعيداً عن الناس نسي ما كان يعمله من طاعات، وأخلد الى الراحة والشهوات . وأما المخلص لربه فإنه كلما كان بعيداً عن الناس، كان أقوى باعاً وأبعد همة، لأنه يعتقد أنه يعمل لله رب العالمين .

أيها المسلمون :

إسمعوا ماذا يقول لكم ربكم، وبأي شيء يخاطبكم، فهو يحذركم نفسه، ويُعلِمكم أنه خبير بظاهركم وباطنكم، يعلم ما أنتم عليه، لا يخفى عليه شيء من أمركم. يعلم سركم ونجواكم. يسمع حديثكم. إذ أنه يسمعُ دبيب النملة في الليلة الظَّلماء .

يقول لكم وهو سيد القائلين : يا عبادي ويا خلقي نحن خلقنا أباكم آدم وخلقناكم جميعا ، أوجدناكم من العدم، لتعرفونا وتعبدونا ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾[1] فكأنه يقول لك، فكر أيها الإنسان المغرور بنفسك، أين كنت قبل وجودك وخلقك يا ابن المائة سنة.؟ ويا ابن التسعين والثمانين إلى العشرين، فكر قبل عمرك هذا .؟ أين كنت .؟ ومن الذي أوجدك هل خلقت نفسك بنفسك.؟ فكر قبل خلقك وإيجادك أين كنت ؟؟؟ ولكنك والله لا تفكر ولا تعتبر .

قل لقومك يا محمد إنكم لا تسمعون، ولا تفكرون، ولا تبصرون ﴿ **إنك لا تسمع الموتى ولا تُسمع الصُّمَّ الدعاءَ إذا ولَّوْا مدبرين** (٨٠) **وما أنت بهادي العُمي عن ضلالتهم، إنْ تُسمعُ إلا من يؤمنُ بآياتنا فهم مسلمون** ﴾ (٨١) النمل .

أيها الناس :

إن الذي يسمع كلام الله، ويعمل به هو السلم حقاً، ثم يقول سبحانه أيها الإنسان خلقناك بقدرتنا، حال كوننا عالمين بما يختلج في سرك وضميرك، فمن هو أقرب إلى نفسك في معرفة حقيقتك.؟ نحن أقرب إلى ضميرك ودخيلة نفسك من حبل الوريد، الذي يتصل بقلبك وهو الوتين. نعم، نحن أقرب إليك أيها الإنسان الجاحدُ الحاقدُ على ربك ودينه من حبل وريدك، الذي يختلط بدمك، نعم نحن أعلم بأحوالك من نفسك التي بين جنبيك. أنا لا أحتاج إلى مَلَكٍ أو واسطة يخبرني عن تصرفاتك السيئة وأعمالك المُقرفة، ولكنني وكَّلْتُ بك مَلكيْن يتلقيان عنك ما يصدر منك من قول أو عمل، إلزاماً للحجة، فيما تحاول الجحود والنكران، إنك إذا

---

١ ـــ سورة الذاريات (٥٦) .

مِت وطُويت حياتك طُويت صحيفة أعمالك. وقيل لك يوم القيامة ﴿ **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** ﴾[1] إي وربي عَدَل والله معك، من جعلك حسيب نفسك[2] يقول ﷺ (إن مقعدك ملكيْكَ على ثَنِيَّتِك (أي على مقدم أسنانك) لسانك قلمهما وريقك مِدادُهما، أي حبرهما، وأنت تجري فيما لا يعنيك، فلا تستحي من الله ولا منهما) قال مجاهد رضي الله عنه في تفسيره ، يكتب على الإنسان كلُّ شيء حتى الأنينُ في مرضه[3] . أجل إن هذا الإنسان الغافلَ السادرَ في غيه، لواقع في متاهةٍ من الحياة، ولا يتكلم بشيء من خير أو شرٍ إلا كتب وسُطر عليه، والرقيب والعتيدُ حاضران، يرقبان ويسجلان على كل إنسان عملَه .

لئن كنتَ مني في العِيان مغيَّباً   فذكـــرك عندي في الفوآد عتيدُ

﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم (٦) الذي خلقك فسوَّاك فعدلك (٧) في أيِّ صورة ما شاء ركبك** ﴾ (٨) الانفطار .

تأكد أيها الإنسان أن الأقوال عليك مرقومةٌ مسطورة، والأفعال والأعمال عليك شاهدةُ غير منكورة .

ثم يذكرك ربك بالحجة الدامغة البالغة، ويقول لك تذكرْ يوم تجيئُك سكرة الموت بالصدق والحق، وذلك الأمرُ الذي كنت تهرب من ذكره خوفاً

---

١ ــ سورة الاسراء (١٤) .

٢ ــ انظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ١٠) .

هذا قول الحسن البصري وتمامه: عندما تلا: إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد قال: يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووُكل بك ملكان كريمان احدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت. أقلل أو أكثر، حتى إذا مت. طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول تعالى ﴿**وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾ ثم يقول: عَدَل والله فيك من جعلك حسيب نفسك.

٣ ــ ذكر ان الإمام أحمد كان يئن في مرضه ، فبلغه عن طاووس أنه قال : يكتب الملك كل شيء حتى الأنين ، فلم يئن أحمد حتى مات ، رضي الله عنه وارضاه . راجع تفسير بن كثير .

على حياتك، وطمعاً في ملذاتك، فقال سبحانه : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق، ذلك ما كنت منه تحيد**) . أي إذا جاءت شدة الموت وغمرت هذا الإنسان المتجبر، عندئذ يرى ذلك عِيانا فيصدقه ، فالإنسان مادام حيّاً تكتب عليه أقواله وأفعاله ليحاسب عليها، ثم يأتيه الموت من كل مكان فيصدِّق بوعد الله الحق، ووعيده الشديد ، والموت حق لا مفرَّ منه أبدا. وفي الصحيح عن عائشة أمِّ المؤمنين، أن رسول الله ﷺ حين مرضه الأخير، كانت بيديه (رِكوةٌ) أو عُلبةٌ فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسحُ بهما وجهَه ويقول (لا إله إلا الله إن للموت سكراتٍ)[1] وسكرة الموت يا أخي ما يغشى الإنسان من غيبوبة وذهول ، ولما احتُضِرَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أرسل إلى ابنته عائشة رضي الله عنها، فلما دخلت عليه : قالت :

لعمرُك ما يُغني الثَّراءُ ولا الغِنى ... إذا حَشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

فقال لها أبوها، هلاَّ قلتِ كما قال الله ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق، ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ وقال عيسى بن مريم عليهما السلام، (يا معشر الحواريين، أُدعوا الله أن يهوِّن عليكم سكرات الموت) وروى (أن الموت أشد من ضرب بالسيوف، ونشرٍ بالمناشير، وقرْضٍ بالمقاريض)[2] .

وما أحسن ما قيل :

نصيبُك مما تجمع الدهرَ كلَّه ... رِداء ان تُلوى فيهما وحَنُوطُ

وما قيل :

وللمنايا تُربِّي كلُّ مرضِعةٍ ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وقيل أيضاً :

أنظر لمن ملك الدنيا بأَرْبُعِها ... هل راح منها بغير القطن والكفنِ

---

١ ـــ متفق عليه .

٢ ـــ رواه ابو نعيم في الحلية عن واثلة بن الاسقع .

فماذا نقول بعد هذا أيها الناس، وبم نذكركم.؟ فمن ذَكر المنيَّةَ نسيَ الأمنيَّة، ومن أطال الأمل نسي العمل، ثم يذكرك ربك بالبعث الذي أنت في غفلة منه، ويقول: ﴿ **ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ، لقد كنت في غفلة من هذا، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾ إن إسرافيل عليه السلام، هو الموكَّل بنفخ البوق، وجبرائيل ينادي بالحشر، ويقول في صوت يسمعه الثقلان، ومن في السموات والأرض (أيتها العظامُ البالية والأوصال المتقطعة ويا أكفاناً ممزقة فانية ، ويا قلوباً خاوية ، ويا عيوناً سائلة قوموا لفصل القضاء، قوموا لعرض رب العالمين)[١] فإسرافيل ينفخ النفخة الأولى إيذاناً بزوال العالم وخرابه، وبعد أربعين عاماً يعلم الله مقدارها، ينفخ نفخة أخرى إيذاناً وإعلاماً بإحياء العالم وقيامه من مرقده للجزاء ، وهناك تحضر أمام الله كل نفس، سواءٌ أكانت مؤمنةً أو فاجرة، يسوقها ملك وشاهد يشهد عليها بعملها، ثم يقال لك، أيها الإنسان لقد رفعنا اليوم عنك غطاء الغفلة وحجاب النسيان، فبصرك اليوم قويٌّ نافذ يبصر الحقائق كلَّها .

أيها المسلمون :

يامن صمتم وقمتم بالأمس. إن كان شهر رمضان قد مضى وزال كأنه طيف خيال، فالله حيٌّ دائم بلا زوال ، فإذا عزمتم على اقتراف المعاصي والعودة إليها في شوالٍ وما بعده، فالله حيٌّ أبدى شديدُ العقاب، شديدُ المحال ، تالله لو تعلمون ما لرمضان من الخير والكرامة، لتمنيتم على الله أن تكون السنةُ كلُّها رمضان[٢]، ولما قلتم ذهب الحمل الثقيل .

---

١ ـــ رواه ابو نعيم انظر التذكرة للقرطبي مختصراً ص (٢٢٩) .

٢ ـــ مأخوذ من الحديث الصحيح لو تعلم أمتي ما رمضان لتمنت ان تكون السنة كلها رمضان .

أيها الناس :

ألم تعتبروا بمرور الأيام والليالي ، ولم لم تنزجروا بمرور الساعات والثواني، وهي مذكرة للإنسان الغافل، قائلةٌ في صراحة وعلانية (إن الحياة دقائق وثواني) .

أيها الشباب المغرورون بشبابكم ، لقد كنتم تدَّعون الإسلام وتدْعون إليه، في شهر الصيام تغدون إلى الصلاة والعبادات في بيُوت الله التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمُه، إنكم في هذه الأيام أطلقتم لإنفسكم العنان، وسنان اللسان في تجريح وأكلِ لحوم بني الإنسان، بلا خجلٍ ولا حياءٍ من المليك الديان. فكيف بك اليوم وأنت بعد رمضان وفي شوال .؟ أما آن لك أيها المسلم أن ترجع لصوابك ورشدك.؟ وماء البلاء والغلاء يجري من تحتك من حيث لا تدري ولا تعلم. أين هم الركع السُّجد الهجع الذين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون ؟؟ وفي آيات الله يتفكرون ويتدبرون ؟ رحم الله عبداً عرف ربه فأقبل على طاعته، وعمل للحياة الدائمة الباقيـــة ، رحم الله عبداً عرف مساوىء لسانه، فأمسك عن الفضل من كلامه . إلى متى أيها المسلم تلهو وتلعب تشرب وتطرب، وما في قبرك لسوء أعمالك إلاّ الحيةُ والعقرب .؟ انتبهوا أيها الناس من غفلتكم وسكرتكم قبل سكرات الموت، فقد ذهبت فلسطين كلُّها لليهود بالبيع والسمسرة ذراعاً ذراعـــا وشبراً شبرا، حتى جاءت الطامة الكبرى والنكبـــة العظمى، ولم نعتبـــر بمـــا وقع لنا فيما مضى. وإني لعلى يقين بأن ما تبقى من بلادكم سيذهب بالبيـــو ع والسمسرة وللصليبيين المستعمرين، الذين يسعون مـــن الخارج مـــرة أخرى. فيـــا لها من فواجـــع وكوارث تمر بنا ساعـــة تلو أخرى ، لكننا وأيمُ الحـــق لا نعتبـــر ولا تنفعنا عِظةٌ ولا ذكرى. إعمل ما شئت أيها الإنسان الغـــادي والرائح ، فالدنيا مزرعـــة للآخـــرة ،

الدنيا عمل ولا حساب، والآخرة حساب ولا عمل. أيها الناس خذوا من دنياكم لآخرتكم، وتزودوا لدار القرار، واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله، يوماً لا ينفع فيه مال ولا بنون، ولا هدية نعلٍ ولا رشوةُ فتيل، ارتقبوا يوماً يَعضُّ فيه الظالم على يديه، ندماً وتحسُّراً ﴿**ووضع الكتاب فترى المجرمين مُشفقينَ مما فيه ويقولون يا ويلتنا مالِ هذا الكتابِ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضراً، ولا يظلم ربك أحدا**﴾[1] الكهف.

قال ﷺ (يُبعث الناس حفاةً عُراةً غُرْلاً (غير مختونين كما خلقهم أول مرة) ألجمهم العَرَقُ وبلغ شحوم الآذان ، قيل يا رسول الله أينظرُ بعضُنا بعضا ؟؟ فقال عليه الصلاة والسلام (شُغل الناس لكل امرىءٍ منهم يومئذٍ شأْنٌ يغنيه)[2] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ألا إله إلا الله إليه المرجع والمآب، وأشهد أن محمداً رسول الله، دعانا إلى الخير والمتاب، وعلى آله وصحبه العاملين ليوم المآب .

وبعدُ، فيا أيها المسلمون اتقوا ربكم، وعودوا إلى سالف مجدكم، وأحسنوا العمل مع الله فيما كثر أو قل، فقد جاء عن نبيكم ﷺ (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل)[3] عودوا إلى تراثكم الخالد، ولا تهملوه، فإن الله سائلكم عما استرعاكم، حفظتموه أم ضيعتموه ؟ .

داوموا على طاعة ربكم، ولا تغتابوا أحداً من عباده، لا سيما وأنتم عاكفون في المساجد، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى

١ ــ سورة الكهف (٤٩) .
٢ ــ رواه الترمذي وقال حسن صحيح .
٣ ــ متفق عليه .

ولم يزل قائلاً عليما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أسرفنا أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت . ﴿ ... **ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾[1] .

اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك. اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت. إنك على كل شيء قدير ، اللهم اجمع على الحق والخير شمل الأمة العربية الإسلامية وسائر المسلمين، وألف بين قلوب القادة والحاكمين ، اللهم الهمهم ما يرضيك من صالح الأعمال يا أكرم الأكرمين، اللهم أصلح ذات بيننا، ونجنا من الظلمات إلى النور . ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك وهدايتك الحسين بن طلال. اللهم ألهمه رشده وسائر الحاكمين، وجنبهم مواطن الزلل رب العالمين .

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

---

١ ـــ سورة الحشر (١٠) .

عباد الله :

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظُكم لعلكم تذكرون) .

(... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الثامنة والسبعون :

٢٤ شوال ١٣٨٦هـ

١٩٦٧/٢/٣

(دعوة الناس إلى جمع الكلمة ولا يتحقق إلا بالرجوع إلى الدين)

أحمدك اللهم وأشكرك وأتوب إليك، واستغفرك من جميع ظلمي وجرمي، وما جنيت على نفسي، مصلياً ومسلماً على رسولك وحبيبك، صفوتك من خلقك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت ، اللهم الهمني رشدي، واغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ، رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً كبيرا، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ، اللهم إني أسألك من كل خير سألك منه سيدنا محمد، نبيك ورسولك، وأعوذ بك من كل شر استعاذك منه سيدنا محمد نبيك ورسولك، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت ﴿ ... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾ .

الحمد لله شرع الدين الحنيف هدايةً للمؤمنين وفق ما شاء، للتمسك به والتحلِّي بآدابه ، فضلاً من الله ونعمةً والله عليم حكيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله، كتب رحمته للمتقين العاملين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله، المبعوثُ رحمةً للعالمين، دعانا إلى التمسك بهذا الدين، وحذَّرنا من الانحراف عن طريقه الصحيح القويم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، والحافظين لحدود الله أجمعين .

أما بعدُ، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصيَّنا به إبراهيم وموسى وعيسى، أَن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبُر على المشركين ما تدعوهم إليه، اللهُ يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من يُنيب** ﴾ آية (١٣) الشورى .

أيها الناس :

إن الله جلَّت حكمته، شرع لكم وأبان لكم من الدين؛ دينَ نوحٍ ومحمدٍ ومَن بينهما من الرسل. وهذا هو الأصل الحقيقي المشترك بين جميع الأديان. أَنِ اجْعلوا هذا الدين قائماً نافذاً لا مهملاً ولا معطلا، وقد حذركم من الاختلاف فيه، لئلا تذهبوا فيه مذاهبَ شتى، لأنه واضح بيِّن، لا يحتمل الخلاف لسهولة مأخذه، وحلاوته .

إن هذا الدين يأمرنا بتوحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة والخضوعِ له، لأنه الحاكمُ العادل المطلق، يُعطي ويمنع، يضر وينفع، يعز ويذل، يُفرق ويجمع، ﴿ **ذلكمُ الله ربكم، لا إلهَ إلا هُوَ، خالقُ كلِّ شيء فاعبدوه، وهو على كل شيء وكيل** ﴾ الأنعام آية (١٠٢) .

فهذا الاعتقاد أيها الناس، يُخرج الناس من الظلمات إلى النور ، من ظلمات الجهل إلى فضاء نور الهدى ، فلا ينحطُّ هذا الإنسانُ إلى عبادة جماد لا يعقل، أو إنسانٍ متألهٍ متجبر، أو حيوانٍ أَعجمَ لا يعي ولا ينطق ، نعم لا يخضع ولا يذل، إلا لمن له غاية العظمة والكبرياء، ومزيد الإنعام .

ليس الإيمانُ تصوراتٍ تتخيلها العقول تجري عباراتُها على الألسُن، وإنما هو عقيدةٌ تملأ القلوبَ، لها آثارُها، ومِن آثارها ما نطق به القرآن الكريم ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون** ﴾ الحجرات آية (١٥) .

ومن آثار هذه العقيدة الراسخة الثابتة، النابعة عن يقين، عملٌ صالح عام، شاملٌ لأرجاء الدنيا كلِّها، وإصلاحٌ عام صادق بين المتنازعين والمتخاصمين، فقد ندَّد الدين بمُدبِّري هذه المشاحنات المُغرضة فقال ﷺ (ألا وإن فسادَ ذات البيْن هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين)[1] ؛ يعني أنه متى دبّ الخلاف والتنازع بين أمة من الأمم، ووقعت في صفوف أفرادها وجماعاتها التفرقة، كان هذا الخلافُ حالقا ومُزيلا للقُوى والإمكانيات، مبدداً للعمليات الحربية والاستعدادات، كما تَحلِقُ المُوسَى شعَرَ الإنسان وتُزيله .

أيها المسلمون :

من آثار هذا الدين، وما أَمر به الأنبياء والمرسلون، إطاعةُ الفرد لما تفرضه الجماعة وما يفرضه الحاكم، إذا لم يكن في ذلك معصيةٌ للخالق الأكبر والحاكمِ الأعظم ، نعم، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، مهما عظم شأنه الدنيوي، وتسامت مكانته ﴿ **أليس الله بأحكم الحاكمين** ﴾[2] ؟؟

ومن الأعمال الصالحة للحكام التي يأمر بها الدين توفيرُ الخير والطمأنينة للرعية بشتى الوسائل، والدأَبُ والسهرُ على مصالحها العامة المشتركة، وحمايتُها من الانزلاق في مهاوي الشرور ومفاسدِ الأخلاق ، وإن من واجب الرعية الإطاعة لله، ولرسوله، ولأولي الأمر منا، إذا كانوا لشريعتنا منفذين، وبكتاب الله عاملين ، وبسنة رسول الله مستمسكين .

---

١ ـــ مر تخريجه مراراً .

٢ ـــ سورة التين (٨) .

لقد شرع الله لنا ديناً يكفل مصالحنا الدينية والدنيوية، ويَقضي على الاستغلال والاحتكار والغلاء الفاحش ، أما كان للمسلمين في صدر الإسلام حِسبةٌ يقوم كل إنسان بعمله كاملاً غير منقوص.؟ أما كان عمر بن الخطاب الخليفةُ العادل ينزل السوق بنفسه ليطلع على حالة الباعة والمُبتاعين والمستغلين.؟ أما كان يمنع الحيوانات وأصحابها من تعطيل الناس في البيع والمعاملات.؟ أما كان يراقب الأسعار ويقضي على الغلاء.؟ أما حاسب المخالفين لحكم الإسلام.؟ أليس هو الذي نظم الدواوين وحدد لكل عامل عمله لئلا تشيع الفوضى ويضطربَ النظام .؟ أما دعا الدينُ الأشخاص المتنازعين والأطراف المتخالفين لِحُكمهِ وحكم نبيِّه، حينما يستحكم الخلاف ويشتد بينهم ؟ قال سبحانه وتعالى ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حَرَجاً مما قضيتَ ويسلموا تسليما** ﴾ آية ٦٥ النساء .

أقسم الله سبحانه بنفسه بأن مَن لا يرضخ ويخضع لحكم الله ورسوله، لا يعد مؤمناً، يجب عليه أن يقبل ويرضى دون حرج أو ضيق في نفسه، واسمع قولة ربك ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوْا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا** ﴾[١] .

أيها المتخاصمون : تعالوْا إلى كتاب الله وحكمه. تعالوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم، الا نعبد الا الله، ولا نشرك به شيئا ﴿ **افحكم الجاهلية يبغون** ،... ﴾[٢] ؟

نادى الرسول العظيم ﷺ على رؤوس الأشهاد، وقال (السلطان ظل الله تعالى في الأرض، يأوى إليه كلُّ مظلومٍ من عباده ، فإن عدل كان له

١ ــ سورة النساء (٦١) .

٢ ــ سورة المائدة (٥٠) .

الأجر، وكان على الرعية الشكر، وإن جار أو حَاف أو ظلم، كان عليه الوزر، وعلى الرعية الصبر)[1] وقال في صراحة (يومٌ من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة، وحدٌّ يقام في الأرض بحقه، أزكى من مطر أربعين صباحاً)[2] .

نادى ﷺ وقال (لا تُقدس أمة لا يُقضى فيها بالحق، ولا يأخذ الضعيف حقَّه من القَويِّ، غيرَ متعتع)[3] يعني أنه ينال حقه من غير أذىً ولا إزعاج. ونادى في عماله وولاته عند تسلمهم مهامّ أعمالهم، (من وَليَ أمةً من أمتي قلَّت أو كثرت، فلم يعدل فيهم، كبَّه الله على وجهه في النار)[4] وفي رواية فلم يحطها بنصحه لم يَرَحْ رائحة الجنة، أي لم يجدها، ثم نادى وقال حاثاً على التمسك بالله، دون سواه (من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، وكله الله إلى الناس)[5] .

أيها المسلمون :

لقد فُتن الناس اليوم بزخارفِ الحياة الدنيا، واتبعوا شهواتهم، وتحللوا من أصول دينهم الحنيف وفضائله وتشريعاته، واكتفوْا بتعاليمَ ومبادىء مُستوردةٍ غير مشروعة ولا مقبولة، ليس لها مع العقيدة الراسخة وزنٌ ولا حساب، روَّجها أعداء ديننا من طغاة الغرب والشرق، سوَّل لهم الشيطان

---

١ ــ رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي والحكيم والبزار عن ابن عمر واللفظ المذكور له .

٢ ــ رواه الطبراني والأوسط ورجاله ثقات وتعد نحوه من رواية النسائي وابن ماجة عن ابي هريرة .

٣ ــ رواه الطبراني ورجاله ثقات بزيادة لا يقدس حرمة (الله) .

٤ ــ رواه الطبراني في الأوسط عن معقل بن يسار .

٥ ــ رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها انظر مشكاة المصابيح (٥١٣٠) .

أن التمسك بالدين عار لا يليق بالرجل المتمدن ، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله. حسَّن لهم كل قبيح من المحرَّمات، فاستباحوه واعتبروه حريةً ومَدنيةً وإباحية فاجرة ، تركوا كتابَ ربهم وسنة نبيه ، انصرفوا عن العمل الصالح والخُلق الفاضل ، توالت عليهم النذُر فلم يتدبروا ، وتتابعت أمامهم العبر فلم يعتبروا، فحقت عليهم كلمة العذاب ، استسلموا للمستعمر والاستعمار بشتى صوره وأشكاله وأهدافه. من أجل هذا كله أُذيقوا لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. بهذا كله وأمثاله أيها الناس فقد أصبح الدين في واد والمسلمون في وادٍ آخر، وبينهما فجوةٌ بعيدة الغَوْر والمدى ، تالله لقد ألصقوا بدينكم ماليس منه ولا يُمتُّ له بصلة، أفتوْا فيه بما ليس فيه نصٌّ ولا دليل، حتى ظن المارقون والملحدون أن دين محمد لا يفرق بين الفضيلة والرذيلة، وقالوا عنه إنه دين إباحّي، ليس فيه نظامٌ ولا إقامةُ حقٍ أو عدالة .

وإني لأقولها صريحة مدوية، معتمداً على الله الملهم للحق والصواب، أن دولنا العربية كلها، أقول والعربُ كلُّهم أجمعون، يريدون أن يتشاغلوا عن قضية فلسطين العادلة بالقيل والقال، ليشغلوا الرأي العام بالتلاحي والتنازع والخصومات، وإذا كانت دولنا ودويلاتنا لا تريد حرباً مع اسرائيل، فمن باب أولى فإن المنظمات الأخرى لا تستطيع أن تدخل في حرب مع دويلة أو عصابة مزعومة، على رأي المعبرين عنها. وهي إسرائيل.

يا أيها الناس :

ها هي ذى إسرائيل تبني ونحن نهدم ، تعتدي وتصول وتهدد وتجول ونحن نقول ﴿ **كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾[1] .

---

١ ــ سورة الصف (٣) .

ها هي ذى تجمع صهاينتها وحثالاتِها في فلسطيننا ونحن نتفرق . هي تعمل بسكوت وصمت، ونحن نشرح ونفضح أسرار بعضنا في مجتمعاتنا. فلله الأمر من قبل ومن بعد ، ورحماك يا رب العالمين .

تأكدوا أيها الناس أن هذه الأحقاد والأضغان، وهذه المعاركَ الكلامية الطاحنة من وراء جُدر وحواجز وأقاليم، إنما هي سموم لا تتبخر في الهواء، ولا يغسلها الصابون والماء ، إنها تستقر في القلوب تُعشش فيها، ثم تبيض، ثم تفرخ، ثم يستعر الفساد شيئاً فشيئاً، يترتب على ذلك حروب داخلية دامية طاحنة، تأتي على الأخضر واليابس كما قيل :

طِعان الحرب توقفها السهـــام فـــإن الحـــرب أولها كـــلام

تأكدوا أيها المسلمون، أن الدين الحنيف الذي شرعه الله على لسان رسله، بريء من هذه الخلافات والخصومات، بل لا يقرها ولا يرضى بها. وليست هذه الخلافات والكلمات النابعة من تلكم الأفواه موجودةً في كتاب ولا سنة. قال تعالى ﴿...، **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾[1] وما ذلك والله إلا لانحرافنا وعدم استقامتنا وابتعادنا عن الصراط المستقيم ﴿**صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض، ألا إلى الله تصير الأمور**﴾ الشورى آية (٥٣).

ما هذا الفساد في أمة شعارها لا إله إلا الله محمدُ رسول الله، وأساسُ دينها القرآنُ ودستورها الإسلام.؟ أتظنون أنكم تَسعْدون وتنهضون وتنالون عزاً ورقيا بغير هذا الدين.؟ واسمعوا قول ربكم ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾[2] .

---

١ ـــ سورة النور (٦٣) .

٢ ـــ سورة آل عمران (٨٥) .

أتظنون يا قوم أن دينكم يؤخركم عن ركب الحضارة المزعوم ؟ كلا والله ثم كلا، فلا رقيَّ إلا بالدين ولا سعادةَ إلا بالدين، ولا عزة ولا كرامة ولا فلاح إلا بالدين، أقولها صراحة بلا تعصب ممقوت، ولا وطن ولا فلسطين ولا عودة إليها إلا بالدين، ولا خلاص لنا من مخاطر الشقاء وبراثن أعداء الدين والوطن إلا بالدين، فها هي ذى أخبار الأمم شاهدة قائمة، وعبرُ الماضي في أذهاننا حاضره .

قال ﷺ :

(إن شر الناس منزلةً عند الله يوم القيامة، من تركه الناس اتقاءَ فُحشه)[1] وفي رواية (مخافة شره) وقال ﷺ (أشد الناس عذاباً للناس في الدنيا، أشدُّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة)[2] أو كما قال : ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

الحمد لله الذي يستحق الحمد والشكر والثناء، وأشهد أن لا إله إلا الله خالق الأرض ورافعُ السماء. تفرد بالملك والسلطان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد، فيا أيها المسلمون : اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة. عودوا إلى دينكم. فإنكم مقلدون، ودين المقلد غير مقبول، هذا دين الدليل والبرهان والمحجة الواضحة، دين التفكير والمنطق الصحيح. راقبوا ربكم في أعمالكم ومعاملاتكم. واعلموا أنه تعالى صلى على رسوله الكريم تعظيماً له وتكريما، قال تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين أمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليما)** (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا

---

١ ــ متفق عليه عن عائشة .

٢ ــ رواه أحمد والبيهقي والحاكم بسند صحيح عن عياض بن غنم .

محمد النبي الأمي، كريم الآباء والأمهات، وعلى آله وصحبه وسلم وارض اللهم عن ساداتنا الخلفاء الراشدين، وسائر أصحاب رسول الله أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، اللهم يا أكرم مَن سئل، وأفضل من أجاب ، يا من وسعتَ كلَّ شيء رحمته وعلمُه، ويا من وسعت رحمته كلَّ شيء. نسألك اللهم أن تجمع بين أواصر القلوب المتباعدة والنفوس المتباغضة ، اللهم اجمع شمل المسلمين على خير ووئام، واجمع بين قلوب قادتهم وحكامهم ورؤسائهم، وردهم رداً جميلا إلى كتابك وسنة رسولك ، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك. اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وهيء لنا من أمرنا رشدا، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال وولي عهده. اللهم باعد بينه وبين الفتن الظاهرية والباطنية ، اللهم أيد بنصرك وتوفيقك من نصر هذا الدين، ونفَّذ احكامه وأقام صرحه واخذُل، من خذله ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله :

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون) .

(... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة التاسعة والسبعون :

١٥ ذي القعدة ١٣٨٦هـ
١٩٦٧/٢/٢٤

(لم شرع الله الحج لعباده)

أحمدك ربي حمداً يوافي نعمك، ويكافيء مزيدك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك أهل الثناء، والحمد مصلياً ومسلماً على حبيبك ورسولك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه القائمين بطاعته وعبادته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت، رب اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن. اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وشر لساني وسيئات أعمالي، ياذا الجلال والإكرام، يا أرحم الراحمين يا قوي أنت القوي، والضعيف أنا من للضعيف سواك يا قادر.؟ أنت القادر وأنا العاجز، من للعاجز سواك.؟ رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً كبيرا، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، (... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**) .

★ ★ ★ ★

الحمد لله أعجز وصفُه السنة الواصفين، وحمى بفضله وكرمه أنفس العارفين به، الخائفين من هول المطلع، ونكثِ العهود ، أوحى إلى إبراهيم خليله ﴿ ... **وطهرْ بيتيَ للطائفين والقائمين والركع السجود** ﴾[1] .

---

١ ــ سورة الحج (٢٦) .

جعل حُرمةَ حرمه ملجأً وملاذاً للخائفين، (أحمده) سبحانه وأشكره وأتوب إليه، وأستغفره، وأسأله العزة للمؤمنين ، أشهد أن لا إله غيرُه ولا معبودَ سواه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إمامُ العاملين، اللهم صل وسلم وبارك عليه. وعلى آله وصحبه أجمعين .

(أما بعد) فقد قال سبحانه وبقوله يهتدي المؤمنون ﴿ **إن الذين كفروا ويصُدون عن سبيل اللهِ والمسجدِ الحرام الذي جعلناه للناس سواءً العاكفُ فيه والبادِ، ومَن يُرِد فيه بإلحاد بظُلم نُذقه من عذاب أليم (٢٥) وإذْ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أنْ لا تشرِكْ بي شيئاً وطهرْ بيتيَ للطائفين والقائمين والركع السجود (٢٦) وأَذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** ﴾ (٢٧) الحج .

أيها المسلمون ، أيها الحجاج إلى بيت الله الحرام :

في هذه الآيات الكريمة يخاطب الحقُّ سبحانه وتعالى مشركي العرب، يومَ صدُّوا رسول الله ﷺ ومنعوه وأصحابه زيارة المسجد الحرام، عامَ الحُدَيْبية ، من أجل هذا قال سبحانه في حق هؤلاء المشركين ﴿ **إن الذين كفروا وصدوا** ﴾ (أي منعوا محمداً وصحبه عن زيارة المسجد الحرام، الذي جعلناه للناس مثابة وملاذاً ، ومكاناً للقُربات ومناسك الحج، يستوي في ذلك المقيمُ فيه الملازمُ له، والبادِ الذي يأتيه مسلماً من خارج البلاد، مهما اختلفت أقطار الإسلام. يوضح هذا قوله سبحانه ﴿ **سواءً العاكفُ فيه والباد** ﴾ هذا هو بلاغ الحق الإلهيِّ العام، الشامل لكل زمان ومكان ، يعنى ليس أهل مكةَ وحدَهم، أَحقَّ من الآفاقيين النازحين إليها من الخارج، وهذه المساواة حاصلة أيضاً في دور المسجد الحرام ومنازله ومرافقه. فليس المقيمُ فيها بأولى من الطارىء عليها. روي هذا عن مجاهد ومالك رواه عن ابن القاسم .

أيها المسلمون ، أيها الحجاج الوافدون :

هكذا كان الأمر في صدر الإسلام ، كانت دور مكة كلُّها بغير أبواب، أعني مفتَّحة الأبواب، ولما أغلق أحد أصحاب المنازل باب داره في زمن الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جاءه عمر بنفسه وقال له : أتُغْلِقُ باباً في وجه حاجٍّ بيت الله الحرام ؟؟ وروى أبو داود عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت (قلتُ يا رسول الله ألا أبني لك بمنىً بيتاً، أو بناءً يُظِلُّك من الشمس) ؟؟ فقال ﷺ (لا) إنما هو مُنَاخُ من سبق إليه[1] يعني أن من سبق مكاناً قبل أخيه وأناخ راحلته، أو وضع خيمته أو أناخ ركوبته فهو مكانُه ، ولذلك كله وتأكيداً للواقع فقد قال سبحانه ﴿ **ومن يُرِد فيه بإلحادٍ بظلمٍ نُذِقْه من عذاب أليم** ﴾ يعني أن من غيَّر حكم الله العادل، ولم يحكم بما أنزل الله، أو بدَّل فيه شيئاً، أو عطَّل مفهوم شرع الله الواضح، أو أراد إلحاداً في دين الله ظُلماً وعدواناً، فسيرى من الله عذاباً مؤلماً مفزعاً مُرِيباً ، ومن ابتدع شيئاً في دين الله ما ليس منه، فهو مائل ومنحرف عن جادة الصواب والسبيلِ المستقيم[2] .

ثم انتقل سبحانه إلى توجيه إلهي آخر لنبيه، وصفه قائلاً له ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكانَ البيت أن لا تشركْ بي شيئاً وطهِّرْ بيتيَ للطائفين والقائمين والركع السجود** ﴾[3] .

أي انظر يا محمد واذكر يوم انطمست معالم البيتَ الحرام، وغابت آثاره من الطوفان، الذي أصابه ، فأنزلنا خليلنا إبراهيم فيه ليقضيَ على الشرك والمشركين، ويعبدَ الله وحده دون سواه ، وقد أمره بعد ذلك أن

---

١ ــ أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وأبو داود واللفظ له .

٢ ــ قال مجاهد : قوله بظلم أي يعمل فيه عملاً سيئاً وهذا من خصوصية الحرم أنه يعاقب البادىء فيه والشر إذا كان عازماً عليه وإن لم يوقعه، وعن ابن مسعود قال : لو أن رجلاً بعدنٍ أبين أراد فيه بالحاد بظلم لأذاقه الله من العذاب الأليم . تفسير ابن كثير (٣/٢١٥) . وعن الضحاك بن مزاحم : إن الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو في بلد آخر لم يعملها ، فتكتب عليه وعن عبدالله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما بالحل والآخر بالحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله . الجامع لأحكام القرآن (١٤١/١٧) .

٣ ــ سورة الحج (٢٦) .

يطهره ويهيئه ويعطره للطائفين حوله، والمصلين فيه، والمديمين للصلاة، وهم الركعُ السجود، واذكر يوم استقبل ابراهيم المسلمين القادمين إليه من خارج مكة، وعُنيَ بهم دون تمييزٍ بين أحدٍ من العالمين، ثم قال سبحانه تكميلاً لهذا البيان العام ﴿ **وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتينَ من كل فج عميق** ﴾ .

واذكر يا محمد يوم تم بناء البيت من قبل ابراهيم وإسماعيل. فقد أمرناه بوحينا أَنْ ناد في الناس وأعلِمْهم بالحج، فقال يا رب إن صوتي لا يُسمع الناس جميعاً، فقلنا ناد يا إبراهيم وعلينا البلاغ، وصعد ابراهيم أبا قُبيْس منادياً قائلاً (أيها الناس : إن الله أمركم بحج هذا البيت ليثبكم به الجنة، ويجركم من عذاب النار، فحجوا حتى سَمِع صوت إبراهيم مَنْ في الأصلاب والظهور (لبْيك اللهم لبْيك)[1] وأنت يا حبيبنا محمداً ناد في الناس بالحج، فنادى فجاءه الناس مهطعين مسرعين من كل مكان. ومن كل جانب، ومن كل مكان بعيد، رجالاً مشاةً وركبانا على الدواب والإبل، حتى على أضعف دابة مهزولة مستطيعةٍ للسير .

أيها المسلمون، يا حجاج بيت الله الحرام :

الحج قاعدة هامة من قواعد ديننا الحنيف، وركن من أركانه ، ضرورة من ضروريات الحياة، شرعه الله لأمور سياسةٍ عالية، وآداب وحكم اجتماعية راقية ، ومعانٍ روحية دقيقة، لا يدركها إلا أربابُ العقولِ السلمية، والآراء السامية، والنظرِ البعيد، لأن الإنسان لو تأمل في هذه الحياةِ على جمالها وحلاوتها وسحِرها، لوجدها كسوق قائمٍ ربح فيها من ربح، وخسر فيها من خسر، ولوجد أن كل ما جمعه ويجمعه إنما هو

---

١ ـــ هذا مضمون ما جاء عن بن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف .

كادح فيه لغيره، لورثته، ليس له من ماله إلا ما قدمت يداه ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[1] .

أيها الناس :

الإنسان في هذه الحياة الفانية شَرِهٌ طماع، مقبل على الدنيا المخيفة إقبال الأسد الكاسر على الجيفة، إن هذا الإنسان المسكين يعمل في دنيا بعزيمة الأبطال المجاهدين، لكنه في دينه أعمى غيرُ بصير، لا يعرف الفرق بين كوعه وبوعه[2] ، يُشرِّق ويُغرب ، يتاجر ويربح ، يعادي ويصافي، يجازف ويخاطر، كلُّ ذلك وراء دنيا عاجلةٍ زائلة، ونهايةُ ذلك كبرٌ وشيخوخةٌ وأمراضٌ مُزْمنةٌ، وأوجاعٌ مُضنية، وحسرةٌ شديدة، وفقر مُدقع، وحزن طويل، ثم تُختم سلسلة همومه بالموت والفناء، تاركاً كلَّ ما وراءه لأهله وذويه، إن كان له أهل، أو لغيرهم إن كان وحيداً فريداً. لا ينال منهم على ذلك الكدِّ إلا صُراخَهم المصطنع، ودموعَهم الخادعة، وحزنَهم المؤقت، يفكر كلُّ وارث منهم بنصيبه وسهمه وحظه من المال. وما هي إلا أيامٌ قلائلُ حتى يصبح الفقير منهم غنياً، والعزَب متزوجاً، والفارغ ثرياً مليئاً، وذلك كله على حساب الفقير، ذلك الرجل الذي كان يبخل على نفسه وحق ربه باللقمة أو أقلَّ منها. كان إذا قيل له أدِّ زكاة مالك قال مهلاً مهلا ، أدِّ فرض ربك ودع عنك معاصي الله، قال كلُّ شاة معلقةٌ من كُراعها[3] ، أدِّ فريضة حجك، قال حتى يناديني هازئاً ساخرا له أمل بعيد، فكم من مؤملٍ أملاً لا يبلغه ، وجامعٍ مالاً لا يُنفقه .

---

١ ــ سورة الزلزلة (٧ ــ ٨) .

٢ ــ العظم الذي يلي ابهام الرجل يسمى الكوع، والعظم الذي يلي ابهام اليد يسمى البوع، والعظم الذي يلي الخنصر من اليد يسمى الكرسوع، والرسغ بينهما. ولذلك يقال: الغبي الذي لا يعرف كوعه من بوعه.

٣ ــ كراعها أي رجلها وهو مثل قالوا : كل شاة برجلها معلقة وأول من قال ذلك وكيع بن سلمة بن زهير بن اياد ، وكان قد ولي أمر البيت بعد جرهم ، فبنى صرحاً بأسفل مكة ، وجعل فيها أمة يقال لها حزورة ، وبه سميت الحزورة التي بمكة وجعل في الصرح سلماً ، وكان يزعم أنه يرقاه فيناجي به ربه ، وكان ينطق بكثير من الخير ، وكان علماء العرب يقولون انه من الصديقين ، فلما حضرته الوفاة جمع أولاده ، وقال لهم : اسمعوا وصيتي من رشد فاتبعوه ، ومن غوى فارفضوه ، وكل شاة برجلها معلقة . فأرسل مثلاً ومعناه : كل أحد يُجزى بعمله ، ولا تزر وازرة وزر أخرى . حياة الحيوان (٢/٢٤٨) .

يغَنى البخيل بجمع المال مدَّتـــه وللحـــوادث والأيـــام ما يزعُ
كدودة القزِّ ما تبنيه يهدمهـــــا وغيـــرها بالذي تبنيه ينتـــفع

وفي هذا المعنى يقول ﷺ (يتبع ابنَ آدم إلى قبره ثلاثة؛ مالُه واهله وعمله: أما ماله وأهله فيرجعان بعد دفنه، وأما عمله فيبقى معه في قبره)[1].

أيها الناس :

إن هذا الإنسان ليُسأَلُ في قبره عن ربه ودينه ونبيه، وفي موقف القيامة الشديد يُسأَلُ عن ماله وعلمه وعمره وجسده[2]، فيقال له في ماله ألم تعلم بأن الله تعالى أعطاك مالاً ليكون وسيلة إلى الآخرة، وسبيلاً إلى الجنة، فهل استعنت به على طاعة ربك ؟ هل زكيت مالك.؟ هل حججت وأنفقت ؟ هل عَلِمتَ أن في مالك حقاً معلوماً للسائل والمحروم ؟ هل وصلت به رحماً ، هل فرَّجت به كربةَ مُعْسر ؟ هل أكرمت به ضيفاً أو أغثت به ملهوفا ، ؟ هل ربيت به يتمياً أو أطعمت به محروما ؟ لقد استعنت بمالك على معاصي الله، وهيهات هيهات أن يجيب عما سئل. إذ ليس لديه حُجة أو دفاع عندما يرى كتابه بنفسه ويقرؤه ، وحينئذ يُسحب على وجهه في النار ويُدعُّ إلى جهنم دعًّا ويقال له ﴿ **ويلٌ لكل هُمزَةٍ لمزة (١) الذي جمع مالاً وعدده (٣) يحسب أن ماله أخلده (٣) كلا لينبذن في الحطمة (٤) وما أدراك ما الحطمة (٥) نار الله الموقدة (٦)** ﴾[3] .

أيها المسلمون :

تأكدوا أَنَّ في الحج من المنفعة الروحية، واللذة الشخصية، ما يُنسي المال وحلاوتَه، والغنى وفخامته ، يَخرجُ الإنسان من بيته وقد بذل ماله

---

١ ـــ متفق عليه عن أنس ولكنه بالمعنى ولفظه : يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان، ويبقى معه واحد. يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله .

٢ ـــ وهذا مأخوذ من الحديث المشهور الصحيح. لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه.

٣ ـــ سورة الهمزة .

وروحه وراحته، وفارق أهله ومنزله ووطنه، قاصداً حج بيت الله الحرام. يدفعه الشوق إلى عرفات ، ويجذبه الغرام إلى مِنىً، لتكتحل عيناه بمكة وآثارها ، والمدينة وأنوارِها، حيث هنالك الرَّوْح والريحان والأجر والغفران ، والرحمة والرضوان ، حيث تشتفى القلوب، وتهنأ الأرواح، ويستجاب الدعاء. وكيف لا تهنأ أرواحٌ سعدت بمشاهدة الديار المقدسة .؟! وكيف لا يُستجاب دعاءُ قوم امتزجت أنفاسهم بأنفاس الملائكة المقربين.؟! اللهم إن هذا موقف له خطره وشأنه عند الله. وكيف لا وقد توافد إليه عباده المخلصون من كل فج عميق.؟! يرجون رحمته، ويخشون عذابه، ورحمةُ الله قريب من المحسنين ، ترى الناس في ذلك اليوم وقد تجمَّعوا في مكان لا يتجاوز بضعةَ أمتار، ناسين كلَّ ما وراءهم من أهل ومال وولد وجاه، متناسين كل مظهر من مظاهر الحياة، تاركين ما وراءهم من مفاخرَ ورُتَبٍ وألقاب وسلطان. وهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأوطانهم يُنسبون إلى دين واحد. يقفون في مكان واحد، بزيٍّ واحد، هاتفين بدعاء واحد، لرب واحد (لبيْك اللهم لبيْك، لا شريك لك لبيْك، إن الحمد والنعمة لك والمُلكَ، لا شريك لك) .

إنهم لا ينصرفون من موقفهم إلا وقد صُبَّت عليهم سحائب الرحمة والرضوان، ووابلُ النعمة والغفران، ياله من موقف يفيض بالروعة والجلال، وينطق بعظمة الإسلام وعزة المسلمين، لو كانوا يعملون لو كانوا يعقلون، ألا وإن في هذا الموقف رمزاً لوحدتهم، وتذكيراً بعزتهم، وإثارةً لحميتهم، إنه ليهتف بهم عالياً (أن وحدوا صفوفكم وأهدافكم وغاياتكم، ولُمُّوا شَعَثكم، واجمعوا كلمتكم، فأنتم الآن في مشرِق شمس الإسلام، وفي مهبط وحي القرآن، ومسقط رأسِ محمد، سيد ولد عدنان، ها أنتم أولاء عند بيت أبيكم إبراهيم ﴿... **واتخِذوا من مقام إبراهيم مُصلًّى**،...﴾[1]

---

١ ــ سورة البقرة (١٢٥) .

إذاً لكان للإسلام شأن غير هذا، وللمسلمين حالٌ غيرُ هذا الحال، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال رسول الله ﷺ (إن الله يباهي بأهل عرفات أهلَ السماء، فيقول (انظُروا إلى عبادي جاءوني شُعْثاً غبرا)[1] وقال عليه الصلاة والسلام (من مَلكَ زاداً وراحلةً تبلِّغهُ إلى بيت الله، ولم يحجَّ فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانيا)[2] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

* * * *

الحمد لله المنعم على عباده بنعم لا تحصى، وآلاءَلا تستقصى، أشهد أن لا إله الا الله ذو الفضل والكرم، وأشهد أن محمداً رسولُ الله كريمُ المزايا والشيم، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيها المسلمون :

كثير من الناس من يخرج للحج رياء وسمعته مراتٍ عديدةً، غير الفريضة، قاصداً تبذير ماله وحرمان ورثته، تاركاً أبناءه وراءه، حارماً إياهم من تحصيل العلوم والمعارف والمعاهد. ومنهم من يخرج مباهاةً ومضاهاة للغير، فالاعمال بالنيات، فلا طاعة إلا بنية، ولا حج إلاّ بنية، ولا عمل إلا بنية، ومن كان قاصداً عملاً غير صالح، فلا يناله من سفره الا المشقةُ والتعب، وإضاعة الأموال .

فاتقوا الله، وتفقهوا في دينكم، وتعلموا مناسك الحج قبل سفركم، والله معكم ولن يتركم أعمالهم. واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى ولم يزلِ قائلاً عليما (إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد،

---

١ ــ أخرجه أحمد وابن حبان عن أبي هريرة بسند صحيح .

٢ ــ تقدم تخريجه .

النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين .

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، واكتب لنا الحج والعودة إلى بيت الله الحرام مراتٍ ومرات، ومتعنا بزيارة رسولك المصطفى يا رب العالمين مراتٍ أخرى، إنك على كل شيءٍ قدير. اللهم انصر الإسلام والمسلمين واجمع بين كلمة الموحدين والقادة والحاكمين. اللهم وحِّد صفوف الأمة العربية الإسلامية وسائر المسلمين، يا أكرم الأكرمين. اللهم وفق الحاكمين للعمل بكتابك وسنة نبيك يا أحكم الحاكمين، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك الحسين بن طلال، وفقه الله لصالح الأعمال. اللهم باعد بينه وبين أعداء دينك يا أرحم الراحمين، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله : (**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون**) .

(**... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الثمانون :

٦ ذي الحجة ١٣٨٦هـ

١٩٦٧/٣/١٧

(فضائل عشر ذي الحجة ويوم عرفة)

أحمدك اللهم وأشكرك وأتوب إليك، وأستغفرك مصلياً ومسلماً على رسولك المصطفى، وعلى آله واصحابه السادة الأخيار ، اللهم إني استعينك ونستغفرك ونستهديك ، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت ، اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن. اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وشر لساني ، اللهم اغفر لي جهلي وإسرافي وعمدي وخطئي، وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله الا أنت ، رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك انت الغفور الرحيم ، لا إله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، اللهم ربي لا اشرك به شيئاً ، ﴿... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي** ﴾ .

* * * *

الحمد لله، شرع لعباده من العبادة مافيه صلاح دينهم ودنياهم ، ووعدهم بالثواب على ما يعملون ، إنه حكيم عليم ، أشهد أن لا إله الا الله انفرد بالألوهية المطلقة. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، دعا الناس إلى التعبد في ايام معلومات، فيها آيات بينات .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله الصادقين العابدين، سلكوا سبيل المخلصين، فكانوا السادة والقادة الأولين .

أما (بعد) فقد قال سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين ﴿**والفجر (١) وليالٍ عشر (٢) والشفع والوتر (٣) والليل إذا يسر (٤) هل في ذلك قسم لذي حجر** ﴾ (٥) ؟[١]

أيها المسلمون :

في هذه الآيات البيِّنة يقسم المولى جل وعلا لعباده بفَلق الصبح، وتنفسه وظهوره، وبالليالي العشر من ذي الحجة، أو من شهر رمضان وبالأشياء كلِّها من شفعها ووترها من زوجها وفردها، لقوله تعالى ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين ...** ﴾[٢] والخالق واحد أحد، فرد صمد، يقسم سبحانه بالليالي وسرعةِ ذهابها وتعاقبها :

يَسر المرءَ ما ذهب الليالي   وكان ذهابهن له ذهابا

يقسم سبحانه بالليالي العشر من ذي الحجة، لعظم شأنها، ومزيد فضلها، أو بفجر يوم النحر، وما فيه من الفضائل، فالمُقسمُ عليه أي المحلوفُ عليه في هذه الآيات، لنعذبن الكافرين والمنافقين ولنهلكنَّ الظالمين : وأما جواب القسم فقوله تعالى مما سيأتي من الآيات المرعبات ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعادٍ (٦) إرَمَ ذات العِماد (٧) التي لم يخلق مثلها في البلاد (٨) وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (٩) وفرعونَ ذي الأوتاد (١٠) الذين طغَوا في البلاد (١١) فأكثروا فيها الفساد (١٢) فصبَّ عليهم ربُّك سَوْط عذاب (١٣) إن ربك لبالمرصاد (١٤)** ﴾[٣] .

---

١ ــ سورة الفجر .

٢ ــ سورة الذاريات (٤٩) .

٣ ــ سورة الفجر .

أيها المسلمون في زماننا هذا :

نعم إن الله يقسم لعباده، وله الحقَّ أن يحلف ويقسمَ بما شاء، بالفجر وغيره من مخلوقاته، لشدة نكران هذا الإنسان، الذي يتقلب في نعم الله آناءَ الليل وأطراف النهار. وليته يشكر ربه ويرضى، فكأنه سبحانه يقول لعباده وفجرِ يومِ عرفة ويوم النحر، وحق مافي الوجود كلِّه، وحق الليالي العشر من ذي الحجة وما فيها من أجر وغنيمة وثواب، وحق سَيرِكم أيها الحجاج ليلاً من عرفات، وحق نفركم وملائكةُ الرحمن تحيط بكم من كل جانب، وحقِ وقوفكم في المشعرِ الحرام، وعزتي وجلالي يا بني آدم، يا من خلقتكم من العدم، أني أنا الله الواحد القهار ، هل في ذلك كلِّه ما يحتاج إلى بيان أو برهان .

وكيف يصح في الأذهان شيء   إذا احتـــاج النهار إلى دليـــــلِ

وهذا معنى قوله تعالى ﴿ **هل في ذلك قسم لذي حِجر** ﴾ ؟ أي هل لعاقل ذي رأي ثاقب، أن يطلب قسماً ويميناً، على قدرة الخالق الأكبر ؟ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ؟

إذا كنتم عاجزين عن معرفة نفوسكم وكنه وجودكم ، عاجزين عن البداية والنهاية، محتاجين لربكم في كل طرفة عين وغاية، محتاجين للصحة والعافية والطعام والشراب واللباس ، محتاجين لليلٍ تسكنون فيه وتستريحون، ونهارٍ به تستضيئون وتسرحون وتمرحون، وكلُّ ذلك واقع تحت الحس والمشاهدة، وهو سبحانه وحده الذي يقول ﴿ **قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة مَنْ إلهٌ غيرُ الله يأتيكم بضياء، أفلا تسمعون** (٧١) **قل أريتم** (يعني أخبروني يا قوم) **إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة مَنْ إلهٌ غيرُ الله يأتيكم بليلٍ تسكنون فيه، أفلا تبصرون** ﴾ (٧٢) القصص .

إذا كنت أيها الإنسان المغرورُ بحولك وطوْلك. المغرورُ حقاً بآمالك ودنياك، تنكر وجودي وإيجادي لك، وإنعامي عليك، وأنا معك أسمعك وأراك من حيث لا تراني، وملائكتي من حولك يُحصون عليك أنفاسك وحركاتِك وسكناتك ﴿ **إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد** (١٧) **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ (١٨) ق .

أيها المسلمون : أيها الحجيج :

تذكرنا الأيام العشرة من ذي الحجة بلياليها العشر، والأسى يبعث الأسى والذكرى تبعث الذكرى، أقول تذكرنا بعهد أسلافنا وماضي أمجادنا الأولين، نعم، بماضيهم المشرق الزاهر، وبحاضرنا المقلق القاهر، يذكرنا هذا العرضُ القرآنيُّ الإلهيُّ من سورة الفجر بمواقف سيدنا محمدٍ عليه الصلاة والسلام، وأصحابه الكرام من هذا الدين، يوم تألب عليهم أعداء الدين وأنصار البغي والطغيان ﴿ ...، **اليومَ يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوْهم واخشوْنِ، اليومَ أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ،... ﴾[1] .

يا لها من آية حددت موقف محمد وأصحابه، يا لها من آية قررت الفصل بين الكفر والإيمان. كانت للمسلمين عيدا حيث نزلت على رسول الإنسانية في يوم جمعة، وكان ذلك يومَ عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة النبوية . ورسول الله ﷺ واقف بعرفة على ناقته العضباء، فلما قرأها رسول الله ﷺ بكى أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب فقال له الرسول ما يبكيك يا عمر ؟ فقال عمر أبكاني أننا كنا في زيادة من ديننا، وما كُمل شيء إلا نقص، فقال رسول الله ﷺ صدقت يا عمر .

---

١ ــ سورة المائدة (٣) .

أيها المسلمون :

هذه أيام البر والطاعات والقربات، تمر بكم سراعا، وأنتم عنها غافلون . وقريباً يفدُ إليكم عيد الأضحى يذكركم بالتضحية والفداء. يذكركم بما وقع لسيدنا إبراهيم الخليل مع ولده الذبيح إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وما جاء في ذلك من امتثال اوامر الله تعالى، وما كان وتمثَّل من طاعة الأبناء للأباء، فمعالي الأمور والأوطانُ المستباحة لن تُنالَ إلا بالتضحيات الجسام .

وإذا كانــت النفــوس كبــارا تعبــت في مرادهــا الأجسام

فالضحايا التي تهرق دماؤها هنا وهناك أيامَ الحج، لم تكن إلا رمزاً وإرهاصاً للتضحيات ، كلٌّ هذا وذاك ليكون المسلم الصادق طاقةً متفجرة، وحركة دائبة فعَّالةً نابعةً من صميم إيمانه ، قادراً على الصمود أمام المخاطر والصعاب والمكاره، صُلْباً في دينه وعقيدته ووطنيته، لا تقلقه المُزعجات ولا ترهبه المقاتلات ، جريئاً في تضحيته ، هذه أيها الناس هي الدروس العملية التي نتلقاها من الحج والحجيج، لا ليطلق علينا لقب الحاج، ونحن ما عرفنا سر المناسك والمشاعر والشعائر، وهيهات هيهات بين حاجٍ واعٍ لهذه الذكريات والعبر، وبين من يتجشم ويتكبد مشاقَّ السَّفر بلا وطر، قال عليه الصلاة والسلام (إذا كان يوم النحر وقرَّب العبد ضحيته وقربانه، فأول قطرةٍ قطرت من قربانه وضحيته تكون كفارةً لذنبه)[1] ويقول ﷺ (مامن أيام العملُ الصالحُ فيهن أحبُّ إلى الله من هذه الأيام العشر)[2] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

١ ــ تقدم تخريجه .

٢ ــ تقدم تخريجه .

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه، ومن تمسك بشريعته إلى يوم الدين .

عباد الله :

اتقوا ربكم ولا تباعدوا عن دينه، واسمعوا وأطيعوا وصوموا يوم عرفة[1] لما فيه من الأجر الأكبر، وكبروا الله في أيام العيد، وصلوا ارحامكم وأحسنوا كما أحسن الله إليكم، لتنالوا منه الفضل المزيد الأوفر، اتقوا الله وسلوه إصلاحاً وتنظيما، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، قال تعالى ولم يزل قائلاً عليما (**إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الرؤف الرحيم، ذي الخلق العظيم، وعلى آله وصحبه عدد كل حادث وقديم .

وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين والأئمة المجتهدين والعلماء العاملين .

اللهم إنا نسألك في هذه الأيام العشر والدعاءُ فيها مجرَّب مستجاب، أن ترفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا وسوء أعمالنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، اللهم إنا نسألك وحجاج بيتك في ضيافتك وكنفك ورعايتك ، أن تحفظ هذه الأمة من التفكك والانحلال، والضعف والذلة والهوان يا أكرم الأكرمين .

اللهم اجعل مخافتك وخشيتك وهيبتك ورهبتك في قلوب حكامنا وقادتنا، حتى يعرفوك حق المعرفة، وينقادوا لأحكامك ويعملوا بكتابك وسنة رسولك، يا أرحم الراحمين .

---

١ — روى مسلم : سئل رسول الله عن صوم يوم عرفة ، قال يكفّر السنة الماضية والباقية .
وبلفظ الترمذي : صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده والسنة التي قبله .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك مليك بلدنا الحسين بن طلال ، اللهم باعد بيننا وبين الفتن الظاهرة والباطنة ، واجعل هذا البلد أمناً مطمئناً سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله :

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون) .

(... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الحادية والثمانون :

٢٠ ذي الحجة ١٣٨٦هـ

١٩٦٧/٣/٣١

(تحريم لبس الحرير والتختم بالذهب)

أحمدك اللهم على كل حال، مصلياً ومسلماً على النبي الامي والصحب والآل، تائباً من ذنوبي كلها، وإسرافي في أمري ، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي ولا إلى فهمي وعلمي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، لا إله إلا أنت، اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، ومن شر السامة والهامة، اللهم لا سهل إلا ما جعلته لي سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، (**... رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**).

★ ★ ★ ★

الحمد لله، نهانا عن التشبه بالمشركين والملحدين والضالين، أشهد أن لا إله إلا هو، يقلِّبُ الليل والنهار سبحانه، أذلّ من اغتر بحوله وقواه، ولم يتمسك بشرعه وهداه، وأعزَّ من اعترف بذنبه، ولجأ إلى مولاه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، وأشهد أن محمداً رسولُ الله إمامُ البريَّة، وصاحب

الأخلاق المرضية، راودته الجبال الذهبيةُ عن نفسه فاستعصم ، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، لباسُهم التقوى والرضا من الله، لهم بكرةً وعشيا .

(أما بعد) فقد قال سبحانه ﴿ **ولولا أن يكونَ الناسُ أمةً واحدةً لجعلنا لمن يكفرُ بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فِضَّةٍ ومعارجَ عليها يظهرون (٣٣) ولبيوتهم أبواباً وسُرُراً عليها يتكئون (٣٤) وزُخرفاً، وإنْ كلُّ ذلك لمَّا متاعُ الحياة الدنيا، والآخرةُ عند ربك للمتقين (٣٥)** ﴾ الزخرف .

أيها المسلمون :

إن ربكم القادرُ على كل شيء، يقول في آياته : يا عبادي لولا خوفي عليكم من البُعدِ والإعراض عن دينكم، والإقبالِ على الدنيا الزائلة. ولولا أن تكونوا جميعاً ملةً واحدة في الكفر والزيغ والإلحاد وعبادة الأوثان ، لأعطيت الكافرين في دنياهم أكثر مما هم عليه ، أتدرون لماذا يا مسلمون ؟؟ لخسة الدنيا وهوانها على الله ؟ نعم، لولا ذلك، لجعلنا بيوت الكفرة والفجرة والمنافقين وأبوابها وأدراجها التي عليها يصعدون من ذهب وفضة ، ليزدادوا طغياناً إلى طغيانهم ، وفساداً إلى فسادهم وإفسادهم ، أجل لولا الخوف على فساد دينك يا مسلم، واعتراضُك على ربك، لشاهد الناس أجمعون دور المشركين والظالمين المستكبرين قائمة ومصوغةً من ذهب وفضة، لها بريقٌ ولمعانٌ في الأرض، يراه الغادي والرائحُ من كل مكان ، أجل لرأيتموها مذهَّبةً مزخرفةً مؤثثةً بالحرير ، فيها سرر متقابلة يستريحون وينعمون عليها، ولكن ثقوا يا عبادي أن كلَّ مافي هذا الوجودِ مؤقتٌ، لا بقاءَ له ولا وجود ، ولذلك قال سبحانه ﴿...، **وإنْ كلُّ ذلك لمَّا متاعُ الحياة الدنيا، والآخرة عند ربك للمتقين** ﴾ .

أيها المسلم :

لا يُحسَدُ الكافر والملحد والظالمُ على وفرة أمواله، وكثرة بنيه ومتاعه، فقد تكون نقمةً ووبالاً عليه ، وفي الحديث (إذا رأيتم الرجل مقيماً على معاصي الله، وقد أمدَّه الله بالمال والبنين، فاعلموا أن ذلك له من الله استدراج)[1] ﴿ **والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (١٨٢) وأُملي لهم، إن كيدي متين** ﴾ (١٨٣) الأعراف .

تأكدوا أيها الناس : أَنَّ كلَّ مافي هذا الكونِ، إنْ هو إلا بهرجٌ زائل حقير، يتمتع به الإنسان مؤقتاً ، ثم يتركه ويزول، وتُطوى صفحة حياته ، وهو إما أن يصير إلى روضةٍ من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار[2] .

أيها المسلمون في هذا الزمان :

إن كل أمة لجأت في شؤون حياتها إلى الإسراف والبذخ والتبذير، عكست محور حياتها ، وأخلَّت بقسطاس اقتصادياتها، بسبب إمعانها في شهواتها وترفها وملذاتها. يؤكد هذا قوله جل وعلا ﴿ **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال (٤١) في سَموم وحميم (٤٢) وظِلٍّ من يحموم (٤٣) لا باردٍ ولا كريمٍ (٤٤) إنهم كانوا قبل ذلك مترفين** ﴾ (٤٥) الواقعة .

يعني أن العذاب لا ينصب في الغالب إلا على رؤوس المخالفين لأوامر الله تعالى، مهما امتدَّ بهم الزمن، فهم يقعون في حر نار متناهٍ في الحرارة، بالغٍ أعلى درجةٍ في الخطورة ، ولهم ظِلٌّ من دخان أسودَ فاحمٍ ، لا بارد كسائر الظِلال، ولا كريم ليِّنٍ يُنتفع به : أتدري يا رسولي محمداً ما شأن

---

١ ــ الحديث رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن ولفظه : اذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته، فاعلموا أن ذلك استدراج .

٢ ــ جاء في التذكرة للقرطبي : قال رسول الله ﷺ : إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار . وقال ابو عيسى الترمذي حديث غريب (١٠٨) .

هؤلاء وأعمالُهم التي ارتكبوها في دنياهم ؟؟ إنهم كانوا مترفين مُنعَمين، وعن الجهاد وحوزة الدين غافلين ، وبالآخرة غيرُ مكترثين ولا مبالين .

أيها المسلمون :

لقد سمعتم وعلمتم ووعيتم، أن عذاب الله ينصب على المفرِّطين في دينهم ، المتهاونين في أوامر ربهم ، لانغماسهم في المعاصي والموبقات والترَّهات (أي الأباطيل)، وبسبب ولوعهم في أواني الفسوق والمحرمات ﴿ **ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق** ... ﴾[1] الحديد. ففي الحديث القدسي (لولا أن يحزنَ عبديَ المؤمنُ لكلَّلت رأسَ عبديَ الكافرِ بالإكليل، ولا يتصدع (أي لا يشكو من صداع) ولا ينبضُ منه عِرقٌ بوجع)[2] . تالله أيها المخدوعون في دنيا الغرور والزخارف، لو تعلمون ما سيلاقيه الكافرون والمشركون من عذاب مؤلم، لما حسدتم منهم أحدا ﴿ ...، **فستعلمون كيف نذير . ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير** ﴾[3] المُلك .

أيها المسلمون :

ما بالكم تعاميتم عن طريق الحق والهداية، إذا نصحناكم ضاقت بالنصح صدوركم. وتباعدتم ، وإذا تركناكم فسقتم، وخرجتم عن أوامر ربكم ، لقد تنكرتم والله لشريعتكم ، ظننتم أن لكم أعذاراً عند ربكم ، تمسكتم بالمدنية الباطلة، والحضارة العمياء ، تفننتم في ضروب الكذب والاحتيال والفسوق

---

١ ــ سورة الحديد (١٦) .

٢ ــ هذا جاء عن كعب الأحبار قال : إني لأجد في بعض كتب الله المنزلة ، لولا أن يحزن عبدي المؤمن لكللت رأس عبدي الكافر بالاكليل ، ولا يتصدع ولا ينبض منه عرق . انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦/٨٨) . وفي هذا المعنى يقول رسول الله كما رواه سهل بن سعد لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء . رواه الترمذي وفي نفس الباب عنده عن ابي هريرة ، قال قال رسول الله ﷺ : الدنيا سجن المؤمن وجنةُ الكافر وفي هذا المعنى أنشدوا :

فلو كانت الدنيا جزاءً لمحسنٍ ... إذاً لم يكن فيها معاشٌ لظالم
لقد جاع فيها الأنبياءُ كرامةً ... وقد شبعت فيها بطون البهائم

٣ ــ سورة المُلك (١٧و١٨) .

والعصيان ، تمسكتم بعاداتٍ، ما أنزل الله بها من سلطان ، وهي للكفر والضلال أقرب منها للإيمان .

أيها الشباب، أيها الرجال الطاعنون في السن :

هل كان أصحاب محمد مخنثين متشبهين بالنساء..؟!! إنهم كانوا قادةً وسادة وجهابذةً وابطالا ، فتحوا المدن والحصون، لباسهم التقوى والصلاح ، أما نحن فمن سوء تصرفاتنا وأعمالنا، أصبحنا لاجئين ، ولسنا بالضربات المتوالية القاسية بمعتبرين .

مالنا لا نسمع إلا فاحشاً ، ولا نذوق إلاّ مُرًّا ، حُرُمات للدين منتهكه ، وكرامة مُهدَرة ، وألسنة بلاذع الأقوال منطلقة ، آذانٌ إلى الشر صاغية، وعن سماع الحق والخير لاهية ، وعن كتاب الله منصرفة، تضيق من محاسن الدين، تفزع من دقائق معدودةٍ تُلقى من واعظٍ أو خطيب ، لكنكم في أماكن اللهو تجلسون ساعاتٍ ولا تسأمون، ولا تضجرون وصدق الله العظيم ﴿ **فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون** ﴾ (٣٨) فصلت ، وصدق الله العظيم ﴿ **وله مَن في السموات والأرض، ومَن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يَستحْسِرون** ﴾ (١٩) الأنبياء .

أيها الناس :

أرى عاداتٍ مناهضةً ومعاديةً للدين تفشّت فيما بينكم. فريق كبير منكم تختم بالذهب، لا فرقَ بين شاب وطاعنٍ في السن، تضعون الذهب في أيديكم، والنبي ﷺ قال للمتختم بالذهب (إنزعه، فإنه جمرة نار يوم القيامة)[١] إن الذهب بسائر أنواعه حلال على النساء، حرام على الرجال.

---

١ — عن عبدالله بن عباس أن رسول الله رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه، فطرحه، فقال : يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله، خذ خاتمك انتفع به ، قال لا والله لا آخذه ابداً، وقد طرحه رسول الله ﷺ رواه مسلم .

فقد نص العلماء والفقهاء على أن لباس الحرير، واستعمال أواني الذهب والفضة، والتختم بالذهب حرام. وإذا تزينت المرأة بالذهب والحرير لغير زوجها، فهو عليها حرام .

عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال (أمرنا رسول الله بسبع ونهانا عن سبع، مما نهانا عنه خواتيمُ الذهب)[1] وقال ﷺ (لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافها، فإنهم لهم في الدنيا (أي للكافرين)[2] ولكم في الآخرة ، والذي يأكل أو يشرب منها، إنما يُجرجرُ في بطنه ناراً من جهنم، أو نار جهنم)[3] أو كما قال، ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

الحمد لله أنعم فأفضل، ونشكره على ما أجزل، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

عباد الله :

إقرءوا إن شئتم، قول ربكم ﴿ **أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تُحبرون** (٧٠) **يُطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلَذُّ الأعين، وأنتم فيها خالدون** ﴾ (٧١) الزُّخرف .

---

١ ــ رواه مسلم عن علي، نهى رسول الله عن لبس القسيّ والمعصفر، وعن تختم الذهب، وعن قراءة القرآن في الركوع .

٢ ــ رواه البخاري عن حذيفة : لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تلبسوا الحرير والديباج، فإنها لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة .

٣ ــ رواه البخاري ولفظه : الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم. ورواية مسلم : ان الذي يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة، إنما يجرجر في بطنه نار جهنم .

اتقوا ربكم عباد الله، وتقربوا إليه بما يرضيه، وتباعدوا عن حدوده، يغفر لكم ويُثبتكم، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه قديما، حيث قال: **(إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)** .

اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، حتى يرضى ويقبل ، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، ومن سار على نهجهم القويم .

اللهم ألف بين قلوب المسلمين، واجمع بين كلمتهم يا رب العالمين، واجمع شمل الأمة العربية الإسلامية وسائرِ المسلمين، على خير ما يرضيك رب العالمين ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، اللهم اجعل سقياك للضرع والزرع سُقيا رحمة لا سقيا عذاب، واجعل هذه الأمطار المتلاحقة نافعةً للعباد والبلاد، يا أرحم الراحمين .

ونسألك اللهم ياذا الفضل العميم، أن تشمل بعنايتك وتوفيقك ورعايتك، مليك البلاد الحسين بن طلال. اللهم خذ بناصيته إلى كل خير، وعرفه طريقه، يا أكرم الأكرمين . واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء، لا غلاء فيه ولا احتكار، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله :

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون) .

(... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

الخطبة الثانية والثمانون :

١١ محرم ١٣٨٧هـ

١٩٦٧/٤/٢١

(الهجرة النبوية دعامة العزة الإسلامية)

أحمدك اللهم حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، مصلياً ومسلماً على رسولك المحبوب، وعلى آله وصحبه الأصفياء ، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت ، اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها ، اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجلّه ، عمده وخطأه سره وعلانيته ، اللهم اغفر لي ما قدمت أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت ، اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأعذني من شر نفسي، وأجرني من مضلات الفتن ، (**رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، واعوذ بك رب أن يحضرون**) ربنا أغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا (... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**) .

★ ★ ★ ★

الحمد لله الذي هدانا لدينه القويم ، وبيَّن لنا سبيله المستقيم ، وأنه قرآن ناطق، وسنة نبيِّه قائمة ، الحمد لله يهدي إليه من أناب ، جعل لنا من تداول الشهور وكرِّ الأعوام والأيام، عبرةً لأولي الألباب ، أشهد أَن لا إله إلا الله المعبودُ في كل زمان ومكان ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، دعانا إلى المودة والمحبة والوئام .

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ما تعاقب الجديدان .

(أما بعدُ) فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إن ربكم اللهُ الذي خلق السمواتِ والأرضَ في ستة أيامٍ ثم استوى على العرش يُغشِي الليل النهار يَطلبه حثيثا والشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخراتٍ بأمره، ألا له الخلقُ والامر، تبارك الله ربُ العالمين (٥٤) ادعوا ربكم تضرعاً وخفيةً، إنه لا يحب المعتدين (٥٥) ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعا، إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ (٥٦) الأعراف.

أيها المسلمون :

يرشدنا المولى جل وعلا إلى أنه سبحانه خلق السمواتِ والأرضَ في ستة أدوار من أدوار التكوين، والله أعلم بمقدار هذه الأيام، ثم استولى بالقهر والغلبة والسلطان على ملكوت السموات والأرض، يُغطي النهار بالليل، والليلُ يطلب النهار مُسرعاً كأنه غريمُه يلاحقه. وإنك لترى كلَّ شيء من خلقه، وكل آية من آياته، مُسَخَّراتٍ تسيرُ بأمر الله تعالى، لأنه المالك لكل شيء ، إذا علمتم ذلك أيها الناس، وتأكدتم أنه الخالق وحده، والمالك وحده، والمتصرف في الكون وحده، فاسألوه وادعوه خاضعين متذللين ، ولا تعتدوا في دعائكم ، متجاوزين الحدود المشروعة، برفع أصواتكم في الدعاء، وطلب الأمورِ التي لا تناسبكم ، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبا ، ولكنكم تدعون سميعاً بصيرا[1] ، وهو الكفيل بإمدادكم بقوة من عنده . ثم يحذرنا سبحانه من الفساد في الأرض. أي لا تعيثـــوا في الأرض فساداً بعد إصلاحها، والتئام نفوس أهلها، وجمع شملها، ثم أنه سبحانه أكدَّ علينا لسؤاله وحده، والدعاء إليه خوفـــاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه ، لأن الرحمة الآلهية لا

---

١ ــ عن ابي موسى الأشعري قال : كنا مع رسول الله في غزوة ، فجعلنا لا نصعد شَرَفاً ولا نعلو شرفاً ولا نهبط وادياً ، الا رفعنا أصواتنا بالتكبير ، قال : فدنا منا رسول الله فقال : يا أيها الناس اربعوا على انفسكم ، فانكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنما تدعون سميعاً بصيراً . إن الذي تدعون أقرب إلى احدكم من عنق راحلته ، يا عبدالله بن قيس ، ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله ــ أخرجاه في الصحيحين .

يستحقها إلا من تاب وآمن، وعمل صالحاً، ثم اهتدى[1] ، فادعوا ربكم أيها الناس ما شئتم من طلب الخير، موقنين بالإجابة فإن الجهر والإخفاء عنده سبحانه سواء ، إنه جلت حكمته، يقول لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، أي بعد استقرار التوحيد فيها، نعم، إنه جل وعلا قادر على خلق الكون وإيجاده كلّه في طرفة عين، بيد أنه أراد عزوجل أن يعلم عباده الرفق والتأنيّ، والتثبت في الأمور .

أيها المسلمون :

إن في تعاقب الليل والنهار، وما خلق الله من سمواتٍ وأرضٍ وكواكبَ لآياتٍ بالغةً، دالةً على وجود الصانع الحكيم، الذي أحسن كلَّ شيء خلَقه وبدأ خلق الإنسان من طين .

أجل : إن الذين يُقدِّرون قيمة الأوقات والأعوام والأيام، ويتخذونها فُرصَاً للعمل الدائب النافع للصالح العام، هم أحق بالحياة من العالة العاطلين، الراكنين إلى رحمة الآخرين ، فأولئك قوم لا يستحقون الحياة، لأن أوقاتهم وأيامهم تذهب سدىً أدراجَ الرياح . أما الذين يعملون ويبنون ويُصلحون ولا يفسدون، وللوقت والأعوام يقدرون ، فأولئك هم عناوين فخار، ومصابيح هدى ورشاد ، أولئك هم حماةُ الأمم الضعيفة ودعاةُ النهوض. أولئك هم المؤمنون حقاً. لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .

أيها المسلمون :

إن الذي ملأ صفحاتِه في عامه الماضي بمداد ذهبيٍّ شريف صالح، وبَنى مجداً شامخاً مشمخراً لبني قومه وأمته، لجدير بالتقدير والإعجاب ،

---

١ ــ هذا مأخوذ من الآية الكريمة (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) سورة طه (٨٢) .

أما الذي دنسَّ صفحاته بل لوَّثها بالخزي والعار، بأعمال الفسَقةِ والفُجَّار، فذلكم هو الذي سوَّد تاريخ حياته بعصيانه وخسيس بَنانه، وأوضاع وقته في البطالة والتهريج .

والوقت كالسيف، إن لم تقطعه بالأعمال النافعة، قطعك بالأسى والأسف .

أيها الناس :

إن أنصار الشرك وسَراةَ الكفر والبُطلان، لا يزالون يضعون أسافين الفُرقة المدمرة، بين الإخوة والأشقاء، نعم إن فلول دُهاة الاستعمار وجحافلَ البغي والظلم والعدوان، لا يزالون يَعبثون في الأرض بعد إصلاحها، بعد أن تم التقارب والتواصل، إنهم يمعنون في إضرام نار الفتنة، وإثارةِ المحن والقلاقل . أجل إن أركان الكفر والطغيان لا يزالون يُغذون الأحزاب البغيضة المعادية والمناهضة لدين الله والوطن، ولعلكم تسمعون عن كثب ما تسعى إليه إسرائيل، جادةً جاهدةً لكسب الوقت والزمن، فما يمر عليها من عام إلا وتفرح وتمرح، لاعتقادها أن طول الزمن يثبت أقدامها في فلسطيننا الغالي المحبوب : إن اسرائيل الاستعمار وحبيب الظالمين، تعتقد أن مرور الزمن على ما سلبته منا قسراً وقهراً وظلماً وعُدوانا، هو لها لا عليها. وصدق الله العظيم ﴿ **ذلك بما قدمت أيديكم وأَنَّ الله ليس بظلام للعبيد (٥١) كدأب آل فرعون، والذين من قبلهم، كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم، إن الله قويٌّ شديدُ العقاب (٥٢) ذلك بأن الله لم يك مغيِّراً نعمةً أنعمها على قوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم، وأَن الله سميع عليم** ﴾ (٥٣) الأنفال .

أيها المسلمون :

لقد كانت الهجرة المحمدية امتحاناً لإيمان المهاجرين، أمام المنكرين من المعوقين، ودرساً قاسياً لأعداء دين محمد وقرآنِه، إذ أنه ﷺ عندما داهمهم برسالته ودعوته، وصاح في وجههم صيحةَ الحق، أصابهم الجزع والفزع، وعَظُم عليهم الأمر، وأعلنوا مكيدتهم في صراحة ووقاحة (والله إنه الهلاك. فإن لم نغلب محمداً غلبنا، وتسلط علينا. حتى أغلظوا في قسمهم (والله لنأخذنَّ على محمدٍ الطريق، ولنسُدنَّ عليه المسالك، ولنحمينَّ منه قريشاً وسلطانها) .

ولكن ما أعجز الإنسان أمام حُكم الله النافذ. فقد استطاع محمد ﷺ أن يخترق الحجب الكثيفة، وأسوار الكفر والإلحاد، ويسيرَ في طريقٍ معبَّد ذلول، حيث دار الهجرة، حيث طابةُ دارُ الأنصار[1] يسير برفيقه في الغار، ووزيرِهِ الأول في الأرض (أبو بكر الصديق رضي الله عنه) .

ولقد كان من نتائج هذه الهجرة الخالدة، تجديدُ طاقات الإيمان، وإعدادُ القوة لفتح مكة فتحاً جديداً مظفراً. ولقد تم لمحمد ﷺ ما أراد. وعاد إلى مكة ناصع الجبين موفور الكرامة، متسامحاً مع القدرةِ، لكل من وقف في طريقه، من صناديد قريشٍ وأبطالها .

نعم، دخلها فاتحاً، وما أعظم نشوةَ الفتح والنصر. وحطم معبوداتِهم من أصنامٍ وأوثانٍ، معلناً قول لا إله الا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده ، وردد دعاءه المشهور (اللهم منزل الكتاب ومجريَ السحاب وهازم الأحزاب، اهزم الأحزاب وزلزلهم، وانصرنا عليهم، إنك على كل شيء قدير)[2] وصدق الله العظيم

---

١ ــ من أسماء المدينة المنورة طيبة وطابة . قال عليه الصلاة والسلام في حديث الجساسة : « هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة » مسلم (٨٣/١٨) . وطيبة كطابة ، انظر القاموس المحيط (١٠٢/١) .

٢ ــ كان دعاؤه عليه الصلاة والسلام في جميع المهمات، خاصة في الساحة الحربية. متفق عليه في الصحيحين.

﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين (١٧١) إنهم لهُمُ المنصورون (١٧٢) وأن جندنا لهم الغالبون** ﴾ (١٧٣) الصافات .

رباه، يا مولاه، ويا خالقاه :

لقد بنيت لنا دينا من خير اديان البرية، ديناً عزيزاً ببنيانه ، قويةً أركانهُ، لكننا ويا للأسف، تنكبا طريق الحق، وسلكنا سبيلاً غير سبيل المؤمنين، فهدمنا ما بنيت، تشاغلنا عن شرعك وقرآنك وهديك، فانتسبنا للدين والقرآن صورةً، لا حقيقية لها، ولا معنى .

أيها المسلم :

قل لي بربك ماذا تصنع غداً في القيامة، يوم يقول رسولك محمد صاحب الهجرة (يا رب إن هؤلاء هجروا القرآن وهجروني وكذبوني)[1]، فماذا تقول وبأي لسان تجيب .؟ ﴿ **إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً** ﴾ رباه ويا رباه، ويا غاية مبتغاه ؟

أين هي الأخوة التي حثَّ عليها قرآن ربكم ودينه ؟ وهاجر وعـــذب من أجلها نبيـــه ورسوله .؟ فصبر وصابر في سبيلها ، أَيْ رب ؟ لقـــد انفصمت عرى المحبـــة والمودة فيما بينهم، بين عشيةٍ أو ضحاهـــا ، وأطار الريح العاصف غبارها وثَراها، فلا حـــول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

عـــن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال قال النبي ﷺ (من تعلم القرآن وعلق مُصحفه، ولـــم يتعاهدْه (أي لم يعمل بما أنـــزل فيه، ولم ينفذ أحكامه) ولم ينظر فيه، جـــاء المصحف يوم القيامـــة متعلقاً بصاحبه، يقول يا رب العالمين ويا أحكم الحاكمين، إن عبدك هذا اتخذني

---

١ ــ هذا مأخوذ من الآية الكريمة : ﴿ **وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا** ﴾ الفرقان (٣٠) .

مهجوراً (أي لم يحكم بي فاقضٍ بيني وبينه)[1] وقال عليه الصلاة والسلام، بمناسبة الأيام (مامِن يوم يُشَقُّ فجره، إلا وينادي منادٍ يا ابنَ آدم اغتنمني، (بالأعمال الصالحة النافعة) فإني لا أعود، وأنا على ما تفعله شهيد)[2] أو كما قال .

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واستغفروا الله يغفر لكم، وسلوه يعطكم .

★ ★ ★ ★

الحمد لله الواحدِ الأحد، الباقي على الدوام، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي من اتبعه فقد رشدَ، وعلى آله وصحبه .

وبعد، فيا أيها المسلمون : إعلموا أَنَّ في تجدد الأعوام، لعبرةً لأولي الأفهام ، خُذُوا من عامكم الجديد السعيد عظة وذكرى لقوم مؤمنين، أخلصوا لربكم. جددوا عزائمكم بإيمان. فعظائم الأمور لا تنال إلا بالجد والعمل ليوم البعث والنشور والحساب. توبوا إلى ربكم توبة نصوحا، واستقبلوا عامكم بقلب سليم ، واعلموا أنه تعالى رغبنا في الصلاة على حبيبه تعظيماً له وتكريما، فقال (**إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين أمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، كما صليت وباركت على ابراهيم، وآله في العالمين. إنك حميد مجيد. وارض اللهم عن الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، اللهم من أذى المسلمين فآذه، ومن عاداهم فعاده، ومن نصب لهم شرَكاً فخذه وأهلكه، يا رب العالمين .

---

١ ــ ذكره الثعلبي عن أنس انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٧) .

٢ ــ سبق تخريجه .

اللهم انشر سابغ رحمتك على البلاد والعباد، واقمع أهل الشرك والزيغ والإلحاد والفساد. ياذا الجلال والإكرام .

اللهم اجعل عامنا الهجريّ هذا عامَ يُمن وخير ونصر، وعِزَّةٍ وإصلاح يا أكرم الأكرمين، ونسألك اللهم يا خالقَ الأرض والسموات، أن تشمل بعنايتك ورعايتك وتوفيقك، مليك البلاد الحسين بن طلال ، اللهم خذ بناصيته إلى عمل الخير والسداد، وباعد بينه وبين أهل البغي والفساد، والإلحاد يا أرحم الراحمين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله :

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون) .

(... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

* * * * *

* * *

*

الخطبة الثالثة والثمانون :

٣ صفر ١٣٨٧هـ

١٩٦٧/٥/١٢

(أثر التشاؤم في النفوس وخطر المشعوذين على المجتمع)

(أحمدك اللهم على نعمك وآلائك الوافرة، التي لا يحصيها ولا يعلمها أحد غيرك. أحمدك على كل حال، مصلياً ومسلماً على حبيبك ورسولك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ذوي الفضل والجود والنوال ، رب اغفر لي ذنوبي وإسرافي في أمري. اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي وسيئات أعمالي ، رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وان يحضرون. رب أذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت اعلم به مني، أنت المقدم وانت المؤخر، لا إله إلا أنت ، (... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**) .

★ ★ ★ ★

الحمد لله ذي الطول والفضل والكرم، بعث فينا رسولاً من أنفسنا، هادياً وبشيرا، داعياً إلى الخلق والصدق في العمل، مُنفراً محذراً من التشاؤم والتضليل والدجل، أشهد أن لا إله إلا الله، عالمُ الغيب والشهادة الكبيرُ المتعال ﴿... **فلا يظهر على غيبه أحدا**﴾[١]، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده

---

١ ــ سورة الجن (٢٦) .

ورسوله، الذي قضى بدعوته على الخُرافات والأوهام والضلال، أرشدنا إلى أن الأمور كلّها خاضعةٌ لأمر علاه. اللهم فصل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تمسك بشريعته وهداه .

(أما بعدُ) فقال قال سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين ﴿ **واضرب لهم مثلاً أصحابَ القريةِ إذ جاءها المرسلون (١٣) إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنَّا إليكمٌ مرسلون (١٤) قالوا ما أنتم إلا بشر مِثلُنا وما أنزل الرحمنُ من شيء إن أَنتم إلا تكذبون (١٥) قالوا ربنا يعلم إنَّا إليكم لمرسلون (١٦) وما علينا إلا البلاغُ المبين (١٧) قالوا إنَّا تطيَّرنا بكم، لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسَّنَّكم مِنا عذابٌ أليم (١٨) قالوا طائركم معكم، أئن ذُكرِّتم، بل أنتم قومٌ مُسرفون** ﴾ (١٩) يس .

أيها المسلمون :

يرشدنا المولى جل وعلا في آياته الحكيمة، إلى حالة الأمم السابقة، التي أعرضت عـــن الهُداة والمرسلين المرشـــدين، والأئمة الناصحين فيها، خطابٌ للنبي ﷺ بأمر ربُّه أن يَضرب للناس أمثـــال الأمم الغابرة، وما وقع معها من عذاب وتدميـــر وهلاك، يوم إعراضها عن دعوة رسلها، وكيف كان الناس يفزعون ويخافـــون، من ظهور الأنبياء والمرسلين فيما بينهم، وهـــذا العرضُ الشامـــل يعتبر تسليةً للنبي ﷺ عما يلاقيه من قومه من أذى وإعراض. وصدق الله العظيم ﴿ ....، **وكان الإنسان أكثر شيء جدلا** ﴾[1] .

---

١ ـــ سورة الكهف (٥٤) .

أيها المسلمون :

لقد أُمر النبي عليه الصلاة والسلام، بإنذار هؤلاء المشركين والكفار من قريش، أَن يَحلَّ بهم ما حلَّ بكفار قرية (أنطاكية) آنذاك، الذين كانوا عاكفين فيها على عبادة أصنام لا تُحس ولا تعقل، حتى بعث الله لأهلها ثلاثة من المرسلين، على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام قبل رفعه إلى السماء، أَرسل إليهما اثنين أولاً فكذبوهما ، وسفَّهوا دعوتهما، بل ضربوهما وسجنوهما ، ثم عزّزهما الله بثالث رسولٍ قال لأهل تلك القرية: لقد أرسلني الله إليكم أدعوكم إلى توحيد الله، فسفّهوه، وقالوا له بوقاحة أرسولٌ وأنت تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق ؟؟ ما أنتم إلا تكذبون علينا، فرد عليهم الرسل إنه سبحانه يعلم صِدقنا في دعوتنا، وما علينا إلا البلاغ الحقُّ، في أنه ــ سبحانه ــ واحد لا شريك له أبدا ، فرد أصحاب القرية عليهم لقد تشاءَمنا من دعوتكم، واستمر الرسل عشر سنين ينذرونهم لقاء يومهم ، ولكن دون ما فائدةٍ، حتى توعَّدوهم بالأذى ، وقالوا لهم ، إذاً لم تكفُّوا عن إنذارنا، سنريكم العذاب الشديد الموجع، فرد عليهم رسل الله إنكم قوم مسرِفون في الشؤم والتشاؤم، تجاوزتم حدود الله فكفرتم وعِثتم في الأرض فسادا ، وبسبب إعراض هؤلاء المعاندين المشركين، أهلك الله تلك القرية ودمرها تدميراً، فكانت حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمس . أجل أيها المسلمون : لقد جرت سنة الله في خلقه ﴿...، **ولن تجد لسنة الله تبديلا** ﴾[1] إنه كلما تباعد الناس عن إرشاد المرسلين وهدْي المصلحين، وكلما سكت الواعون الداعون عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كلما اشتد غضب الله عباده، حتى على الصالحين منهم، لأنهم سكتوا ورضوا بتفشي المنكرات، ولم يغضبوا لِلّه .

---

١ ــ سورة الأحزاب (٦٢) .

أيها المسلمون :

آياتٌ بينات واضحات ، ودلائلُ مشرقاتٌ تخبرنا عن أحوال الأمم الغابرة ، وما كانت عليه من عناد وإصرارٍ على الباطل ، كانوا إذا دُعوا لوحدة العقيدة وجمع القلوب، تفرقوا أوزاعا، وتخاصموا وتخاذلوا ﴿ ...، **تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى** ،... ﴾[1] نبذوا عهد الله وراء ظهورهم ، فوا أسفاه، كم في القرآن الكريم من حوادثَ وعبر وذكريات مؤلمة، عن المجتمعات الفاسدة، التي كانت تسيطر عليها الخرافات والأوهام والأباطيل .

أيها الناس :

لقد طوى التاريخ وسجل في طياته، وعلى صفحاته، جبارين ومتأليهن ، وجاء من بعدهم أمم وأجيال، والنذر تترى عليهم، والسماء أثناء ذلك تتعهد بتعاليمها الأرضَ ، وتهذب بآدابها الأخلاقَ، لعلهم يرجعون ، لعلهم يتحررون من الخرافات والخزعبلات، حتى جاء عهد عيسى ﷺ ونهاهم عنها، فأعرضوا عنه وعن دعوة رسله الثلاثة، وتشاءموا منهم، ولم يقبلوا الرجوع إلى الحق والبرهان . وعلى حين فترةٍ من الرسل، وبعد خمسة قرون من رسالة عيسى ودعوته ، اختار الله لهذه الأمة، ولهذه الإنسانية المعذبة الحائرة، صفوةَ الرسالات وخلاصة الشرائع الناسخة لغيرها، على يد محمد ابن عبدالله ، فكانت نبراساً وهاجاً ساطعاً، ودواء شافيا للقلوب المعلولة السقيمة، فنادى القرآن الكريم في البشرية كلِّها، أن الحق الصُّراح لا يقوم إلا على الحجة والبرهان، ثم نادى ، ألا وإن العلم إمام الدين، إذ لا دين ولا إرشادَ بغير علم ، ألا ولا علم بلا دين ، ألا ولا عبادة تُقبَلُ عند الله بدون فقهٍ وفهمٍ في الدين ، ألا ولا سعادةَ بلا عزةٍ وكرامة ، ثم نادى رسولُ

---

١ ــ سورة الحشر (١٤) .

الهداية متلقياً وحيَ السماء (ألا فليعلمِ الملأُ كلُّه، أنه لا كهانة ولا سحرَ ولا عِرافة ولا تدجيل ، ألا وإن علم الغيب قاصرٌ على الله وحده، دون سواه ، وفي مثل هذا الشهر شهر صفر، أعلمنا طبيب الإنسانية كلِّها ﷺ وقال (لا عدوى ولا طِيَرةُ ولا هامة ولا صفر)[1] ومع هذا فقد حذَّر من العدوى، فقال (فِرَّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد)[2] وتارةً أكل مع المجذوم وقال ثِقةً بالله وتوكلا عليه)[3] إذ أن العدوى ليست ذاتيةً، بل يحصل ذلك بفعل الله وإرادته . ثم بين هذا الرسول أنه لا تشاؤم من نعيق غراب أو صوت البوم، أو تجويح الكلاب، لأنها من خلق الله، فلا تنذر بموت أحد ولا هلاكه، ولا صلة لها بعلم الله أبدا ﴿ **تسبح له السَّماواتُ السبعُ والأرض ومن فيهن، وإنْ من شيء إلا يُسبح بحمده ولكنْ لا تفقهون تسبيحهم، إنه كان حليماً غفورا** ﴾ الإسراء (٤٤) .

إذاً فلا تشاؤم من الشهور والأعوام والأيام والحيوانات. فمن كان متشائماً فليتشائم من سوء أعماله وعصيانه لربه، في الأيام والأعوام التي هي حصيلة عمره وشبابه، فاليوم الذي تعمل فيه خيراً وعملاً صالحاً، هو يوم عيد .

أيها المسلمون :

إننا اليوم في مجتمع غير سليم، لا يؤمن بالمنطق السليم، في جيلٍ فاسد فاسق كافر، لا يؤمن بالحجة والبرهان، ولا يؤمن بالقرآن واليوم الآخر .

---

١ ــ متفق عليه .

٢ ــ رواه البخاري .

٣ ــ رواه الأربعة والحاكم بزيادة باسم الله، ثقة بالله وتوكلاً على الله. عن جابر بسند صحيح .

إن المجتمع الإسلامي اليوم مجتمع مغرور فاسد مُلحد، يؤمن بالشعوذة والخرافات، ولا يؤمن بالرسل والمعجزات، يؤمن بالخزعبلات، ولا يؤمن بالآيات البيِّنات الواضحات .

أيها الناس في عصر العلم والنور والذرة :

أجيبوا بالله عليكم، لِم تحرِصون على تنفيذ الأحاديث الموضوعة المكذوبة على رسول الله ﷺ، ولا تحرِصون على كتاب ربكم الذي أنزل على نبيكم ؟ ولم تفندون الأحاديث الصحيحة .؟ إن نبيكم لم يقل يوماً مَّا (بَشروني عن أمتي إذا خرجت من صفر). فهذا لا يوصف بحديث ولا أثرٍ، ولا خبر، فمن أين جاء يا ترى ؟ إن رسولكم قال في الأحاديث الصحيحة (من غشنَّا فليس منا)[1] خبروني بالله عليكم هل تمسكتم بهذا الحديث ونفذّتموه، وتركتم الغِشَّ في بيعكم ومعاملاتكم وأعمالكم ؟ اللهم لا ﴿ ...، **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطَفُه الطيرُ أو تهوي به الريح في مكان سحيق** ﴾[2] فالتشاؤم شِرك بالله وخروج على الصواب .

أيها المسلمون :

هناك آيات تهدد العرَّافين والخرَّاصين الكاذبين، كما قال تعالى ﴿ **قُتل الخراصون** (١٠) **الذين هم في غمرةٍ ساهون** ﴾ (١١) الذاريات .

وهؤلاء هم الذين يدَّعون علم الغيب، ويفترون على الله الكذب، قال تعالى رداً على المشعوذين ﴿ **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني مَلَكٌ، إنْ أتَّبعُ إلا ما يوحى إليَّ، قل هل يستوي الأعمى والبصير، أفلا تتفكرون** ﴾ آية (٥٠) الأنعام .

---

١ ــ رواه الطبراني وابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود بسند ضعيف والترمذي .

٢ ــ سورة الحج (٣١) .

أيها الناس :

إن علم الله كشافٌ أعظم ، لا أقول كشافٌ غازيٌّ ولا أثرِيٌّ، لكنه كشافٌ ربانيٌّ صمداني . ستعلمون ذلك أيها المدَّعون بعلم الغيب، سترونَ أيها الناس أعمالكم مسجَّلةً عليكم، اقرءوا قول ربكم ﴿ **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا** ﴾ (٤٩) الكهف .

أيها المسلمون أيها العقلاء :

ليس المشعوذون وحـــدهم مذنبين، فيما يعتقدون ويفعلـــون ، ولكنَّ المذنبين همُ المصدقـــون بالشعوذة وعلم الغيب، لأنهم إذا ما علمـــوا بواحـــد من هؤلاء شدوا إليه الرحال، وسَهِروا معه الليالِيَ الطوال، وما أكثر طـــلابَ المنادِل وضاربي الرمـــال، والفتحَ بالفِنجال من الرجال والنساء، فتراهم يُهرعون إليه ويسألونه، فمنهم من يسأله عن مستقبل حياته، ومنهم من يسأله عن نتيجة امتحانه ، ومنهم من يسأله عن مرضه العُضال ، ومنهم من يطلب منه أن يضمن له الموت على الإيمان، ومنهم من يطلب منه أن يطيل عمره، ومنهم من يطلب منه استخراج كنز له من أرضه، ولو أنك سألت هذا الجاهل الجهلَ المركب عن ابسط الأشياء لعجز عنها. ومع ذلك فهو ﷺ يقول في قرآن ربه ﴿ **قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضَرّاً إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسَّنيَ السوء، إنْ أنا إلا نذير وبشيرٌ لقوم يؤمنون** ﴾ (١٨٨) الأعراف .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال قال ﷺ اسمعوا لأننا واقعون فيه (لن يبرح الناس يتساءلون، حتى يقولوا أهذا اللهُ خالقُ كلِّ شيء ! فمن خلق الله ؟؟؟)[1] .

وقال ﷺ (لن ينالَ الدرجاتِ العلا، من تكهَّن أو استقسم بالأزلام ، أو رجع من سفر تطيُّراً وتشاؤما)[2] ومعنى ذلك رجع من سفره خوفاً من شيء رآه فأزعجه، أو سوادٍ مرَّ به، أو كلمةٍ سمعها، أو كما قال ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

الحمد لله الذي جعل لكل شيء قدرا والصلاة والسلام على سيدنا محمد سراً وجهرا، وعلى آله وصحبه، الذين هم أقرب إلى الله منا شأناً وقدرا .

وبعد : فالإسلام لا يؤمن إلا بالرجولة النامية، والعقلية الناضجة الكاملة الواعية، واعلموا أن الأيام والشهور لا تضر ولا تنفع، ولا تحلل ولا تحرم ، لا تشقي ولا تُسعد، لا تُعز ولا تذل ﴿ ...، **إن الحكمُ إلا لله، أمر ألاّ تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيمٌ ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (٤٠) يوسف .

---

١ — رواه ابن جرير أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله.؟ فأنزل الله ﴿ **قل هو الله أحد٠الله الصمد٠لم يلد ولم يولد٠ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ .

ولذلك ورد النهي عن التفكر بالخالق. قال عليه الصلاة والسلام تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق، فانكم لا تقدرون قدره. رواه ابن حبان عن ابن عباس، وفي رواية عن أبي تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله فتهلكوا. رواه ابن حبان في باب العظمة .

٢ — رواه الطبراني ورجاله ثقات والبزار بسند حسن مع اختلاف ببعض اللفظ .

اتقوا الله عباد الله، وأحسنوا ظنكم بربكم، واعلموا أنه تعالى صلى على نبيه تشريفاً له وتعظيما، قال تعالى (**إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن ساداتنا ذوي القدر الجلي؛ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، اللهم ألف بين قلوبنا، واجمع بين كلمتنا، واجمعنا على الحق حيث كان وأينما كان، وجُبَّ المبادىء الهدامة والعقائد الفاسدة، والأوهام الخادعة الكاذبة. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك. اللهم هب لنا حقيقة الإيمان. وزينا بزينة القرآن، وارزقنا العمل به يا رب العالمين. اللهم اجمع على الحق والقرآن قلوب الحكام، وصفِ قلوبهم من الأحقاد والأضغان، يا أرحم الراحمين .

ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك وتوفيقك وحسن رعايتك، الحسين بن طلال، أيده الله اللهم انصر جيشه الباسل، وسائر الجيوش العربية الإسلامية، يا أكرم الأكرمين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين .

عباد الله :

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون) .

(... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★

الخطبة الرابعة والثمانون :

٢٥ صفر ١٣٨٧هـ

١٩٦٧/٦/٢

(الدعوة إلى النفير العام للجهاد في سبيل الله بمناسبة اعتداءات العدو الغادر)

أحمدك اللهم بجميع محامدك، ما علمتُ منها ومالم أعلم، أحمدك على جمع الشمل وتأليف القلوب ، مصلياً ومسلماً على رسولك وحبيبك سيدنا محمد، عليه أفضل صلواتك وتسليماتك، الذي جاهد في الله حق جهاده، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم القويم ، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت .

اللهم نصرك الذي وعدتنا ، اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ، أعوذ بك من شر نفسي وسيئات أعمالي ، اللهم قوِّ في رضاك ضعفي ، اللهم كن لي ولا تكن عليَّ ، اللهم على طاعتك أعنا، وعلى غيرك لا تكلني، ومن شر نفسي وجميع خلقك سلمني، وسلمنا أجمعين ، أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يرفع ، (... **رب اشرح لي صدري. ويسر لي أمري. واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي**) .

الحمد لله يعيد العزة والكرامة للمؤمنين الصابرين. الحمد لله ينصر المجاهدين المجدين، أشهد أن لا إلـه إلا اللهُ الواحـد القهـار، يوآخـذ الجباريـن على ظلمهم، ﴿**ويملي لهم إن كيدي متين**﴾ فيزلزلُ أركانهم، ويقوِّض سلطانهم.

﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعملُ الظالمون،...**﴾[1] وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، جاهد الباطل بسيف الحق المبين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، الذين ذادوا عن حمى الحق، فأبدلهم الله من ضعفهم قوة، ومن قلتهم كثرة، ومن ذلتهم عِزةَ، والحمد لله رب العالمين.

(أما بعد) فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **أُذِن للذين يقاتلُون بأنهم ظُلِموا، وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربُّنا الله ،...** ﴾[2] الحج .

أيها المسلمون : أيها المجاهدون الواقفون على خطوط النار :

لقد كان من رحمة الله بالناس أجمعين أَن أَذِن لأهل دينه الحق المصلحين في الأرض، بقتال المفسدين فيها من الكافرين والبُغاة من اليهود المعتدين ، وما ذلك إلا لأن العدو قد اشتد أذاه، وأغرق في التحدي والتهديد والوعيد دون مُبالاةٍ، إن الآية الكريمة بينت مشروعية القتال وأسبابه، كما بينت وصف المؤمنين الذين أُذن لهم بالحرب، بأوصاف مجيدة خالدة ، كما بينت أوصاف المصلحين الذين ينصرهم الله، ما داموا يعملون على نصر دينه الحق . ولقد أمر الله تعالى نبيه وأصحابه المؤمنين بقتال هؤلاء اليهود لتماديهم في الطغيان والعصيان، وإثارة الفتن والقلاقل، فقال سبحانه ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لِلّه ،...** ﴾[3] إلى أن قال سبحانه ﴿ **...، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم، واتقوا الله واعلموا أنَّ الله مع المتقين** ﴾ ١٩٤ البقرة.إن اليهود معروفون من الاف السنين بنقض العهود قال سبحانه ﴿ **الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون** ﴾[4] .

---

١ ــ سورة ابراهيم (٤٢) .
٢ ــ سورة الحج (٣٩ ــ ٤٠) .
٣ ــ سورة البقرة (١٩٣) .
٤ ــ سورة الانفال (٥٦) .

أيها المسلمون :

لقد سلط على اليهود أكثر الأمم، لأنهم يثيرون الفتن، ويغرسون العداوة والبغضاء بين الشعوب والأمم ، كانوا ولا يزالون يروجون إشاعات مضللة بين أصحاب رسول الله، وهم أثناء المعركة يثيرون عليهم حرباً نفسية، فيقولون للأصحاب يا مسلمون لقد مات قائدكم محمد، ﷺ وذلك ليفرقوا قوة المجاهدين ويضعفوا من عزائمهم، ولكنّ المجاهد المؤمن لا يبالي بذلك كله، لأنه يريد جنة عرضها كعرض السماء والأرض . وتأييداً لتسلط الأمم عليهم، اقسم سبحانه بنفسه وقال ﴿ **وإذ تأذن ربك ليبعثنَّ عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، إن ربك لسريع العقاب، وإنه لغفور رحيم** ﴾ ١٦٧ الأعراف .

أيها المسلمون في كل مكان :

أعلمنا تاريخ الاسلام إن الله سلط عليهم بعد سليمان عليه الصلاة والسلام (بختضرَّ) فخرب ديارهم، وسبى نساءهم وذراريهم، حتى بعث الله محمداً ﷺ فقاوموه ووقفوا في طريقه، فأثخن فيهم قتلا وتشريداً، وضرب عليهم الجزية .

نحن والتاريخ أيها المسلمون :

لقد كان اليهود مشردين، وقد جمعتهم الدول المتعاظمة الكبرى وجعلت لهم دولة مزعومة، في قلب كل مسلم، في قلب كل عربي، فاحتضنتها، وبمساعدة آلية عملية فعالة أيدتها دول الغرب، ولم يأتينا من الغرب من يسر القلب ، استولت تلكم الدول المستعمرة على أقطار الأمة العربية في كل مكان، واستعمرت أكثر البلاد العربية الاسلامية ، ولكن تحرر أكثرها من أيدي الطامعين الغاصبين، بفضل الله، وقوة الحق ، بالجهاد ، بالصبر، بالثبات .

إننا نحمد الله مرات ومرات ، إذ تقاربت قلوبنا ، وحسنت نوايانا ، وتوحدت أهدافنا وجيوشنا ، أظهرنا للعالم كلّه أننا خير أمة اخرجت للناس ، فما أجمل التلاقي والتصافي بعد الفرقة والاختلاف ، ولطالما نادينا ودعونا إلى جمع الشمل واتفاق الكلمة ، وضرعنا الى الله تعالى من على هذا المنبر ، وغيره من المنابر الأخرى ، حتى حقق الله للجميع امنية الأمة العربية الاسلامية ، إننا بحمد الله العليّ القدير ، إذ نشاهد في هذا اليوم العصيب وقفة الجيش الأردني الباسل ، الى جنب الجيش الفلسطيني والمصري والكويتي والعراقي والجزائري واليمني ، وسائر الجيوش العربية الاسلامية في هذا الميدان الشريف .

وبعد ، أيها الناس ، فإن للحق قوة ، وللباطل جولة ، ولا بد بينهما من نزاع وصراع ، وإذا ذاك يعتز الحق ويكبُر شأنه وتعلو كلمته ، ويخسأ الباطل ، ليس له من قوة ولا ناصر ، هنالك يا أخي يرتجف الظالمون ، ويرتعد اليهود والمعتدون ، فتخور منهم القوى والعزائم ، إذ ذاك يعلمون ان اساطيل الظالمين على عظمتها ستغلب بإذن الله ، وان اساطيل الحق لن تغلب لأن قوة الحق من قوة الله ، وهنالك يفرح المؤمنون بنصر الله ، ويقولون ﴿ ... **هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، وما زادهم الا ايماناً وتسليما** ﴾ (٢٢) الأحزاب يقول ﷺ (سيشتد الامر باجتماع الأحزاب عليكم ، والعاقبة لكم عليهم)[١] وهذه بشرى من رسول الله ﷺ بعاقبة النصر لنا ، وقال علي الصلاة والسلام (إن الأحزاب سائرون اليكم بعد تسع أو عشر)[٢] يعني بذلك أنصار اليهود وموازريهم ، أمثال الدول

١ ــ لما اشتد البلاد وراى رسول الله ما بالناس من البلاء وجعل يبشرهم ويقول : والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم .

٢ ــ ما ترون من الشدة واني لارجو أن اطوف بالبيت العتيق آمناً ، وان يدفع الله الى مفاتيح الكعبة ، وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله . قال موسى بن عقبة واحاط المشركون المسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتائبهم ، فحاصروهم قريبا من عشرين ليلة ... انظر البداية والنهاية لابن كثير . (١١/٤) .

الغربية المستعمرة الكبرى ، واليوم أيها المسلمون ، أيها المجاهدون أيتها الدول العربية الاسلامية أيتها الجيوش الجرارة المظفَّرة الآتية من كل فج عميق ، أهلا وسهلا بكم في أرضكم، ومرحى مرحى لكل عربي مجاهد مُساند ولكل مسلم مدافع .

أيها الاخوة : انني من على منبر المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ادعوكم إن تقبلوا إلينا بإيمانكم وإخلاصكم، لتحافظوا على تراث آبائكم وأجدادكم ، لتحافظوا على هذا المسجد الأقصى، والأماكن المقدسة الأخرى . واليوم نحن غيرنا بالأمس، نحن اليوم أشقاء تربطنا روابط كثيرة، تحتم علينا الصمود في وجه كل باغٍ أثيم .

إننا اليوم نكرر نشيد محمد وأصحابه، يوم فتح مكة ظافرين منتصرين (لا إله الا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده) الله أكبر إذا ارتفعت أعلام الحق والنصر ، الله أكبر إذا نُكست أعلام اليهود ومسانديهم، واستولى عليها الذعر والخوف والفتور ، الله أكبر إذا امتلأت القلوب فرحا وسرورا ، وصفقت الأيدي جذلاً وحبوراً، هاتفة بحياة الملوك والرؤساء العاملين لاعلاء كلمة الحق والدين، هاتفين قائلين عاش الرؤساء والملوك المخلصون المتصافون، المتلاقون والمتحابون .

أخاك أخاك إن من لا أخا له   كساعٍ الى الهيجا بغير سلاح

وأقول أيضاً :

إن أخاك الحقَّ من كان معك   ومن يضرَّ نفسه لينفعك

ومن إذا ريْب الزمان صدعك   شتت فيك شمله ليجمعك

وما أحسن ما قيل :

جزى الله الشدائد كل خير   عرفت بها عدوي من صديقي

الله أكبر إذا نادينا نحن خطباء منبر المسجد الأقصى مهنئين لكم بالوحدة الكاملة، الشاملة الكبرى ، الله أكبر إذا غصَّت المساجد بالمصلين من كل حدب وصوب، وهاجت وماجت، والتجأت الى الله، ونادت في هذا اليوم المشهود بأكف الضراعة، قائلين (شكراً لك يا رب على ما أنعمت به، وأوليت) وبهذه المناسبة ادعوكم ايها المصلون هنا وفي كل مكان، لتقوموا بعد الصلاة بسجدة الشكر لله، أقوم بها معكم . الله أكبر إذا طَهُرت الأرض من الكفرة الفجرة، وجاءهم يوم الحرب والوعيد الشديد ، الله أكبر إذا طُهِّرت الأرض من المنافقين والمتجاهرين بالفسوق والعصيان. الله أكبر إذا سارت الجيوش الإسلامية العربية ودول الإسلام زاحفةً شاكيةً السلاح، لتصبَّ جسام غضبها على أعداء الله ، الله أكبر إذا كان الوعاظ والمرشدون أداة خير، وهدي وإصلاح .

قال ﷺ (من قاتل في سبيل الله فُواق ناقة (أي مقدار حلب الناقة) فقد وجبت له الجنة ، ومن سأل الله الشهادة من عند نفسه صادقاً ثم مات أو قتل، فله أجر شهيد ، ومن جرح في سبيل الله جُرحاً ، أو نُكب نكبة، فإنه يجيء يوم القيامة بدمه لونه كالزعفران، وريحه كالمسك)[1] أو كما قال ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة .

★ ★ ★ ★

الحمد لله أعز الإسلام والمسلمين ، الحمد لله رفع راية الحق والدين ، أشهد أن لا إله إلا الله ناصرُ المحقين، وخاذِلُ المعتدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيدُ المجاهدين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

١ ـــ رواه ابو داود والترمذي وقال حسن صحيح عن معاذ بن جبل .

أيها المسلمون :

لقد كنتم أمواتـــاً مشردين منذ عشرين عاماً، واليـــوم تعودون إلى حياتكم وكرامتكـــم وشرفكم بعمر جديد، آمنين مطمئنين لا تَضيقوا ذرعا مما مضى، فقـــد كانت التفرقة والخلافات واللهِ تحزُّ في نفسي ونفوسكم ، وعندما بادر الحسين أخـــاه عبدالناصر بالتصافي ، طـــارت القلوب فرحاً وسروراً، بهـــذا اللقاء الأخوي ، ألا فابشروا بالنصر القريب المحقق إن شاء الله تعالى. لا تضيقوا ذرعـــا من الخطبة فإن لكم منها فوائد كلنا كنا متعطشين لهذه اللحظات الحاسمـــة، والجولة القادمة ، إن القـــرآن يقول ﴿ **انفـــروا خفافاً وثقالا وجاهـــدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ (٤١) التوبة .

أيها المسلمون :

اسمعوا وعوا ما أقول، لا تخافوا ولا تفزعوا عند نشوب الحرب، ولا تصخوا بسمعكم إلى إشاعات ودعايات العدو وإذاعاته البغيضة المغرضة ، لا تأبهوا بها، لأنها تُضعف قواكم وتفرق جموعكم ، هُبُّوا من رقدتكم ولا تقاعسوا، قاتلوهم يعذبْهم الله بأيديكم .

أما أنتم أيها الشباب الواعي :

تدربوا عسكرياً، وانضموا إلى جيشنا الموحَّدِ الظافر، ولا تتوانَوْا فالله مع العاملين .

أيها الشباب : لقد مضت أيام الخنافس. مضت أيام الملاهي والعربدة .

أيها الشباب : اعلموا أن المستقبل لكم. فأنتم شباب اليوم وشيوخ الغد المرتقب. فاستردوا وطنكم بالحديد والنار، كما سُلب منكم بالحديد والنار .

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراقَ على جوانبه الدمُ

السلاحَ السلاحَ، الكفاحَ الكفاح، ولا يتم نصر ونجاح بغير نظام وسماح، أما أنتن أيتها السيدات يا من تطالبن بحقوقكن المهضومة على زعمكن ، يامن تطالبن الوقوف إلى جانب الرجال في كل مجال، قِفنَ الآن ممرضاتٍ مساعدات، طاهيات عاملات محاربات، إذا داهم العدو قلب الوطن لا سمح الله . قِفن كما كانت نَسيبةُ المازنية[1] ورُفيدةُ، وأسماء بنت أبي بكر، وخولةُ بنتُ الأزور، وأمُّ أيمن وأمثالُهن، ولكن قِفن محتشمات غير متبرجات بزينةٍ ، قفن يا أخواتي وانتظرن وتأهبن لليوم المرتقب. ولكن ضعنَ نُصبَ أعينكن قوله ﷺ (الحياء من الإيمان)[2] ولا يتحقق نصر بغير صدق وإيمان، إيمان بالعقيدة، إيمانٍ بالواجب، إيمانٍ بالمبدأ الشريف. لقد مضت أيام الموضه والمايوهات، وجاء أيام الجد والاستعدادات .

أما أنتِ أيتها الدول المتعاظمة الكبرى المثَّبتةُ لأقدام الصهيونية العالمية في بلدنا الحبيب فلسطين، فاذكرك بقول الله الحكيم ﴿ **وكذلك نُولِّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون** ﴾ (١٢٩) الأنعام .

وأذكركِ ومن يسير في ركابك بالأثر الخالد (من أَعان ظالماً سُلط عليه)[3] وقد قيل: وما من يد إلا يد الله فوقها. ولا ظالمٍ إلا سيلى بأظلم. يا أمريكا ويا بريطانيا ويا كذا لا تغالي سوف تمحوك الليالي، ويكفيك أن تتحملي عداء مائة مليون عربي في أرجاء الأرض، أيتها الدول الغربية :

---

١ ــ نَسيبة بفتح النون وليست بالضم ، وكنيتها أم عمارة . راجع الإصابة (٤/٤١٨) .

٢ ــ متفق عليه .

٣ ــ رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن مسعود بزيادة لفظ الجلالة (سلطه الله عليه) .

إنك تسيرين وراء شعب يهودي مشرَّد قال الله فيه ﴿...، **وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق، ذلك بما عصوْا وكانوا يعتدون**﴾ (٦١) البقرة.

أيها المسلمون :

اتقوا ربكم وتمسكوا بعهده ووعده، وصلوا على نبيه كما صلى عليه ربه فقال (**إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، واصحاب رسول الله أجمعين، وتابعيهم باحسان إلى يوم الدين، اللهم إنا نلجأ إليك رافعين أكف الضراعة خاضعين متذللين، أن تكتب النصر المبين والتوفيق للرؤساء والحكام العاملين المخلصين، المتحابين المتعاونين، اللهم انصرنا فإنك خير الناصرين، وثبت أقدام عبادك وجيوش أمتك المجاهدين، وألف بين قلوب الأمة العربية الإسلامية وسائر المسلمين، رب العالمين، واضرب بسلاحهم رقاب المعتدين الظالمين، وأيدهم بنصر من عندك مبين، اللهم اجمعنا على الحق وتأييده، وارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، ونسألك اللهم أن تشمل بعنايتك ورعايتك وتوفيقك وتأييدك مليكنا المفدى الحسين بن طلال وسائر إخوانه العاملين، يا أكرم الأكرمين.

عباد الله :

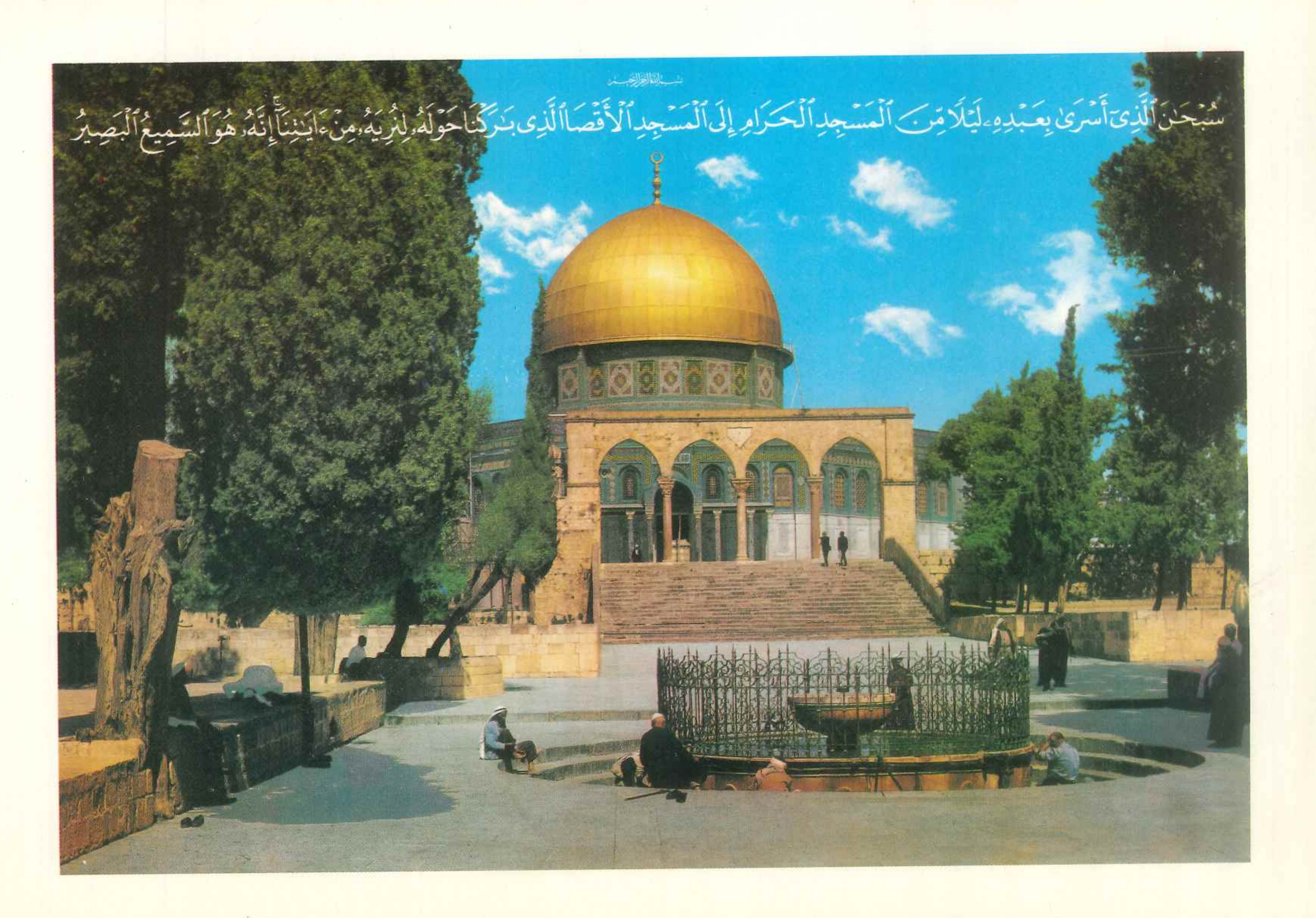
(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون) .

(... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) .

★ ★ ★ ★ ★

★ ★ ★

★


بسم الله الرحمن الرحيم
سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ



المؤلف في سطور

- ولد في الخليل ١٩١٨م وتوفي في عمّان ١٩٨٥م .
- أجيز في المحاماة ، وحصل على شهادة الأزهر العالمية (الدكتوراة) مما أهله للعمل في القضاء والافتاء والوعظ والارشاد والخطابة .
- تقلد في زمن الانتداب البريطاني على فلسطين مناصب :

١ ــ مدرس الدين في الكلية العربية بالقدس .
٢ ــ مدير مدرسة الفتح الاسلامية بالخليل .
٣ ــ رئيس كتاب الحاكم الشرعي ، ووكيل القاضي الشرعي في القدس ، غزة ، صفد ، الخليل ، بيسان .

وفي العهد الأردني :

١ ــ عضوية هيئة كبار العلماء .
٢ ــ أمانة الفتوى بالقدس .
٣ ــ خطيب المسجد الأقصى المبارك ، وواعظ لواء القدس ، ومدير المعهد العلمي الاسلامي في المسجد الأقصى .
٤ ــ مدير دار الفقه والحديث في بيت حنينا والخليل وعمان .
٥ ــ مدرس اللغة العربية في جامعة الرياض (الكليات والمعاهد) بالسعودية .
٦ ــ خطيب المسجد الحسيني الكبير .
٧ ــ المفتي العام للمملكة الأردنية الهاشمية .
٨ ــ المستشار الديني لوزارة الأوقاف .
٩ ــ المفتش العام لشؤون الوعظ والإرشاد .

- له ما يزيد على العشرين كتاباً ، منها :

١ ــ بداية الإرشاد في الرد على ذوي الإلحاد .
٢ ــ النبراس الوهاج .
٣ ــ شرح مجموع الأوراد .
٤ ــ حقوق المرأة في الاسلام .
٥ ــ الشباب عُدة المستقبل .
٦ ــ بلاغة القرآن .
٧ ــ الأدلة العقلية على وجود الصانع العظيم .
٨ ــ دعوة الحق .
٩ ــ كتاب في الفرق بين رسم المصحف الشريف وبين رسم القواعد الاملائية .

كتب في الصحف الأردنيه والسوريه والمصريه ، وللاِ ذاعة والتلفزيون ، وله محاضرات علمية أدبية واجتماعية وندوات عربية .

شغف بكتاب الله الكريم (القرآن) وسنة رسوله ، وأمته العربية الاسلامية ، وجلالة الملك الحسين والهاشميين.

المطابع التعاونية ـ عمان